
3
التواصل
AT-TAWASUL
فصلية ثقافية شاملة
العدد الثالث - شعبان 1372 من وفاة الرسول ﷺ الموافق شهر الفاتح (سبتمبر) 2004 مسيحي
• الإسلام واللجوء
• حديث الفردوس الموعود
• المصادر الإسلامية في اللغة الصينية
• الخط العربي.. الحرف الناطق
• إلياس طعمة.. هل كان مسلماً ؟
يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا
إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ



إهـــــداء ٢٠٠٩

جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

الجماهيرية العربية الليبية

الافتتاحية

يسجل التاريخ لثورة الفاتح أنها قدّمت الإسلام على حقيقته ، مبرءا من كل شائبة ، كما جاء به القرآن الكريم ، دينا حضاريا متكاملا هدفه تحقيق آدمية الإنسان وتكريمه وإسعاده ، والدفع به للولوج من الباب الأوسع لتحقيق إرادة الله من وراء خلق الإنسان وهي الاستخلاف في الأرض والتمكين له للسيطرة على مقدراته . وعلى هذا كانت هذه الثورة في مقدمة الثورات المعاصرة ، عالمية إنسانية في رسالتها وتوجهاتها ، عملت من أجل خير الإنسان في كل مكان ، معتمدة في مسيرتها على جوهر الإسلام الحقيقي القائم على التوحيد ، متحررة من كل هيمنة أو قوة غير قوة الله سبحانه وتعالى .

وبهذا المعنى الإسلامي السامي انطلقت تشق طريقها في إيمان وثبات لتحرير الإنسان من كل صور وأشكال الوصاية والعبودية لغير الله ، وبناء المجتمع الإنساني الحر على هدي من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وبعث حضارة الإسلام من جديد ، لتواصل دورها المعطاء ، المفعم بالخير والحق والعدل .

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه الثورة قد استقرأت التاريخ ودروسه ، وتجارب الشعوب ومعاناتها ، واستفادت من حضارات الأمم في الماضي والحاضر ، فاستخلصت لنفسها مقومات الثورة الحقيقية الشاملة ، واثقة بأنه طريق شاق وطويل ، مليء بالمعارك والتضحيات الجسام ، لكنها سارت فيه بإيمان وثبات ، متحملة المسؤولية كاملة ، واقفة بصمود أمام التحديات والدسائس والمؤامرات ، متوجة مسيرتها بالانتصار للإنسان في أن يعيش الحياة الحرة الكريمة .

ومنذ الوهلة الأولى لانطلاقتها تبين للعالم الوجه الإسلامي المشرق لمسيرتها من خلال تشديد بيانها الأول على إيمانها بقيمة المثل الروحية النابعة من القرآن الكريم ، فكانت هذه الثورة بشرى لجماهير المسلمين في كل مكان ، حيث فتحت أمام هذه الجماهير آفاقا رحبة وفسيحة ، للانطلاق نحو تحقيق عزتها وكرامتها ، حيث حملت لها تباشير الخلاص و النهوض ، وشرعت لها طريق العودة لمرجعيتها (القرآن الكريم) واستطاعت أن تخلصها من الإحباط الذي كاد يستولي عليها ، بفعل توالي الهزائم وتكرار الانتكاسات التي منيت بها أمتنا ، فكانت هذه الثورة بحق النصر الذي وعد الله عباده المؤمنين الصابرين ، وكانت الفتح المبين الذي أعاد للنفوس الثقة ، وبعث فيها الأمل ، وعزز فيها الشعور بالعزة والكرامة .

ومع إطلالة العام السادس والثلاثين لهذه الثورة المظفرة يتجدد العهد والوعد بتواصل العطاء في مختلف ميادين الحياة ، مستندة إلى ذلك الرصيد الزاخر من العمل الإنساني الجاد ، ومرتكزة على جملة الثوابت والمنطلقات الإنسانية ، بما يحقق إنسانية الإنسان ويصون كرامته ، مؤسسة لثقافة الحوار والتواصل والتعارف بين البشر ، بعيدا عن الصراعات والأحقاد والمؤامرات .

فتحية لهذه الثورة الرائدة في ربيعها الخامس والثلاثين ، ومزيدا من البذل والعطاء .

التواصل

في هـــذا العـــــدد

الافتتاحية

تقـــارير

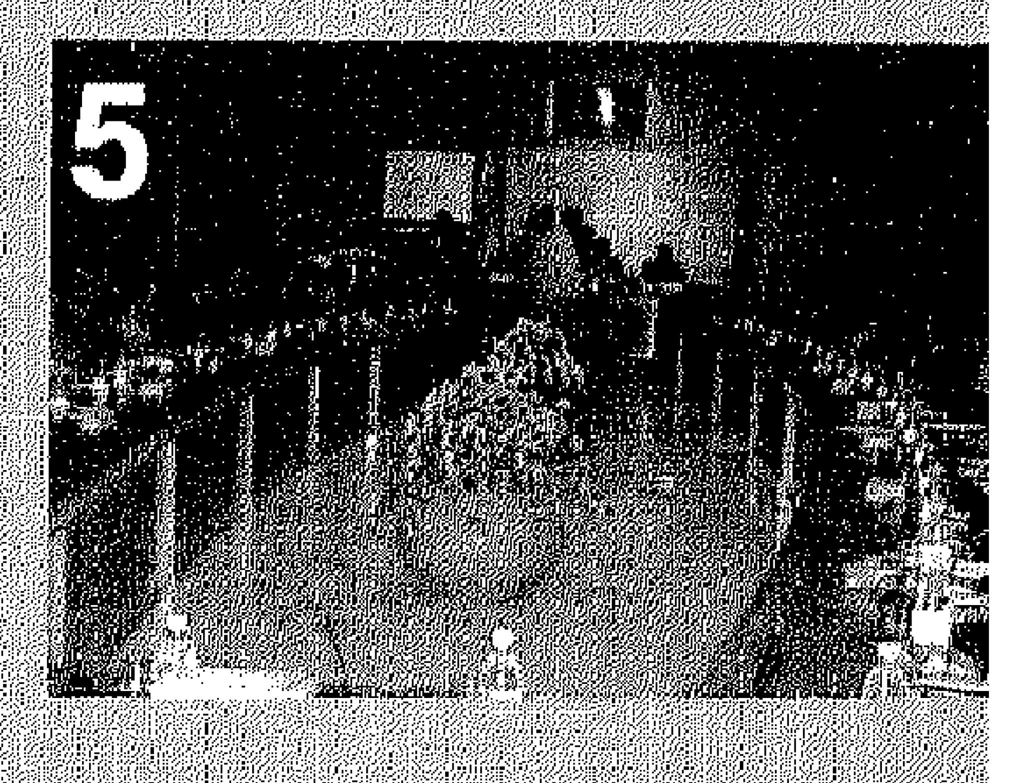
مقالات

الملف

تصوير: مصطفى زائد

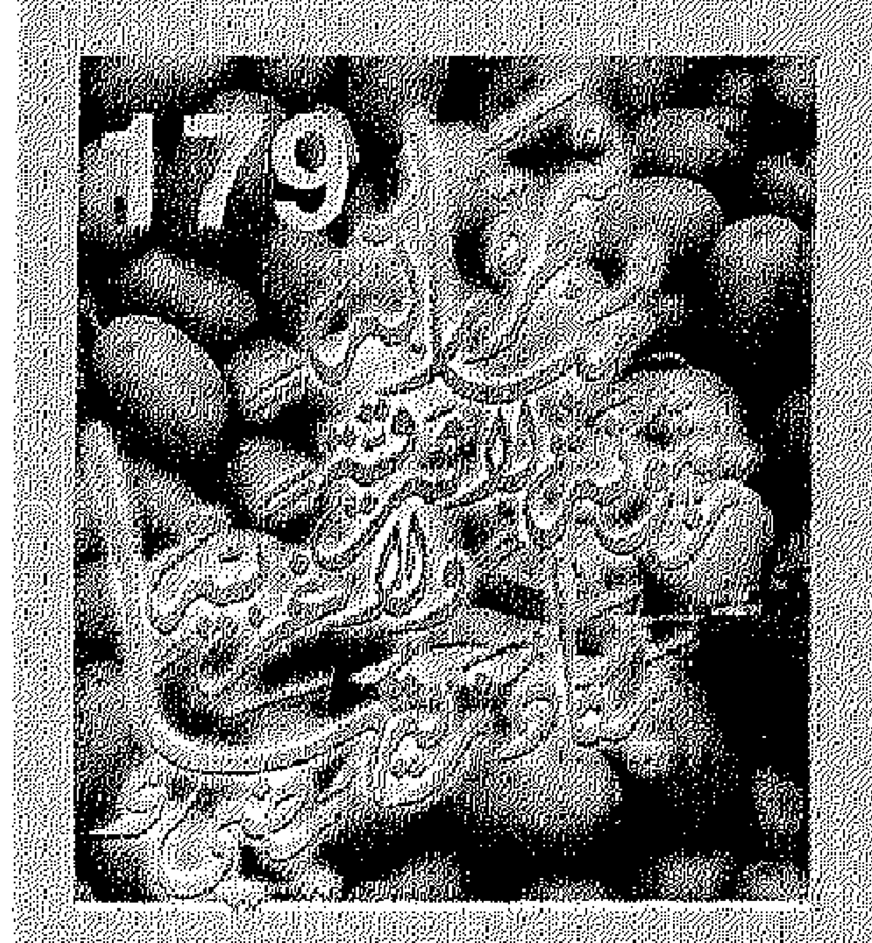
الغلاف

«لتعارفوا»



تقـــارير

«الإسلام واللجوء»



استطلاعات

شجرة مباركة.. يكاد زيتها يضيء

التواصل
AT-TAWASUL
تصدر عن
جمعية الدعوة الإسلامية العالمية
العدد الثالث ـ شعبان 1372
من وفاة الرسول ﷺ الموافق
شهر الفاتح (سبتمبر) 2004 مسيحي

المراسلات باسم
أمين هيئة التحرير
طريق السواني ـ كلم 5
هاتف: 4800730 / 4808461_5
بريد مصور: 4800736
ص.ب: 86086
طرابلس ـ الجماهيرية العظمى
البريد الالكتروني
www.at-tawasul.info

شـــروط الـنـشـــر فـي مجـلـة

التواصل

ترحب مجلة التواصل بكتابات المفكرين والمثقفين العرب والمسلمين وغيرهم الذين ينشدون التواصل المعرفي من خلال لغة الحوار والنقاش المستنير بعيداً عن التعصّب الذميم بجميع أشكاله، وسعياً لدرء أسباب الخلاف والفرقة، مع الالتزام بأسس العقيدة الإسلامية وثوابت الدين في المعالجات الفكرية والثقافية. وتحقيقاً لهذه الأهداف يشترط لقبول نشر البحوث والمقالات:

- ❖ أن يتسم البحث بالجدّة والموضوعيّة، وأن يتّبع في كتابته الأساليب المنهجية في البحث العلمي من تسلسل منطقي في العرض، وتوثيقٍ للمصادر والمراجع.
- ❖ أن يُراعى تخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في البحوث التي تتضمنها.
- ❖ أن يكون البحث أو المقال خِلواً من الأخطاء اللغوية والإملائية، مع مراعاة علامات الترقيم وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط.
- ❖ ألاَّ يكون البحث أو الدراسة المقدمة للنشر في (التواصل) جزءًا من أطروحة ماجستير أو دكتوراه.
- ❖ ألاَّ يكون البحث قد سبق نشره في مكانٍ آخرَ.
- ❖ أن يكونَ البحثُ أو المقال مطبوعاً، أو مكتوباً بخطٍّ واضح.
- ❖ ألاَّ يقلّ عدد كلمات البحث أو الدراسة عن 8000 كلمة ولا يزيد على 12000 كلمة.
- ❖ ألاَّ يقلّ عدد كلمات المقال عن 4000 كلمة، ولا يزيد على 6000 كلمة.
- ❖ أن يُرفقَ الباحثُ ببحثه سيرته الذاتية.
- ❖ في حالة الترجمة لا بدَّ من أن يرفق النصّ المترجم بلغته الأصلية.

ملاحظات:

- ـ للمجلة الحق في اختيار العدد المناسب لنشر البحوث المجازة.
- ـ ترتيب نشر البحوث في المجلة يخضع لاعتبارات فنية.
- ـ لا تردّ البحوث إلى أصحابها سواء أنشرت في المجلة أم لم تنشر.
- ـ تعرضُ الأعمال المقدّمة للنشر على لجنة تقويم النصوص فيها لإجازتها.
- ـ تمنح البحوث والمقالات المجازة مكافأة مالية مناسبة.



❖ الإسلام واللجوء

❖ قوافل الخير تجوب المعمورة

الإسلام واللجوء

علي الويفاتي*



يشكّل اللاجئون مشكلة عويصة أمام العالم من ميزاتها أنها تنفجر فجأة وتتكاثف إلى درجة قد تصل إلى حد الكارثة تتوجب حشد كل الطاقات الدولية لمواجهتها إذ تعجز دولة بعينها على التعامل معها...

وتتنوع أسباب المشكلة إلا أن أخطرها تلك التي تعود إلى الحروب خاصة الأهلية التي يجد فيها مئات البشر أنفسهم في حالة فرار من الموت إلى الدول المجاورة.. وهناك تتكاثر المشكلة إلى حد الكارثة ويصبح الأطفال في مواجهة خطر المجاعة والإصابة بالأوبئة التي ترتفع حظوظ نموها وتكاثرها وسط بيئة تتساوى أن تكون ممطرة أو جافة.

وتدخل حالة الكوارث الطبيعية ضمن أسباب بروز مشكلة اللاجئين حيث يجد آلاف البشر أنفسهم في مواجهة العراء والبحث عن المأوى... وكثيراً ما يرتفع صوت الدولة المصابة بطلب المعونة لعجزها

* كاتب وصحفي / ليبيا

عن معالجتها مما يستوجب نهوض دولي لتقديم العون لهذه الدولة.. خيام.. غذاء.. أطباء.. أدوية...

ولان مشكلة اللاجئين متكررة فقد أوجدت منظمة الأمم المتحدة مفوضية خاصة بشؤون اللاجئين مهمتها التعامل مع هذه المشكلة...

وتظل هذه المفوضية عاجزة دون أن تكون مسنودة بمنظمات وهيئات ومؤسسات أخرى تؤمن بالواجب الإنساني تجاه البشر الذين قد يواجهون موتاً جماعياً تعلّق مسؤوليته في أعناق الدول الغنية التي كانت قادرة على مد يد المساعدة إلا أنها تقاعصت عن ذلك لأغراض سياسية أو لأي سبب آخر لا يمت للمنطق الإنساني بشيء.

ولعلنا هنا نشير بثقة ناضجة إلى دور جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في هذا المجال إذ أنها تخصّص جزءاً مهماً من برامجها في المساهمة مع الآخرين في رفع المعاناة التي يتعرّض لها اللاجئون في أكثر من بقعة من العالم خاصة في أفريقيا التي أصيب أجزاء منها بوباء الحروب الأهلية كان ضحيتها في الدرجة الأولى الأطفال والنساء والعجزة والرجال الذين لا يملكون فيها ناقة ولا جمل.

ومن أجل أن يكون هذا الدور ناجحاً ومؤثراً فقد عمدت الجمعية إلى ربط وشائج العلاقة مع مفوضية الأمم المتحدة السامية لشؤون اللاجئين وأوجدت معها جملة من البرامج تلتقي فيها أيضاً مع منظمة الصحة العالمية ومنظمة اليونيسيف.

وهنا سنلقي الضوء على ندوة نظمتها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بمشاركة مكتب طرابلس لمفوضية الأمم المتحدة السامية لشؤون اللاجئين خلال شهر ناصر (يوليو) 2004ف بمناسبة اليوم العالمي للاجئين تحت شعار (الإسلام واللجوء).

ونظرة سريعة للقاعة التي شهدت الندوة بكلية الدعوة الإسلامية بطرابلس تتيح لنا استشعار الأهمية التي تشكلها الندوة وذلك من خلال الحضور النوعي والكمي.. فكان هناك أعضاء البعثات السياسية المعتمدة لدى الجماهيرية العظمى - دولة المقر - وهناك أساتذة الجامعات والباحثون والمهتمون بمسائل الخدمات الإنسانية وهيئة التدريس بكلية الدعوة الإسلامية وطلابها.

وقد قدمت في الندوة ورقة بحثية عن مفهوم اللجوء ورؤية الإسلام لهذه القضية الإنسانية رحّب المتحدث في مستهلها بالمشاركين، مشيراً إلى دور كلية الدعوة الإسلامية في توفير فرص لالتقاء بين المثقفين والمهتمين بمختلف القضايا الإنسانية وذلك بما يرسّخ مفهوم الانفتاح على مختلف الثقافات وبما تقدّمه مؤسسة تعليمية من علوم ومعارف للطلاب الوافدين من مختلف البلدان إسهاماً منها في رفع الحواجز النفسية وإزالة ما قد يشعر به الوافد من غربة وتجهم أو نفور تجاه أخيه الإنسان.

*** تجربة مسلمي رواندا تعد نموذجاً يعكس مضامين رؤية الإسلام للقضايا الإنسانية، حيث وفّر المسلمون الملاذ الآمن لكل من طلب الاحتماء بهم من أبناء الهوتو والتوتسي إبّان المحنة التي تعرّض لها المجتمع الرواندي أواسط تسعينيات القرن الماضي. كما فتحوا المساجد لإيواء الهاربين من المذابح.**

مشيداً في اللقاء بالدور الإنساني الكبير الذي تقوم به الهيئات الإنسانية والمنظمات الدولية والجمعيات الأهلية والحقوقية وبالعاملين بالمفوضية السامية للاجئين على جهودهم الرامية إلى التخفيف من آلام الإنسان ومعاناته وبعث الأمل في نفسه، مشيراً إلى أن مصطلح اللجوء قد اكتسب حداً معرفياً ترسّخ في الأذهان عبر التاريخ فلم يعد هنالك من لا يعرف أن اللاجئ هو من اضطرته ظروف الحاجة إلى ترك مسقط رأسه الأصلي، طالباً الأمان في مكان آخر بسبب الظروف البيئية القاسية كالكوارث الطبيعية أو الاجتماعية كالاضطهاد والتدافع البشري بسبب العرق أو الدين أو الانتماء. مبيناً ان ما تقوم به المنظمات الإنسانية في الوقت

الراهن لا يتجاوز في كثير من الأحيان إغاثة اللاجئين وإعادة تأهيلهم وتوفير العناية الصحية والمأوى لهم ورعاية الأطفال وتدريسهم وهي جهود تظل ضرورية وخطوات عملية لإنقاذ من كبا بهم الزمن وأدار ظهره له، ولم تُقبل الحياة عليهم، متسائلاً عن الأسباب التي جعلت الإنسان يتنكّر لذاته ويغفل عن هويته ويجهل حقيقته ويعيش حالة اغتراب قاتلة مع توالي جهود الأنبياء والفلاسفة في تعريف الإنسان بنفسه وتذكيره بهويته.

مشيراً إلى جهود الفلاسفة منذ ما يقرب من 2400 سنة في تعريف الإنسان بأنه حيوان ناطق وأنه حيوان ذو قيم وحيوان ما وراء الطبيعة وحيوان ملتزم، ومسؤول، وناظر إلى المستقبل، وحر ومختار ومبدع وخلاق، وعابد وذو عقيدة، وصانع للآلة إلى غير ذلك من التعريفات التي يطول سردها، موضحاً أن الدين قد تطرّق إلى تفصيلات أكثر دقة وعمقاً بدءاً من نوح وانتهاء بالنبي محمد عليهم الصلاة والسلام من خلال التأكيد على قيمة الإنسان، قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[سورة الإسراء: الآية 70]

مشيراً إلى أن اهتمام الرسالات السماوية على تعزيز هذه المكانة من خلال حث الإنسان على التواصي بالحق والتواصل مع أخيه الإنسان ودعوته إلى الحب والتسامح وإقامة العدل ونبذ الظلم وأمرته بالمحافظة على النفس والعقل والعرض والدين والمال وترسيخ مبدأ الحرية، وهي القيم التي جاءت بها دعوة الإسلام التي هي آخر الرسالات السماوية.

*** النموذج الذي قدّمه النجاشي ملك الحبشة يعد من أروع الأمثلة في تطبيق المبادئ السامية، باحتضانه للمهاجرين الأوائل من المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة وتمكينهم من العيش في أمن وسلام ورفض جميع العروض المغرية التي قدمت له في سبيل ترحيلهم وطردهم من بلاده.**

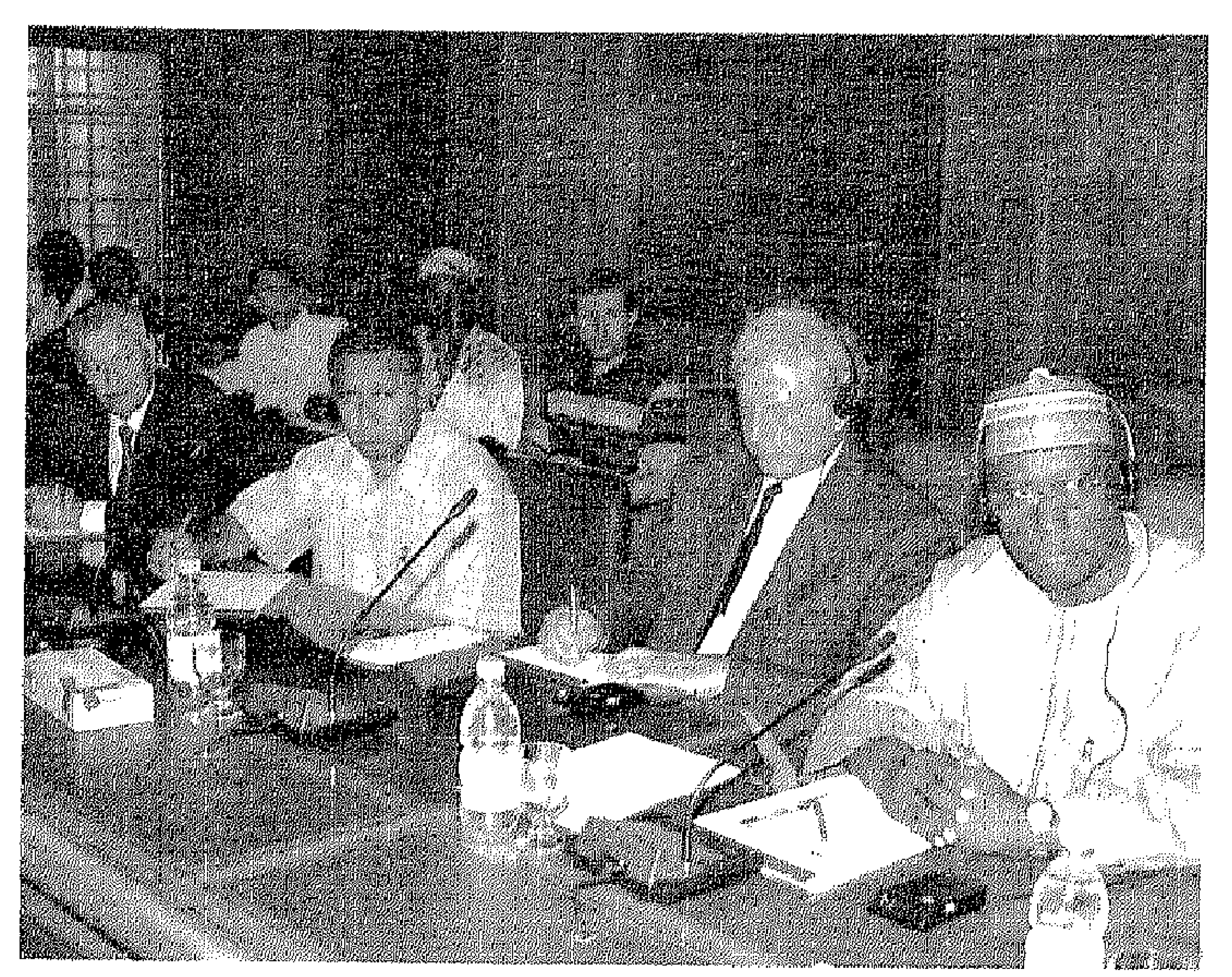
النجاشي مثلاً

وأشارت الورقة إلى النموذج الذي قدمه النجاشي ملك الحبشة والذي يعد من أروع الأمثلة في المحافظة على تلك المظاهر وتطبيق تلك المبادئ السامية، ومن بين تلك المبادئ الإنسانية احتضانه للمهاجرين الأوائل من المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة في عهد الملك المسيحي النجاشي الذي مكّنهم من العيش في أمن وسلام ورفض جميع العروض المغرية التي قدمت له في سبيل ترحيلهم وطردهم من بلاده.

المضامين الإنسانية للإسلام

وأكد على المضامين الإنسانية التي قدّمها المسلمون في صدر الإسلام بما اشتملت عليه من معاني الوفاء والصدق والإخلاص ومحبة الآخر وذلك من خلال احتضان المدينة وهي نواة الدولة الإسلامية التي عاش فيها المسلمون واليهود والنصارى والمنافقون والملحدون والمشركون. مشيراً إلى اعتراف كتّاب الغرب وعلمائهم ومنهم توماس أرنولد وغيره بأن المسلمين الأوائل ضربوا أروع الأمثلة في احتضان اليهود والمسيحيين وتمكينهم من أرقى الوظائف في الدولة، ولم يرغموا أحداً على اعتناق الإسلام، وآووا كل من التجأ إليهم موضحاً أن الإسلام قد نهى عن قتل الشيوخ والنساء والأطفال ورجال الدين والأسرى في الحروب، مبيناً أن المسلمين لم يعهد أنهم انتهكوا حرمة أسير أو عمدوا إلى إهانته أو إذلاله أو إيذائه، بل ذهب الإسلام إلى أبعد من ذلك في احترام آدمية الإنسان اقتداء بالنبي ـ صلى الله عليه وسلّم ـ الذي انتصب قائماً لجنازة يهودي وزار مرضاهم، وأذن لوفد نجران المسيحي أن يصلي في مسجده، وأمن المشرك امتثالاً لقوله تعالى:

❖ اهتمام الرسالات السماوية بتعزيز مكانة الإنسان جاء من خلال حث الإنسان على التواصي بالحق والتواصل مع أخيه الإنسان ودعوته إلى الحب والتسامح وإقامة العدل ونبذ الظلم وأمرته بالمحافظة على النفس والعقل والعرض والدين والمال وترسيخ مبدأ الحرية وهي القيم التي جاءت بها دعوة الإسلام التي هي آخر الرسالات السماوية.



﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥ﴾
[سورة التوبة: الآية 7]

عندما يكون الدين دينين

وتساءل المحاضر إذا كان الأمر كذلك، فما الذي جعل الإنسان ينسى بعد هذا التأكيد كلّه، موضحاً بالقول: إن الذي ينبغي أن أشير إليه في هذه العجالة أن هنالك فارقاً بين الدين في المرحلتين، الأولى تمثل حقيقة الدين أما المرحلة الثانية فقد نصب البعض أنفسهم أوصياء على الدين وحماة له بعد أن أسقطوا ما لديهم من فكر ارتجاعي باطني أسطوري فتحوّل الدين عن حقيقته إلى واقع آخر أصبح فيه الدين ضد الدين وكلّنا يعلم أن الإنسان هو الأصل وأن الدين جاء لإنقاذه فأصبح بهذه المعادلة المقلوبة مع اعترافي بما للدين من قدسية أن الدين هو الأصل والإنسان هو الفرع يكفر ويقتل ويدمّر ويضطهد وتمارس ضده جميع وسائل القمع والإرهاب باسم الدين.

اللغة والاضطهاد

وكذلك أيضاً بالنسبة للغة فهي لا تزيد عن كونها وسيلة اتصال وتواصل ولكن بعد أن بنيت عليها القوميات تحوّلت إلى شعور نتج عنه اضطهاداً للقوميات الأخرى.

الوسائل المادية

وأوضح أن ما قيل عن الدين واللغة يمكن أن يقال عن الوسائل المادية الحضارية التي استحوذت على اهتمام الإنسان وجذبته خارج ذاته وفرغته من محتوى إنسانيته، مبيناً أن العلم في حقيقته هو مصدر إلهام الإنسان وتقدّمه ولكنه بحسب الواقع صار شيئاً آخر بعد أن أقبل عليه الإنسان وتخلى عن الدين ظناً منه بأنه سيعوّضه الجنة الموعودة لكنه في ظل غياب الدين أصبح أداة مدمرة للإنسان.

أحادية الثقافة

وأشار إلى أن سعي البعض في فرض الثقافة الأحادية الجانب أو الحضارة ذات البعد الواحد قد أدّى إلى العديد من الممارسات اللاإنسانية التي ارتكبها البعض ضد البعض الآخر، مؤكداً على أهمية الدور الريادي الذي يضطلع به القائد معمر القذافي من أجل خدمة قضايا الإنسانية الذي أدرك عن وعي معاناة الإنسان فركّز على العوامل الطبيعية لإنقاذه



وجعل الإنسان محور اهتمام فطرح مسألة مشاركة الجميع في التخطيط لمستقبلهم السياسي ودعا إلى تحطيم البوابات والحدود المصطنعة التي رسمها الإنسان في حالة انجذابه خارج ذاته. وأشار إلى دور الأخ القائد في الاهتمام بمحاربة الفقر والجهل والمرض داخل المجتمعات الأفريقية بالذات ليحميها من اللجوء والهجرة إيماناً منه بأن تقديم المساعدات للاجئين خارج ديارهم وأوطانهم وإن كانت ضرورية في هذه المرحلة ولكنها ليست كافية أمام المعاناة التي يعيشها اللاجئ. وما يترتّب على ذلك من أمراض نفسية وانحراف تحت ظروف الحاجة.

دور الجمعية

ولقد أدركت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية أهمية فلسفة القائد فانتهجت خطة حكيمة تدعم بدورها استقرار الإنسان في أرضه فعمدت إلى إرسال القوافل محمّلة بالغذاء والدواء وأسهمت في بناء دور العبادة وصيانتها وبناء المساكن والمدارس والمستشفيات والمستوصفات وقامت بتعيين آلاف المدرسين وفتح باب الاستثمار وإيجاد فرص العمل، كل ذلك بهدف استقرار الإنسان في أرضه ووطنه وهي إذ تقدّم تلك الخدمات في المستشفيات والمدارس لم تفرّق بين دين ودين أو لون وعِرق لإيمانها بأن البشرية ذات واحدة لا يوجد بينهم إنسان ونصف إنسان فهم كأسنان المشط لا تناقض بينهم ولا تضاد، مؤكداً أن هذه البرامج قد أسهمت في خلق بيئة جاذبة وليست طاردة.

ويُشار هنا إلى أن تجربة مسلمي رواندا تُعدّ نموذجاً يعكس مضامين رؤية الإسلام للقضايا الإنسانية، وهو ما أكّد عليه مقدّم الورقة من خلال إشارته لدور المسلمين الرونديين إبان المحنة التي تعرّض لها المجتمع الرواندي حيث وفّر المسلمون الملاذ الآمن لكل من طلب الاحتماء بهم من أبناء الهوتو والتوتسي.

كما فتحوا المساجد لإيواء الهاربين من المذابح، إبان الأحداث التي تعرّضت لها رواندا أواسط تسعينيات القرن الماضي.

وأما بنعمة الله فذكّر

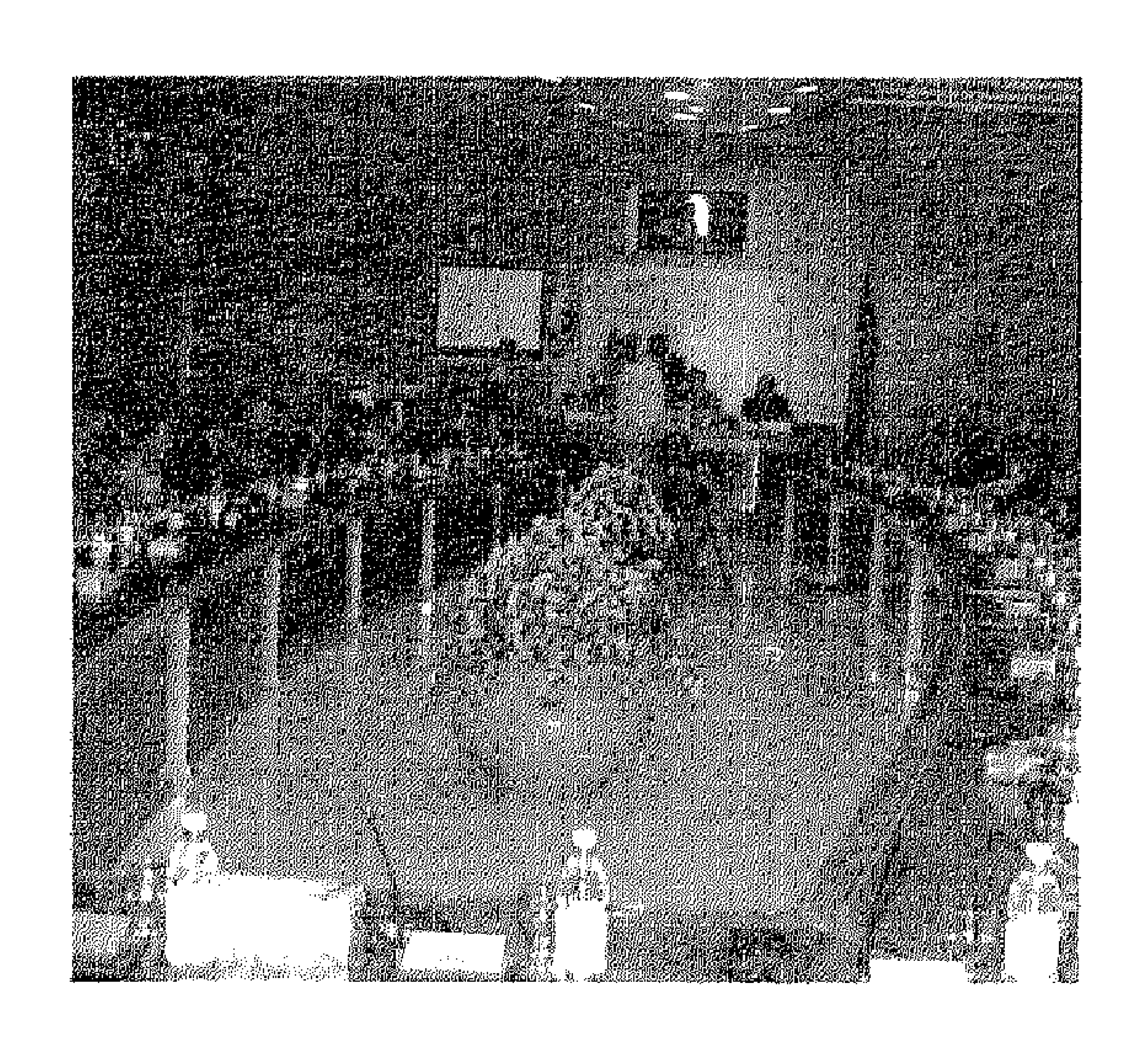
وكانت الندوة فرصة لأمين مكتب المؤتمرات والهيئات الدولية والإغاثة وشؤون اللاجئين بجمعية الدعوة الإسلامية العالمية لكي يقدم نبذة عن دور الجمعية في الاهتمام بالعمل الإنساني، فأوضح أنه منذ تأسيسها قبل أكثر من ثلاثة عقود خصصت في برامج عملها الإنسانية جانباً مهماً لقضايا اللاجئين بهدف التخفيف من معاناتهم، مشيراً بالخصوص إلى تخصيص إدارة للإغاثة والاهتمام بشؤون اللاجئين. مبيناً أن نحو 30٪ من ميزانية الجمعية يخصّص للاهتمام بشؤون الإغاثة واللاجئين في مجالات مختلفة وأساليب ووسائل مختلفة ومتعدّدة.

وأوضح أن الاهتمام بالإغاثة وشؤون اللاجئين ليس جديداً وليد فترة زمنية وإنما هو قد سار وفق آلية من التوصيات التي نصّ عليه المؤتمر العام الثالث في عام 1986 مسيحي الذي نصّ على ضرورة الاهتمام بشكل أكبر بقضايا اللاجئين وبالمهجرين، وكذلك فقد نصّت توصيات المؤتمرين السادس والسابع على ضرورة الاهتمام بشكل أوسع وأشمل باللاجئين، وليس هذا فحسب بل نصّت توصيات المؤتمر الأخير للدعوة

على المطالبة بضرورة التوسّع في مجالات العمل الإنساني بما يخدم الشرائح المختلفة التي تحتاج إلى المساعدة. وأوضح أن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية قد سيّرت خلال العقود الثلاثة الماضية عدداً كبيراً من القوافل الطبية الإغاثية إلى كل من أفريقيا وآسيا وأوروبا من بينها قافلتان إحداهما إلى ألبانيا والقافلة الأخرى إلى اللاجئين في كوسوفو، كما تمّ إرسال قوافل أخرى خصيصاً إلى مناطق يوجد فيها عدد كبير من اللاجئين من بينها إرسال قافلة طبية إلى أذربيجان لتقديم المساعدات إلى إقليم «كرباج» وقافلة أخرى إلى اللاجئين في ليبيريا، إضافة إلى ذلك فإن 20 ـ 25٪ من أنشطة الإغاثة بجمعية الدعوة الإسلامية العالمية وهبت للاهتمام بالإغاثة وشؤون اللاجئين والمهجرين من بينها القافلة الإغاثية التي تمّ إرسالها في الفترة الماضية إلى إقليم أباشا بين حدود تشاد والسودان، وذلك بالتنسيق مع المفوضية السامية لشؤون اللاجئين.

علاقات إنسانية

وأكد على أهمية العلاقة التي تربط بين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية والمنظمات العاملة في المجال الإنساني والإغاثي فقد ارتبطت الجمعية منذ العام 1985 مسيحي بعلاقات تعاون مع منظمة اليونسكو في المجال التربوي والثقافي للاجئين في مناطق مختلفة من العالم، وتقديراً من اليونسكو فإن الجمعية تحظى الآن بصفة مشارك في منظمة اليونسكو، بذلك تعتبر جمعية الدعوة الإسلامية العالمية هي المنظمة الوحيدة التي لها تمثيل داخل اليونسكو، كما ترتبط جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بعلاقات متميزة مع منظمة الصحة العالمية والتي تمدّنا بمعلومات عن الأوبئة المنتشرة في هذه المنطقة، ولنا تعاون أيضاً مع منظمة اليونيسيف في إطار الاهتمام بالطفولة والتطعيم ومعالجة شلل الأطفال وكذلك لنا تعاون مع المفوضية السامية لشؤون اللاجئين منذ سنوات، إضافة إلى علاقات



التعاون بين الجمعية والمجلس العالمي للكنائس وعدد من المنظمات الإقليمية في أفريقيا وآسيا، ومشيراً إلى أن جزءاً كبيراً من عمل الدعوة يهتم بالجانب الإنساني مضيفاً بالقول إن الرسول (ﷺ) يقول: «خير الناس أنفعهم للناس» ولم يقل خير المؤمنين أو خير المسلمين.

لا تأثير على ديانة اللاجئ

ولذلك فإن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية والمؤسسات التي تتعاون معها خير شاهد على أنها لم تستخدم المساعدات للتأثير على ديانة اللاجئ وعلى ثقافته وعلى هويته وعلى انتمائه الديني أو الحضاري بل بالعكس نقدّم المساعدات انطلاقاً من الأخوة الإنسانية التي تجمعنا.

أهمية العلاقة

وتحدّث مدير مكتب المفوضية السامية لشؤون اللاجئين مؤكداً على أهمية إحياء هذه المناسبة، مشيداً بالدور الذي تضطلع به جمعية الدعوة الإسلامية العالمية من أجل خدمة قضايا الإنسانية، مشيراً إلى أهمية العلاقة التي تربط المفوضية بالجمعية وأن هذه العلاقة قد تطورت خلال السنوات الماضية، مبيناً أنه لأوّل مرّة يتم الاحتفال بمثل هذا الحدث في ليبيا.



❖ التأكيد على القيم الأخلاقية والثوابت الدينية أثناء خدمة اللاجئ وعدم استغلال وضعه الاستثنائي وحاجته الإنسانية بمحاولة التأثير على انتمائه الديني أو العرقي أو العبث بهويته الثقافية مقابل ما يقدم له من خدمات، والابتعاد عن أي تمييز في خدمة اللاجئين.

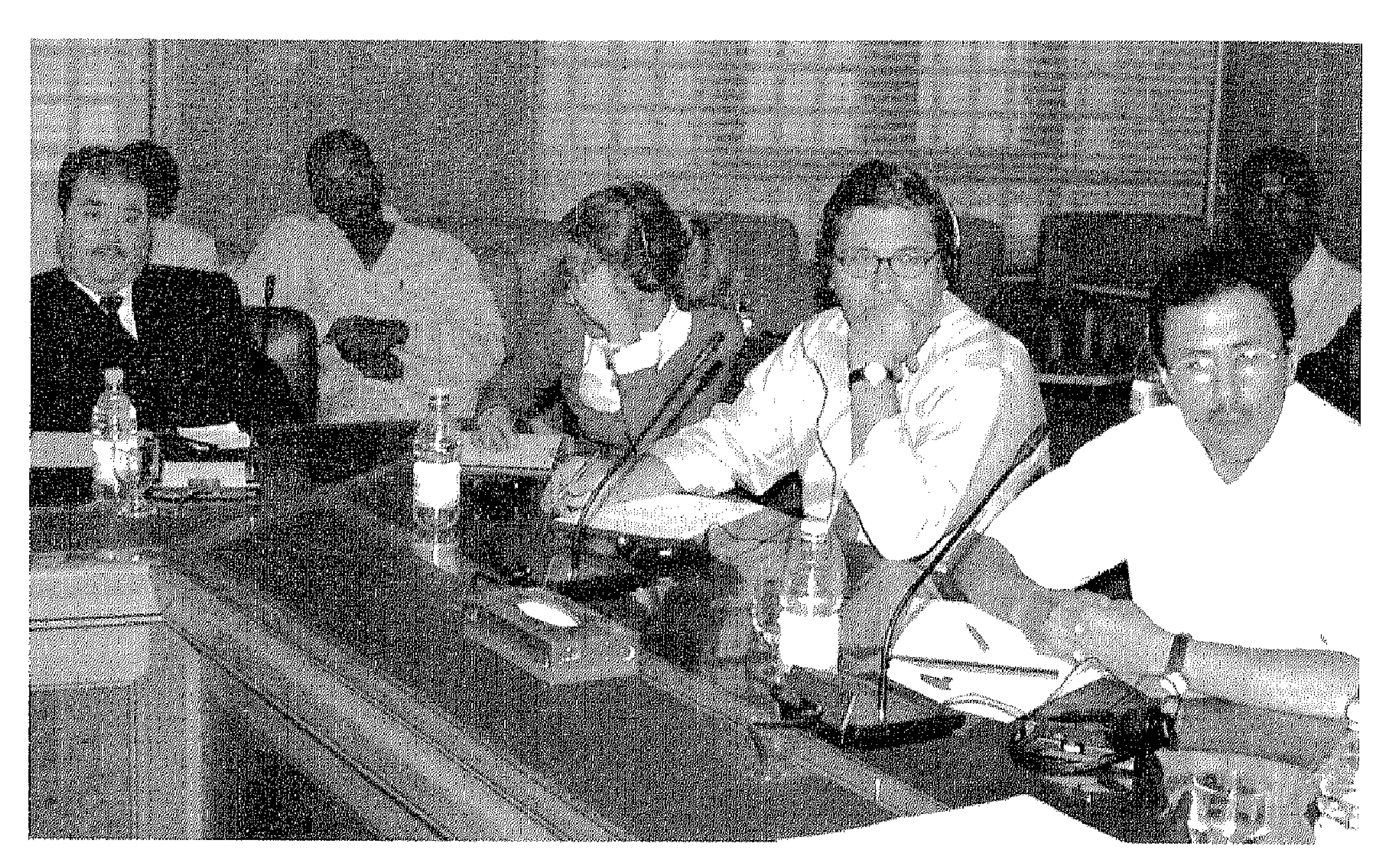
مأساة دارفور

وقال إن علينا أن نلفت الانتباه لوجود ملايين اللاجئين حول العالم إلى إيجاد حل لمعاناتهم وحاجتهم إلى (مكان يدعى الوطن) مكان حيث يستطيعون الانتماء إليه، مشيراً إلى المأساة التي تحل في تشاد حيث هناك 190 ألف لاجئ سوداني فارين من العنف في دارفور في السودان وأن هذا العدد يزداد بمعدل 200 إلى 300 شخص معظمهم من المجموعات الحساسة من الأطفال والنساء وأن هذه الحالة تزداد سوءاً كل يوم ونحن بصدد الدخول في مرحلة خطرة من هذه العملية لا سيما وأن موسم الأمطار قادم، موضحاً أن المفوضية السامية تقوم بتزويد هؤلاء اللاجئين بالغذاء ولكن لأسباب أمنية فإنها تقوم بنقل أعداد أكبر من اللاجئين من الحدود في أسرع وقت ممكن في إطار ميثاق الاتحاد الأفريقي للاجئين وهذا بالطبع يحتاج إلى الكثير من المساعدات من أجل أن نواجه هذا التحدي، مشيداً بالدور الكبير الذي تقوم به جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ومؤسسة القذافي للجمعيات الخيرية على إسهاماتهما التي قدمت للاجئين في تشاد.

مائدة مستديرة

وكان المشاركون قد عقدوا مائدة مستديرة لمناقشة مشكلة اللجوء بدأت باستعراض أربع تجارب لجوء قدمها لاجئون سابقون من سيراليون وليبيريا وبوروندي وارتريا، حيث عبّروا عن معاناتهم جراء اللجوء الذي أجبروا عليه والآثار النفسية والاجتماعية التي تركتها تلك المعاناة في نفوسهم وفي نفوس الآلاف أمثالهم.. وفي أعقاب استعراض هذه التجارب جرت مناقشات موسعة كان من بينها استفسارات حول آليات عمل المفوضية وأساليب عملها والظروف اللازمة لوجودها في مكان اللاجئين وضمانات عملها وقد أجاب عنها مدير بعثة المفوضية الدكتور محمد سامورا سفير دولة سيراليون بالجماهيرية العظمى مشيداً بالدور الذي تضطلع به جمعية الدعوة الإسلامية العالمية من أجل القضايا الإنسانية مشيراً إلى أن الجمعية كانت سبّاقة في أحيان كثيرة للتخفيف من معاناة اللاجئين حيث أنها من أوائل المؤسسات التي قدّمت مساعدات إنسانية طبية وإغاثية في كثير من المناطق التي تعرّضت مجتمعاتها للكوارث البيئية وغيرها.

وكانت الجمعية من أول المؤسسات التي اضطلعت ببرامج إنسانية طبية وإغاثية وخدمية للتخفيف من



معاناة المجتمع في حلّته الطبيعية، حيث قامت الجمعية بتدريب النساء على الخياطة والزراعة وإرسال العديد من الأطباء وتقديم المواد الغذائية والطبية.

الختام

وقد أعرب المشاركون في ختام أعمال الندوة عن تقديرهم لمثل هذه المبادرات التي تلقي الضوء على قضايا جوهرية في حياة المجتمعات الإنسانية، وتبرز دور المنظمات الدولية المتخصصة في معالجة قضاياه وفي مقدمة تلك المنظمات المفوضية السامية لشؤون اللاجئين، مؤكدين على أهمية تنظيم حلقات علمية أخرى تعمق النقاش حول قضايا أساسية أثيرت خلال هذه الندوة، مؤكدين على أهمية دعم المنظمات الأهلية التي تضطلع بمسؤوليات إنسانية وربط صلات تعارف وتعاون بينها وبين المنظمات الدولية ذات العلاقة وتشجيع تبادل المعلومات والخبرات بما يشيع ثقافة عامة تشعر تلك المنظمات الأهلية بأهمية دورها الإنساني وقواسم عملها المشتركة مع عدد من المنظمات.

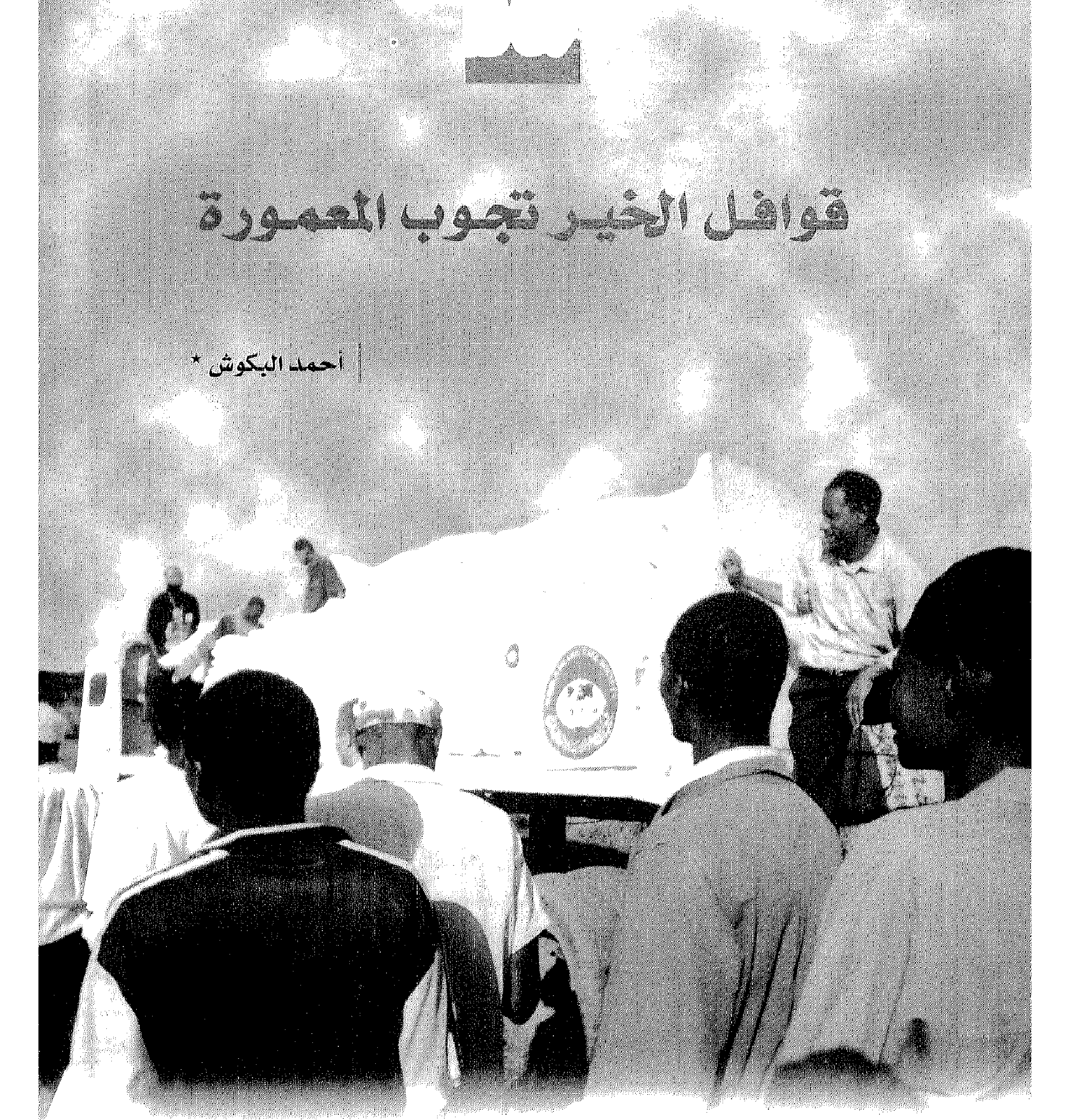
عدم استغلال اللاجئ

إلى جانب التأكيد على القيم الأخلاقية والثوابت الدينية أثناء خدمة اللاجئ وعدم استغلال وضعه الاستثنائي وحاجته الإنسانية بمحاولة التأثير على انتمائه الديني أو العرقي أو العبث بهويته الثقافية مقابل ما يقدّم له من خدمات، والابتعاد عن أي تميز في خدمة اللاجئين، منبّهين إلى ضرورة التأكد من سلامة آليات ووسائل توزيع المساعدات على اللاجئين واتخاذ الضمانات اللازمة لوصولها إلى مستحقيها والتنسيق في ذلك مع المكاتب الإقليمية للمفوضية والاستفادة من خبراتها. مع إعطاء مزيد من الاهتمام لقضايا التربية والتعليم والتأهيل الحرفي في مخيمات وتجمعات اللاجئين والمساعدة في إعادة إدماجهم بأهمية التنسيق في هذا الشأن مع المفوضية ومكاتبها الإقليمية.

بالإضافة إلى تشجيع مشاركة المرأة في برامج خدمة اللاجئين سواء في مكاتب التنسيق أو في فِرق العمل الميداني وإشراكها في المؤتمرات والملتقيات وورش العمل ذات العلاقة بالاهتمام باللاجئين اجتماعياً وتربوياً.

قوافل الخير تجوب المعمورة

أحمد البكوش *



الدواء والغذاء والكساء للجميع دون تمييز في الدين أو الجنس أو اللون

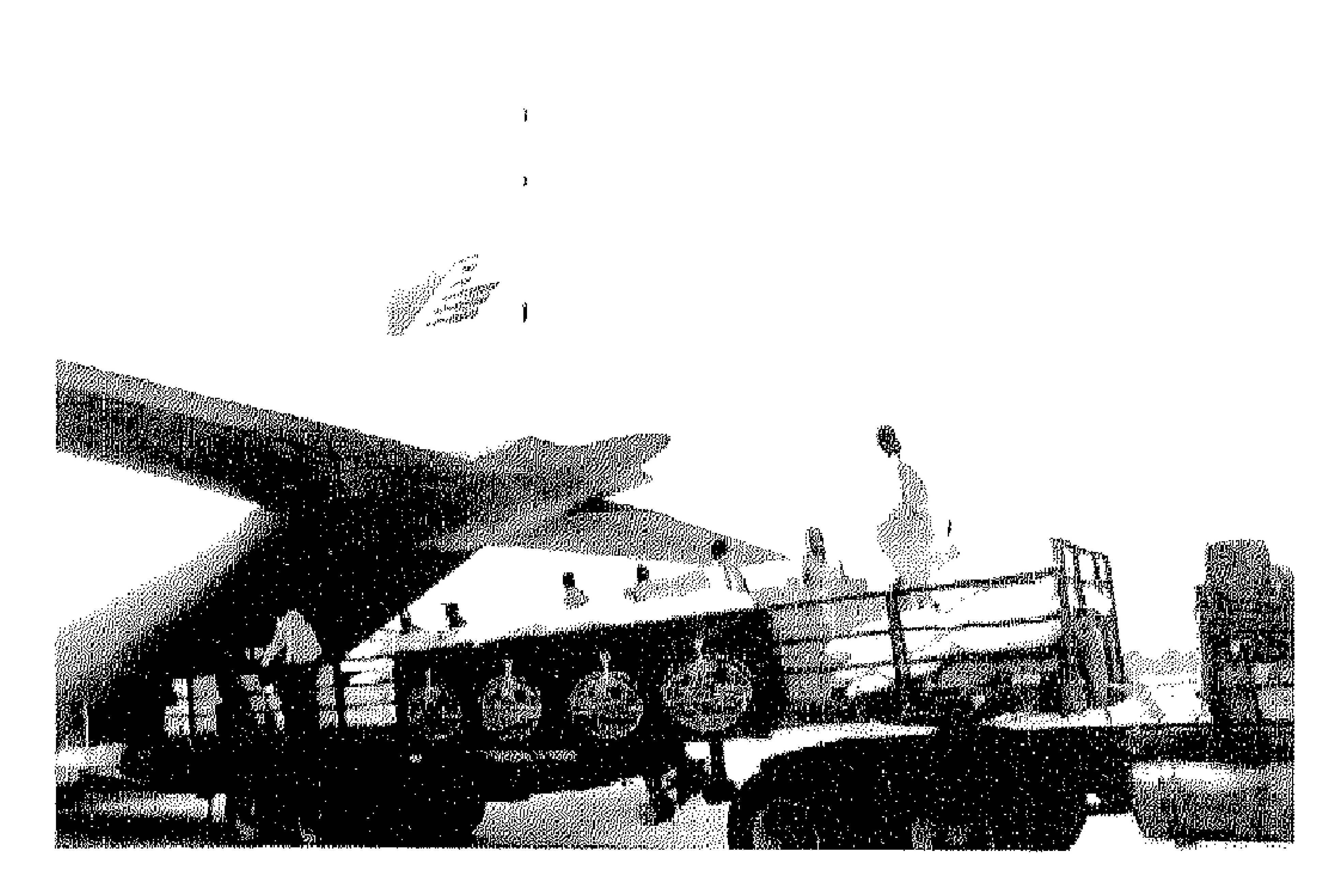
* كاتب وصحفي / ليبيا

اهتمت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية منذ تأسيسها بالجانب الإنساني إضافة إلى الجانب الدعوي والثقافي وأهم ما يميز أنشطة الجمعية المختلفة أنها تسير في خط متواز فلا يطغى نشاط على الآخر إلا في ظروف طارئة فالنشاط الدعوي يسير جنباً إلى جنب مع الأنشطة الأخرى الثقافية والإنسانية ففي الجانب الإنساني اهتمت الجمعية منذ البداية بتسيير القوافل الطبية والإغاثية وقد انتظم تسيير هذه القوافل ووضعت لها الخطط وحددت لها الأهداف منذ بداية الثمانينات ومنذ ذلك الحين وحتى الآن سيّرت الجمعية مئات القوافل الطبية والإغاثية إلى مختلف أنحاء العالم تقدم الدواء والغذاء والكساء إلى الفقراء والمحتاجين والمتضررين من الكوارث الطبيعية كالزلازل والفيضانات والحرائق والجفاف وانتشار الأوبئة والأمراض المتضررين من الحروب والنزاعات الطائفية والقومية تقدم خدماتها ومساعدتها الإنسانية مباشرة لكل المحتاجين من مناطقهم دون تمييز من الدين أو الجنس أو اللون ومن هنا اكتسبت قوافل الجمعية الصبغة الإنسانية بمفهومها الواسع تضم القافلة الطبية عادة أطباء أخصائيين ومستشاريهم وصيادلة ممرضيهم وإدارييهم وهي مزوّدة بالمعدات الطبية والأدوية والتطعيمات وكافة الاحتياجات الضرورية التي تساعد القافلة على أداء مهمتها بنجاح وعلى أكمل وجه لأن القوافل تتوجه في الغالب إلى مناطق نائية معزولة وبعيدة عن مناطق الخدمات والعمران إلا في الحالات لا يمكن فيها تقديم الخدمات لها إلا داخل المستشفيات أو المراكز الصحية كإجراء العمليات الجراحية التي تحتاج إلى متطلبات وظروف مناسبة ويبلغ ما تحمله القافلة الطية الواحدة من مساعدات دوائية ومستلزمات طبية وتطعيمات إلى خمسة عشرة طناً وهناك القوافل الطبية الإغاثية والتي تسير عادة إلى المناطق المنكوبة وتعرف بمناطق الكوارث وتحمل



هذه القوافل إلى جانب الأدوية المواد الغذائية، الأغطية والملابس والخيام وتحمل القافلة الواحدة من المواد الغذائية ما بين أربعين إلى ستين طناً وقد تكون القافلة ذات ثلاثة أهداف طبية وإغاثية ودعوية في آن واحد يصحبها عدد من الدعاة والوعاظ وتحمل معها بعض الكتب الدينية ومصاحف القرآن الكريم وقد حدث في عدة مرات أن اهتدى إلى الإسلام كثير من أهالي المناطق المستهدفة على يد الدعاة المرافقين للقافلة وتتجلى إنسانية قوافل الجمعية في مساعدة النازحين واللاجئين بسبب الكوارث والحروب الذين تقطعت بهم السبل بعد أن فقدوا كل شيء يعيشون في مخيمات بعيداً عن الديار التي عاشوا فيها ردحاً من الزمن وتركوها قسراً بعيداً عن الأهل والأحباب الذين تفرق شملهم بين قتيل ومفقود أو أسير، أيتام فقدوا الأمان بعد أن فقدوا الأهل، جرحى تتفاقم أوضاعهم الصحية يوماً بعد يوم، رجال ونساء وأطفال عراة وجياع لا يجدون ما يُطفئ ظمأهم أو يسد رمقهم أو يستر أجسادهم من الحر والبرد أو المطر، الجميع في حالة بؤس وشقاء قلوبهم منكسرة فرّوا بجلودهم من الموت الذي يهددهم في كل لحظة إلى المجهول الذي ينتظرهم يرحلون إلى أي مكان لا يطاردهم فيه شبح الموت يفترشون الأرض ويلتحفون

السماء هذا هو حال اللاجئين الذين ينتظرون المساعدة بين القلوب الرحيمة من المؤسسات والهيئات الخيرية. والجمعية تحقيقاً لأهدافها النبيلة والإنسانية تبادر دائماً وبشكل سريع إلى نجدة هؤلاء بتسيير القوافل الطبية والاغاثية العاجلة التي تعمل في أصعب الظروف الجوية والأمنية متعاونة في ذلك في كثير من الأحيان وبالتنسيق مع المنظمات والهيئات الدولية ذات العلاقة بالاغاثة وشؤون اللاجئين مثل منظمة الصحة العالمية ومفوضية الامم المتحدة لشؤون اللاجئين وصندوق الأمم المتحدة لرعاية الطفولة وذلك من خلال اتفاقات شراكة ومساهمات المنظمات غير الحكومية وقدمت الجمعية مساعدات كبيرة دوائية وغذائية وكسائية على مدى أكثر من ثلاثين عاماً لمخيمات اللاجئين من مختلف مناطق العالم وقد اخترنا نماذج قريبة زمنياً من القوافل التي مسيرتها الجمعية إلى بعض المناطق.





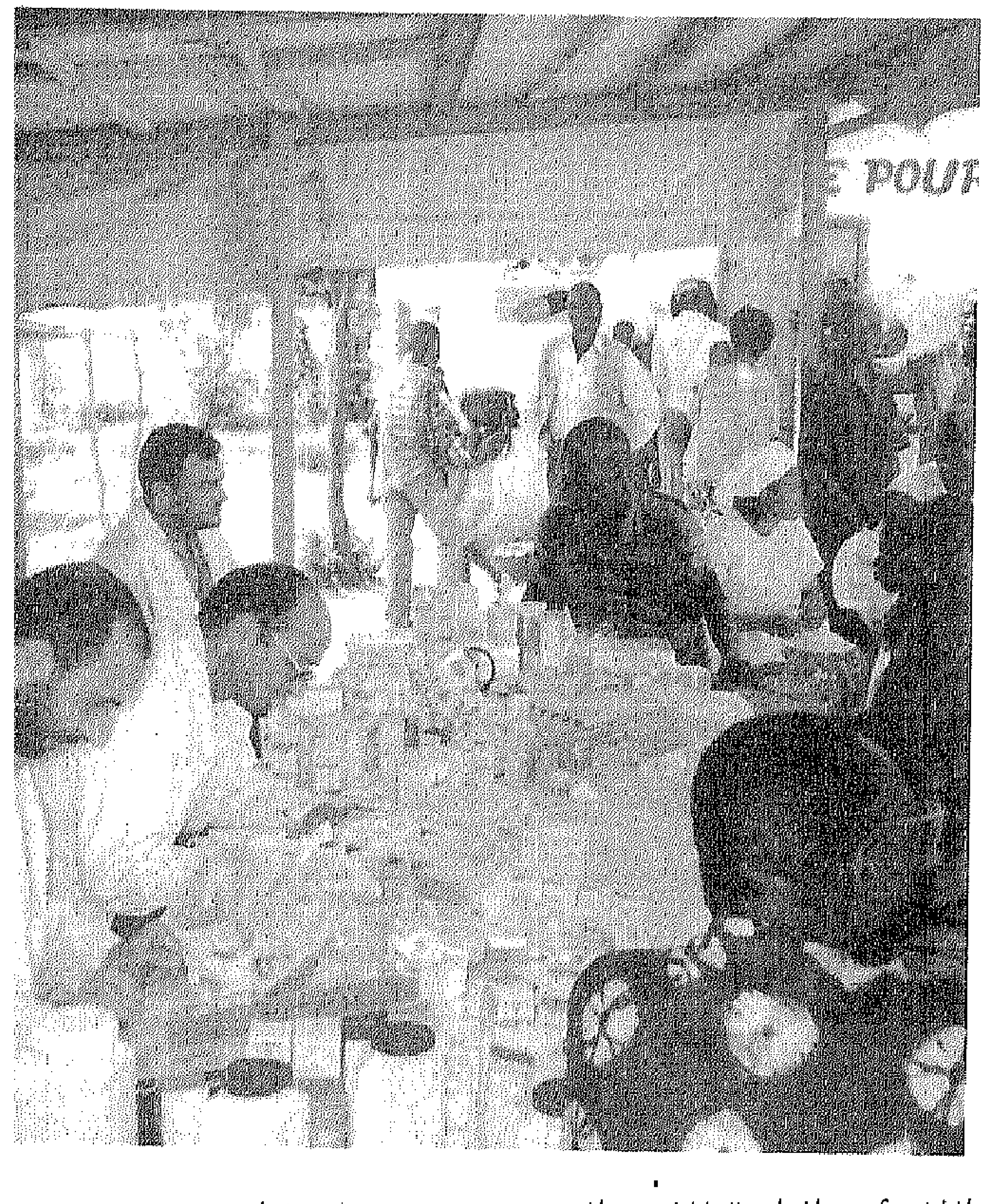
قافلة سيراليون

اكتوت سيراليون بنيران الحرب الأهلية والتي حولت عدد كبير من المواطنين إلى لاجئين من المخيمات المنتشرة من مناطق مختلفة من البلاد وقد سيّرت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية عدة قوافل طبية وإغاثية إلى هذا البلد لمساعدة اللاجئين والتخفيف عليهم مما أصابهم من ويلات الحرب وقد وصلت آخر هذه القوافل خلال شهر الحرث نوفمبر الماضي 2003 مسيحي إلى فريتاون عاصمة سيراليون تحمل المساعدات الطبية والإغاثية وقد باشرت عملها داخل المخيمات في اليوم التالي لوصولها بالتنسيق مع الجهات المسؤولة والمختصة وقد قام أعضاء القافلة بزيارات ميدانية إلى مخيمات اللاجئين ومتضرري الحرب وأولى المخيمات التي زارتها القافلة مخيم مبتوري الأطراف في أبردين بمنطقة موراي حيث التقى فريق القافلة بنزلاء هذا المخيم وهم الفئة الذين فقدوا أطرافهم نتيجة للحرب والذين يعيشون في ظروف قاسية ويفتقرون إلى أبسط مقومات الحياة حيث قدّم لهم العلاج والأدوية والملابس والمواد الغذائية بعدها قامت القافلة بزيارة إلى المخيم متضرري الحرب بمنطقة غرافتون ويضم مجموعة كبيرة من الرجال والنساء والأطفال الذين فقدوا كل ما يملكون ويقاسون الجوع والحرمان والمعاناة حيث قدمت لهم القافلة ما يحتاجونه من المساعدات التي تخفف عنهم قسوة الحياة وطوال أسبوع كامل واصل فريق القافلة تنقله بين المخيمات حيث زار مخيم العجزة والمسنّين ومخيم الأيتام ومستشفى الأطفال والمراكز الاجتماعية ومصحة الدرن بمنطقة لوكادا التي كانت فارغة تماماً من أية أدوية ومستلزمات طبية وقدّم لهذه المواقع كلها المساعدات الغذائية والدوائية مخففاً

بذلك عن المقيمين فيها المحن والمصاعب التي يعانون منها وقد قوبلت هذه المساعدات الإنسانية بالشكر والامتنان من الجميع وقبل أن تنهي القافلة مهمتها الإنسانية في سيراليون قامت بتسليم وزير الصحة في الحكومة السيراليونية احدى وعشرين ألف جرعة لمعالجة مرضى الحمى الصفراء كمساهمة من الجمعية في الحملة التي تقودها وزارة الصحة ضد هذا المرض وقد جرى ذلك في احتفال بمقر وزارة الصحة حضره ممثلي منظمة الصحة العالمية وصندوق رعاية الطفولة التابع للامم المتحدة (اليونيسيف) وقد قوبلت هذه المساهمة من قبل الجميع بالتقدير والامتنان وقد كان حجم المساعدات الغذائية التي حملتها القافلة بلغ اكثر من خمسين طناً بالاضافة الى عشرة اطنان من الادوية المختلفة والتي بلغت خمسين صنفاً من أجود أنواع الأدوية والمستلزمات الطبية التي يحتاجها نزلاء المخيمات وقد غطّت الأدوية احتياجات كل المواقع التي زارتها القافلة في سيراليون.

قافلة للاجئي دارفور

سيّرت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية خلال شهر الماء (مايو) الماضي 2004 مسيحي قافلة إغاثية عاجلة للاجئين النازحين من مدينة دارفور السودانية إلى مدينة ابشه التشادية مساهمة منها في رفع المعاناة عن هؤلاء اللاجئين المتضررين من جراء الاقتتال الدائر في المنطقة وقد تمّ تسيير هذه القافلة بالتنسيق مع المفوضية العليا لشؤون اللاجئين وقد شملت المساعدات التي حملتها القافلة كميات كبيرة من المواد الغذائية المختلفة والملابس والخيام لإيواء اللاجئين وقد استقبل القافلة بمطار ابشه التشادي ممثل حاكم دار وداى ومندوب اللجنة الوطنية لاستقبال اللاجئين ومندوب المفوضية العليا لشؤون



اللاجئين التابعة للامم المتحدة وعميد بلدية ابشه وعبّر رئيس اللجنة الاقليمية التابعة للجنة الوطنية لاستقبال واعادة توطين اللاجئين النازحين من دارفور عن تقدير اللجنة للمساعدات الانسانية القيّمة التي قدمتها الجمعية مؤكداً ان هذه المساعدات ستوضع تحت تصرّف اللاجئين بمعرفة اللجنة المحلية المكلفة بمتابعة توزيع المساعدات حسب احتياجات كل مخيم وتأتي هذه القافلة التي ليست هي الأولى ولن تكون الأخيرة انسجاماً مع دور الجمعية الإنساني وحرصها على أن تكون دوماً من المساهمين في تخفيف محنة ومعاناة اللاجئين والمتضررين من الحروب والكوارث الطبيعية من كل مكان.

قوافل طبية متخصصة في طب وجراحة العيون

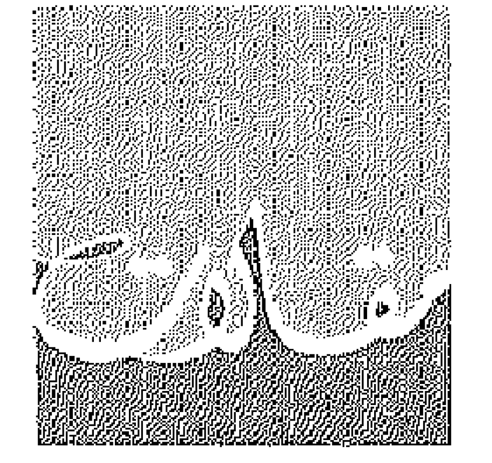
طوّرت الجمعية من أنشطة القوافل الطبية حيث بدأت ترسل قوافل متخصصة من علاج معرض محدّد



بالذات فقد سيّرت الجمعية خلال شهر الكانون (ديسمبر) 2002 مسيحي ثلاثة فرق طبية متخصصة في أمراض وجراحة العيون إلى كل من بنين والتوغو وغانا لمدة أسبوعين في كل دولة. وضمّت هذه الفرق مجموعة من الأطباء الأخصائيين والاستشاريين في طب وجراحة العيون يرافقهم فنيون في التخدير والتعقيم وقد قامت الفرق الطبية الثلاثة بإجراء الكشوفات الأولية على المرضى وتحديد ما يعانونه من أمراض وعلاجها وتحديد من يحتاجون إلى إجراء عمليات جراحية ففي جمهورية بنين قام الفريق الطبي بإجراء الكشوفات على أربعة آلاف مريض وقام بإجراء قرابة المائتي عملية للمصابين بأمراض الماء الأبيض والماء الأزرق وعمليات إزالة الظفر ومن جمهورية التوغو قام الفريق الطبي بإجراء الكشوف على ثمانمائة مريض وإجراء أربعة وثلاثين عملية جراحية وفي جمهورية غانا قام الفريق الطبي بإجراء الكشف على أكثر من سبعمائة مريض وإجراء أكثر من عشرين عملية جراحية وبلغ إجمالي المرضى الذين أجرت الفرق الطبية الثلاثة الكشوفات عليهم قرابة الستة آلاف مريض كما تمّ إجراء قرابة المائتين وخمسين عملية جراحية وقد عبّر عدد كبير من المرضى الذين استفادوا من خدمات الفرق الطبية عن سرورهم للنتائج الطبية التي تحصلوا عليها بفضل جهود ومهارة الفرق الطبية الليبية كما عبّر المسؤولين بوزارات الصحة من الدول الثلاث عن امتنانهم لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية لإيفادها هذه الفرق الطبية وقد عبّرت وزيرة الصحة من بنين عن شكر وامتنان حكومتها للجهود الكبيرة التي بذلها أعضاء الفريق الطبي الليبي لأمراض العيون الذي أرسلته الجمعية لجمهورية بنين والنجاح الكبير الذي حققه هذا الفريق من تخفيف معاناة المئات من المصابين بأمراض العيون وخاصة ما يُعرف بالماء الأبيض وهو المرض الأكثر انتشاراً في المنطقة وقالت الوزيرة في رسالة شكر بعثت بها إلى الجمعية أن إصابات الماء الأبيض في بنين تعتبر من أخطر حالات الإصابة بالعمى القابل للعلاج وقد عمل الفريق الطبي الليبي بجد ونجاح حيث تمكن من إجراء الكشوفات على قرابة أربعة آلاف مريض وأجرى مائتي عملية جراحية لإزالة الماء الأبيض بعدد من مدن بنين.



- ثورة الفاتح وموقعها في الدعوة الإسلامية
- الإسلام وثقافة الحوار
- مفهوم الانتظار في الثقافة الدينية
- حديث الفردوس الموعود
- أهمية نقل المصادر الإسلامية إلى اللغة الصينية
- التحدي النفسي المعرفي التربوي: خطوط عريضة



ثورة الفاتح ومواقعها في الدعوة الإسلامية
« تاريخاً وواقعاً ومنهجاً »
جمعية الدعوة الإسلامية العالمية نموذجاً

إعداد: علي محمد الأحمر*

قامت ثورة الفاتح من سبتمبر العظيمة في فترة سادت فيها الأنظمة الفكرية والمذاهب العقائدية العلمانية والإلحادية، وهي الفترة ذاتها التي امتازت بأنها قمة ما سمي ـ الحرب الباردة ـ بين المعسكرين ـ الرأسمالي الليبرالي العلماني، والمعسكر الشيوعي الإلحادي اللذين اختزلا التقسيمات الطبيعية والعرقية وحتى العقائدية على أساس أيديولوجي ـ شرق وغرب ـ لكل منهما نمط خاص ومنظور فكري على أساسه يفسر قيمة الحياة والأحياء والأنفس والآفاق، ولا وجود للطرح الإسلامي في كلا التيارين.

وقد انشغل الساسة والمفكرون والكتاب في سائر البلدان الأخرى بالانتصار والتحالف مع أحد هذين المعسكرين المؤسسين على قواعد فلسفية وفكرية متناقضة، ومع هذا التناقض الفكري والفلسفي الأساسي بين هذين التيارين العالميين، ونشوب الحرب الباردة بل والساخنة بينهما أحيانا فإن هناك قاسما مشتركا يجمعهما هو عداوتهما التقليدية الشديدة للإسلام ـ حضارة وتاريخا وثقافة.

هذا الواقع الفكري والدولي المعقد يلقي بظلاله على من يتطلع للتغيير من منطلق ثوابت لا تعول على الرؤى النمطية في تفسيرها للكون والحياة والأحياء، بل يعتمد منهجا متكاملا ونظاما شاملا ينتظم وفقه وجود الإنسان أنى كان.

في الوقت الذي تتوزع فيه ثلة من المفكرين والعلماء المسلمين في العالم يواصلون مسيرة الدفاع عن الإسلام، عن طريق التعليم والتأليف والصحافة، وإن لم تكن في مستوى التحدي الفكري لهذا الواقع ؛ نجد مجموعات من رجال السياسة والحكم في تلك البلدان الإسلامية قد ابتعدوا في أغلبيتهم الساحقة عن هذا الميدان الإسلامي الرحب ـ حضارة وثقافة وتوجها ـ وقد انقسموا إلى قسمين:ـ

1 ـ العلمانيون الذين لا يرون الإسلام قادراً على تقديم نظام شامل للحياة يوجه مسارها السياسي والاقتصادي

---

* باحث/نيجيريا

والاجتماعي، وإنما هو وسيلة للعبادة ومحطة لعلاقة العبد وربه، ولا دخل له في علاقات الحياة العامة التي يجب أن تختص القوانين الوضعية وحدها بتنظيمها.

2ـ الإلحاديون الذين ينظرون إلى الإسلام من زاوية أنه يقضي على الطاقة الإنسانية المودعة فيه للإبداع والإسهام في بناء الحضارة، ويتمسكون بقولة كارل ماركس الشهيرة «الدين أفيون الشعوب» فهو الذي يخدرها ويقضي على نشاطها واهتمامها بالاختراع والتقدم والازدهار.[1]

في تلك الظروف التي تموج فيها الأفكار بالواقع الإسلامي ـ داخليا وخارجيا ـأطلت على العالم ثورة الفاتح من سبتمبر التي قام بها نخبة من الشباب الثوري الليبي وعلى رأسهم الشاب معمر القذافي التي أعلنت منذ أيامها الأولى أن من مبادئها الأساسية العمل على استعادة الشخصية والهوية الإسلامية لشعوب الإسلام، والاهتمام الشديد برفض الانسياق والاستسلام والانصهار في الشخصية الحضارية الفكرية سواء منها الاتجاه العلماني الغربي، أو الاختيار الإلحادي المادي الشيوعي.

من هذا المنطلق يمكن أن نصنف إسهام ثورة الفاتح في عملية التغيير الحضاري للواقع الإسلامي، ومنجزاتها في الدعوة الإسلامية بشكل أخص، ضمن بعدين أساسيين، ـ بعد منهجي ، وبعد حركي دعوي.

أولاً ـ البعد المنهجي:

يتمثل إسهام ثورة الفاتح من سبتمبر في الواقع الإسلامي منهجيا في اعتمادها القرآن الكريم الرائد الذي لا يكذب أهله شريعة للمجتمع، وقد كانت دعوة ثورة الفاتح للعودة إلى شريعة القرآن قوية ومؤثرة، وكان تذكيرها بضرورة هذه العودة بليغا وفاعلا ، نفض عن قلوب المسلمين غشاوة المادة، وأزاح غطاء الغفلة، وأقنع بأسلوب البلاغ النظري والعملي أن القرآن الكريم لم ينزل ليردد في المناسبات، ويعلق في القصور بألوان زاهية ومزركشة، ويتغنى به في المحافل، ولكنه أنزل لهدف أعظم وغاية سامية:

﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾

[سورة الإسراء: الآية 9]

وهذا البعد شكل محطة مكنت للبعد الدعوي لهذه الثورة أن ينطلق من أرض صلبة، وتخطو خطوات موفقة تجعل دعوة المسلمين لغيرهم أقوى حجة وأكثر نجاحا، وليكونوا على ذكر دائم بقوله تعالى:

﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾

[سورة طه: الآية 123]

ذلك لأن «الثورة تتطلب كما يتطلب الدين إيمانا وتسليما بقواعدها وأخلاقياتها لارتباط هذه القواعد والأخلاق بأسلوب حياة يلتزم الثوري باحترامه وتدعيمه والدفاع عنه، وما يمكن نجاح المعركة ضد الرجعية المؤيدة بنصوص عقائدية ترفض التطلعات الشعبية نحو المساواة والديمقراطية والتقدم، ولإحراز النصر في المعركة ضد الاستغلال والاضطهاد إلا في ظل عقيدة سديدة».[2]

وقد أدركت ثورة الفاتح مواطن السقوط المريع الذي منيت به النظريتين السابقتين لها على مستوى النظرية والتطبيق في ميادين الحياة كافة، لعدم تغطيتهما متطلبات الأنفس والآفاق بعد قراءة ثاقبة للتجارب الإنسانية في أداة الحكم عبر التاريخ

1ـ صحيفة الدعوة الإسلامية/عدد خاص بمؤتمر (لتعارفوا) ثورة الفاتح وإسهاماتها في الدعوة الإسلامية على مستوى العالم/محمد أحمد شفيع/ص7/العدد1/1371و.ر ـ2003م.

2ـ الإسلام دين الجماعة/أحمد سيكو توري/ترجمة محمد البخاري/ص17/ط2/1978م.

الإنساني بكل تناقضاتها وصراعاتها، وإلغائها العقل والإرادة الإنسانية، وأدركت صلاحية معطيات القرآن لكل زمان ومكان، ومسايرته للمستجدات التي تفرزها تطورات الحياة بكل تعقيداتها ومفاهيمها، فهي إذن تنطلق من مسلمة مطلقة تؤكدها الحقائق الآتية، لتكتسب بها منجزات ومكتسبات رائدة في مسيرة الإصلاح الفكري والواقعي الذي تعاني منهما الأمة تسبب في إرباك توجهاتها، وشل قدراتها، وجعلها في ذيل الأمم تتجرع مرارة التبعية والذوبان، والانحطاط.

هذه الحقائق التي تتمثل في اعتماد القرآن شريعة المجتمع تأتي مجملة على النحو الآتي :-

أ - يختلف التشريع الإلهي عن القانون الوضعي من حيث مصدر كل منهما، فالأول مصدره الله خالق الكون كله وصانعه، الذي لا تخفى عليه خافية، ومن ثم فإن تشريعاً مصدره الخالق لا بد أن يكون متصفا بالكمال المطلق، أما الثاني فمصدره جماعة ذات تفكير محدود ضيق، يعلمون قليلا من الماضي، ويلمون بجزء من الحاضر، ويحجب عنهم المستقبل نهائيا، ولذا فإن تشريعهم غالبا ما يصادف اعتراضات كثيرة نتيجة ثغرات أغفل ذكرها المشرّع، ونتيجة تأثّرها بنزعات وأهواء واضعيها بمقتضى مصالحهم الذاتية، الأمر الذي لا يوفّره التشريع الإلهي الذي يشرّع للمجتمع كله، ولا يتأثر بشيء بمقتضى المصلحة أو المنفعة، ومن ذلك يمكن أن نقول إن التشريع الإلهي يتميز بالآتي:

1 - **الكمال:** أي أنه يستكمل ما تحتاج إليه المجتمعات من قواعد ومبادئ ونظريات تكفل حاجات المجتمعات في مختلف الأزمنة.



جانب من المؤتمر الأول للدعوة الإسلامية

2 - **السمو:** أي أن أحكامه دائما أسمى من مستوى الجماعة، ارتفع أو انخفض مستوى تفكيرها.

3 - **الدوام:** أي الثبات والاستقرار الذي لا يخضع للتأثيرات المختلفة مهما كان نوعها.

وإذا عرفنا ذلك تأكد لدينا أن المجتمعات بحاجة إلى تشريع إلهي ينظم علاقاتها كلها، وأن القوانين الوضعية لا يمكن لها أبدا أن تمكن الفرد من العيش حرا سعيدا يتمتع بدنياه، ويتطلع إلى آخرته دون تسلط أو تجبر من أحد، وإذا كان الأمر كذلك فأي التشريعات الإلهية يمكن أن تكون أصلح لحياة المجتمعات أهي تشريعات العهد القديم ؟ أم تشريعات العهد الجديد ؟ أم تشريع القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؟ ولعل الفقرات الآتية ستجيب على قدر كبير من هذه التساؤلات.

ب - إن القرآن بما يطرحه من قضايا عامة تستجيب لفطرة الإنسان من حيث هو إنسان، بغض النظر عن إضافة أي انتماء آخر، فإقامة العدل وتطبيق نظام الشورى في الحكم، ورفع الحرج ودفع الضرر ورعاية الحقوق لأصحابها، وأداء الأمانات لأهلها وغير ذلك من المبادئ التي طرحها القرآن

كلها مبادئ عامة يسيرة التطبيق تحت أي ظرف، وتنسجم معها الفطرة الإنسانية.

ج ـ إن القرآن تشريع يحترم العقل ويقدره، ويجعل له دورا بارزا في التكاليف والأحكام المنوط به تنفيذها، بل يجعل العقل من النعم التي يجب على الإنسان إعمالها بالنظر والتفكر في هذا العالم وفي هذا الإنسان، وينهى عن الغفلة عن آيات الكون وعن التقليد والجمود.

د ـ ويرتبط بما تقدم أمر مهم وخطير هو أن القرآن باحترامه العقل وجعله مناط التكليف، يؤكد مبدأ الرقابة الذاتية في الفرد، فهو وفق توجيهات القرآن لا يحتاج إلى شرطة تقف بجانبه دائما تقيد سلوكه، وتوجه تصرفاته، بل يجعل الإنسان هو الرقيب على نفسه:

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [سورة المدثر : الآية 38]

﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ﴾

[سورة فصلت : الآية 46]

ويقرر القرآن عقوبات دنيوية وأخروية لكل من يخرج عن الإطار الذي رسمه للحياة، إذا أفلت الإنسان من العقاب الدنيوي فهو ملاحق دائما بتأنيب الضمير وبما سيناله من عقاب أخروي، وهذا بخلاف القوانين الوضعية التي يستطيع الإنسان الإفلات من عقابها أحيانا.[3]

ثانيا ـ البعد الحركي (الدعوي)

ويتمثل في اضطلاع ثورة الفاتح بأعباء الدعوة إلى الله تعالى من منطلق إيمانها بما يمليه عليها الواجب الديني والإنساني تجاه الأمة التي تشهد واقعا مترديا على مستوى الفكر والحركة والممارسة.

لقد أيقنت الثورة منذ أن بزغ نورها في الفاتح 1969م أن مخططات التآمر وموجات التكالب الصليبي الغربي آخذة في تصعيد مواقفها من الإسلام، مستغلة في ذلك ما يقاسيه المسلمون من ضعف وتخلف، فعملت على الشروع في تأسيس حركة عالمية تبشر بالإسلام، وتسهم في بناء حضارة إنسانية حقة، جديرة بهذا الإنسان الذي استخلفه الله في الأرض، والذي أراد منه أن يعمرها بالعمل الصالح وبالقول الصالح:

﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾

[سورة هود: الآية 61]

ولم يمض أقل من سنة على قيام الثورة حتى بدأ قائدها معمر القذافي يعد للقاء إسلامي كبير لدراسة السبل والوسائل التي تنهض بالمجتمع الإسلامي من كبوته، ورأى أن ذلك لا يتحقق إلا بإحياء الدعوة الإسلامية من جديد، وهذا ما تم بالفعل، فكان ميلاد الهيئة العامة للدعوة الإسلامية.

وانطلاقا من القرارات العامة للمؤتمر الأول للدعوة الإسلامية المنعقد بطرابلس في الفترة من 13 ـ 18 من شوال الموافق 11 ـ 16 من شهر الكانون ديسمبر 1970ف. والذي حضره عدد كبير من العلماء يمثلون عشرين بلدا.

وتنفيذا للتوصيات الأولى التي تدعو إلى تكوين هيئة من العالم الإسلامي ذات شخصية اعتبارية مقرها مدينة طرابلس، صدر القانون رقم 58لسنة 1972ف. بإنشاء هيئة خاصة ذات نفع عام باسم جمعية الدعوة الإسلامية، لها شخصية اعتبارية مستقلة تعفى مواردها ـ من جميع الضرائب والرسوم، وتكون أموالها حرة من جميع قيود النقل المالية والمصرفية، ولا يجوز الحجز على أموالها وتملكها بالتقادم أو كسب حق عيني عليها.[4]

3 ـ ينظر: مجلة كلية الدعوة الإسلامية/القرآن شريعة المجتمع/محمد فتح الله الزيادي/ص28/العدد الأول السنة الأولى/1984ـ 1985م.

4 ـ ينظر: عطاء إسلامي واع ومتواصل/14/منشورات جمعية الدعوة الإسلامية/ 1972 و.ر. 1999م

ويمكن التعرف على طبيعة سير عمل الجمعية من خلال الأهداف التي رسمتها من أجل نشر الدعوة الإسلامية في جميع أنحاء العالم بجميع الوسائل الممكنة، ومن أبرز هذه الأهداف.

1 ـ التعريف بالقرآن الكريم، والعمل على تعليمه وتحفيظه ونشره بكل الوسائل.

2 ـ التعريف بالسيرة النبوية العطرة، واستجلاء المثل العليا في حياة الرسولﷺ.

3 ـ عرض الإسلام عرضا شاملا لجميع جوانبه في العقيدة، والأخلاق، والعبادات والمعاملات عرضا ميسرا مبرأ من المفاهيم المشبوهة والجدليات والتأويلات الغريبة عن جوهره.

4 ـ تفسير القرآن الكريم تفسيرا يواكب فروع العلم والمعرفة الإنسانية.

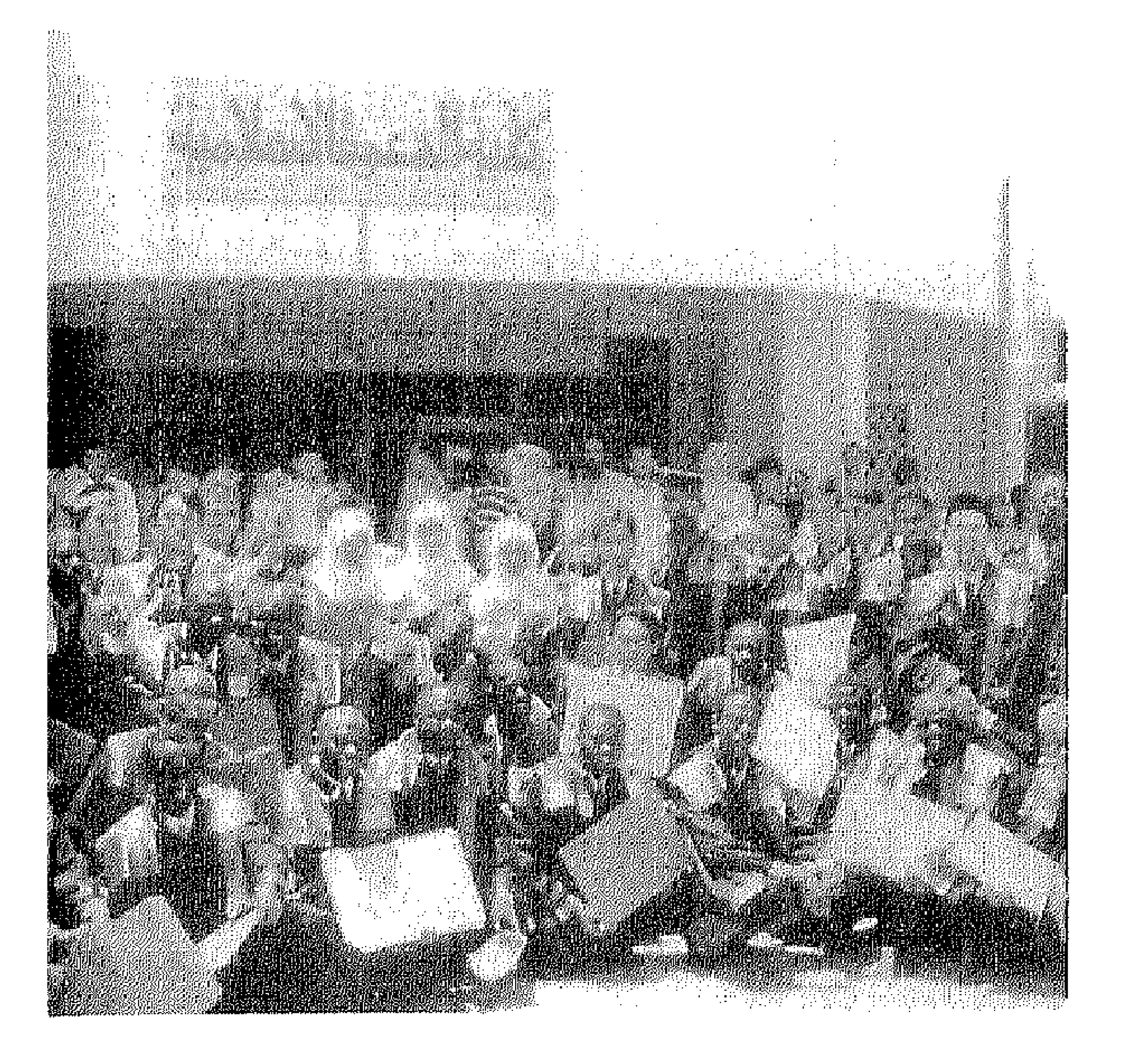
5 ـ العمل على إعداد الدعاة للقيام بواجب الدعوة إلى الله.

6 ـ إعداد ونشر الدوريات والمجلات والموسوعات الإسلامية والكتب بمختلف اللغات لعرض مبادئ الإسلام والتعريف بسيرة الرسول (ﷺ) وبالحضارة الإسلامية الخالدة، مع العمل على ترجمة هذه المنشورات إلى اللغات المختلفة.

7 ـ تنظيم لقاءات للطلاب والشباب والمهنيين المسلمين بغية التعريف بالإسلام، والعمل على توحيد الجهود لنشر الدعوة الإسلامية.

8 ـ الاتصال بالهيئات والمؤسسات الدينية والعلمية في جميع أنحاء العالم بما يحقق نشر الدعوة الإسلامية.

9 ـ نشر اللغة العربية بجميع الوسائل، باعتبارها لغة القرآن الكريم، ومطالبة الدول الإسلامية بجعلها لغة رسمية، وتدريسها في جميع مراحل التعليم.



دفعة من خريجي كلية الدعوة الإسلامية بطرابلس

10 ـ حث الدول الإسلامية على اتخاذ القرآن الكريم شريعة لها، وتعديل تشريعاتها بما يتفق ومبادئ الإسلام السمحة.[5]

وقد عملت الجمعية على استكمال أجهزتها وتطوير خططها وأساليب عملها بما يتناسب وتحقيق هذه الأهداف.

وسعياً لتحقيق هذه الأهداف على مستوى التطبيق تأسست في إطار الدعوة كلية الدعوة الإسلامية التي تمثل الجناح الأكاديمي لجمعية الدعوة الإسلامية، يفد إليها الطلاب من كل أصقاع العالم ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون.

أنشئت كلية الدعوة الإسلامية عام 1974م وهي في مستوى أي كلية جامعية ،وألحق بها قسم للتدريب المهني يحتوي على مراكز لخمس مهن، فيتخرج الطالب منها داعية ومهنياً حرفياً، يعتمد على نفسه غير عابئ بمغريات العصر التي قد تؤثر على خط دعوته.

وينال الطالب بعد تخرجه من الكلية شهادة

5ـ المفكرة الإسلامية/ جمعية الدعوة الإسلامية العالمية/عام 1409 و.ر ـ 2000م.



من بواكير الحوار بين الأديان

ـ الليسانس ـ في الدعوة والثقافة الإسلامية من خلال مناهج تعتمد الوسطية، تأكيدا للثوابت والنظر في متغيرات الحياة المختلفة.

وللكلية فروع في كل من سورية، ولبنان، وتشاد، والسنغال، وبنين. كما تشرف الجمعية على الكلية الإسلامية بلندن التي تهتم بقضايا الدراسات العليا في مجال الديانات المقارنة، وقضايا الحوار والدراسات المعمقة حول الحضارة الإسلامية وإسهامات المسلمين في الحضارة الإنسانية، ولكلية الدعوة الإسلامية وفروعها تعاون واسع مع عدد من الجامعات ومراكز البحث العلمي في العالم. [6]

ويتضح البعد الدعوي لثورة الفاتح العظيم من خلال استقراء لمجموعة من خطابات الأخ القائد معمر القذافي التي بلورت منطلقات الثورة ومبادئها وأهدافها، وذلك حين قال في أوائل أحاديثه منذ قيام الثورة «نحن الآن نستأنف هذا الدور الجهادي، الدور الكفاحي، الدور العالمي الجديد للإسلام؛ وأول خطوة اتخذناها بعد قيام الثورة في ليبيا هي تأسيس جمعية الدعوة الإسلامية» وقوله «نحن نحس أن العالم كله أصبح محتاجا للدين الإسلامي... والإسلام هو المرشح الآن لتقديم حل للمشاكل الروحية للبشرية» وقوله «إن الدين الإسلامي أشمل من كل النظريات وكل الاجتهادات». [7]

إن هذا الخطاب عند تحليله يصلح وثيقة تاريخية تبرهن على الآتي:ـ

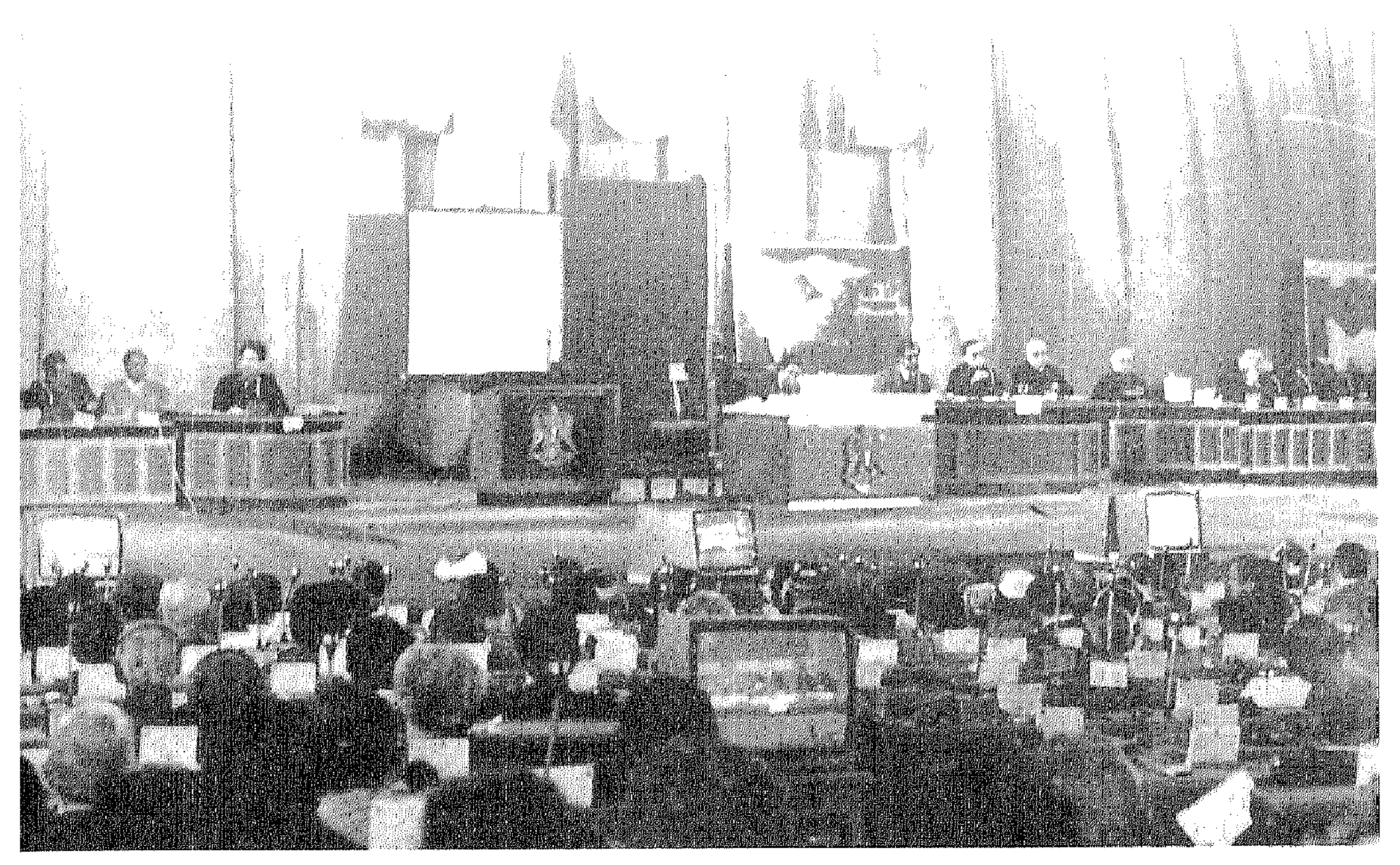
1ـ البعد الدعوي يمثل حجر الزاوية في ثورة الفاتح العظيم.

2 ـ إحداث نقلة نوعية في تاريخ الدعوة الإسلامية تهدف إلى الانتقال بالمسلمين إلى خانة التأثير الإيجابي، والمشاركة الفاعلة من خلال تأسيس جمعية الدعوة الإسلامية.

3ـ استنهاض المسلمين وتمكينهم من استئناف دورهم الحضاري في تاريخهم المعاصر.

6ـ ينظر: المفكرة الإسلامية/جمعية الدعوة الإسلامية العالمية/عام1372 و.ر4ـ200م.

7ـ جمعية الدعوة الإسلامية عطاء إسلامي واع ومتواصل/ 1 ص170/المرجع السابق.



4 ـ النهوض برسالة المسلمين في التعارف والحوار، وجهاد الكلمة بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن.

لا غرو إذن أن يهتم القائد منذ الأيام الأولى لثورته التاريخية بالقيام بهذه الجهود الفعالة في مجال الدعوة الإسلامية،.والعمل على دعوة المسلمين إلى الوحدة والتضامن والتمسك بمبادئ دينهم، ولذلك نراه يدعو شخصيا كثيرا من القادة والرؤساء نذكر منهم على سبيل الاستئناس فخامة رئيس دولة ـ الغابون ـ الذي اتخذ اسما جديدا هو ـ عمر بونغو ـ وأصبح حتى الآن متمسكا بهذا الدين الحنيف.

وفي كثير من المناسبات ـ داخل وخارج ليبيا ـ تبرز مواقف الأخ قائد الثورة الدعوية، خاصة في أفريقيا التي يرى أن الإسلام هو دينها الطبيعي، وليس المسيحية المحرفة التي جاء بها الغرب الاستعماري إلى أفريقيا ليجعل منها إحدى الوسائل الفعالة لتقوية مركزه في احتلالها، واستغلال خيراتها، واستعباد سكانها لصالح شعوب الغرب الاستعماري الإمبريالي.[8]

كما تندرج في نفس السياق الدعوي لثورة الفاتح تلك الرحلات الإسلامية التاريخية التي قام بها معمر القذافي إلى عدة بلدان من إفريقيا الغربية والوسطى، للدعوة إلى الإسلام والتمسك بشخصيته الحضارية والثقافية التاريخية.

ففي أول جمعة في بداية السنة القمرية 1427من ميلاد الرسول ﷺ (الموافق 1997ف شهدت كلاً من عاصمة النيجر ـ نيامي ـ ومدينة ـ كانو ـ بنيجيريا إمامة الأخ القائد جماهير المسلمين الوافدين من شتى أقطار أفريقيا لتكون خطا استراتيجيا بارزا للعمل الإسلامي الدعوي لثورة الفاتح الإسلامية.

8 ـ ينظر: صحيفة الدعوة الإسلامية/عدد خاص بمؤتمر (لتعارفوا) ثورة الفاتح وإسهاماتها في الدعوة الإسلامية على مستوى العالم/محمد أحمد شفيع/ص7/مرجع سابق.

إنه حدث أثّر في الوعي التاريخي لأبناء جنوب الصحراء الكبرى الذين فرضت عليهم ثقافة غربية لطمس الوشائج التاريخية والدينية التي تجعلهم في دائرة واحدة مع أخوتهم، ليس فقط في شمال الصحراء بل في الجنوب أيضا. وهكذا يتكامل المهرجان الإسلامي الكبير يوم أم القائد معمر القذافي جموع المسلمين في ـ أنجمينا ـ عاصمة تشاد في العام التالي 1428من ميلاد الرسولﷺ 1998م. لتكون محطة الرحلة الجهادية التاريخية الثانية، وإليها شد الرحال مئات الآلاف من المسلمين في أفريقيا يتقدمهم عدد من الرؤساء الأفارقة تأكيدا لتواصل رحلة الإيمان ومسيرة الدعوة نحو مستقبل الإسلام، وإظهار قوة المسلمين وتأكيد منعتهم في أفريقيا.[9]

كل ذلك يبرز لنا بوضوح ذلك الدور التاريخي الذي قامت به ثورة الفاتح من سبتمبر في سبيل الدعوة إلى الله على المستوى العالمي، تلك الجهود التي توجت بتكوين القيادة الشعبية الإسلامية العالمية بقيادة الأخ قائد الثورة، والتي تمثل هيكليتها الكيان الإسلامي كله، وتهتم بكل القضايا المتعلقة بالوجود الإسلامي، وقضايا الدعوة بشكل أخص بكل الوسائل الممكنة ـ التعليمية والإعلامية، والثقافية، بصفة عامة.

ومن خلال تلك الخطابات والمواقف لقائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية في ميادين الدعوة يمكن تقسيم إسهام ثورة الفاتح في العمل الدعوي وفق المستويات الآتية.

1 ـ على المستوى الحواري.
2 ـ على المستوى الإغاثي.
3 ـ على المستوى التربوي.
4 ـ على المستوى التعارفي.

أولا ـ المستوى الحواري:

إذا كان مصطلح الحوار يدل على وجود محادثة بين شخصين أو فريقين حول موضوع محدد، لكل منهما وجهة نظر خاصة به، هدفها الوصول إلى الحقيقة، أو إلى أكبر قدر ممكن من تطابق وجهات النظر، بعيدا عن الخصومة أو التعصب، بطريق يعتمد على العلم والعقل مع استعداد كلا الطرفين لقبول الحقيقة، [10] فإننا ندرك إسهام ثورة الفاتح في هذا المستوى من خلال المبادرة الإيجابية للقائد معمر القذافي بعد بضع سنوات من عمر الثورة وتأسيس جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، وذلك بالدعوة لعقد ندوة الحوار الإسلامي المسيحي على الصعيد العالمي، الأمر الذي أسهم في عقد الندوة التي عقدها الأخ القائد في باريس مع كبار المفكرين الفرنسيين عام 1973م، والاتصالات التي أجريت مع الفاتيكان.

وهذه الجهود مجتمعة هي التي تبلورت عنها فكرة عقد ندوات الحوار الإسلامي المسيحي التي أضحت بها الجماهيرية سباقة لإقامة جسر الحوار بين الأديان بهدف الوصول إلى قواسم مشتركة للتعاون من أجل خدمة الإنسانية، وترسيخ القيم الروحية والخلقية، وإزالة العقد والمشكلات من الفترات التاريخية السابقة.

فبعد قرون من التوجس وسوء الظن، والتي تخللتها حروب وصراعات، يلتقي حشد ضخم من أكبر مفكري العالم في حوار فكري أشرفت على ترتيبه الجماهيرية العظمى والفاتيكان، برغبة صادقة، وذلك لفتح صفحة

---

9 ـ الرحلة الجهادية التاريخية الثانية كتاب وثائقي مصور /منشورات جمعية الدعوة الإسلامية/ص13/ مكتب البحوث والإعلام والنشر/د.ت.
10 ـ ينظر: الحوار الإسلامي المسيحي/بسام داوود عجك/رسالة ماجستير/ص20/دار قتيبة/1418و.ر(1998)م.

جديدة من العلاقات بين أبناء الدينين تقوم على الصفاء والاحترام المتبادل، والرغبة المشتركة في التأكيد للعالم بأن الدين وحده هو القادر على إعادة الطمأنينة إلى البشرية التي أرقتها وأقلقتها المطامع الجشعة والمظالم الإنسانية وأساليب الاستغلال والاستبداد والاستعمار، وكان من الضروري ومن أجل تحقيق هذه القيم أن تتم مكاشفات صريحة تتلمس الأرضية المشتركة التي يجب أن يتم التعاون من خلالها، وتحدد أسباب ومظاهر الخلاف في الماضي بهدف تصحيح الأحكام الخاطئة، وقد اختيرت الموضوعات التي عولجت في الندوة اختيارا دقيقا لكي تحقق هذه الأغراض، حيث اتسمت المناقشات بروح الصدق والصراحة التي تقبلها الجانبان - الإسلامي والمسيحي - برحابة صدر، وهو ما أكدته المقررات الإيجابية للندوة، والتي عكست الروح التي أملت على الجانبين ضرورة قيام الندوة وضرورة نجاحها.

وعلى هذا الأساس تم تشكيل لجنة متابعة مشتركة لوضع توصيات الندوة موضع التنفيذ.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه نادرا ما حظيت ندوة فكرية بمثل ما حظيت به ندوة الحوار الإسلامي المسيحي التي عقدت بطرابلس من اهتمام الصحافة العالمية في جميع القارات، حيث ظلت أصداؤها تتردد في الصحف العالمية فترة طويلة، سواء بحيث شملت التغطية الإخبارية والتعليقات والمقالات والأبحاث التي تقوّم الندوة وتستشرف تحديد الآثار المترتبة عليها.[11]

وانعقدت بطرابلس في الفترة من الأول إلى السادس من شهر النوار فبراير 1976م بدعوة من القائد معمر القذافي شارك فيها حشد كبير من العلماء والمفكرين المسلمين والمسيحيين (كاثوليك وأرثوذكس وبروتستانت) وحضرها مراقبون من رجال الفكر والسياسة والصحافة قدموا من أكثر من سبعين دولة، وقد تضمنت الندوة المحاور التالية:-

- هل يمكن أن يكون الدين أيديولوجية للحياة.
- الأسس المشتركة في المعتقدات ومواطن الالتقاء.
- العدل الاجتماعي ثمرة الإيمان بالله.
- كيف نعمل على إزالة الأحكام المسبقة الخاطئة، وضعف الثقة التي لا تزال تفرق بين الأديان؟

وقد ساهمت هذه المبادرة في إيجاد جو من الثقة المتبادلة بين الطرفين المتحاورين، ومكنت المسلمين والمسيحيين من تقييم علاقاتهما الماضية والاستفادة منها لبناء جسور التفاهم والتعاون والمساهمة الجادة والصادقة لبناء عالم يسوده الحق والعدل والسلام، وانطلقت بعدها سلسلة من اللقاءات والندوات الحوارية على مدى ربع قرن.

وبمقتضى توجيهات معمر القذافي البناءة في إطار الحوار وتوجيهاته باعتباره الصيغة المثلى لمعرفة الآخر، وفهم خصوصياته، واحترام تلك الخصوصيات، والتعاون في كل ما من شأنه أن يحقق الخير والسلام للمجتمع الإنساني وبمقتضى ذلك فقد عملت الجمعية على تنظيم عدة لقاءات حوارية في كل من طرابلس، وروما، ومالطا، وفيينا، مع المجلس البابوي للحوار بين الأديان، بالفاتيكان، تناولت تلك اللقاءات مواضيع تشرح أساسيات الإسلام والمسيحية والعلاقة بينهما، ومناقشة أوجه التعاون في المجالات الإنسانية والأخلاقية والاجتماعية التي تعود على بني البشر بالخير، وترسي مبادئ السلام والحق والمساواة.

ففي خلال الفترة من 12 إلى 15 من شهر الماء

---

11 - ينظر: صحيفة الدعوة الإسلامية/ الحوار حدث عالمي ينطلق من الجماهيرية/ عدد خاص بمؤتمر لتعارفوا/ ص10/ العدد1/ 1731و.ر.

(مايو) 1991م تم عقد ندوة في العاصمة الإيطالية روما تحت عنوان ـ الأديان خلال القرن التاسع عشر ـ وذلك بالتعاون بين الجمعية ومنظمة اليونسكو ودولة الفاتيكان، قدمت فيها عدة أبحاث حول الروابط الأساسية للأديان خلال القرن التاسع عشر ومساهماتها في بناء الحضارة الإنسانية، ويأتي تنظيم هذه الندوة في إطار إثراء محتويات سلسلة إعادة كتابة تاريخ الإنسانية التي تنفذها اليونسكو، وخاصة الجزء السادس من هذا العمل الثقافي الموسوعي، وهو الجزء الذي يتناول الحضارة الإسلامية حرصا من الجمعية على أن تشرف وتتابع ما ينشر عن الإسلام في إصدارات وبرامج المنظمات الدولية للحيلولة دون تشويه الإسلام أو الإساءة إلى أعلامه أو تمرير أفكار ليست من طبيعته، والتأكيد بأن يكون عرضه خاليا من أي تزوير للأحداث أو تحريف للكلام عن موضعه، أو تعمد ربط الإسلام بأفكار هو منها براء، أو الجنوح إلى تعميم بعض التصرفات الفردية أو الطائفية وإظهارها على أنها من الإسلام.

وقد نظمت الجمعية في مالطا خلال الفترة من 22إلى 24/4/1991م وبالتعاون مع مجلس الكنائس العالمي والمفوضية الكاثوليكية الدولية للهجرة والمؤسسة الإسلامية بسويسرا ومؤتمر العالم الإسلامي بالباكستان والاتحاد اللوثري العالمي ندوة حول(اللاجئين والمهاجرين في العالم).

و تعد هذه الندوة أول لقاء إسلامي ـ مسيحي يرتكز على تأسيس تعاون عملي لدراسة مشكلة اللاجئين في العالم.

وتنفيذا لتوصيات (ندوة الدين ووسائل الإعلام) التي عقدت في طرابلس بالتعاون بين الجمعية والمجلس البابوي للحوار بين الأديان والتي تنص على ضرورة تنظيم لقاء يجمع صحافيين مسلمين ومسيحيين لمناقشة أكثر تخصصية للموضوع ووضع خطوات عملية للقضايا الدينية، فقد عقدت ندوة جمعت اثني عشر صحفيا مسلمين ومسيحيين في العاصمة النمساوية ـ فيينا ـ في الفترة من 7ـ إلى 9ـ من شهر التمور أكتوبر 1994م حيث عرضت عدة أبحاث ورؤى حول الموضوع من الناحيتين التشخيصية والإجرائية، وأجمعت تلك الأبحاث من الناحية التشخيصية على وجود جهل بالإسلام ومبادئه في الغرب، وقد عكست وسائل الإعلام الغربية ذلك الجهل الذي تحول في معظم الأحيان إلى تحامل على الإسلام وتشويه لمبادئه، أما من الناحية العملية لمعالجة ذلك فقد أوصى المشاركون في تلك الندوة بضرورة إجراء المزيد من اللقاءات الحوارية بين المسلمين والمسيحيين في هذا الإطار، وخصوصا بين الجمعية والمجلس البابوي للحوار بين الأديان.

كما أوصى المشاركون بالعمل على تأسيس فرق اتصال في إطار الجمعية والمجلس والهيئات التي لها علاقة بهما لمتابعة القضايا الدينية التي تتناولها الصحافة والرد عليها إذا ما كان ذلك ضروريا، للتصحيح أو الإضافة أو التعديل، وأوصى المشاركون في الندوة بضرورة أن يعمل الجانبان المنظمان على إيجاد وتشجيع البرامج الإعلامية التي تهتم بالحوار الإسلامي المسيحي وتعرف المسلمين على حقيقة المسيحية، والمسيحيين على حقيقة الإسلام بما يؤدي إلى التفاهم والاحترام والتعاون. [12]

وفي إطار اللقاءات الحوارية الدورية بين الجمعية والمجلس البابوي للحوار بين الأديان في الفاتيكان وتنفيذا لما أوصى به الجانبان في البيانات الختامية للقاءاتهما السابقة نظمت ندوة في العاصمة الإيطالية

12ـ التواصل/ الحوار الإسلامي المسيحي/ عبد الحكيم مختار الورفلي/ ص 15/ المرجع السابق.

روما في الفترة من 27 إلى 30 من شهر الطير 1997م شارك فيها عدد من الأساتذة والعلماء والمهتمين بالحوار ـ الإسلامي المسيحي ـ وقد نوقشت في الندوة أبحاث ودراسات تناولت بالبحث والتحليل المواضيع الآتية.

ـ مفهوم الدعوة ومفهوم التبشير في المسيحية.

ـ تطبيقات الدعوة والتبشير في القرن الأخير.

ـ آفاق الدعوة والتبشير في القرن القادم.. [13]

وتتأكد أهمية هذا اللقاء وما سبقه من لقاءات نظمهما الجانبان في كل من ـ طرابلس و روما ومالطا ـ في الانطلاقة الكبرى التي دعا إليها القائد معمر القذافي في المؤتمر الحواري الموسع الذي انعقد في طرابلس في 1976م المشار إليه سابقا، والذي صدر عنه بيان مهم في إطار الحوار الإسلامي المسيحي حدد ضوابط ومقومات للتعايش، والعمل الدعوي والتنصيري على حد سواء، تمثلت في ضرورة العمل المشترك من أجل الحفاظ على القيم الإنسانية كما أرادها الله سبحانه وتعالى، وكما طبقها الرسل الكرام عليهم جميعا صلوات الله وسلامه.

وأكد البيان على احترام الحرية الدينية والخصائص العقائدية لكل دين، ودعا إلى عدم استغلال حاجات الناس وظروفهم المعيشية للتأثير على معتقداتهم.

وهذه نتائج مثمرة وضعت الحد للعمل التنصيري الذي غالبا ما يعتمد على استغلال الأوضاع والظروف الصعبة التي يمر بها مجتمع من المجتمعات لتمرير دعوته في صورة أقرب إلى الإكراه منها إلى الإقناع بالحجة والبرهان، وهذا ما تنافيه حركة الدعوة وتشجبه.

﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [سورة الغاشية : الآية 22]

﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [سورة الشورى : الآية 48]

وسعيا لترسيخ دعائم الحوار الذي يدل أحد مفاهيمه التلاقي من أجل التعرف على وجهة نظر الآخر فقد استضافت الجمعية عددا من رجال الدين الكاثوليك والأنجليكان والأقباط الأرثوذكس، لإلقاء محاضرة على طلبة كلية الدعوة الإسلامية، وذلك لشرح أسس تلك المذاهب المسيحية عن طريق معتنقيها وخاصة ذوي الاختصاص منهم.

ثانيا :ـ على المستوى الإغاثي.

تحقيقا للأهداف النبيلة التي تحرص عليها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في نشر الدعوة وتمشيا مع دورها الإنساني في مساعدة المنكوبين من كوارث الطبيعة وتفشي الأمراض والأوبئة، ومساعدة المحتاجين إلى الكساء والدواء، قامت منذ تأسيسها من منطلق ثوابتها التي ألزمت نفسها بها لتقديم الخير والعون للناس كل الناس من غير إضافة معتقد أو توجه أو عرق أو إقليم، وبالتحديد منذ العام 1982م [14] وذلك من خلال تقديم عشرات الملايين من المساعدات في صور مختلفة لمئات الجمعيات والمؤسسات والهيئات الإسلامية والإنسانية لتمكينها من تنفيذ برامجها في مناحي الحياة المختلفة.

كما تعاونت الجمعية على تنظيم ندوات وحلقات دراسية مع مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين وبعض المنظمات الإسلامية والمسيحية العاملة في مجال العناية باللاجئين والمهجرين في العالم، وشجعت تضافر جهود تلك الهيئات والمنظمات في تقديم خدمات أفضل لهم، وتنفيذا لأهداف الجمعية

13ـ التواصل/الحوار الإسلامي المسيحي/عبد الحكيم مختار الو رفلي/ص13/ العدد الأول / 1372و.ر(2004م).

14ـ عطاء إسلامي واع ومتواصل/ص313/مصدر سابق.

وخاصة فيما يتعلق باللاجئين والنازحين والمهجرين بفعل الحروب والكوارث الطبيعية، تعمل سنويا على تسيير قوافل طبية إلى دول عديدة في إفريقيا وجنوب شرق آسيا لتقديم خدماتها الطبية إلى مئات الآلاف من المواطنين ؛ وفي هذا الإطار فقد سيرت الجمعية قوافل طبية إلى عدد من البلدان من بينها: زيمبابوي، بوروندي، مدغشقر، غانا، مالي، يوغندا، إثيوبيا، الموزمبيق، بوتسوانا، غينيا كونا كري، غينيا بيساو، السنغال، جيبوتي، غامبيا، المالديف، سريلانكا، النيجر، تشاد، سور ينام، رواندا، سيراليون، التوجو، ملاوي، بوركينا فاسو، الصومال، تنزانيا، بنغلاديش.

وما زالت الجمعية مستمرة في هذا البرنامج بعد النجاحات التي حققتها، وما أسفرت عنه من ردود فعل إيجابية حياله لدى العديد من حكومات الدول التي سيرت إليها تلك القوافل، ومن خلال تقارير الجهات المستفيدة والهيئات الدولية المتخصصة العاملة في الميدان، كما عملت الجمعية في هذا الشأن على إنشاء المستشفيات والمراكز الصحية في بنين والفلبين وبنغلاديش ومالي والتوغو ورواندا وبوركينا فاسو وغانا وغيرها، وساهمت مع هيئات وجمعيات أخرى في بناء عدد من المستوصفات ومراكز الخدمات الصحية ومولت بعض الندوات العلمية الطبية، وقدمت منحا لدراسة العلوم الطبية لعدد من أبناء البلدان، كما أولت عناية بالفئات الاجتماعية ذات الاحتياجات الخاصة. [15]

ويمكننا التعرف على طبيعة العمل الإغاثي الذي تضطلع به الجمعية من خلال نماذج في هذا الشأن تتمثل في العمل الإنساني على المستوى الدولي منها.

- يقدم المركز الإسلامي في بنين خدماته الاجتماعية والإنسانية من علاج وأغذية مجانا للمترددين من مسلمين ومسيحيين على حد سواء، مما أسهم في تعميق روح التفاهم بين المواطنين وتعريف غير المسلمين بمبادئ الإسلام وإنسانيته واحترامه حقوق الإنسان وحاجاته دون تمييز.

ومن الجدير بالذكر هنا التذكير بأن الحرب الأهلية في منطقة البحيرات الكبرى وفي رواندا بالتحديد قدم العمل الإغاثي النموذج الرائع للحضارة الإسلامية التي تعنى بإصلاح حال الإنسان من حيث هو إنسان من منطلق الخطاب القرآني:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ (سورة الإسراء، آية 70)

الأمر الذي أكد لكثير من المواطنين الروانديين الصورة المشرقة للإسلام في جانب الأمن والاستقرار والمواساة، فلم يجدوا بدا من الإقرار بمصداقية الطرح الإسلامي، وهو ما دفع الكثيرين من أبناء هذه المنطقة إلى اعتناق الإسلام الذي يكرم النفس البشرية التي حرم قتلها إلا بالحق.

- وفي أوغندا تابع دعاة الجمعية الأحداث التي شهدتها البلاد المتمثلة في عملية الانتحار الجماعي الناتج عن فساد المعتقدات الدينية لبعض الطوائف المسيحية في البلاد، الذي وقع خلال عام 1999م ، وقد تم توجيه الدعاة والجمعيات والمنظمات الإسلامية العاملة في المنطقة للتركيز على هذا الحدث، وشرح مبادئ الإسلام الذي يحترم النفس البشرية، وتوعية الناس بمخاطر مثل هذه الحركات المتطرفة، وما تسببه من قلاقل داخل مجتمعاتها، وإعاقة حرية التفكير وتشويه المبادئ والمثل الدينية السامية.

- ودعا دعاة الجمعية في تنزانيا في الملتقى الإسلامي الذي عقد لتكوين لجنة لمساعدة الدولة في مجال تعديل القوانين المتعلقة بالأحوال الشخصية من أجل ضمان حقوق المسلمين، وما تضمنته الشريعة الإسلامية في هذا الموضوع.

15- ينظر: المفكرة الإسلامية/جمعية الدعوة الإسلامية العالمية/عام372او.ر-2004م.مرجع سابق.

- بذلت الجمعية جهودا كبيرة في حل مشكلة مسلمي كوسوفو عن طريق الحوار بين الصرب والمسلمين، وأجرت عدة اتصالات مع الجانبين، وتابعت مبادرة الأخ قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية لخل هذه الأزمة بما يضمن حقوق المسلمين وعدم تعميق الهوة بين المسلمين والمسيحيين الأرثوذكس.[16]

هذه الأرقام الهائلة التي سجلتها الجمعية في إطار العمل الإغاثي تدل على إيمانها العميق بموقع العمل الإغاثي في الدعوة الإسلامية باعتباره يقدم صورة مثلى للإسلام الحضاري الذي فيه خلاص البشرية كلها، ليضع الأمة على الطريق الصحيح في أعقاب حقبة تاريخية لها مقدماتها وتداعياتها الساخنة الملتهبة لتكون بحق خير أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله كما أرادها، حتى تنهض بمسؤولية الوسطية التي خاطبها بها القرآن الكريم:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ﴾
[سورة البقرة: الآية 143]

وكان للجمعية تعاون مع منظمة الصحة العالمية وخاصة فيما يتعلق بإرسال القوافل الطبية، واختيار الأدوية المناسبة للمناطق التي تقصدها تلك القوافل، وكذلك فيما يتعلق بالدراسات والأبحاث التي تتناول الأوبئة المنتشرة في تلك المناطق.[17]

ثالثا :- على المستوى التربوي.

إن تحقيق التقدم للواقع الإسلامي لا ينطلق إلا من التعليم ، تلك حقيقة التزمت بها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية منذ تأسيسها، وعلى هذا فإن كل الجهود الإنسانية التي تقوم بها الجمعية تأخذ حيزا واسعا من ميدان التعليم والتربية.

وتتجه الجمعية في هذا الإطار نحو فتح المدارس في القرى والمدن في أفريقيا وآسيا لتكون منقذا لأبناء المسلمين للتحصيل العلمي وتلقي العلم ليكون المسلمون قوة إيجابية تقدم الخدمات للمجتمع بفاعلية، ولا يمضي شهر إلا وتطالعنا أخبار الجمعية بأن مدرسة جديدة تفتح هنا وهناك، ويتم ذلك في صمت وسكون من يعمل دون الضجيج الإعلامي.[18]

وللجمعية إسهام كبير في نشر الثقافة الإسلامية حيث أولت اهتماما كبيرا للقرآن الكريم ونشره وترجمة معانيه إلى لغات عدة، وطبعت في هذا الإطار مئات الآلاف من المصاحف المقروءة والمسموعة وترجمة معانيه، ولها مئات الإصدارات في شتى المعارف الإسلامية باللغات ولها مشاركات فاعلة في معارض الكتاب العالمية.

وقد قامت الجمعية بطباعة وتوزيع ملايين الكتب المنهجية مساهمة منها في برنامج محو الأمية في العالم، وخصوصا في القارة الإفريقية، وتصدر صحيفة الدعوة الإسلامية أسبوعيا باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية.

وقد ساعدت عوامل عديدة في إنجاح العمل الدعوي والإنساني والتربوي على الصعيدين الشعبي والرسمي تلك الثقة والمصداقية فيما يقدم من خدمات يراد بها وجه الله، إضافة إلى نشاط دعاة الجمعية وتحركهم في كل مكان من البلدان دون أن يقتصر العمل على مناطق المدن والأماكن القريبة، بل تواصل العمل في تقديم الخدمات إلى القرى البعيدة

16- ينظر: التواصل/الحوار الإسلامي المسيحي/عبد الحكيم مختار الورفلي/ص16/العدد الأول/مرجع سابق.

17- ينظر: المفكرة الإسلامية/جمعية الدعوة الإسلامية العالمية/عام372او.ر-2004م.مرجع سابق.

18- ينظر:التواصل/قرية الهنود التي قهرت الوثنية والظلام بنور الإسلام/مصطفى أبو بكر لاغة/ص15-16/العدد الثاني/372او.ر-2004م.

والأماكن الصعبة والأدغال النائية.

ويندرج تحت الأداء التربوي أولئك القراء الذين يوفدون خلال شهر رمضان المبارك، والذين يقابلون بالترحيب والاستقبال من جميع فئات المسلمين، حيث يتم استدعاؤهم في المساجد المختلفة في المدن والقرى، ليكونوا ضيوفا على المسلمين هناك، يستمعون إليهم، ويتعلمون منهم حفظ القرآن الكريم، وهو الأمر الذي حد مما كان يحدث من خلاف في بعض الأمور الفقهية لاختلاف وجهات النظر حولها، وهذه أسس قربت القلوب وساعدت على المزيد من الألفة والمحبة بين الأخوة المسلمين، وذلك لما يمثله الموفدون في مساجد البلاد من خلق إسلامي أصيل، جسد حقيقة التفاني في أداء الواجب والعمل الصادق خلال إحياء ليالي شهر رمضان الكريم. [19]

وللجمعية وقد أكملت ثلاثة عقود من عمرها، ما يزيد على ثلاثة آلاف منتسب بين داعية ومدرس ومدرب حرفي ينتشرون في جميع قارات العالم ليقوموا بمهامهم الدينية والثقافية من خلال عشرات المدارس والمعاهد ودور رعاية الأيتام التي أسستها أو ساهمت في تأسيسها، أو تعاونت على رعايتها مع القائمين عليها. [20]

التعاون مع المنظمات الدولية في دعم العمل التربوي

للجمعية تعاون وثيق مع العديد من الهيئات والمنظمات الدولية، وخاصة في ميادين التربية والثقافة والعلوم ومجالات العمل الإنساني في مناحيه المختلفة، ولها في هذا الإطار برنامج تعاون واسع جدا مع منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة-اليونسكو- بدأ منذ سنة 1985م حيث أنجز في إطار ذلك التعاون مشروع (محو الأمية) في إفريقيا الذي استفادت منه أربع دول في غرب إفريقيا، وكذلك برنامج مصادر المياه في دول الحزام الصحراوي الإفريقي الذي أنجزت في إطاره دراسات ميدانية مسحية عن المياه في هذه المنطقة، وقد سلمت نتائج تلك الدراسة للدول المعنية للاستفادة منها.

وتموّل الجمعية مشاريع تاريخية ذات طابع موسوعي تشرف عليها منظمة اليونسكو منها:

- ❖ مشروع إعادة كتابة تاريخ التطور العلمي والثقافي للبشرية في سبعة مجلدات، صدر منها حتى الآن خمسة مجلدات باللغة الإنكليزية.
- ❖ مشروع المظاهر المتنوعة للثقافة الإسلامية في ستة مجلدات، صدر منها حتى الآن المجلدان الثاني والرابع باللغتين العربية والإنكليزية.
- ❖ مشروع المعرض العلمي الجوال حول إسهامات الحضارة الإسلامية في التقدم العلمي للبشرية.
- ❖ وتقديرا لهذه الجهود التي تبذل من قبل الجمعية في صالح التربية والتعليم فقد منحت منظمة اليونسكو جمعية الدعوة الإسلامية العالمية العضوية فيها بدرجة أ (علاقة رسمية استشارية) ولها كذلك تمثيل في اليونسكو لمتابعة العمل في هذه المشروعات الكبرى.

وللجمعية تعاون واسع مع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة -إليسكو- منذ سنوات عديدة، حيث نفذ الجانبان عشرات البرامج التربوية والعلمية والثقافية في مناطق مختلفة من العالم، ولعل ما يجدر ذكره هنا هو البرنامج الثقافي التربوي الواسع الذي تموله الجمعية بالكامل وتنفذه - الايسيسكو - في دول الساحل الإفريقي والذي أنجز في إطاره في السنة الماضية وحدها أكثر من 120 نشاطا تربويا وثقافيا

19- نفس المصدر السابق

20- ينظر: المفكرة الإسلامية/جمعية الدعوة الإسلامية العالمية/عام1372 و.ر- 2004م.مرجع سابق.

وعلميا، هذا بالإضافة إلى ـ برنامج التعليم للجميع ـ الذي تمثل في إنشاء خمسين مركزا للقراءة في خمسة بلدان إفريقية.

وتعمل الجمعية على دعم العديد من المؤسسات التربوية والاجتماعية والثقافية والإنسانية من خلال توفير الكتب وتعيين الأساتذة والمدربين المهنيين ،ولها برامج مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ الإليسكو ـ وبرامج تعاون أخرى مع منظمة المؤتمر الإسلامي، ومجمع الفقه الإسلامي وغيرهما من المؤسسات المتخصصة.

من أجل كل تلك الأنشطة التي تبذلها الجمعية في مجال التربية والتعليم ومحو الأمية في الميادين الإسلامية والإنسانية، فإنها تحظى اليوم بالعضوية في عدد من الهيئات والمنظمات الدولية، إضافة إلى عضوية استشارية في اليونسكو، فهي عضو مراقب بمنظمة المؤتمر الإسلامي وعضو بالمجلس الاقتصادي والاجتماعي بوحدة المنظمات غير الحكومية بالأمم المتحدة، وعضو متعاون مع مفوضية الأمم المتحدة السامية للاجئين. [21]

ويندرج ضمن أهداف الجمعية في العمل التربوي تلك الدورة التدريبية العالية لمعلمي اللغة العربية والدراسات الإسلامية التابعة لخطة (ما بعد كانو) التي انطلقت منذ عام 1366و. ر 1998م لتمكين معلمي الدراسات العربية والإسلامية في خمس دول إفريقية هي ـ مالي والنيجر ونيجيريا وبوركينا فاسو وتشاد من أداء علمي ومعرفي أكثر دقة ورصانة، ومن أجل تطوير الحركة العلمية والمنهجية في المدارس والمعاهد الإسلامية في تلك البلدان.

وتنتظم هذه الدورة كل سنة يوفد إليها من تلك الدول المذكورة في حدود عشرة معلمين تستغرق ستة أشهر على الأقل، وقد اختتمت آخر هذه الدورات منذ شهر في 17ـ7ـ1372و.ر(2004)م.

رابعاً : ـ على المستوى التعارفي

إدراكا للحكمة الإلهية التي اقتضت جعل الناس شعوبا وقبائل، أمما وأقواما، أجناسا وألوانا، وشعورا بثقل أمانة التكليف التي حملها الله مخلوقاته فأبت أن تحملها ـإشفاقا وخوفا:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [سورة الأحزاب: الآية 72]

واستشعارا لخطورة ما ينتاب مجتمعنا الإنساني من فتن وصراعات وحروب واضطرابات هددت أمنه وعبثت باستقراره،وردا على الأصوات التي ظهرت هنا وهناك تنظّر لصراع الحضارات وصدام الثقافات، فقد قرر المجلس العالمي للدعوة الإسلامية الذي يبرمج لأنشطة جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ويشرف عليها، تنظيم ملتقى فكري ثقافي موسع تحت شعار(لتعارفوا) وذلك على هامش دورته الرابعة عشرة.

وقد انتظم هذا الملتقى بطرابلس في الفترة من 20ـ22 من شهر الفاتح (سبتمبر) 1371و.ر(2003) وشاركت فيه أكثر من 130 منظمة وهيئة إسلامية ومسيحية من مختلف أنحاء العالم، إضافة إلى عدد من المنظمات الدولية والإقليمية ومسؤولي الكنائس الشرقية والغربية، ولفيف من الباحثين والمفكرين ورجال الإعلام والمهتمين بقضايا الحوار.

وقد عكف المشاركون في هذا الملتقى على دراسة عدد من الأوراق والمداخلات التي ناقشت مفهوم التعارف باعتباره نتيجة من نتائج الحوار الهادف الذي

21 ـ ينظر: المفكرة الإسلامية/جمعية الدعوة الإسلامية العالمية/عام1372 و.ر.2004م. مرجع سابق.

يعزز الاحترام المتبادل، ويرفض الظلم ويقاوم الاستعلاء في الأرض، ويؤسس لعلاقة تعاونية بين الأقوام والشعوب على أساس المساواة التي أكدتها الشرائع:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [سورة الحجرات: الآية 13]

وعززتها المواثيق والأعراف الدولية، وقد وجه المشاركون في هذا الملتقى نداء أسموه (نداء طرابلس من أجل التعارف (هذا نصه):

ومما أعلنه ذلك الملتقى:

إن جهود التعارف التي قامت بها الجمعية والتي انطلقت من توصيات هذا الملتقى الحواري الكبير الذي التأم في طرابلس أصبح لها ثمار تؤتي أكلها على نطاق واسع، تمثلت بالخصوص في لقاء عمل نظم بمدينة (ويند زور) في بريطانيا خلال شهلر الربيع (مارس) الماضي بالتعاون مع مؤسسة روح أوربا، وفي محاضرتي كل من الرئيس الإيطالي السابق ـ فرانشيسكو كوسيغا ـ ورئيس جمهورية سيراليون ـ الحاج أحمد تيجان كابا ـ في طلبة كلية الدعوة الإسلامية، إضافة إلى عدد من المناشط الأخرى.

وقد أكد المجلس العالمي للدعوة الإسلامية في إطار مناقشته لهذا البند على ضرورة أن تستمر الهيئات الإسلامية والمسيحية التي شاركت في ملتقى (لتعارفوا) في تفعيل اللقاءات التي ستعقد على التوالي في كل من: موسكو، عمان، تورنتو، وفي إحدى العواصم الأفريقية، وفي واحدة من عواصم بلدان جنوب شرقي آسيا خلال هذا العام، كما عبر المجلس عن تأييده ودعمه لمؤتمر الحوار الإسلامي المسيحي المقترح من الرئيس السنغالي ـ عبد الله واد المقرر عقده في نهاية عام 2005م، وطالب المجلس المؤسسات الإسلامية والمسيحية التي تهتم بأمر الحوار بدعمه واتخاذ الترتيبات اللازمة لإنجاحه.[22]

ومنهجية البحث تفرض عليّ عرض توصيات ـ نداء طرابلس من أجل التعارف ـ لما لها من أهمية كبرى أعادت تخريط العالم على نمط من الانسجام والتوافق والاعتراف بالآخر لاستنهاض كل قوى الخير والحق في الواقع العالمي المتأزم من أجل غد أفضل لأجيالنا وعالم أكثر أمنا وسلاما لمجتمعاتنا.

يرتكز ـ نداء طرابلس من أجل التعارف ـ على أسس ومبادئ لعل أهمها:

- التعدد الديني والإثني والثقافي واللغوي بين الناس والمجتمعات آية من آيات الله، وتعبير عن المشيئة الإلهية في خلق الناس مختلفين ليتعارفوا في عمارة الكون.
- كرامة الإنسان وحريته مبدأ أساسي في كل الأديان والمعتقدات والمساس بتلك الكرامة بأي صورة من الصور أو تقييد تلك الحرية تحت أي مبرر يناقض ذلك الأساسي ويصطدم بالمشيئة الإلهية التي كرمت الإنسان واستخلفته في الأرض.
- التمييز بين البشر أو المفاضلة بينهم على أساس الدين أو العرق أو اللون ممارسة عنصرية لا يقرها دين ولا تبررها شريعة، وأن انتهاج أي شكل من أشكالها أو إقراره تحت أي ظرف إنما هو عمل يتناقض مع كل القيم والأخلاق ويتعارض مع كل الشرائع والمعتقدات.
- التعارف بين الناس والحوار بينهم هو السبيل الأوحد لحل مشكلات عالمنا حلا منصفا، والجنوح إلى القوة في التعامل مع تلك المشكلات إنما يذكرنا بصورة الحروب المأساوية التي شهدها عالمنا والتي يجب أن نتعاون جميعا حتى لا يكتوي العالم بنارها مرة أخرى.

وفي سبيل تحقيق هذه المبادئ على أرض الواقع فقد أوصى المشاركون بما يلي:-

22 ـ ينظر: التواصل/تفعيل الحوار بين الثقافات/ص16/ العدد الثاني/مرجع سابق.

أولا:- التأكيد على التمسك بثقافة التعارف بين الناس انطلاقا من القيم الروحية الإسلامية والمسيحية ومن المبادئ الإنسانية السامية، وذلك على قاعدة احترام الإنسان الذي كرمه الله واستخلفه في الأرض.

ثانيا:- العمل على إبراز القيم الأخلاقية المشتركة التي يدعو لها الإسلام والمسيحية في نبذ العنف والتطرف والغلو، وفي رفض منطق الاتهام الجماعي والإدانة الجماعية والعقاب الجماعي، وفي مقاومة كل مظهر من مظاهر استغلا الدين وتوظيفه في الصراعات والخلافات السياسات والتأكيد على أن السلوك الإلغائي للآخر يتناقض مع هذه القيم الدينية التي تشكل ركنا أساسيا من أركان العقيدة في الرسالتين السماويتين الإسلام والمسيحية.

ثالثا:- العمل على استمرار موقع لتعارفوا والذي أنشأته الجمعية خصيصا لهذا المؤتمر، وتطويره بحيث يصبح ملتقى دائم للمشاركين فيه وغيرهم من دعاة الحوار، وذلك لتعميم فكر التعارف ونقله من أن يكون محصورا بين النخب المثقفة إلى أن يصبح لغة مشتركة بين الشعوب...[23]

هذه أهم وأبرز البنود التي أقرها- نداء طرابلس من أجل التعارف* - وهي تجسد النموذج الرائع لتراكم التجارب الإنسانية والإصلاحية في سبيل إيجاد صيغة مشتركة تحقق الاستقرار وتنمي الثقة بين أتباع الديانات المختلفة في ظل الممارسات التي نغصتها عصور انقطاع الوحي، وتلاش اتصال السماء بالأرض.

وقد تنامت الحاجة إلى إدخال عنصر الدين في عملية في إيجاد صيغة التعارف بين الأعراق والشعوب والأديان والحضارات المختلفة بعد فشل كل المحاولات التي عملت في سبيل الإصلاح المنهجي والفكري في إطار الكنيسة والاحتجاج على ممارسات القساوسة وبعض المفكرين الغربيين. إلا أنها لم تحقق على المستوى العالمي الهدف المنشود لرأب صدع التشقق الذي جرّ كثيرا من الويلات والصراعات المدمرة على الإنسانية.

ويمكن القول بأن المسيحية من أبرز الديانات التي أخذت مساحة واسعة في إطار بناء علاقة متميزة مع الإسلام من بين بقية الأديان الأخرى.

والسبب في ذلك هو قرب المسافة زمنيا بين رسالة الإسلام ورسالة المسيح -عليه السلام- وعدم وجود أية رسالة سماوية تفصل بينهما.

وهذا إذا أحسن طرحه في واقع الخطاب الإسلامي فإنه سيحقق مكاسب ومنجزات لا يستهان بها في إطار العمل الدعوي، ويكون رافدا مهما من روافد الدعوة الإسلامية.

المصادر

1 - صحيفة الدعوة الإسلامية/عدد خاص بمؤتمر (لتعارفوا)ثورة الفاتح وإسهاماتها في الدعوة الإسلامية على مستوى العالم. محمد أحمد شفيع/العدد1/1371و.ر-2003م.

2- الإسلام دين الجماعة/أحمد سيكو توري/ترجمة محمد البخاري/ط2/1978م

3 - مجلة كلية الدعوة الإسلامية/القرآن شريعة المجتمع/محمد فتح الله الزيادي/العدد الأولى السنة الأولى/ 1984-1985م.

4- عطاء إسلامي واع ومتواصل/منشورات جمعية الدعوة الإسلامية/1972و.ر-1999م.

5- المفكرة الإسلامية/جمعية الدعوة الإسلامية العالمية/عام 1409و.ر-2000م.

6 - المفكرة الإسلامية/ جمعية الدعوة الإسلامية العالمية/عام1372 و.ر-2004م.

7- الرحلة التاريخية الثانية/ كتاب وثائقي مصور /منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية/مكتبة البحوث والإعلام والنشر/د.ت.

8 - الحوار الإسلامي المسيحي/بسام داوود عجك/رسالة ماجستير/دار قتيبة/1418 و.ر - 1998م.

9- صحيفة الدعوة الإسلامية/الحوار حدث عالمي ينطلق من الجماهيرية/عدد خاص بمؤتمر لتعارفوا/العدد1/1731 و.ر.

10 - التواصل/الحوار الإسلامي المسيحي/عبد الحكيم مختار الورفلي/العدد الأول /1372 و.ر- 2004م.

11- التواصل/قرية الهنود التي قهرت الوثنية والظلام بنور الإسلام/مصطفى أبو بكر لاغة/العدد الثاني/1372و.ر-2004م.

12- صحيفة الدعوة الإسلامية/خطوات نحو العلم والتقدم/ العدد 860/ 1371 و.ر - 2003م.

23 - ينظر:-المفكرة الإسلامية/جمعية الدعوة الإسلامية العالمية/ مرجع سابق.

* النص الكامل لنداء طرابلس منشور في هذا العدد.

الإسلام وثقافة الحوار

الدكتور دهام العزاوي*

جاء الإسلام في ظروف عصيبة مرّت بها الإنسانية، سادت فيها الكثير من المفاهيم البالية القائمة على التعالي والاحتقار واستعباد الغير، فكانت مفاهيم العدالة والمساواة والقبول بالآخر بمثابة فتح مفاهيمي لشعوب وحضارات اتسمت علاقاتها بالاضطراب والتوتر، ومن هنا لم يكن الانتشار السريع للإسلام في مناطق العالم المختلفة إلا اعترافاً من البشرية بفضل وعلو المبادئ التي بشر بها الدين الجديد في احترام الآخر وقبوله. وفي عالم أخذت تسوده اليوم ثقافة الإكراه والنبذ في ظل عولمة أحادية الجانب، أخذت البشرية تفقد جانباً مهماً من إنسانيتها، وتتجرد من طابعها الفطري المستند على التنوع والاختلاف، يظهر النموذج الإسلامي في الحوار والتعايش مع الآخر من بين أهم وأكثر المفاهيم التي ينبغي على البشرية الاهتداء بها للتخلص من واقع الفردية والأحادية التي تسعى بعض قوى الظلام العالمية إلى إشاعته بهدف ابتلاع العالم وتهميشه، وتحويله إلى قطيع لا يسمع ولا يرى ولا يتكلم، فالإسلام قدّم للبشرية عبر تاريخه الطويل نماذج فكرية وواقعية مهمة في قبول الآخر، والحوار معه على أسس قائمة على التسامح والمودة، وبعيداً عن الغلو والإقصاء. والمدقق لمبادئ الإسلام وتاريخ المسلمين يجد أن ثقافة الحوار لم تكن مبنية على أحوال ظرفية ووقائع سياسية أو اجتهادات شخصية بقدر ما نبتت في ظل واقع ديني، وإطار شرعي، ارتقى إلى مصاف العقيدة الواجبة النفاذ، فالمسلمون مأمورون بالحوار مع بعضهم البعض، ومع غيرهم من المخالفين لهم فكراً وعقيدة، بل ومأمورون بعدم وضع شروط مسبقة للحوار والاستماع إلى آراء الغير حتى وإن كانت مخالفة:

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ [سورة التوبة: الآية 6]

مع تجنب استخدام الغلظة والشدة في الحوار مع الآخر، والسعي إلى انتهاج اللين والحلم والموعظة الحسنة:

﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [سورة النحل: الآية 125]

وفي الوقت الذي اعتادت فيه الحضارات والشعوب على أن يكون القتل والاستباحة والاحتلال وسيلتها الوحيدة في التعامل مع الغير رفض الإسلام أن تكون الحرب وسيلة لنشر الدعوة.

فلم تشرع الحرب في الإسلام إلا للضرورة الملحة التي تنحصر في دفع الأذى عن ديار المسلمين، وإزالة الظلم عن الشعوب المقهورة للتعرف على نور الإسلام وقيمه العظيمة. ومن يتفحّص فقه الحرب في الإسلام يجد أن هذا الدين العظيم يحث المسلمين على أن لا يبادروا أعداءهم بالحرب قبل أن يدعوهم إلى احدى ثلاث، أولها: القبول بالإسلام ديناً ومنهج حياة

* كاتب وباحث / العراق

فيدخلوا في زمرة المسلمين، لهم ما لهم وعليهم ما عليهم. وثانيها: العهد والجزية التي تكون لقاء تأمين المسلمين أرواحهم وممتلكاتهم، وثالثها: الحرب والقتال وليس في هذا إكراه على الإسلام، لأن التمييز بين أمور ثلاثة لا يكون إكراهاً في الدين. وقد كان النبي ﷺ القدوة الحسنة التي استلهم المسلمون من خلالها معاني التسامح والحوار، وكيف لا وهو الرحمة المهداة للعالمين جميعاً، فقد نقل عنه ﷺ انه استقبل نصارى نجران وأكرمهم، وسمح لهم بالصلاة في مسجده الشريف قبل أن يدعوهم إلى الحوار والمناقشة الهادئة، والبعيدة عن الغلو والتشنج، وقصة المشرك الذي أراد أن يقتل النبي ثم استجار به بعد أن أظفر الله نبيه به، ومن ثم رفضه الدخول في الإسلام، تعطي الدليل على أن النبي ﷺ لم يكن إرهابياً ولا سفاحاً يستغل الظرف ليجبر أعداءه على اعتناق دينه، كما يفعل جبابرة العصر، بل كان رحيماً ودوداً، أطعم المشرك وسقاه، ومن ثم دعاه إلى الإسلام، وبعد أن رفض المشرك دعوة النبي أخلى سبيله دون إكراه أو تضييق. وفي صلح الحديبية يتكرر المشهد النبوي، فرغم شدة وبأس المسلمين، وقوة عددهم، فضّل الرسول ﷺ الحوار مع المشركين، واختار الصلح والعهد بدل الحرب، فكان فتحاً مبيناً كما وصفه الله تعالى في سورة الفتح، حتى ان عمر بن الخطاب سأل النبي متعجباً: أفتح هو يا رسول الله؟! فقال النبي ﷺ: نعم، هو فتح.

❖ في الوقت الذي اعتادت فيه الحضارات والشعوب على أن يكون القتل والاستباحة والاحتلال وسيلتها الوحيدة في التعامل مع الغير، رفض الإسلام أن تكون الحرب وسيلة لنشر الدعوة.

لقد أعطى صلح الحديبية المثل الأعلى على صواب منهج الحوار والتفاوض الذي اتبعه النبي سبيلاً لنشر الدعوة، فما تحقق من قوة للإسلام عبر دخول الناس أفواجاً فاق بعشرات المرّات فيما لو كان الحال مستنداً إلى الحرب والقتال. وتأكد المعنى الإسلامي ذاته في واقعة الأحزاب التي كفى الله المؤمنين فيها القتال. وفي معارك إسلامية كثيرة وكبيرة اعتاد المسلمون أن لا يبادئوا عدوهم قبل أن يتفاوضوا ويتحاوروا معه، فالقتال كما بيّنا هو آخر العلاج في دعوة المسلمين لمخالفيهم، وهو علاج مر لا يتم اللجوء إليه إلا بعد أن تستنفد السبل وتغلق الأبواب، حتى أن النبي ﷺ استعاذ من الحرب، وكره اللجوء إليها، أو تمنيها، فقال لأصحابه: (لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، ولكن إذا ما لقيتموه فاصبروا فإن الجنة تحت ظلال السيوف) ولعل من يتفحص مفهوم الحوار في الإسلام يستلهم معان كثيرة أفرزها ذلك المصطلح في الواقع الإسلامي، لعل أولها:

إقرار شعار أن الأرض للجميع، وأنها ينبغي أن تكون مشتركة للبشرية، وأن الله الذي خلق الناس من أصل واحد وطينة واحدة لم يفاضل بينهم إلا بالعمل الصالح الذي ينفعهم وينفع البشرية جمعاء:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [سورة النساء: الآية 1]

وثانيها: إشاعة منهج التعاون بين الحضارات والشعوب على قاعدة البر والتقوى، وليس على أساس استعباد الغير واحتلاله:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [سورة المائدة: الآية 2]

وثالثها: تثبيت ثقافة التنوع في إطار الوحدة فالناس من أصل واحد، ولكنهم موزعون ومتفرقون إلى شعوب وقبائل الأصل بينها التعارف والتعاون لا الاختلاف والتناحر:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [سورة هود: الآية 118]

فاختلاف الناس في ألوانهم وألسنتهم هو من حقائق الكون وآية من آيات الله التي تريد بعض القوى المتجبرة ان تغيرها اليوم بفرض ثقافتها ومنهجها على الغير بالقوة والإكراه،

ورابعها: إقرار مفهوم المساواة بين الناس، وليس مفهوم الاستكبار والتعالي، وكما يقول الدكتور يوسف القرضاوي: هل خلقت أيها المستكبر من ذهب وخلق الآخرون من تراب؟:

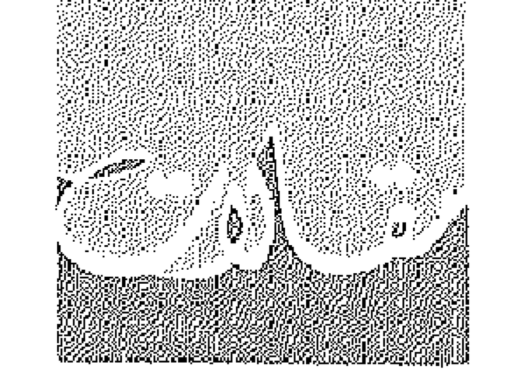
﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [سورة الحجرات: الآية 13]

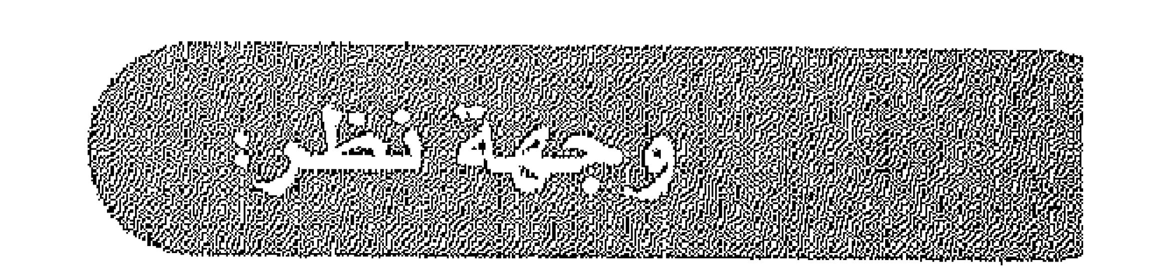
وخامسها: إقرار أسلوب التعايش السلمي بدل التنابز والتحارب، فالحياة في المنظور الإسلامي تتسع للجميع بغض النظر عن الانتماء والتوجه فما المانع أن يلتقي المسلم مع غيره طالما أن الحياة تسعهم فيحتفظ كل منهم بثقافته ودينه؟:

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [سورة الكافرون: الآيات 1 ـ 3]

وفي ظل عالم اليوم، حيث سيادة مفاهيم العولمة واختراق السيادة، والدعوة إلى تغيير مناهج وطرق الحياة ونظم الثقافة، تطرح تساؤلات عن فحوى وجدية وشكل الحوار مع أولئك الذين لا يعترفون بك ندا أو مشاركاً لهم في الحياة، ويعتبرونك في هامش الحياة الإنسانية، ويسعون بالتالي إلى تدميرك وإخضاعك وهضم حقوقك؟ وكيف الحوار مع من لا يعترف بالحوار أصلاً، ويسعى إلى فرض ثقافة التدمير والاحتلال والعنف بدلاً من السلام والأمن؟ كيف مع أولئك الذين يتهمون ثقافتك بأنها مصدر الإرهاب والعنف، وأن لا سبيل للتخاطب معك إلا بوسيلة العنف والإكراه والتغيير؟ لا شك أن الإسلام يمد يده للحوار مع الجميع دون استثناء وشروط مسبقة، ولكن دون أن يعني ذلك تنازلاً عن ثوابته ومسلّماته في الحوار، وأهمها أن يكون الطرف الآخر نداً لك، ومعترفاً بك، وإلا فإن الإسلام لا يسكت على الضيم والاستبداد، ولا يتغاضى عن حقه في الدفاع عن النفس، فالإسلام يفتح باب الحوار والتلاقي مع من يعترف به، ويسعى إلى إيجاد قواسم للحوار تعين البشرية على التعايش المشترك للتخلص من أوهام القوة والتفرد، وتؤسس لتعددية ثقافية وحضارية تعيد للعالم توازنه المفقود. لا شك أن البعض يعتقد أن التراجع الحاصل اليوم في ثقافة الحوار لا يمكن أن تعزى إلى الصور النمطية التي حملها الآخر عن الإسلام والمسلمين، بقدر ما تكمن أيضاً في عدم قدرتنا نحن المسلمين على إيجاد خطوط تواصل مع الآخر، تعيننا على فهم بعض إيجابيته، وبالتالي فإن استمرار عزفنا على أنغام تقليدية وصور نمطية سالبة تبقي أبواب الحوار موصدة، وإذا كان هذا الاعتقاد يحمل شيئاً من الواقعية فمن المؤكد أن التحديات التي تواجه الخطاب الإسلامي تستدعي وقفة مع الذات لتصحيح الكثير من الهفوات التي تعترض ذلك الخطاب، ولعل في مقدمة هذا الأمر تغيير بنية الخطاب الإسلامي الموجه إلى الآخر، وانتهاج استراتيجية إعلامية موحدة إلى حد ما، تبرز القيم الأصيلة للإسلام في التلاقي والحوار، فضلاً عن تفعيل مناهج التربية والتعليم، وبما يدفع الأجيال الصاعدة إلى فهم الدين على أصوله، وبعيداً عن الغلو والتطرف، والعمل على إجراء إصلاحات شاملة في هياكل السلطة السياسية، وعلى نحو يسرع من وتيرة الديمقراطية والمشاركة الشعبية، بالإضافة إلى تعزيز العمل الثقافي والدعوي، وعلى نحو يبعد الثقافة عن السياسة، ويبرز المثقفين كوجه مشرق في التفاعل الحضاري مع الآخر، بعيداً عن السياسة، فمما لا شك فيه أن المثقف يحمل روح التسامح والتقبل للرأي والرأي الآخر أكثر مما يحمله السياسي الذي لا يفقه سوى لغة المصالح والأهداف، فالثقافة هي سلاحنا الفاعل في حوار الآخرين ومخاطبتهم، ومثقفونا ومفكرونا هم بلا شك اكثر قدرة على تفعيل الحوار مع الآخر، وجعله اكثر جدوى من أحلام السياسيين وطموحاتهم الفارغة.

> *** الإسلام يمد يده للحوار مع الجميع، دون استثناء وشروط مسبقة، ولكن دون تنازل عن ثوابته ومسلماته في الحوار.**





مفهوم الانتظار في الثقافة الدينية

د. حسن الباش*

لعل من أهم ما حرّفه أهل الكتاب، صفات النبي المنتظر، التي وردت في التوراة، وكذلك في الإنجيل، وأشار إلى تحريفهم القرآن الكريم في عدد من الآيات الكريمة.

وحتى نكون على بيّنة من أمر ذلك التحريف، آثرنا العودة إلى نصوص التوراة والإنجيل، وما أشارت إليه من صفات النبي المنتظر، وما أكده بعض أحبار اليهود والدارسين في العهد القديم.

فما بين الأنبياء صلات ليست كما هي الصلة بين بقية البشر، فهؤلاء الذين اصطفاهم الله لتبليغ دعوته، ارتبطوا فيما بينهم بروابط غير مادية أو بشرية، وأهمها: أن الله سبحانه سماهم الأنبياء وربط بينهم في العقيدة والسلوك وطريقة التبليغ. لكن الله سبحانه، بعث الأنبياء قبل الرسالة الخاتمة لأقوامهم تحديداً. فكل نبي بُعث لقومه، لتكون رسالته محدّدة في إطار زمني، وإطار مكاني محدّد. فزمن النبي موسى، ومكان ومساحة دعوته، غير زمن داود أو سليمان أو صالح أو هود وغير المكان والمساحة المكانية، التي انتشرت فيها دعوتهم، وقد حدّد القرآن الكريم أمكنة وجود هؤلاء الأنبياء، أو أشار إلى حيثيات مكانية، توضح البيئة المكانية المحددة، التي تجولوا فيها داعين إلى الله سبحانه وتعالى، وعبر سلسلة هؤلاء الأنبياء، برز لنا النبي ابراهيم عليه السلام كواحد من الأنبياء كلف برسالة إنسانية، تجاوزت الزمان الواحد والمكان الواحد، لذلك تنقل من الأرض المباركة ـ فلسطين ـ، إلى الجزيرة العربية، وكان في الأساس قد انتقل بأمر ربه ووحيه من أرضه ووطنه الأساسي في أور العراق إلى الأرض المباركة.

ولذلك وصفه سبحانه، بأنه إمام، وأنه أمة. وكانت دعوته للناس كافة، وليست لقوم دون قوم. وما بين عصر النبي إبراهيم عليه السلام، وعصر محمد رسول الله ﷺ، أزمان طويلة ومتباعدة تخللها وجود أنبياء مرسلين، بعثوا لأقوامهم، حتى تظل وتيرة دين التوحيد حيّة في الأرض وبين الناس.

لقد قصّ الله سبحانه علينا أخبار هؤلاء الأنبياء، في القرآن الكريم فعرفنا إسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف، وعرفنا موسى وداود وسليمان والياس وزكريا ويحيى والمسيح عليهم السلام. وقصَّ علينا القرآن

* كاتب وباحث / سوريا

قصص أنبياء آخرين، كهود وصالح وشعيب ويونس وغيرهم، وعرفنا أن الله سبحانه آتى موسى كتاباً، وكذلك عيسى آتاه الله الإنجيل، وكذا داود آتاه زبوراً. وسار بقية الأنبياء على المنهج الرباني، الذي اختاره لهم. وظلوا في دائرة تبليغ الدعوة الخاصة بأقوامهم. ولعل في ذلك سراً إلهياً، حيث أراد الله سبحانه أن يختم هؤلاء الأنبياء بنبي عالمي إنساني يوحد الأقوام والشعوب، على دين كامل متكامل، لا تعود للإنسانية حاجة إلى كتاب أو رسالة بعده.

فهذا هو القرآن الكريم جمع الأول والآخر، الماضي والمستقبل، ولم ينقص فيه شيء، فهو دستور شامل متكامل للإنسانية جمعاء، وكذا رسالة الإسلام، وكذا نبي الرحمة الإنسانية العالمية محمد ﷺ.

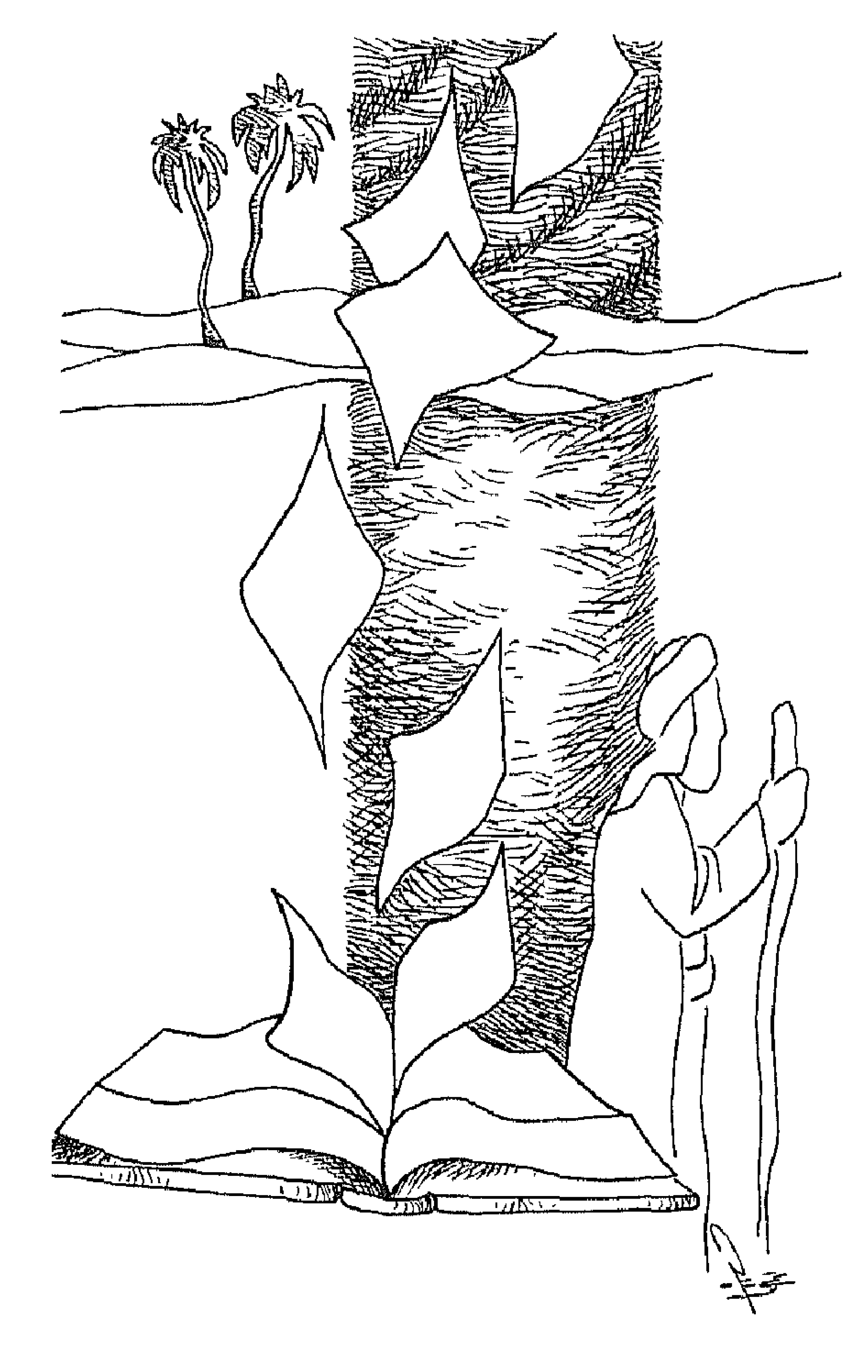
ولهذا، فإن ما يلفت النظر في دعوة الأنبياء ما قبل رسولنا الكريم، أنهم دوماً بشّروا بنبي قادم مع الأزمان، مهمته أوسع من مهماتهم ودعوته أشمل وأعم وأكمل، وأجمع هؤلاء الأنبياء، وخاصة أنبياء بني إسرائيل، على دعوة قومهم باتباع ذلك النبي يقول تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ [سورة آل عمران: الآية 81]

ورسخت هذه الفكرة منذ زمن بعيد جداً في أذهان تلك الأقوام التي بُعث الأنبياء لهم، وظلت القلوب والعيون والعقول تنتظر النبي القادم، الذي يختم به الله النبوات، ويكمل به كافة العقائد التي ارتبطت بالسماء. وأصبحت سمة الانتظار ظاهرة متواصلة، خاصة عند أهل الكتاب من اليهود والنصارى، لأنهم على صلة بما سمعوه من أنبيائهم، وبما دوّن في الكتب السماوية التي أُنزلت على موسى وعيسى وداود وأبناء بني إسرائيل. وعندما نطالع آيات القرآن الكريم، وكذلك بعض نصوص التوراة والانجيل، وبعض ما قاله أنبياء بني إسرائيل، نرى أن هناك حالة عامة من الانتظار، تسيطر على عقول تلك الأقوام، وأصحاب تلك العقائد. ولم تقتصر حالة الانتظار، على زمن دون زمن، بل تعدّت القرون، حتى وجد اليوم من يؤمن بأن المسيح الجديد هو المنتظر وأنه سيأتي إلى الأرض، ويقود معركة ضد الكفار، ويحكم ألف سنة سعيدة ويجلس على عرش داود في القدس، وما إلى ذلك من قضايا تتعلق بهذا الانتظار الذي طال أمده.

❖ رسخت فكرة النبي القادم منذ زمن بعيد جداً في أذهان الأقوام التي بعث الأنبياء لهم، وظلت القلوب والعيون والعقول تنتظر النبي الذي يختم به الله النبوات ويكمل به كافة العقائد التي ارتبطت بالسماء.

وحين نحلل هذه الظاهرة، نخلص بنتيجة مفادها أن بني إسرائيل لم ولن يقتنعوا بما أُتى به الأنبياء جميعاً. وظلوا يتطاولون بأقوالهم وسلوكهم، على الأنبياء الذين بعثهم الله لهدايتهم وإنقاذهم من ضلالهم، ويشككون بهم ويتهمونهم بالنقص. لم يرضهم موسى، ولا داود ولا سليمان ولا عيسى، عليهم السلام. وظلوا يخترعون العراقيل في طريق هؤلاء الأنبياء ظناً منهم أن المخلص الحقيقي لما هم فيه لم يأتِ بعد. وأن هؤلاء الأنبياء عاجزون عن تحقيق خلاصهم الكلّي. فلذلك استمروا في تعجيز الأنبياء. فطلبوا من موسى أن يروا الله جهرة. ومن عيسى أن ينزل عليهم مائدة من السماء، وقد بلغ الأمر أن شككوا بكل أقوال أنبيائهم وأفعالهم، ولن يرضوا عنهم حتى يبينوا صفات النبي المنتظر الذي يقودهم إلى تحقيق غاياتهم، وأهمها: السيطرة على البشر، واستعبادهم. هكذا انتظروا وهكذا ينتظرون، لكن الله سبحانه يريد أمراً غير الذي يريدون، وهو أمر مناقض لأهوائهم وأمنياتهم العنصرية.





النبي المنتظر في كتاب موسى:

جاء في سفر التثنية وهو السفر الخاص من أسفار موسى عليه السلام، حسب ترتيب التوراة العبرانية، كذلك السامرية أن الله قال لموسى عليه السلام:

قل لبني إسرائيل إني أقيم لهم آخر الزمان نبياً مثلك من بني إخوتهم[1]

وكل نبي بُعث بعد موسى، كان من بني إسرائيل، وآخرهم عيسى عليه السلام، فلم يبقَ من بني إخوتهم إلا النبي محمد ﷺ، لأنه ومن ولد إسماعيل. وإسماعيل أخو إسحق وإسحق جد بني إسرائيل.

فكلمة من بني إخواتهم، تعني من بني إسماعيل. ثم إن كلمة آخر الزمان، تعني ختم النبوة وليس آخر حياة البشر على الأرض. فداود وسليمان وإلياس وعيسى عليهم السلام لا تنطبق عليهم عبارة آخر الزمان فهم في سلسلة متلاحقة من النبوة. وكل نبي بشّر بالنبي القادم آخر الزمان أي آخر زمان النبوات.

والواقع ان بني إسرائيل، ومنذ تلك اللحظة، ظلوا يعيشون هاجس النبي القادم، وكلما جاء نبي، حاولوا أن يتبينوا هل هو النبي المنتظر، الذي أشار له كتاب موسى أم هو غيره؟

لقد قالت التوراة عند وفاة النبي موسى وفي آخر سفر من الأسفار الخمسة. (لم يعرف بنو إسرائيل نبياً مثل موسى)[2].

لقد وصفوا النبي داود بالملك، ولم يطلقوا عليه اسم النبي، وأطلقوا على النبي سليمان الحكيم، ولم يطلقوا عليه اسم النبي، وعندها بُعث المسيح عليه السلام كذبوه، ولم يعترفوا بنبوّته، على الرغم من أن بعضهم اعتقد أن عيسى هو المسيح المنتظر، لكنه لما خالف أهواءهم، ووقف منهم ومن مصالحهم موقف المعادي رفضوه وحاربوه ولاحقوه وكادوا يقتلونه لولا أن رفعه الله إليه.

وانقضى عهد موسى، وظلت فكرة الانتظار تشدهم نحو القادم الآخر، الذي سيأتي محققاً حسب ظنهم كل أطماعهم ومصالحهم وسائراً في طريقهم المنحرف.

ومن العلامات التي أشارت لها التوراة، والتي تنطبق على النبي محمد ﷺ قولها: (وجاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران وجاء معه عشرة آلاف قديس ومن يده اليمنى برزت نار شريعة لهم)[3] وفاران هي جبال مكة بإجماع كافة العلماء وخاصة كهنة بني إسرائيل.

وفي تحريفهم لذلك، فقد أوردوا في سفر التكوين، أن إبراهيم أخذ زوجته هاجر وابنه اسماعيل من الخليل، باتجاه الجنوب، وتدعي أنه وضعهما عند بئر السبع

1 ـ التوراة، سفر التثنية 15: 18 ـ 17.
2 ـ التوراة، سفر التثنية 34:10 ـ 11.
3 ـ التوراة، سفر التثنية 33:2.

بالقرب من جبال فاران[4]. ومن المسلمات التاريخية والمجمع عليها، أن مكان سكن إسماعيل وأمه هو في مكة. وقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم بقوله:

﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾ [سورة إبراهيم: الآية 37]

لكن كتبة التوراة، وبسبب مكرهم وخبث نواياهم، أبعدوا عن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام أي علاقة ببناء الكعبة، ظناً منهم أنهم سيحتكرون النبوة ويقصرونها عليهم. وبنفيهم هذه العلاقة فقد حرفوا في تحرير جبال فاران، وادعوا أنها في بئر السبع. فهم لا يريدون أن يظهر نبي آخر الزمان في قوم غيرهم، ليظلوا حسب ظنونهم، أصحاب النبوات والرسالات. وقد حاول بعض منظري الكهنوت المسيحي أن يطبقوا هذه النبوءة على السيد المسيح لكنهم فشلوا بسبب ما فيها من تحديد للأمكنة بعينها وكذلك الأشخاص[5].

وعودة إلى النبوءة التوراتية، فإننا نرى فيها أكثر من إشارة. وقد أشرنا إلى العلامة الأولى وهي جبال فاران. أما الإشارة الثانية فقول النبوءة (وجاء معه عشرة آلاف قديس) فهي إشارة إلى قدوم النبي ﷺ، على رأس جيش المسلمين، المؤلف من عشرة آلاف مسلم حين فتحوا مكة. أما الإشارة الثالثة، فهي قول النبوءة: ومن يده اليمنى برزت نار شريعة لهم. وهي تقصد رسالة القرآن والإسلام وتحطيم الأصنام وعقائد الوثنية في مكة وخاصة في البيت الحرام.

وقد أكدت هذه النبوءة التوراتية، نبوءة أخرى جاءت على لسان أحد أنبياء التوراة، وهو النبي حبقوق، حيث يقول: القدوس من جبل فاران. جلاله غطى السماء والأرض امتلأت بحمده وتسبيحه[6].

ظل اليهود ينتظرون حتى بعث الله المسيح فظن بعضهم أنه النبي المنتظر، لكن المسيح عليه السلام أشار صراحة إلى أنه ليس النبي المنتظر، إنما ذاك النبي له سمات وصفات مختلفة جاء في الإنجيل قول للسيد المسيح ما نصّه عن النبي المنتظر (سوف لا يتحدث عن نفسه لكنه يعيد على الناس ما سمعه)[7] وهذه النبوءة تتطابق في معناها مع قوله تعالى عن النبي محمد ﷺ:

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ * إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ [سورة النجم: الآيات 3 ـ 4]

لقد أدرك أهل الكتاب أن النبي المنتظر هو محمد ﷺ عندما بعثه الله. خاصة اليهود الذين سكنوا مع الأوس والخزرج في المدينة. وقد عرفوا صفاته من خلال كتبهم: التوراة والإنجيل والزبور، وأدركوا أن الذي قاله النبي موسى، بشأن النبي المنتظر، وكذلك عيسى وبقية الأنبياء هو حق ولا سبيل لنكرانه.

❖ كتبة التوراة لا يريدون أن يظهر نبي آخر الزمان في قوم غيرهم، ليظلوا أصحاب النبوات والرسالات.

ماذا يقول القرآن الكريم بشأن النبي المنتظر؟

لا شك أن البحث فيما قاله القرآن الكريم بشأن هذا الموضوع مرتبط كلياً بأهل الكتاب وخاصة اليهود.

ففي سياق الآيات التي تتحدث عن بني إسرائيل في سورة الأعراف يأتي قوله تعالى:

﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ

---

4 ـ سفر التكوين، 21:21.
5 ـ يقول البروفيسور عبد الأحد داود: إن المسيح لم يدّعي أبداً أنه النبي المشار إليه. من كتاب محمد في الكتاب المقدس، ط1، قطر 1985.
6 ـ التوراة، إشعيا 42:11 ـ 12.
7 ـ الإنجيل ـ الأصحاح 60 الجملة 7.

وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ۝ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة الأعراف: الآيات: 155 ـ 157]

فمن خلال سياق الآيات السابقة ندرك أن الزمن المرتبط بها، هو زمن سيدنا موسى عليه السلام. فالآية الأولى تحدد حادثة مرتبطة بموسى، واختياره سبعين رجلاً من قومه، ثم بعد حديث موسى ورجائه ربه أن يغفر لقومه ما ارتكبوه من إثم يقول تعالى:

﴿قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [سورة الأعراف: الآية 156]

ثم يقول:

﴿يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾

[سورة الأعراف: الآيات 156 ـ 157]

وهذا الخطاب أيضاً يحدد من هم الذي يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون فهم الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل.

فمن تلك اللحظة، يعرف النبي موسى عليه السلام، ويعرف قومه أن الله سيبعث النبي الأمي، وقد سطرت صفاته وميقات بعثته في التوراة، حتى لا يكون لهؤلاء حجة على الله ويدّعون أن الله لم ينفذ وعده.

فمقياس كتابة الله الرحمة لهؤلاء المتقين، الآتين الزكاة والمؤمنين بآياته، هو اتباع النبي الأمي الذي أشار الوحي بصفاته وزمنه في كتاب موسى عليه السلام أولاً ثم في إنجيل عيسى عليه السلام ثانياً.

فمن تلك اللحظة، كان يدرك النبي موسى عليه السلام، أن رسالته مقتصرة على قومه من بني إسرائيل، وكذلك كان قومه يدركون ذلك ويدرك أيضاً أن النبي والذي أوصافه مبثوثة في التوراة والإنجيل، هو نبي الرسالة الخاتمة. وعلى أهل الكتاب أن يتبعوه ولا يحرفوا في كلام الله الخاص بشأنه، كما هو شأنهم في تحريف بقية القضايا التي جاء بها كتاب موسى عليه السلام وكذلك التوراة.

ولننظر إلى هذه الصفات التي منحها الله لرسوله القادم.

إن هذا النبي هو نبي رسول أُمّي أي ليس كتابياً إنه من أمة أخرى وليس من بني إسرائيل وقد درج مصطلح أُمّي عند بني إسرائيل ويعنون به من كان ليس من اليهود[8]. وقد أراد الله سبحانه من إيراد كلمة أُمّي كصفة من صفات النبي القادم. دحض زعم اليهود أنهم أرقى صنفاً من الأميين وليبيّن أن أكمل الرسالات وأعظمها شأناً هي رسالة هذا النبي المنتظر الأمي. فإذا اتبعوه عندما يبعثه الله سبحانه فإنهم يفوزون برحمته وإن لم يتبعوه فقد خسروا خسراناً مبيناً. ولننظر كم عدّد القرآن الكريم صفات هذا النبي.

فقال عز وجل:

﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾

[سورة الأعراف: الآية 157]

8 ـ كل من هو غير يهودي يطلقون عليه أُمّي أو غوييم أي غريب عن اليهود وورد ذلك في أكثر أسفارهم.

وهاتان من صفات جميع الأنبياء.

﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾

[سورة الأعراف: الآية 157]

ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم وهذه صفات لم تكن في أنبياء بني إسرائيل. لأن بني إسرائيل تشددوا، حتى قيّدوا أنفسهم بشرائع قاسية وصعبة، وجاء النبي محمد ليخفف عنهم هذه القيود والأغلال، إضافة لتحريمه عليهم الخبائث كأكل الميتة والدم، ويحل لهم الطيبات لأنه فيما روي عنهم أنهم حرّموا على أنفسهم بعض أنواع اللحم، وبعض لحوم بعض الحيوانات كالجمل والأرنب، بحجة أن شفة كل منهما مشقوقة[9]. وهناك العشرات من القيود التي قيّدوا بها أنفسهم فجاء رسول الله ﷺ ليفكها، لأنها لا تقترب من الحرام بل هي محللة من الله سبحانه وتعالى.

ثم أردف سبحانه قوله:

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾

[سورة الأعراف: الآية 157]

والآية واضحة المعاني والمقاصد، لا تحتاج لتفسير. إنما نوضح مسألة هنا وهي أنهم آمنوا به ونصروه واتبعوا ما جاء في القرآن الكريم من تعاليم واضحة.

ويؤكد القرآن الكريم أن أهل الكتاب يعرفون النبي الأمي وصفاته فيقول:

﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ﴾ [سورة البقرة: الآية 144]

ويؤكد ذلك مرة أخرى بقوله:

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾

[سورة البقرة: الآية 146]

فالنبي المنتظر منذ موسى عليه السلام، ومروراً بجميع الأنبياء حتى عيسى عليه السلام معروف لدى أهل الكتاب، ويعرفون صفاته مثلما يعرفون أولادهم لكن بعضهم يصر على كتمان الحق وهو يعلم.

وحتى يقطع الله سبحانه دابر كل شك حتى لأتباع عيسى عليه السلام فقد بشر بالنبي القادم المخلص.

يقول تعالى:

﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾

[سورة الصف: الآية 6]

وقد جاء في الإنجيل قول السيد المسيح عليه السلام (وجاء مشتهى الأمم)[10] إشارة إلى انتظار البشرية للنبي الذي تشتهيه الأرواح والنفوس والعقول وهو محمد ﷺ ومع أننا استثنينا إنجيل برنابا فإن الشواهد المبشرة بالنبي محمد ﷺ كافية ووافية لتدلل على قدومه. ولا بد من الإشارة هنا إلى أن التبشير بمقدم سيدنا محمد ﷺ في إنجيل برنابا جاء واضحاً جلياً حيث صرح باسمه تماماً مثلما صرح به القرآن الكريم. وفي كثير من مواقع الإنجيل - أي إنجيل برنابا - يتحدث السيد المسيح عليه السلام عن رسول الله ﷺ وعن صفاته وزمنه وأمته[11].

وما نستنتجه يشير إلى أن النبي المنتظر حسب التوراة والإنجيل، هو النبي محمد ﷺ، وقد أكدت ذلك نصوص التوراة والإنجيل. لكن أهل الكتاب حاولوا إبعاد الحقيقة، فحرّفوا الكلمات والمعاني وحرّفوا مقاصد ما قاله الأنبياء لينفوا تلك الصفات المتعلّقة

9 - وردت المحرمات على بني إسرائيل في سفر التثنية الأصحاح الخامس.

10 - الإنجيل 2-7.

11 - ورد التبشير الصريح في إنجيل برنابا برسول الله محمد ﷺ في عشرات الصفحات ومنها في الصفحة 84 حيث يقول: ثم يحيي الله بعد ذلك سائر الأصفياء الذين يصرخون أذكرنا يا محمد، فتتحرك الرحمة في رسول الله.

بالنبي المنتظر، عن سيّدنا محمد ﷺ، لكن الله سبحانه يبيّن ذلك من خلال آيات القرآن الكريم ودحض افتراءاتهم وتحريفاتهم وإخفائهم الحقائق.

لقد كرّر القرآن الكريم تأكيده بأن أهل الكتاب كانوا يعرفون صفات النبي حق المعرفة كما يعرفون أبناءهم. فمن من الآباء لا يعرف أولاده؟ إن الابن هو الأشد التصاقاً بوالديه وهما اللذان يعرفانه منذ أن حملت به أمه ووضعته. ويعرفانه يوماً بعد يوم ويعرفان كل ما فيه من صفات جسدية ومعنوية. فأهل الكتاب يعرفون صفات النبي المنتظر محمد ﷺ تماماً كما يعرفون أبناءهم، وفي هذا أدق الأوصاف للمعرفة الحقة. وهذا يعني أن كتاب موسى عليه السلام والتوراة والإنجيل وما قاله الأنبياء لم يترك أمراً من صفات النبي المنتظر إلا وذكر كي لا يكون لهم حجة أو مهرب من الاعتراف به واتباعه كما أمرهم الله.

يقول تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمُۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ * وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [سورة الأنعام: الآية 20 ـ 21]

فنتيجة نكرانهم للحق والحقيقة فقد خسروا أنفسهم وهم أظلم الناس لأنهم افتروا على الله كذباً وكذّبوا بآياته ولن يفلحوا أبداً طالما أنكروا ما جاءت به كتبهم من أحاديث كثيرة وطويلة في صفة النبي المنتظر محمد ﷺ.

ولننظر إلى قوله تعالى:

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ * كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ * تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ * وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ * لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ [سورة المائدة: الآيات 78 ـ 82]

ونلاحظ هنا أن أهل الكتاب كانوا يتولون الذين كفروا في معاداة النبي محمد ﷺ، ولو كانوا يؤمنون بالله ويؤمنون بهذا النبي الخاتم ما تولوا الذين كفروا لكنهم ملعونون، لعنهم داود وعيسى عليهما السلام لأنهم كانوا يعتدون ويعصون الله، وينكرون نبوة خاتم الأنبياء محمد ﷺ وكانوا قد أمروا أن يؤمنوا به وينصروه.

ثم يأتي معنى قوله تعالى:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ﴾ [سورة المائدة: الآية 82]

وهذا الجمع بين الطرفين يوضح كم كان اليهود معادين للنبي ﷺ، ولأمة الإسلام مثلهم مثل أهل الشرك من عبدة الأصنام والأوثان.

وقد وصفهم القرآن الكريم ووصف أساليب تحريفهم ومكرهم وحقدهم فقال:

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ وَعُلِّمۡتُم

﴿مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [سورة الأنعام: الآية 91]

فهم لم يعترفوا بما أنزل على قلب رسول الله ﷺ، وقالوا:

﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ [سورة الإنعام: الآية91]

وهذا يعني أنهم لا يؤمنون بما أنزل على الأنبياء حتى موسى عليه السلام، ويرد عليهم سبحانه وتعالى: من الذي أنزل كتاب موسى؟ وها هو بين أيديكم تقسّمونه وتجعلونه قراطيس مجزّأة، تظهرون منها ما يناسبكم، وتخفون منها ما لا يناسبكم.

لقد علموا ما لم يكونوا عالمين به ولا آباؤهم. فإذا كنتم تنكرون قدرة الله سبحانه وتنكرون ما أنزل على الأنبياء إذاً فمن أنزل الكتاب على موسى؟ فإن قلتم لا أحد فمعنى ذلك أن هذا الكتاب الذي تجعلونه قراطيس هو باطل ليس من الله. لكن الله الذي أنزله وأنزل القرآن إن كنتم آمنتم به أو لم تؤمنوا فذرهم يا محمد في خوضهم يلعبون.

وأخيراً يقول الله سبحانه مخاطباً أهل الكتاب:

﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [سورة المائدة: الآية 15]

وأخيراً، بعث الله سبحانه نبيه الذي انتظروه طويلاً، ثم رفضوه، ورفضوا ما انزل عليه، لكن الله سبحانه أخزاهم وفضحهم أبشع خزي، وأقسى فضيحة. فها هو رسول الله يبين لهم كثيراً مما أخفوه من كتاب موسى والتوراة والإنجيل. وهذه قصمت نفوسهم لأن هذا النبي الذي ختم به الله الأنبياء والمرسلين أوحى له ربّه ما كان يخفي أهل الكتاب فبيّن لهم ذلك الذي أخفوه فأسقط في أيديهم، فهل بعد من علامات لنبوة هذا النبي المنتظر الخاتم؟

ماذا يعني مجيء النبي الأمّي المنتظر؟

عبر آلاف السنين عاش أهل الكتاب وهم ينتظرون النبي المخلص العالمي الإنساني الذي يلغي حالة الانتظار. وعندما بعثه الله سبحانه أدرك أهل الكتاب أنه هو النبي المنتظر المبشّر به في التوراة والإنجيل، وذلك من خلال مقارنتهم بينه وبين ما بشّر به الأنبياء. وعندما تيقّن أهل الكتاب من ذلك آمن بعضهم لما عرفوا من صفاته المكتوبة في كتبهم، وكان على رأسهم عبد الله بن سلام[12]، الذي قال لليهود مواجهة إنكم تعرفون أنه النبي المشار إليه في كتبكم. لكن الأكثرية من اليهود رفضوا الاعتراف بنبوته حسداً وحقداً وجحدوا به فكان مصيرهم الخزي والخسران والترحيل وقد أشار لذلك قوله تعالى:

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾

[سورة فاطر: الآية 32]

لقد أتاهم الله الكتاب ـ كتاب موسى ـ ومنحهم الحكمة والنبوة ولكنهم كفروا بها جميعاً، فلذلك استبدلهم الله بقوم ليسوا بها كافرين. وهؤلاء القوم هم المسلمون الذين اتبعوا الرسول محمد ﷺ واتبعوا كتاب الله والنبوة.

ومع ذلك كله فإننا نسأل ماذا يعني مجيء النبي المنتظر؟

نعتقد إن ما قام به عبد الله بن سلام والذين آمنوا من أهل الكتاب[13] وهو إيمانهم بنبوة محمد ﷺ

12ـ عبد الله بن سلام، من أوائل الأحبار اليهود الذين اسلموا وحسن إسلامهم، انظر سيرة ابن هشام.

13ـ من أشهر من سبق إلى الإسلام من اليهود كعب الأحبار ونهب بن حتبه إضافة لعبد الله بن سلام، السيرة.

ودخولهم في دين الله الذي ختمه هذا النبي الأمي الإنساني العالمي.

يعني أن حالة الانتظار الطويلة لخاتم الأنبياء والمرسلين الذي بعث رحمة للعالمين قد انتهت وإلى أن يرث الله الأرض وما عليها. فلا حاجة بعد للانتظار. لأن النبي محمدا ﷺ، قد ختم النبوة وختم الرسالات.

وقد أوضح القرآن الكريم أن مهمة الدعوة وحمل مسؤوليتها لم تعد تقع على عاتق نبي بل هي تكليف للمؤمنين جميعاً. وهؤلاء المؤمنون وصفهم الله سبحانه بقوله:

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾
[سورة فاطر: الآية 32]

فكتاب الله وما فيه من أوامر ونواه هو كتاب الله الكامل المتكامل. وقد أورثه الله سبحانه للذين اصطفاهم من عباده والمقصود بهم أمة الإسلام التي ختم الله برسالتها كل الرسالات السابقة. إن التكليف الإلهي تكليف جمعي وليس فردياً فالأمة كلها مكلفة لا يقتصر التكليف على أحد دون آخر.

يقول تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ﴾
[سورة البقرة: الآية 143]

ويقول تعالى:

﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ﴾
[سورة الحج: 78]

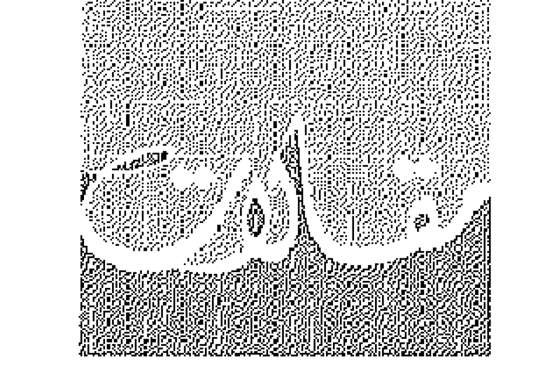
إذاً لا نبي بعد محمد ﷺ ولا أمة غير أمة الإيمان والإسلام يختتم بهما الله سبحانه الأنبياء والرسالات. محمد ﷺ ينتقل إلى الرفيق الأعلى ويترك شيئين ما إن تمسكت بهما الأمة لن تضل أبداً كتاب الله وسنّة المصطفى عليه السلام. أمة ليست بحاجة إلى نبي جديد ينتظرونه ليخلصهم ويهديهم سواء السبيل الخلاص وسواء السبيل ونور الطريق كلها موجودة في القرآن الكريم وسنّة نبي الله ﷺ.

ولو لم ينحرف أهل الكتاب وخاصة اليهود عن تعاليم الأنبياء، ولو لم يخفوا الحقيقة لم تنطحوا ورسخوا إلى حين المفهوم الخرافي بعودة المسيح الذي يسير على هواهم ويحقق أطماعهم بالسيطرة على بني البشر واستعبادهم. فلنتصور خرافتهم العنصرية التي تقول بعودة المسيح الذي يأتي ليجلس على كرسي داود ويحكم ألف سنة سعيدة.

❖ إن حالة الانتظار الطويلة لخاتم الأنبياء والمرسلين قد انتهت.. فلا حاجة بعد للانتظار لأن النبي محمداً ﷺ قد ختم النبوة وختم الرسالات

لقد بثت التوراة وكذلك الإنجيل عشرات النبوءات والإشارات التي تؤكد أن النبي المنتظر هو محمد ﷺ وغيرهم.

إن فكرة انتظار المخلص أصبحت في خبر كان إن صح التعبير فليس لها وجود إلا في العقول الخبيثة وغير المتوازنة العقول التي ترى الحقيقة وتخفيها. ولعل أسوأ النفوس تلك التي تختفي في أجساد من كفروا من أهل الكتاب. فهم يعادون النبي الأمّي العالمي. يعادون من يتبعونه حسداً وغيرة لأنهم كانوا يريدون أن يبعث الله نبي آخر الزمان على هواهم.



حوار الأديان في ظل العولمة

د. عودة سليمان الصويص*

منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية، والعالم من حيث الفكر والحرية والديمقراطية يمر بمراحل عدة، أملتها ظروف ما بعد الحرب وتطورات تداعياتها، وقد ساعدت حالة الثنائية القطبية بين الشرق والغرب على أن تكرس فوارق النظرة واختلال المعادلة من منطوق الحرية والديمقراطية في مقابل المركزية والديكتاتورية رغم أن الواقع العملي الذي أعقب الحرب العالمية الثانية ترجم بشكل واضح مقولة: «أن لا حرية بمعنى الرأسمالية ولا تدخلية بمعنى الاشتراكية» بل كلا القطبين قد ابتعد عن الافراط أو التفريط، ولقد استطاع هذا الواقع الذي رمى بظلاله على كل مجريات الساحة الدولية أن يطبع المشهد العالمي بطابع الحرب الباردة بفعل تضادية المصالح وصراعات السباق الاستراتيجي المحموم نحو قمة القوة وقوة السطوة والتحكم، حتى أن هذا المشهد افرز ظاهرة المركز والمدار التي لفّت بشكل أو بآخر العلاقة الدولية، كما استطاعت فترة التحرر من الاستعمار التي اجتاحت الدول النامية من أن تعمق من هذا الاستقطاب وان تقحم بالتالي الدول النامية في معادلة التضادية وتوازنات الرعب، والواقع أن منطقة الشرق الأوسط كانت مسرحاً لهذه المعادلة بل أن هذه المنطقة وقعت تحت ظروف وإرهاصات إضافية متعددة، يمكن إجمالها بما يلي:

أ - إن منطقة الشرق الأوسط تعتبر نقطة ارتكاز هامة للدول الصناعية بفعل امتلاكها لأكثر من نصف احتياطي النفط في العالم.

ب - إن منطقة الشرق الأوسط من أكثر مناطق العالم تعرّضاً لموروث الفكر والتعامل مع الغرب بحكم تقاسمها حوض المتوسط وبحكم حالة التماس التاريخي مع حضارات هذه المنطقة.

ج - إن محور فكر الشرق العربي قد أنشد بعد الحرب العالمية الثانية إلى فكر القومية والاشتراكية بينما غرس الغرب إزاء ذلك فكر الأصولية الدينية باعتبارها من دوافع تحصين الشرق العربي من الشيوعية ولتكون بالتالي خط الدفاع الأول عن الغرب الرأسمالي.

د - إن تراكمات التاريخ في ممارساته السلبية خلق حالة من الاحتقانات في المنطقة الشرق أوسطية تجاه حضارة الغرب مثلما أظهر أن مضامين هذه الحضارة ليست على وفاق مع حضارات المنطقة.

هـ - إن تمازج الفكر بين الشرق والغرب استطاع أن يسجل علامات إيجابية تناسبت طردياً مع ابتعاد هذا الفكر عن منطق الدين وثوابته، ذلك أن العلاقات بين الشرق والغرب انعكست في علاقات بين المسيحيين والمسلمين وأن هذه العلاقة عبر

---

* أستاذ جامعي/ الأردن

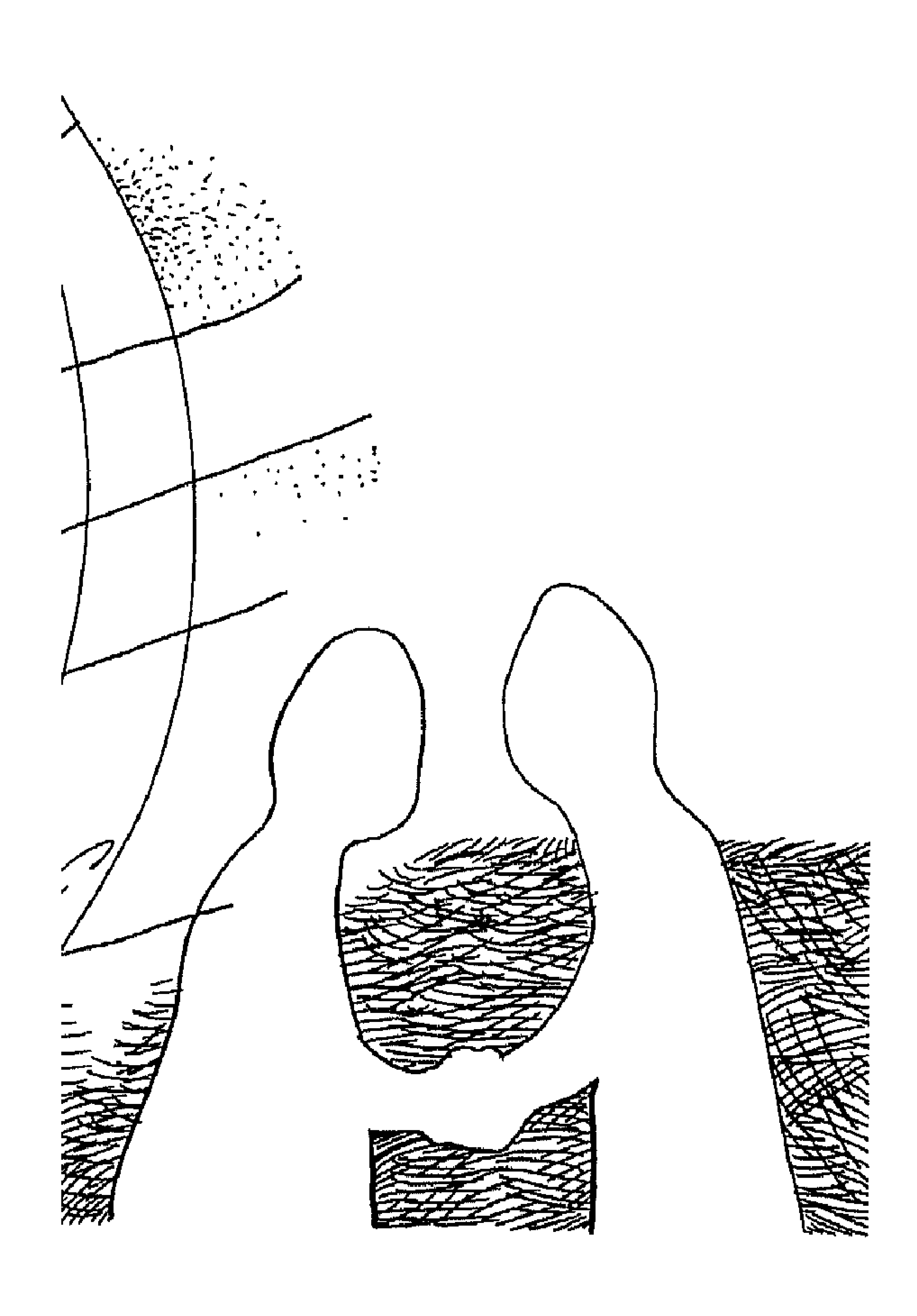
التاريخ اتّسمت تارة بالنزاع والتقاتل وطوراً بالتفاعل والتعاون الحضاري الخلاق.

و ـ إن فترة الاستعمار الحديث أعادت إلى منطقة الشرق الأوسط وتيرة عالية من استحقاقات مخزون التضادية العقائدية والممارساتية بين الشرق والغرب وبين الإسلام والمسيحية، واستطاعت أن تقزم كثيراً من أي مخزون إيجابي في هذا الصدد.

ز ـ إن ظهور الثنائية القطبية العالمية والميل الجامح للتخلص من سطوة الاستعمار الحديث أظهر الفكر والممارسة الغربية في مظهر العداء باعتباره يقف خلف السيطرة على مقدرات الشعوب ومنعها من التحرر.

ومن هنا فلم تكُ هذه الظروف والإرهاصات التي أعقبت الحرب العالمية الثانية لتقوى على تحسين شروط المعادلة التي تحكم علاقة منطقة الشرق الأوسط بالغرب أو علاقة المسيحية بالإسلام، بل إن النظرة الغربية إلى هذه المنطقة اتسمت بخصوصية جعلت منها في نظر القطب الغربي خط الدفاع الأول ضد الزحف الشيوعي، الأمر الذي أذكى دعم الغرب لقوى التطرف والأصولية وأجّج مكامن النزعة المتعصبة، وقد ضاعف من شغف الغرب وشهوته في هذا الاتجاه ما تزخر به المنطقة من ثروات واعتبارها نقطة إمداد هائلة للطاقة وسوقاً استهلاكية واسعة تتمتع بقوة شرائية ضخمة قادرة على كسر حدة الركود في الاقتصاد الغربي وضمان استمرار دوران عجلة الإنتاج فيه.

والواقع أن هذه الأجواء التي سادت هذه العلاقة ما كان يمكن أن تسفر عن خلق أرضية حقيقية أو بنية تحتية مناسبة للمراكمة عليها من أجل فتح كل قنوات الحوار خاصة الديني منها والتوجه بالتالي نحو حوار الحضارات وتلاقح الثقافات من أوسع أبوابه، بل إن طبيعة هذه العلاقة غير المتوازنة والمقرونة بكل



هواجس الخوف من زحف الشيوعية وبكل توجهات تعظيم المنافع والاستغلال الأكبر للموارد، أدى إلى تعزيز العديد من التيارات الدينية التي اعتبرت حاضنة هامة استطاعت أن تشكل، إضافة إلى المنطلقات الأصولية الدينية وحالات من التطرف والتعصب، حالة من الاختلال بمعادلة التعايش والشراكة داخل المنطقة ذاتها كما أخلت وعمّقت من اختلال معادلة العلاقة مع الغرب والمسيحية أيضاً.

وإذا كان المشهد العام للعلاقة بين الشرق الأوسط والغرب وبالتالي لعلاقة الحوار تحكمه هذه الثوابت والمعطيات، فإن تفكك الاتحاد السوفييتي وانهيار سور برلين فرض معطيات جديدة وأوجد من

المستجدات ما غيّر من كل ثوابت الحرب الباردة واستطاع المشهد الجديد للعلاقة أن يبلور معادلة جديدة، يمكن إجمال تداعياتها بما يلي:

أ ـ توقف الحرب الباردة على الساحة الدولية بشكلها الذي عملت به طيلة أربعة عقود ونيّف من الزمن، وكان هذا التوقف بمثابة إعلان عالمي بانتهاء عهد الازدواجية القطبية ليدخل العالم في حقبة جديدة تحت عنوان: «الاحادية القطبية» وضمن حرب باردة أو ساخنة من نوع مختلف ووفق ظروف ومستجدات غير مسبوقة.

ب ـ الظهور العلني لتقاسيم وملامح ما سمي بالنظام الاقتصادي الدولي الجديد وبالتالي انهيار منظومة النموذج الاشتراكي أو التدخلي في التنمية واستبداله بنموذج الحرية الاقتصادية أو المبادرة الفردية.

ج ـ عدم انسجام حالة سيطرة القطاع العام ومركزية التخطيط مع توجهات العولمة التي بدأت تتكوّن بشكل آليات عمل وطروحات منهجية على الساحة الدولية ضمن سياق رسملة العالم.

د ـ ظهور ايدولوجية اقتصادية عالمية بنفس الوقت الذي يتوجه فيه العالم نحو تأكيد سقوط الايدولوجيات الشاملة والتأكيد على مبدأ النسبية الفكرية في مواجهة الاطلاقية وإبراز دور القوميات الفرعية في مواجهة الأمم المندمجة.

هـ ـ إفساح المجال لمزيد من الديمقراطية ولغة الحوار وإبداء الرأي واحترام الرأي الآخر، فإعادة صياغة النظام السياسي على أساس معادلة الديمقراطية ضمانة للأحادية القطبية في تعزيز دور القطاع الخاص والمبادرة الفردية وحرية حركة السلع والخدمات ورأس المال، ففي هذه الحرية وفي ضرورة تجذير الديمقراطية الاقتصادية يكمن المدخل الأساسي للديمقراطية السياسية.

و ـ إن إحياء ذراع التجارة الدولية باعتباره الضلع غير المنجز نم مثلث القرار الاقتصادي الذي اتخذ على خلفية اتفاقية بريتون وودز في عقد الأربعينيات من القرن الماضي انعكس في إحياء الاتفاقية العامة للتعرفة والتجارة الدولية وتطورها بفعل جولة اورغواي إلى منظمة التجارة العالمية لتكتمل بذلك أضلاع مثلث البنك الدولي وصندوق النقد الدولي ومنظمة التجارة العالمية، وليكون هذا المثلث الآلية التي تشكل المدخل الأساسي لصناعة القرار الاقتصادي العالمي وبيئة حاضنة مناسبة لتعزيز تيارات العولمة وانحسار مساحة القطاع العام لحساب اتساع رقعة القطاع الخاص على الساحة الوطنية وبالتالي إلغاء الحدود السياسية لصالح الحدود الاقتصادية وتجاوز القوميات بدعوى المصالح الإنسانية.

❖ انشدّ فكر الشرق العربي بعد الحرب العالمية الثانية الى فكر القومية والاشتراكية بينما غرس الغرب ازاء ذلك فكر الأصولية الدينية باعتبارها من دوافع تحصين الشرق العربي من الشيوعية لتكون خط الدفاع الأول عن الغرب الرأسمالي.

هذا المشهد من العلاقات الدولية عموماً بين الدول الصناعية والنامية ومن علاقات الشرق الأوسط بالغرب على وجه التحديد ألقت بظلالها على شكل احتقانات في الشخصية الشرقية (العربية) رفعت من وتيرتها خصوصيات المنطقة في تعاملاتها مع الغرب سواءً كان ذلك جرّاء حروب التحرير أو التصدي للاستغلال والتبعية أو القمع الذي أبدته ممارسات الغرب على هذه الشخصية أو حالة الازدواجية التي تجاهر بها في سياساتها أو في قيم التعامل معها، الأمر الذي شكل بفعل هذه الاحتقانات نموذجاً من شخصية شرق أوسطية ترى في الغرب حالة حراك باتجاه النقيض منها، وبالتالي لا ترى في

التقارب معه وعلى خلفية ما يفرض من معادلة غير متكافئة إلا أن يكون فيها هو المستفيد الأول بفعل عوامل القوة والسطوة والتحكم، هذه الشخصية الشرق أوسطية (العربية) تعرضت بفعل هذه الاحتقانات المتراكمة إلى قوة طاردة وأخرى جاذبة، وفي الوقت الذي توحدت فيه القوى الطاردة لتكون تقاطعاتها عند نقطة التضادية مع الغرب، فإن القوى الجاذبة تشتت بفعل تعدد طيف هذه القوى إلى أن تمحورت في تيارها العريض بين قوى قومية وقوى دينية استطاع المزاج الديني العام لهذه الشخصية وبفعل إحباطات المد القومي أيضاً أن يغلب القوى الدينية الجاذبة لهذه الشخصية.

هذه المعادلة الجديدة بهذه التقاسيم فرضت ذاتها على الساحة الدولية وبدرجات متفاوتة ورفعت شعار العولمة والتدويل والانفتاح، ساعدها في ذلك التسارع الهائل في ثورة التكنولوجيا والمعلومات، حتى أن شعار القرية الكونية بات أقرب إلى الواقع منه إلى الخيال. ومضى إلى جانب كل ذلك وبفعل تراكمات الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للدول النامية على وجه التحديد بروز ظاهرة هي في غاية الأهمية وتتمثل في ضرورة أن يكون القرار السياسي تابعاً للقرار الاقتصادي وليس العكس، وقد رسخ مثلث البنك الدولي وصندوق النقد الدولي ومنظمة التجارة العالمية، هذا الأمر دون أن يكون قد تمّ تأدية استحقاقات الدول النامية من قبل الدول الصناعية، الأمر الذي انعكس سلباً على البنى الاجتماعية والاقتصادية للدولة النامية وأضعف مضمون التوجه الديمقراطي بفعل عوامل تركز الثروة وسوء توزيع الدخل واتساع جيوب الفقر الأمر الذي عكس حالة من عدم استجابة النظام السياسي العالمي في إرساء قواعد الحوار إلى السقف الذي أتاحته له الديمقراطية الاقتصادية، فتراجعت بفعل ذلك القواسم الإيجابية التي يفترض أن تشكل حاضنة مهمة لمراكمة أي حوار أو تلاقح ثقافات أو تناغم حضارات، وظهرت حالة من الحوار تبنتها منتديات ترسيخ النهج القائم، كل ذلك تم في غياب معادلة حقيقية للتعاون الدولي تضع الثوابت الصحيحة لتعاون الإنسان مع أخيه الإنسان وفهمه وقبوله له، ومن هنا فقد انتقل المشهد العالمي للحضارة المعاصرة من حضارة الشرعية الدولية إلى حضارة الأحادية القطبية، ومن حضارة الحياة إلى حضارة الموت، ومن حضارة القيم إلى حضارة المادة، ومن حضارة التعاون والمحبة إلى حضارة توازن الرعب.

❖ إن تفكك الاتحاد السوفياتي وانهيار سور برلين فرض معطيات جديدة وأوجد من المستجدات ما غيّر من كل ثوابت الحرب الباردة، واستطاع المشهد الجديد للعلاقة أن يبلور معادلة جديدة.

والواقع أن هذه العلاقة بين الشرق والغرب أو بين الدول الصناعية والنامية والتي أملاها المشهد الواقعي قد واجهت ظروفاً ومستجدات غير مسبوقة، فأحداث الحادي عشر من أيلول شكلت فاصلاً مهماً بين حقبتين من الزمن، فقبل هذا التاريخ كانت السمة الغالبة للطرح الاقتصادي والاجتماعي والسياسي يستند إلى ثوابت العولمة والتدويل والانفتاح إلا انه بعد أيلول أصبحت السمة الغالبة لهذا الطرح تستند إلى الأمركة أكثر منها إلى العولمة، كما تعرض هذا الطرح إلى تطور في مساراته يمكن إجمالها بما يلي:

أ ـ أن الاحادية القطبية تعمّقت بفعل ضرورات التصدي للإرهاب وبفعل التفاف العالم حول دعم هذا التصدي واجتثاث الإرهاب من جذوره.

ب ـ إن القرار السياسي عاد ليقود القرار الاقتصادي والاجتماعي بفعل إعادة ترتيب الأجندة الدولية

وسلم أولوياتها بما يكفل ملاحقة الإرهاب والتصدّي له.

ج - إن حالة التحول من العولمة إلى الأمركة بحجة أن إعاقة الأمركة والتصدي لها يصب في النهاية في إعاقة التصدي للإرهاب قد فرض واقعاً جديداً في العلاقات الدولية وأعطى ما يسمى بسياسة انتقاء الضربة التالية من قبل أمريكا قوة القرار الدولي.

والواقع أن هذا التطور في الطرح على الساحة العالمية تزامنت معه حالة من التطور السلبي في العلاقة الفكرية بين الشرق العربي (المسلم) وبين الغرب الأوروبي الأمريكي (المسيحي)، وقد تركز هذا التطور السلبي في الربط الغربي بين الإسلام والإرهاب وما أعقب ذلك من ردّات فعل وكذلك ما شاب هذا الربط من افتقار للحجة والمنطق، وهنا لا بد من إبراز النقطتين التاليتين:

أ - في الوقت الذي ارتكب فيه الغرب خطأ الربط بين الإسلام والإرهاب كذلك فإن الشرق قد ارتكب بالمقابل خطأ الربط بين الغرب والمسيحية.

ب - كان لا بد من التمييز بين «الصليبية» كحالة تاريخية شاذة استخدمت فيها الديانة المسيحية لأهداف توسعية وبين «المسيحية الحقيقية» المتسمة بالانفتاح والسلام والمحبة، كذلك الحال كان لا بد من التمييز بين التطرف والتعصب كحالة تاريخية شاذة استخدمت فيها الديانة الإسلامية لأهداف سياسية وبين الإسلام الحقيقي الذي لا يفرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى.

وعليه، فلا بد من القول أن الحوار الإسلامي المسيحي هو في موقع القلب من الحالة الحوارية الدولية العامة، وان هذا الحوار يعتبر المدخل الرئيس والمقدمة الأساس لإعادة ترتيب الفعل الحضاري للديانة المسيحية والديانة الإسلامية في الدور الإنساني المعاصر بما يتلاءم وضرورة أن يشكل هذا الحوار أيضاً حالة من التعاضد في منظومة القيم الواجب ان تمكث في الأرض في مواجهة الآثار السلبية للانفتاح والعولمة، ومن هنا لا بد من القول بضرورة إعادة ترتيب أسس الحوار ومنطلقاته وفق أجندة حاضرية تتعامل مع منطق الحوار بحكم ما يرمي إليه هذا الحوار من أهداف تتصل بالضرورة بكل الطيف الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي، وبما يؤثر إيجاباً في إعادة صقل الشخصية وفق هذه الأهداف، لا بل أن الحوار الإسلامي المسيحي هو النواة وهو المفصل المهم في إيجاد مرحلة التحول الحقيقي في العلاقات الدولية بما ينسجم وثوابت الحضارة الإنسانية وكل منظومة القيم والمثل والأخلاق، وضمن هذا السياق فإنه من الضروري في هذا النظام بيان الإطار الحاضن لهذا الحوار والذي لا بد له من أن يدور من بعيد أو قريب على محيط دائرته وبما يكفل الانسجام مع الظروف والمستجدات، ويمكن إجمال المستجدات الأساسية لأفق الحوار والإطار الحاضن له بما يلي:

1 - الاعتراف بواقع الاختلاف الديني وبالحق في الاختلاف.

2 - البحث عن الجوامع والقواسم المشتركة ونقاط التلاقي في العقيدة والأخلاق بين المسيحية والإسلام.

3 - إن العالم يمر بثلاث ثورات متزامنة في الوقت الراهن، الأولى، ثورة سياسية تتمثل في الانتقال من الشمولية والسلطوية إلى الديموقراطية والتعددية واحترام حقوق الإنسان، والثانية، ثورة قيمية وتعنى بالانتقال من القيم المادية إلى قيم ما بعد المادية، والثالثة، ثورة معرفية وتتركز في الانتقال من الحداثة إلى ما بعد الحداثة.

4 - إذا كانت العولمة حتمية قائمة، فعلى حوار الأديان وكل قوى منظومات القيم الروحية أن تسعى لأن تجعل العولمة شاهداً تاريخياً حياً على نبل الذات

وشوقها الجوهري إلى الحرية بوصفها حافزاً «طوباويا» «كونيا».

5 ـ كما يصقل الخشب ليتزاوج مع بعضه البعض من دون مسامير أو غراء.. كما تعدل الحجارة لتبنى البيت.. كما يحلج الصوف ويلتف حول المغزل.. هكذا لا بد لحالة الحوار بين الأديان أن تستسلم لحركة المشاركة وقوانينها.

6 ـ لا بد للحوار من أن يحدث نقلة نوعية من حضارة أزالت المسافات بين الناس إلى حضارة تزيل المسافات بين المؤمنين.

7 ـ لا بد من إعادة تشكيل اللوحة العالمية على خلفية المشهد الإنساني الشمولي وضمن رؤى صناعة المستقبل وفق تلاقح الحضارات وعلى أساس توسيع قاعدة الشراكة لضبط إيقاعات حضارة الغد بما ينسجم والتناغم الصحيح مع منظومة القيم الإنسانية وإرساء معادلة التعاون الدولي الحقيقي.

8 ـ إن منطق إلغاء الغير مرفوض في قاموس الديانات، فالطبيعة لا تقبل الفراغ ومنطق قبول الآخر هو المقدمة الأولى لحوار الأديان وبالتالي حوار الحضارات.

9 ـ لا بد وأن ينتقل حوار الأديان من حوار الدفاع إلى حوار الشهادة أعني حوار الحياة وحوار التعاون على البر.

10 ـ لا بد من حوار الأديان من أجل التخفيف من حدة الموروث السلبي وتداعياته وما يحمله من أحكام مسبقة وإرساء قواعد موروث إيجابي بديل.

11 ـ إن السلوك العملي من أجل صون العدالة الاجتماعية وتعزيز السلام الإنساني الشامل، انطلاقاً من فكرة التوحيد، يشكل الأساس الممكن للتفاهم المتبادل والتعاون المرجو بين المسيحيين والمسلمين.

12 ـ إن مسألة الإرهاب المعاصر لن تنتهي بزوال مسبباتها بل هناك ضرورة لتبني المجتمع الدولي طريق حوار ناضج لاجتثاث الإرهاب وإلا لازمه سوء الفهم المتكرر والازدراء المتنامي.

13 ـ إن الحوار يشكل منظومة متكاملة من الاشتقاقات التي تسلط الضوء على الاعتراف بحقوق الشعوب في الحرية وتقرير المصير وفي مشروعية نضالات الشعوب من أجل استقلالها وبالتالي على الحوار أن يجسّد البعد السياسي للحضارة الإنسانية.

14 ـ مأسسة الحوار على أساس توحيد الاجتهادات ووجهات النظر فترسخ بفعل هذه المؤسسية أصالة الحوار واستمراريتها وتعميق بوصلة التوجه العام نحو حالة اصطفاف عالمي خلف منظومة الثوابت المستقرة، فهذا يعتبر من روافع الحوار ذاته وتوسيعاً أفقياً وعامودياً لأفق وآلية الحوار ودائرة تأثيره.

❖ **حالة التحول من العولمة إلى الأمركة قد فرضت واقعاً جديداً في العلاقات الدولية وأعطى ما يسمى بسياسة انتقاء الضربة التالية من قبل أمريكا قوة القرار الدولي.**

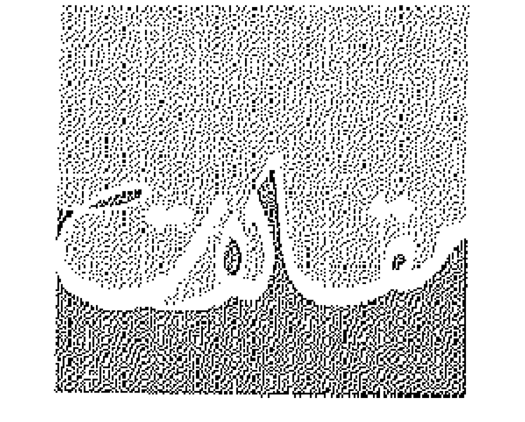
(الكنيسة أم الأمم والشعوب كلها... فهي لا تخص شعباً دون غيره ولا ترتبط بأي شعب أكثر من غيره، بل هي تخص الجميع وبصورة متساوية).

البابا: بيوس الثاني عشر

(لنرَ في هذا الأمر استباقاً لما قد يريد الله أن يراه محققاً في تاريخ الإنسانية: سيراً أخوياً نترافق فيه نحو هدف سام يعده لنا).

البابا يوحنا بولس الثاني

في ختام نهار الصلاة والصوم والحج لأجل السلام



حديث الفردوس الموعود بين التاريخ والأدب

د. عبد الله محمد الزيات*

أدب الرحلات جنس من الأجناس الأدبية، أو نوع من جنس النثر الفني في الأدب العربي، وأدب الرحلات هذا هو الأدب الذي يتحدث فيه صاحبه ويصف رحلته، وما رأى فيها ومن رأى، وما سمع ومن سمع؛ معالم جغرافية وأعلام مكانية حضارية، وظواهر مناخية وعادات وتقاليد اجتماعية ومذاهب ونحل ولغات ولهجات وسلوكيات متنوعة؛ قد تكون موافقة لما عهده صاحب الرحلة، وقد تكون مخالفة لذلك، جالبة انتباهه ومستحقة منه الوقوف عندها والتعليق عليها والمقارنة بينها وبين مذاهب أو لغات أو عادات أو آراء أخرى رآها وعرفها عبر الواقع أو من خلال الفكر والتنظير.

لقد كان هذا الفن النثري موجوداً في الأدب العربي بشكل حيي في كتب الجغرافية التي كتبها أصحابها من مكان وجودهم، ولم يرحلوا إلى المعالم والمدن التي يكتبون عنها مثل ياقوت الحموي صاحب معجم البلدان، ولكن هذا الفن تطور عندما تعمّد أولئك الجغرافيون الضرب في مناكب الأرض والانتقال بين مشارقها ومغاربها، وتحول هذا الأدب الجغرافي[1] إلى أدب الرحلة، وصار هذا الأدب من أهم فنون الأدب العربي، بل صار في نظر الدكتور شوقي ضيف خير رد على التهمة التي ترمي الأدب العربي بالقصور عن فن القصة[2]، وألّف الكثير من علماء العرب والمسلمين كتباً في هذا الميدان، مثل ابن حوقل والإدريسي وابن خرداذبة، وقد خَرَّج الغرب الإسلامي عدداً مهماً من أولئك الأعلام الذين أبلوا بنصيب حسن في تحرير أدب الرحلات ومنهم؛ الإدريسي، وأبو عبيد البكري، وابن عربي، وعبد المنعم الحميري وابن جبير والتجاني والعبدري وابن بطوطة.

في العصر الحديث رحل كثير من العلماء والمفكرين إلى الأرض التي كانت قديماً تعرف بالأندلس وهي اليوم إسبانيا والبرتغال، حيث حلّ أولئك الرحالة ضيوفاً على تلك الأرض منفيين فيها كما هو الأمر في حال الشاعر أحمد شوقي، أو متسوحين سياحة العلماء والمفكرين أو موظفين يقومون بسفارات سياسية لهذا الملك أو الأمير، وفي الوقت نفسه يتأملون بعض ما يقابلونه أو يقع أمامهم من مشاهد تلفت الانتباه، وتجتذب الأنظار، كما فعل شكيب ارسلان ومحمد كرد علي، وأمين الريحاني،

* أستاذ جامعي / ليبيا

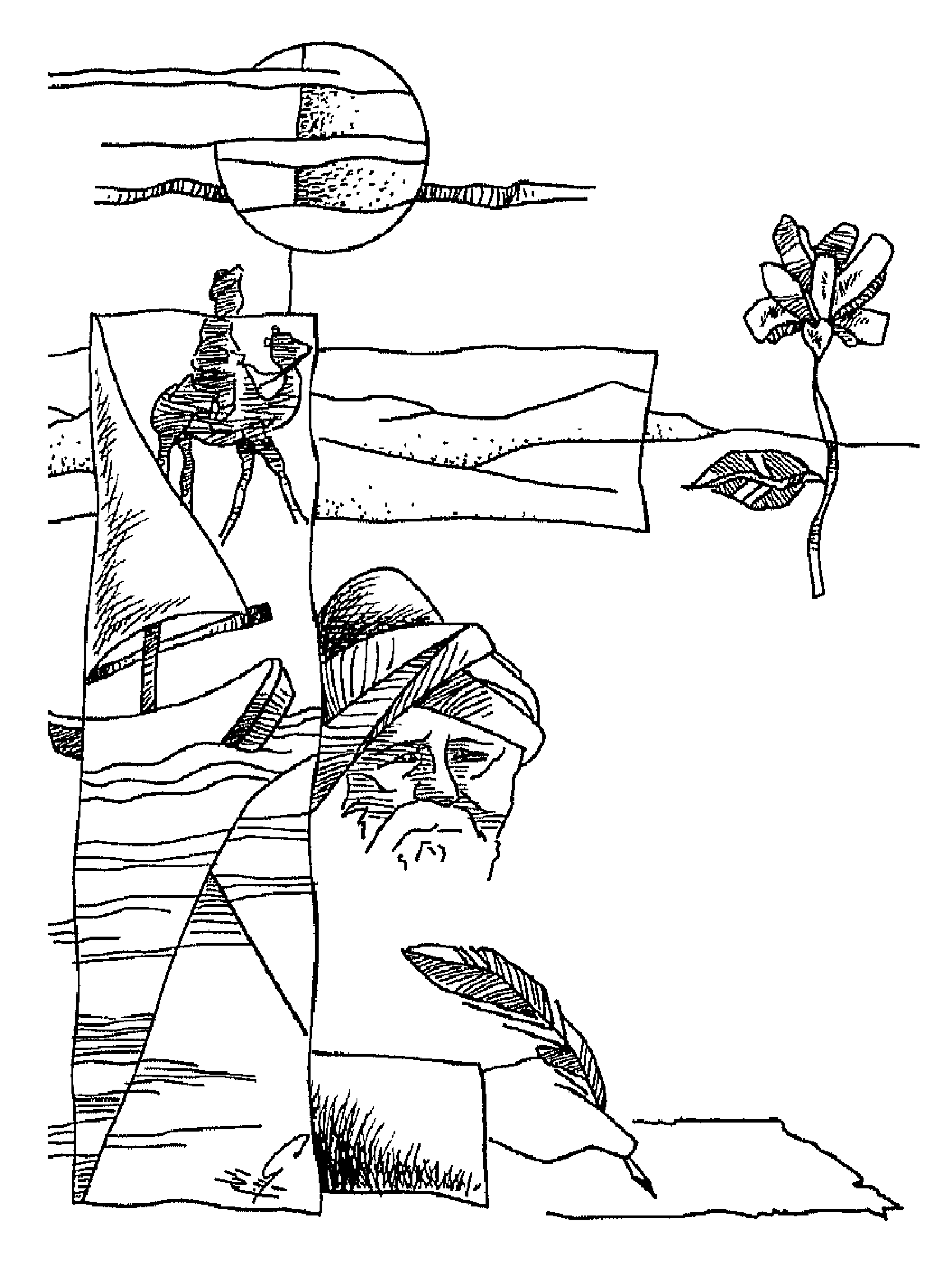
1 ـ ربما يقصد بالأدب الجغرافي كل ما كتب عن الجغرافية كما هو الحال عند كراتشوفسكي في كتابه تاريخ الأدب الجغرافي عند العرب، وقد يقصد أيضاً بالأدب الجغرافي هو ما كان في لغته أسلوباً أدبياً فلم يقتصر على المعلومة الجغرافية بل اهتم بالقالب الذي توضع فيه فكان أسلوباً أدبياً قصصياً أو ترسلياً.

2 ـ انظر الرحلات ط2، دار المعارف، ص 5.

وأحمد زكي، ومحمد فريد، والورداني وأحمد عبد الرحمن السماوي[3] وغيرهم، وسجل كل أولئك ما شاهدوه وما وجدوه من انطباعات وملاحظات في أدب نثري يدخل ضمن ما اصطلح عليه بأدب الرحلات.

وتكمن القيمة الفنية في هذا الصنف من النثر «فيما يعرضه من مواده في أسلوب أدبي رفيع ذي خيال فني وأسلوب سردي قصصي معتمد على التشويق بما يقدمه من متعة ذهنية مع الحوار والوصف»[4]، وهي قيمة نعتقد أنها تحققت في رحلة الدكتور مؤنس موضوع حديثنا.

وقد كانت الأندلس موضوعاً أدبياً في العصر الحديث لدى أدباء المهجر وغيرهم سواء كانوا شعراء أم ناثرين، فما بالنا بالمؤرخين المعاصرين الذين اهتموا بالأندلس من جانب تاريخي بحت، أو تاريخي أدبي، وأبرز الفريق الثاني المرحوم الأستاذ الدكتور حسين مؤنس الذي ترك العديد من الأعمال التاريخية الصرفة التي تتناول تاريخ الأندلس والمغرب العربي الكبير، كما ترك العديد من الأبحاث والمقالات التي يتحدث فيها عن جغرافية وجغرافيي الغرب الإسلامي وخصوصاً الأندلس التي كان له اتصال كبير بها عبر التاريخ وعبر الواقع؛ حيث أقام أو تنقل في إسبانيا والبرتغال لوقت غير قصير؛ فقد رحل هنالك عدة رحلات وذرع أرض الأندلس شرقاً وغرباً، وجنوباً وشمالاً[5]، إذ كان من المؤسسين الأوائل للمعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، وبقي فترة غير قصيرة في رئاسة هذا المعهد، وهو معهد يهتم بالدراسات العربية، وبالتراث العربي عموماً والأندلسي منه بوجه خاص، ولعل مبرر مؤسسيه في ذلك لأنه موجود على بقعة ورثت رفعة ما



كان يعرف بالأندلس، وأوضح ما يدل على ذلك أن المدينة التي يقوم على أرضها هذا المعهد، كانت أيام الأندلس تعرف بالاسم العربي مجريط كما سجلت كتب التاريخ والجغرافية وكتب تراجم الرجال.

كان من أعمال الدكتور حسين مؤنس التي تفرد فيها بين أعماله الغزيرة[6] كتابه رحلة الأندلس عندما جاب نواحيها متأملاً ومؤرخاً ومعتبراً، ولعله في هذه التسمية أراد أن يقول بان الأندلس رغم انتهائها تاريخياً فإنها من ناحية الأثر والحضارة ما زالت باقية، ولكنه بقاء لا يدركه إلا من عرف التاريخ ودرس تجارب الأمم ومقدار آثارها ومساهمتها في الحضارة

3 ـ هذا كاتب ليس معاصراً للسابقين وقد قام برحلته في سبتمبر 1982، انظر رحلة إلى الفردوس المفقود، ط2، 1988، كذلك لا ننسى أن نذكر أن صحافياً وباحثاً ليبياً قد زار الأندلس في الثمانينات وهو الدكتور عبد العاطي محمد عبد الجليل، وقد سجل رحلته تحت عنوان أوراق أندلسية وقد أصدرتها له جمعية الدعوة الإسلامية.

4 ـ أنظر أدب الرحلة عند العرب لحسني محمود حسين، ط2، دار الأندلس، بيروت 1403/ 1983، ص 8، 9.

5 ـ يقول بأنه قطع الأندلس من شماله إلى جنوبه ومن شرقه إلى غربه عشرات المرّات، انظر ص 18.

6 ـ انظر Malaga 1992, p. 174. a, Arguval, Mapfre, M Pedro Martinez Moktavez Al-Andalus, Espa

الإنسانية، أو ربما يمكن تفسير المعنى الذي أراده الكاتب بالفردوس الموعود أن الأندلس رغم انتهائها من الناحية الواقعية اليوم، فإنها كانت في يوم من الأيام فردوساً موعوداً، يحلم به كثير من المحرومين والمغامرين والمتطلعين إلى غد أفضل من ناحية علمية أو سياسية أو اقتصادية.

وعلى أية حال فإن الدكتور مؤنس كان متفائلاً بخروج الأندلس من المحنة، متعظاً بها خير اتعاظ كما نفهم من خلال هذا العنوان؛ فلم يقل لنا كما قال بعض الكتّاب المعاصرين له إن الأندلس فردوس مفقود بمعنى أنه ضاع وعلى محبيه أن يندبوا إلى الأبد فلن يرجع وعليهم أن ينسوه، وإنما قال إن الأندلس مثل واعد بالحضارة والمثل والقيم وهي حيثيات يسعى إليها النوع البشري في أغلب عمومه والأمم المتحضرة بأسرها، وهكذا فحين يعنون بالعبارة موعود لا مفقود ربما يحاول أن يفسر ذلك العنوان الفردوس الموعود على الأندلس بقوله «الماضي لا يموت إلا بالنسبة للأموات»[7] وهو بهذه العبارة يفتح الأفق على مصراعيه أمام القارئ ليتأمل معه تاريخ الأندلس وماضيها العريق ليس كتاريخ مضى وانتهى، وإنما هو تاريخ حي ماثل بين التواريخ الفاعلة للأمم تستلهم منه وتتعظ به، وتتخذ من معالمه المضيئة نبراساً لها تسير على هدي منها، كما تجعل من معالمه المعتمة علامات حمراء تنبهها وتوقظها من غفلة قد تقع فيها قريباً اليوم كما وقع فيها أجدادنا وأسلافنا الأندلسيون بالأمس، نعم أجدادنا وأسلافنا المتكلمون بلساننا المتدينون بديننا وربما كان الكثير منهم يشتركون معنا في الانتساب إلى القبائل العربية التي انتشرت قبل الأندلس في الجزيرة العربية والشمال الإفريقي، بل هم حسب المصادر العربية كلهم كذلك ولكن نعتقد أنه حسب الواقع يجب أن نقول بعض منهم أو ربما كثير منهم هم كذلك لأن أرض الأندلس لم تكن صحراء خالية من البشر قبل دخول المسلمين بل إن التاريخ ليشهد بحضارات كثيرة عرفتها هذه الأرض قبل الإسلام، وإن التاريخ ليشهد أيضاً أن شبه جزيرة إيبيريا إن لم تعتنق الإسلام كلها فقد تعرّبت كلها أو في أغلبها.

أحمد شوقي

وفي رحلة الفردوس الموعود يقرر الدكتور مؤنس في مواضع عديدة أن المسلمين لم ينهزموا في الأندلس لأنهم فرطوا في الجهاد، أو تقاعسوا عن الدفاع عن الأوطان بل لأن الظروف هي التي كانت لا تواتيهم فيقول بعد أن سرد كثيراً من حقائق الجهاد ومعلومات عن بعض قواد حركة الجهاد في الأندلس: «ولكن الحقيقة التي أريد أن أثبتها تحتاج إلى تكرار وتكرار... وهي أننا لم نخسر الأندلس عن تخاذل أو استنامة إلى التراف، وإنما فقدناه كما يفقد الجندي الباسل معركة وسلاحه في يده، تضيع المعركة ويبقى شرف البطولة والاستشهاد»[8]، ومهما كان رأي الدكتور مؤنس في هذه القضية فنحن نعتقد أن هذه الصورة لا تصدق على كثير من الأندلسيين وهي إن صدقت على أغلب الشعب الأندلسي فإنها لا تصدق على كثير من حكام الأندلس؛ ونعني بالتحديد بعض القواد أمثال ابن الأحمر الذي لم يكن مجاهداً بقدر ما كان يؤسس إمارة ويسعى لمجده الخاص، وإلا فإن دويلته لم تقم إلا بمساعدة قشتالة ضد ابن هود؛ فقامت دولة المدعوم من قبل الصليبية ومن كان يبني مجداً لنفسه، على أنقاض دويلة ابن هود الذي كان مجاهداً بحق، ومدافعاً عن الأندلس حين قلّ المدافعون.

7 - ص 7.
8 - ص 232.



غرناطة

لقد جمع الدكتور حسين مؤنس في رحلة الأندلس بين الجغرافيا والتاريخ والأدب جمعاً موفقاً في رأيي حيث يجد في رحلته هذه كل منشد من منشدي هذه الفنون مبتغاه؛ فيجد المؤرخ الأخبار والوقائع التاريخية ماثلة حية مغربلة موثقة، ويجد الباحث عن الأدب المتعة الأدبية التي تبعثها الصورة والخيال في غير مجانبة للحقيقة ولا بعد عن أحداث التاريخ، مع الأسلوب العذب الذي تسلم فيه كل عبارة إلى الأخرى وكل كلمة إلى أختها، كما أن الباحث لمعرفة تضاريس الأندلس وطبيعة أرضها ومناخ أقاليمها، وطبيعة عمرانها سيجد ما يشفي له غلة في رحلة الأندلس.

ومن بين المناظر الأدبية التي نجد فيها التصوير المباشر الذي ينقلنا عبره الكاتب في صور محسوسة مرئية المقطع التالي: «ونبدأ من قادس مدينة ساحرة تقوم على طرف ذراع ضيق من الأرض طوله اثنا عشر كيلومتراً تمضي فيه والبحر عن شمالك ويمينك»[9].

والأدب على أية حال يجلل كل الفقرات والقطع حتى إننا لا نستطيع أن نجاري المستعرب بدرو مونتابث في القول بأن الجزء الأول كان يحمل أغنى المقاطع الأدبية في الرحلة[10] بل إن كل الرحلة مليئة بالفن الأدبي، وكلما عثر القارئ على مقطع اعتقد أنه الأغنى من الناحية الأدبية تكشف له ما هو أكثر غناء.

وتلح على الكاتب دائماً صورة سقوط الأندلس؛ فهو لا يفتأ يتذكرها ويذكر بها بين الفترة والأخرى؛ ففي حديثه عن رندة يتوقف عند تاريخها كثيراً ليتوقف عند حكاية سقوطها[11] وهو كذلك في الحديث عن مالقة[12] وفي أحاديثه عن أغلب مدن الأندلس.

ومن عباراته ذات الأبعاد الأدبية الموحية قوله بعد حديثه عن سقوط غرناطة وما أعقب السقوط: «لندع الماضي وراءنا، ولننظر إلى الطريق من حولنا»[13]

---

9 ـ رحلة الأندلس 247.

10 ـ انظر Malaga 1992, p. 176. a, Arguval, Mapfre, M Pedro Martinez Moktavez Al-Andalus, Espa

11 ـ ص 250، 251.

12 ـ ص 253.

13 ـ 160.

فاعتقد أن هذه العبارة مشحونة بالإيحاء والرمزية ومما يمكن أن نفهمه منها نحن العرب والمسلمين أن الأندلس إذا كانت قد سقطت فإن ذلك قد بقي تاريخاً، ولكن يجب أن نبدأ من هذا التاريخ ولا ننتهي عنده، فالشعوب الحية تصاب بنكبات وتتعرض لهزات ولكنها لا تفقد الأمل بل تخرج من المحنة وقد استفادت درساً يدفعها إلى الأمام، ولا يشدها إلى الوراء.

ومن الصور الجميلة التي ينقلنا فيها الكاتب عبر الخيال ولكنه الخيال الواقعي الذي له جذور في التاريخ قوله محدثاً قارئه، أو من يمكن أن يرحل عبر الأندلس: «هذه الليلة التي تقضيها في غرناطة قبل زيارة الأثر العظيم (الحمراء) تأذن لك في أن تتأمل من شرفة أحد الفنادق الجميلة القائمة أعلى التل «بقاع»[14] غرناطة وسهولها، وهذه الرياض التي تمتد أمام بصرك في ظلام الليل وقد شملها سكون الأبد... في موقفك هذا وقف سلاطين غرناطة وقوادهم وأهل الحراسة والحرب، يتأملون هذه الأرض المباركة يستولي عليها العدو شبراً شبرا، في قسوة القدر... كل يوم يتقدم خطوات ويستولي على بلدة أو قرية... تحت بصرك ميدان من ميادين الجهاد والأبطال، عند الأفق ترى خط الحدود الذي وقف عنده رجالنا يقاتلون»[15].

ومؤنس حين يسجل التاريخ في رحلته هذه لا يلقيه تاريخاً ميتاً وحدثاً مجرّداً عن كل دلالة بل إنه ليعانقه معانقة من الصعب الفصل فيها بين التاريخ والمؤرخ، بين الأمس واليوم بين ما كان وما هو كائن الآن؛ انظر في هذا المقطع الذي يتحدث فيه عن لغوي أندلسي كبير، وهو ابن مالك، وذلك عندما كان يسرد بعض ما لهذه المدن الأندلسية من آثار وما أثارته في نفسه من شجون، يقول: «وفي جيان، تسمى اليوم خايين، غير بعيد عن قرطبة، خيل إليَّ أنني لو فتحت دفتر التلفون لوجدت اسم جمال الدين بن مالك صاحب الألفية وعنوانه، ولاستطعت الحديث إليه...»[16]. فلشدة علاقة الكاتب بتاريخ الأندلس تخصصاً وانتماء، ولشدة معرفته عن طريق التاريخ بهذا العالم، صار كأنه قاب قوسين أو أدنى من اللقاء به، حتى كأنه لم يعد من فاصل بينهما إلا هذه الدقائق القليلة التي يستغرقها البحث في دليل أرقام هواتف المدينة، التي سيجد بينها رقم هاتف ابن مالك، ومعلوم أنه بعد إيجاد الرقم سيهاتفه ويتصل به، ويحدث اللقاء والتلاحم ولكنه لقاء عبر الخيال والصورة، أي عبر الأدب، هو ليس لقاء حقيقياً ولكنه يحتوي على مجموعة حقائق لا تستطيع أن تتنصل منها حقيقة اللقاء.

غلاف كتاب رحلة الأندلس للكاتب حسين مؤنس

ومن هذا القبيل أيضاً قوله في موضع آخر: «وفي لوشة، تسمى اليوم لوخا... وهي بلد لسان الدين بن الخطيب، وقفت ذات صباح أمام دار عربية الطابع في وسطها نافورة ينساب منها الماء في رفق موسيقي، خيل إليَّ أن لسان الدين هناك مسنداً ظهره إلى الناحية الأخرى من النافورة مقبلاً على تأليف كتاب جديد»[17]، ومعروف لدى من له بعض إلمام بتاريخ الأندلس أن لسان الدين هذا كاتب وأديب ومؤرخ أندلسي بل هو من اشهر رجالات الأندلس ومن معالم مجدها ورموز عزها الغابر، لكن لننظر كيف حياه كاتب الرحلة حين تفاعل معه فتخيله ببيته الذي يزوره

14ـ يشير الكاتب هنا إلى مرج غرناطة المعروف بالاسم الاسباني La Vega de Granada ولعله يوحي بطريقة خفية إلى أن اصل الاسم عربي أي البقعة.

15ـ 167ـ 138.

16ـ رحلة الاندلس 12.

17ـ رحلة الاندلس 11.

الكاتب بعد أن أعطاه ملامح البيت الأندلسي، ولننظر كيف تخيله؛ جالساً أمام نافورة يهم بتأليف كتاب جديدا ثم للنظر لبقية عناصر الأدب؛ صورة مرئية تعبّر عن هوية، تموج بالحركة وتزخر بالحياة، بل لم تنقصها المؤثرات الصوتية «دار عربية الطابع، في وسطها نافورة ينساب منها الماء في رفق موسيقي».

إن فن الكاتب الأدبي هنا في الرحلة يذكرنا بخيال أدبي مبدع لدى أبناء الفردوس الموعود المبدعين، وهو ابن شهيد في رحلته الشهيرة رسالة «التوابع والزوابع» التي أقامها على تخيل لقاءات بين أصحاب الشعراء والكتّاب، وكان من مقتضى إبداعه أنه اخترع أجواء ليلتقي فيها بأصحاب الكتّاب والشعراء وجعل لحمة هذه الأجواء وسداها من عالم هؤلاء الشعراء والكتّاب في الحياة الدنيا، وكذلك فعل حسين مؤنس حين تخيل ابن الخطيب وتخيّل له بيتاً أندلسياً وتخيّله بكيفية وأجواء مطابقة كثيراً لما كان واقعاً وحقيقياً في حياة ابن الخطيب وذلك عندما تخيله في الجانب الآخر من النافورة مسنداً ظهره، يهم بتأليف كتاب جديد، فلا أعتقد أن هذه العناصر من النافورة وإسناد الظهر والهم بتأليف كتاب جديد جاءت عبثاً بل إن فيها لاختياراً مقصوداً.

ومن مقاطع التاريخ الصرف في الرحلة قوله متحدثاً عن تاريخ سقوط بعض المدن: «لقد سقط خط الوادي الكبير كما رأيت فيما بين 1230 ـ 1250 في هذه السنوات العشرين التي أعقبت تصدع دولة الموحدين، ضاعت بلنسية ودانية وجيان وقرطبة وإشبيلية.

ومن هذا التاريخ الصرف أيضاً قوله يتحدث عن الصالة التي تدعى بالمشور، وهو مكان مخصص لجلوس الأمير مع وزرائه وأهل دولته، ولعله المكان الذي تتخذ فيه الشورى أي أن الصيغة اسم مكان: «مشور الحمراء كان مخصصاً لاجتماع السلاطين برعاياهم ويذكر ابن فضل الله العمري ـ وهو معاصر لبني الأحمر، إذ عاش وكتب في القرن الرابع عشر الميلادي ـ أن السلطان كان يقعد للناس فيه يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع، وكان يحضر هذا المجلس معه أولاده ونفر من قرابته ورجال حاشيته، وقد تمّ إنشاء هذه القاعة سنة 1365»[18] فهو هنا يهتم بالأحداث فيثبتها ويوثقها من مصارها الأولى دون أن يكون له هدف أدبي واضح في مثل هذه الفقر.

ورغم أن الدكتور حسين مؤنس يكتب التاريخ والأدب باعتباره مثقفاً عربياً متخصصا في التاريخ؛ أي التاريخ الإسلامي بصفة خاصة ثم الأندلسي بشكل أخص فإنه لم ينسَ أن يهتم في هذه الرحلة بذكر ما هو إسباني أو إسباني لاتيني كما ذكر المستعرب بدرو منتابث[19]، نجد هذا مبثوثاً في رحلته مثل ذكره للكنائس المعاصرة التي قامت على أنقاض المساجد والتماثيل التي وجدت بها وكانت قد صنعت من الذهب، أو حديثه عن كولون في الرواية الإسبانية، وكولومبس في الرواية الإنجليزية[20].

ومن الصور الأدبية المفعمة بالدلالات التاريخية والقيم المعنوية التي يريد الكاتب أن يبثها بين متلقي أدبه، قوله متحدثاً عن قصور الحمراء مخترعاً لها هذا التصوير الجميل الموحي بالدلالات المختلفة التي ربما بدت متناقضة في بضع الأحيان: «إنها علب جميلة لحفظ الجواهر... نحن نرى الحمراء عارية لا أثاث ولا سكان، كلما وقفتُ في قاعة بني سراج، أو في قاعة الأختين خُيِّل إليَّ أنني داخل صندوق مجوهرات أو علبة حلوى»[21] فعلبة المجوهرات رغم أن ما بها ثمين، أو تتخذ لحفظ الأشياء الثمينة، فهي للحفظ لا أكثر،

---

18 ـ 184.

19 ـ انظر Malaga 1992, p. 176. a, Arguval, Mapfre, M Pedro Martinez Moktavez Al-Andalus, Espa

20 ـ انظر مثالاً على ذلك الرحلة ص 135.

21 ـ 191.

وكذلك قصور الحمراء هي علب للحفظ أو لحمل شيء ما لعله التاريخ والمجد، أو لعله شيء نتسلى به ونتعزى، كما يجد الإنسان بعضاً من التسلية والعذوبة في الحلوى ولكنها عذوبة وتسلية لا تغنيان عن طعام، فهما مكملان وليسا رئيسيين وكذلك متاحف التاريخ هي أشياء مهمة يحافظ عليها ولكن لا يكتفي بها. ثم يقول مسترسلاً في الحديث عن تلك القصور، واصفاً إحساسه في بعض الحالات التي يلم فيها بتلك المتاحف، باثا لبعض الرسائل التي يريدها أن تصل المتلقي: «في أحيان أخرى أحس أنني قد اقتحمت مخدعاً على صاحبه وأنني لهذا ينبغي أن ابادر بالخروج، يستولي عليَّ هذا التوقير الذي نشعر به معاشر العرب لِحُرم الناس؛ فهذه مخادع نوم، ومجالس راحة، لم يخطر ببال صاحبها أنها ستكون في يوم ما مكاناً عاما».

فانظر إلى اقتحام المخادع! فلا نعتقد أنه يقصد نفسه بالذات؛ بل إنه يقصد تدافع حضارتين في منطقة التدافع وهي الأندلس، فيا ترى من هو الذي اقتحم مخدع الآخر؟ الشرق الإسلامي أم الغرب المسيحي؟ ونترك الإجابة عن هذا التساؤل، ليجيب كل قارئ بما تبدى له من التاريخ والحقائق حسبما يراها!

ثم هذه القيم العربية التي يصورها بعبارته «هذا التوقير الذي نشعر به معاشر العرب لحرم الناس» وليقارن القارئ بعد ذلك هذا الكلام بالكلام السابق، لعله يجيب عن السؤال السابق أيضاً؛ من كان المقتحم لحرم الآخر؟

ثم عري قصور الحمراء الذي يتحدث عنه وإن كان عرياً مجازياً قصد منه خلوها من السكان والأثاث الذي عادة ما يتخذه المعمرون للمكان، نعتقد أن له وجهاً إيحائياً رمزياً؛ فعريها عبارة عن انكشافها أمام الغزاة حتى إنها أصبحت مباحة لهم، حتى تمكنوا منها.

ويسترسل الكاتب متحدثاً بلسان الأديب فيقول: المخادع خالية ولكن الخيال يكمل الصورة: هنا كانت وسائد تدور مع الجدران، هذه الأرض كانت تغطيها السجاجيد، وهنا ـ عند الشرفات التي تطل على الحريقة ـ كانت أرائك، إذا أغمضت عينيك أحسست وكأن الحياة تدب فيما حولك، نساء الحريم[22] غاديات رائحات، همسهن الرقيق يملأ جوانب القاعة ويتصاعد نحو هذا السقف المثقل بالزخرفة، ويضيع هناك كما يضيع كل همس. ويسود الصمت.. الصمت هو الساكن الوحيد هنا، صمت رهيب يزيده خرير الماء عمقاً ورهبة، الماء ينبعث من نافورة في وسط البهو، تستند إلى اثني عشر سبعاً من الحجر، تمج الماء من افواهها. هذه السباع هي اقل هذه القطعة الفنية جمالاً ولكنها اشهر ما فيها، الشهرة دائماً لا تتمشى مع الحقيقة والجمال.

بمنطق التاريخ والواقع لا شيء يوجد اليوم مما كان موجوداً بالأمس؛ المخادع هنا خالية؛ خلاء يكتسح المخادع، ولكن بمنطق الأدب والخيال لا شيء ينقص من عناصر الصورة الحية المفعمة بالحركة والنشاط؛ غدو ورواح، هدوء وهمس، وصمت رهيب، وأجمل ما في رهبته خرير الماء.

ثم ينطلق مؤنس من هذه الصورة لتماثيل السباع ليقرر حقائق تشبه الحكمة فليس كل ما هو مشهور متطابق مع الحقيقة، وليس كل ما هو مشهور متناسق مع الجمال؛ فكم من أمر شهير هو مع الحقيقة في تناقض وتضاد، وكم من أمر مشهور هو متناف مع الجمال، متآلف مع القبح بل هو القبح نفسه.

ومن عباراته التاريخية الأدبية هذا المقطع التالي الذي يتحدث فيه عن مئذنة اشبيلية بعد أن تحدث عن

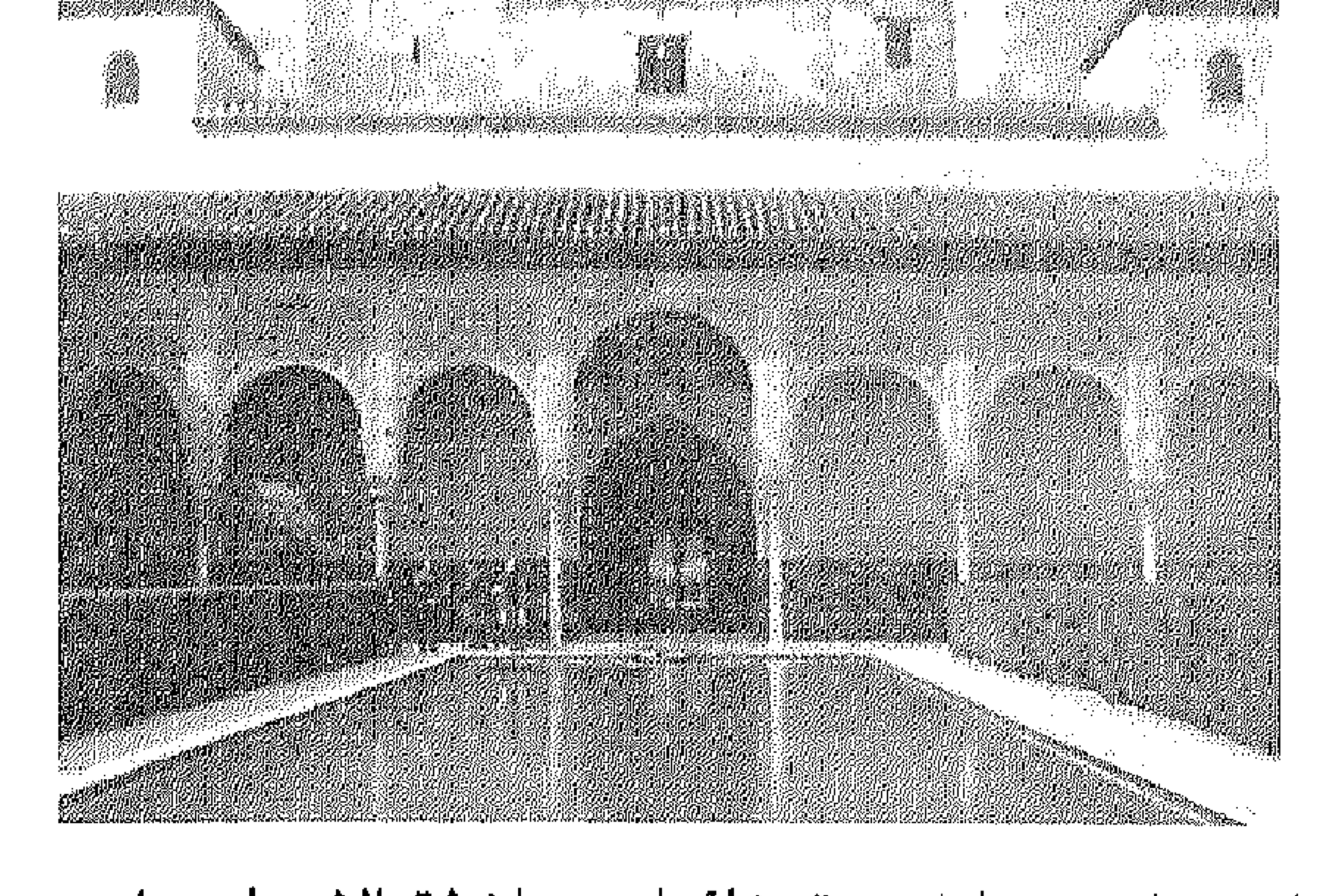
22 ـ في قصور الحمراء توجد صالة تدعى بصالة الحريم.
23 ـ 139.

طريقها أو مصعدها الذي يُرقّى فيه مقدار سبع طوابق دون سلم: «بعد ذلك كانت ترتفع المئذنة، وكان في أعلاها ثلاث كرات ضخمة تسمى التفاحات أو التفافيح مغطاة بطبقة سميكة من الذهب كانت تتألق من بعيد، كان ملوك الإسبان يقتربون إذ ذاك من إشبيلية شيئاً فشيئاً ونظرهم مثبت في هذه الكرات الذهبية الرائعة التي كانت تبدو لهم في ضوء القمر وكأنها النجوم في الفلك»[23].

ولعل أحداً ما يفهم من هذه الصور الحية للتاريخ أن ملوك قشتالة كانوا يتطلعون إلى شيء كبير وذي قيمة، وهو الاستيلاء على الأندلس وكانوا يرونه بعيداً مثل النجوم عائمة في سماء الفلك البعيد.

وينتشر التاريخ والأدب ممتزجين في أغلب ثنايا الرحلة؛ يقول مشيراً إلى الفترة المعروفة بفترة الفتنة في الأندلس، حين تصارعت القوى المختلفة هنالك باسم هذا الأمير الأموي أو ذاك، وحوصلت القضية فيما بعد فيما تصولح عليه بالفتنة البربرية بقرطبة التي كانت عاصمة الأندلس، وحينها وجدت الصليبية الفرصة سانحة لأن تطل برأسها الذي أصاب العالم الإسلامي في ذراعه الأيمن: «عشرون سنة سوداء كان الأندلس خلالها دون دولة تقريباً... مدن كبرى لها في تاريخ الحضارة العربية والعالم مجلدات وقفت في العراء أمام حرب صليبية يقوم بها ملوك وراء كل منهم ألوف الفرسان مدرّعين بالحديد الثقيل... ومن وراء جبال البرتات (البرانس) Pirineos أقبل ألوف آخرون من المحاربين الصليبيين تدفعهم البابوية وتؤجج النار في قلوبهم... ومن وراء البحر أقبلت أساطيل الجمهوريات الإيطالية... مشحونة برجال حريصين على ألا تفوتهم الغنيمة الباردة».

ولقد وقف الكاتب في رحلته عند آثار الأندلس الباقية بإسبانيا اليوم، وأكثر ما استوقفه قصور



الحمراء، ربما لروعة بنائها ومحافظة الإسبان على هذا البناء لتعهدهم إياه بالعناية المستمرة مما جعل التاريخ يعيش حياً في هذه القصور، ولكنه حي يندب الأموات؛ يقول مؤنس: «وهذه المنشآت تبدو صامتة، ولكن صمتها ناطق بليغ يهز النفس هزاً، كالدمع الذي ينحدر على وجنة المحزون الكتوم، يهز نفسك على صورة لا يبلغها المعلن بالصياح، المجهش بالبكاء...»[24] ووقفات مؤنس عند الآثار الأندلسية ليس تاريخاً حزيناً عند الوقوف بقصور الحمراء فقط، بل هي كذلك في كل مكان من جزيرة الأندلس لان كل شبر في هذه الجزيرة مجلل بآثارنا التي لا تخلو منها بقعة أندلسية يقول: «هذه الجزيرة كلها موشاة بآثارنا لا تخلو منها مدينة، بل قرية، ولكنها من ذلك النوع الحزين من الآثار؛ بقايا وأطلال وخرائب تجدها مطمورة تحت البيوت حيناً، أو معزولة وحدها في البرية خارج البلاد أحياناً، نجدها هناك وحدها كأنها قطرات دمع تجمدت على صفحة الأندلس، دموع الزمان على المجد الذي كان!»[25].

ولكن الدكتور حسين مؤنس العربي المسلم المؤرخ المختص في التاريخ الإسلامي والأديب المتذوق للأدب العربي لا يفوته أن يجعل لوقوف العربي والمسلم على آثار الأندلس معنى لا يراه يوجد عند غير العرب وغير المسلمين، ذلك المعنى هو أخذ العبرة من هذه الآثار، والربط بين ما كان وما هو كائن في بلاد المسلمين والعالم أجمع، يقول بعد الحديث في

---

24 ـ 223.
25 ـ 223. الرحلة ص 7.

تاريخ أسباب السقوط للأندلس والوقت الذي استغرقه هذا السقوط: «هذه الآثار يراها غيرنا ليستمتع ويطرب، وهو يتعجب ـ وهو يراها ـ كيف ضاع الذين بنوها ومضوا مع أمس الدابر،أما نحن فنراها لنتعظ ونعتبر، ما زرتها مرة إلا وقع في خاطري أن الله سبحانه أبقاها لحكمة عنده، أبقاها لنرى من خلالها ما ضيعناه، أبقاها لكي يقول الواحد منا لنفسه: هذا هو الحطام، فكيف كان السفين؟! هذه هي البقية فكيف كان الكل، وهذا الكل ضيعه أجدادي غفر الله لهم... ضيّعوه لأن قلوبهم خلت من المثل الأعلى... نسوا أن الأوطان لا تحمى إلا إذا كان أهلها صفا كالبناء المرصوص...».

إن الأسلوب الأدبي في هذه الرحلة ليدلك عليه شغفك بإعادة قراءة هذه الرحلة متى ما فرغت منها، فصارت بالنسبة لقارئها كالفردوس الموعود لصاحب الرحلة؛ طوف به مرات كثيرة، ولكنه ما زاره مرّة إلا شعر كأنه يزوره لأوّل مرّة»[26]، فهذه هي ميزة الأدب؛ يحب الإنسان إعادة قراءته مهما تكررت، ربما يمل القارئ الإعادة لنص قد فرغ منه لتوه إلا أن يكون هذا النص مما يصدق عليه الأدب بجدارة، فعندها كلما ابتعد عنه زاده ذلك تعلقاً به، وحنيناً إلى إعارة قراءته؛ لأنه يجد فيه المتعة التي هي خصيصة الأدب، وهي التي تمنحه خصيصة الخلود الذي يعني أن النص الأدبي يبقى أدباً محبوباً لقرّائه مهما تقادم عليه الزمن كما هو الشأن في الأدب الجاهلي أو غيره من الآداب العالمية التي مضى عليها مئات السنين وربما آلاف السنين، ولكن قارئها اليوم يجد فيها متعة كما وجد فيها قارئها قبل آلاف السنين؛ ربما هي متعة مختلفة قليلاً، ولكنها متشابهة في كونها المتعة التي يحدثها الأدب، وما ذلك إلا لأن الإنسان واحد في عواطفه ومشاعره وأحاسيسه؛ نعم قد يكون هناك اختلاف ولكنه بقدر يسير، إنه اختلاف أفراد الجنس الواحد في الحالات العارضة والمقادير غير المتطابقة، وإلا فالعواطف واحدة من الرحمة والخوف والشفقة والحزن والفرح والطرب والمحبة والعطف والحقد والكره والتسامح والعفو إلى غير ذلك مما يثيره أدب اليوم كما أثاره أدب الأمس، ومما يثيره الأدب العربي كما يثيره أدب أي أمة من الأمم.

وعلى أية حال فإن رحلة الفردوس الموعود «تظل كتاباً رئيسياً ذا أهمية كبيرة في صياغة الموضوع الاسباني في الأدب والتفكير العربيين المعاصرين، وهو ما استحق أن يقوم بشرحه شخصية مصرية جداً مثل طه حسين الوطني الأصيل وغير المختلف فيه في هذه الثقافة وهو ليس شيئاً سوى كونه بياناً آخر لأهميته[27]، وإذا كانت الرحلة تثري أدب الرحالة نفسه كما رأى الشيخ محمد الخضر حسين[28] فإن رحلة مؤنس قد أثرت الأدب العربي الحديث قبل إثرائها أدب الكاتب، وإذا كان الأندلس قد تحول إلى موضوع أدبي في آداب أمم أخرى مثل الأدب القشتالي ثم الأدب الاسباني[29] فلمَ لا يتحول إلى موضوع له أكثر من جانب علمي وفني لدى العرب والمسلمين، خصوصاً لدى من عرف الأندلس معرفة حقيقية عبر التاريخ والكتب في لغات شتى، وعبر الواقع والحياة ضمن أسفار عديدة، وإقامة ليست قصيرة على أرض ورثت تركة الأندلس، ونعني بذلك أمثال المرحوم الدكتور حسين مؤنس؟!

المصادر والمراجع

أدب الرحلة عند العرب لحسني محمود حسني، ط2، دار الأندلس بيروت 1403/ 1983.

تاريخ الأدب الجغرافي العربي لكراتشوفسكي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1408/ 1987.

الرحلات، لمحمد الخضر حسين، جمعه وحققه علي الرضا التونسي، ط2، دار المعارف 1396/ 1976.

رحلة الأندلس، حديث الفردوس الموعود، لحسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، 1963.

رحلة إلى الفردوس المفقود لأحمد عبد الرحمن السماوي، ط2، 1988.

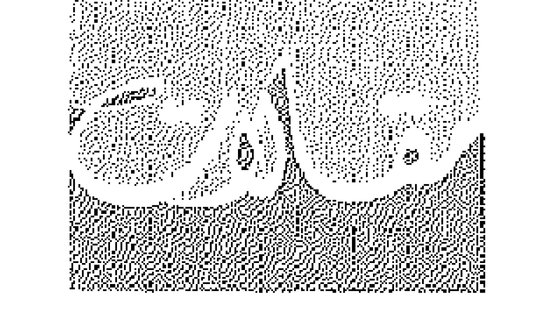
Rabe Mapfre, 1992, p.251. S. Rubiera Mata Literatura hispano Madrid, 1992.

A. Arguval, - Pedro Martinez Montavez Al-Andalus, Espa Mapfre, Malaga 1992.

26 ـ انظر rabe, p. 187, a en la literatura, M Pedro Martinez Montavez Al-Andalus, Espa

27 ـ انظر الرحلات جمعه وحققه علي الرضا التونسي، 1396/ 1976، ص 16.

28 ـ انظر rabe Mapfre Madrid, 1992, p. 251, S Rubiera Mata Literatura hispano



أهمية نقل المصادر الإسلامية إلى اللغة الصينية

د. مافود يوسف سراج*

قد دخل الإسلام في الصين منذ أكثر من 1300 سنة وبلغ عدد المسلمين بها أكثر من ثلاثين مليون نسمة. وخاصة قد ظهرت رغبة شديدة لدى الشعب الصيني في التعرف على الإسلام وحضارته في هذه السنوات الأخيرة. ولهذا ينبغي أن يلقي العالم العربي والإسلامي نظرة إلى الصين ويعطى الموضوع أهميته.

ونظراً لعملية الترجمة سواءً في وقتنا الحاضر أو العصر القديم فليس من الصعب أن نعترف بأن عملية الترجمة من لغة إلى لغة أخرى هي أنشط الأعمال في مجال المعارف الإنسانية وتبادلها بعضها مع بعض. وكما لعبت دوراً هاماً لا يخفى لكل ناظر عاقل في دعم التفاهم بين الشعوب وتعايشهم بجوار في الأمن والسلام. وذلك بأنه بجهود المترجمين صار التراث لشعب ما مستفيداً عند الشعوب الآخرين وصار التبدل الفكري البشري من الأمور الممكنة. وبها يحسن التفاهم بين الشعوب والأمم. ولهذا قد اقترح كثير من الباحثين بأن تحل كلمة التبادل الحضاري أو التعاون الحضاري محل كلمة الترجمة. وكما لا يخفى أن عملية الترجمة سواء كانت ظاهرة حضارية أو حركة فكرية أو فناً من الفنون العلمية لا تستطيع أن تقطع علاقته بالزمن الذي يعيش فيه. ولذا تكون نظريتها وطرقها ومعاييرها وفنونها لا بد أن يواكب ركب الزمن والعصر.

1 ـ الترجمة ونشر الحضارة

من المعروف إن أي حضارة من الحضارات كان انتشارها الواسع لا يستغني عن عملية الترجمة. وفي العصور الوسطى قد حفظت الأمة العربية عن طريق الترجمة تراث الحضارة القديمة التي قد اندثرت في العالم الغربي ثم أداها الأمة العربية للبشرية بعد الاستفادة والهضم والابداع. وطبعاً قد تركت جهود الامة العربية أثراً بالغاً في هذه الحضارات. وفي أواخر القرون الوسطى نقل الغربيون هذا التراث الإنساني من اللغة العربية إلى اللغة الغربية وأدّت هذه العملية إلى نهوض الحضارة الغربية وللمسلمين فضل في ذلك.

وقد ظهرت في تاريخ الصين حركات مهمة للترجمة نحو حركة الترجمة للكتب البوذية في عهد دونغ هان (25ـ 225م) وفي عصر تانغ سونغ (618ـ

* باحث في الحضارة الإسلامية / الصين

1127م) وحركة الترجمة للكتب الغربية من عهد تشنغ حتى حرب الأفيون (1616-1840م) وتركت هذه الحركة النقلية أثراً بالغاً في كل مجال من الحضارة الصينية مثل اللغة والأدب والفن الشعبي والاعتقاد الديني والاخلاق. ومثال على ذلك أن تطبيق الفكرة الشيوعية في الصين ونشر الفكرة الرأسمالية واعتقاد معظم السكان بدين بوذي كل هذه من نتائج العملية النقلية وهذا واضح لكل ناظر في تاريخ الصين.

وكذلك ان انتشار الحضارة الإسلامية في أنحاء الصين له علاقة هامة لعملية الترجمة وعندما صارت العلوم الإسلامية بعيدة عن أذهان المسلمين بالصين شعر أصحاب الطموح من المسلمين بخطرها ومسؤوليتها فظهر منهم من أنفق نفسه وحياته في نشر العلوم الاسلامية فقام الشيخ هو دن جو (1522-1597م) بجهوده فأسس نظام الترجمة من اللغة العربية الى اللغة الصينية ونظام الدراسة في المساجد لتخريج الأئمة والدعاة. فبفضله أن توارث العلوم الإسلامية بالصين جيلاً بعد جيل صار أمراً محققاً وكذلك وجدت انتشاراً كبيراً بين جمهور المسلمين.

تبعاً لتطور نظام الترجمة وتكامله بمرور الأيام ظهرت جماعة من الأئمة المسلمين بالصين التي تتمثل في نحو الشيخ وودنغ دي يي ولوجى وماجو ومادي سينغ وغيرهم قد جعلوا عرض الإسلام وحضارته على الصينيين مسؤولية على أعتاقهم فنقلوا بعض الكتب الإسلامية إلى الصينية فلعبت دوراً مهماً في التفاهم بين الحضارة الصينية والحضارة الإسلامية. ولكن في الوقت نفسه لاحظنا أن تأثير الحضارة الإسلامية في الحضارة الرئيسية - الحضارة الصينية - تأثيراً يسيراً. فمثال على ذلك أن الموسوعة الصينية الكاملة التي ألفت قبل القرون بأمر الامبراطور الصيني تعتبر موسوعة كاملة وحيدة عن الحضارة الصينية لم تذكر إلا في فهرستها اسماً



لكتاب آداب الإسلام فقط. وحتى في العصر الحديث أن من يقرأ في الكتب والمؤلفات التي أنتجها كبار العلماء الذين يعتبرون حججاً وشيوخاً في الحضارة الصينية سيتعجّب من إهمال هؤلاء الحجج عن الحضارة الإسلامية وندور تحدثهم عنها. وفي ذلك أسباب أهمها عدم نقل الكتب الإسلامية إلى اللغة الصينية حيث لا يعرفون كلهم اللغة العربية.

2 - الترجمة والبحث في الحضارة الإسلامية

وهناك رأي سائد بين العلماء والمثقفين والجماهير بالصين وخاصة في السنوات الأخيرة وهو أن الحضارة هي تراث البشر جمعاء فليست ملكاً خاصاً لأية أمّة. ولهذا قد اهتم الصينيون بنشر الحضارة الصينية في العالم وكذلك يهتمون بالبحث في الحضارات الأخرى بما فيها من الحضارة الإسلامية حتى تستفيد منها. ولكن البحث والدراسات الإسلامية مازال في مرحلتها الأولى. وما ذلك إن كثير من هذه الدراسات والبحوث التي قدمت للجماهير

الصينيين لا تسلم من الخطأ والتأثر بالاستشراق وذلك لأسباب أهمها نقص المصادر والمراجع الإسلامية الأولية عند الباحثين بسبب عدم نقل هذه المصادر إلى الصينية. ومن المعروف أن اللغة الرئيسية التي تحمل الحضارة الإسلامية هي اللغة العربية ولكن إن معظم الباحثين في الحضارة الإسلامية بالصين لا يعرفون هذه اللغة ولا ملجأ لهم عند البحث إلا التوجه إلى المصادر أو المراجع الثانوية التي كتبت باللغة الغربية ولا يخفى أن هذه المصادر والمراجع الثانوية لا تضمن أمانتها بسبب تأثرها بحياد الغرب السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها. وهذا جعل الباحثين ينفقون معظم أوقاتهم وجهودهم لتحقيق هذه المصادر والمراجع ولتفريق بين الحق والباطل ومع ذلك لا تخلو الدراسات أخيراً عن التأثير الاستشراقي.

ولهذا ينبغي علينا نحن المسلمين أخذ استراتيجية النقل والترجمة وتنقل هذه المصادر العربية إلى الصينية مباشرة حتى نسمع الباحثين والجماهير الصينيين آراءنا نحن المسلمين وفهمنا السديد للدين الإسلامي. كما يقول المثل: أن صاحب البيت أعلم بحال داره. وكما يحصل بسهولة الباحثون الذين لا يعرفون اللغة العربية على المصادر الأصلية حتى تكون بحوثهم ثابتة من أساسها فيكون عدلاً ومنصفاً وكما يقول أحد الباحثين: «ليست المشكلة أن لا توجد مصادر ومراجع علمية في الحضارة الإسلامية ولكننا لا نعرفها ولم ننقلها إلى الصينية فقط».

3 ـ بعض الملاحظات في نقل الكتب الإسلامية إلى اللغة الصينية في العصر الحاضر

ومنذ أربعة قرون بدأ العلماء المسلون بنقل الكتب الإسلامية إلى الصينية. وفي العصر الحديث خاصة في وقتنا الحاضر تكون عملية الترجمة بجهود العلماء قد أتت أُكلها فقد نقلت نصوص القرآن الكريم إلى اللغة الصينية أكثر من مرة ونقلت بعض الكتب للحديث النبوي مثل الصحيح البخاري والأربعين للنووي ورياض الصالحين وفي مجال العقيدة الإسلامية قد نقل عقائد النسفي وعقيدة المسلم لمحمد الغزالي وكبرى اليقينيات الكونية لرمضان البوطي وكذلك قد نقل إلى الصينية مثل مختصر في إحياء علوم الدين وغير ذلك من الكتب القديمة والحديثة ولا شك أن هذه بداية العمل فقط فيه في حاجة إلى مزيد من الجهود والأعمال:

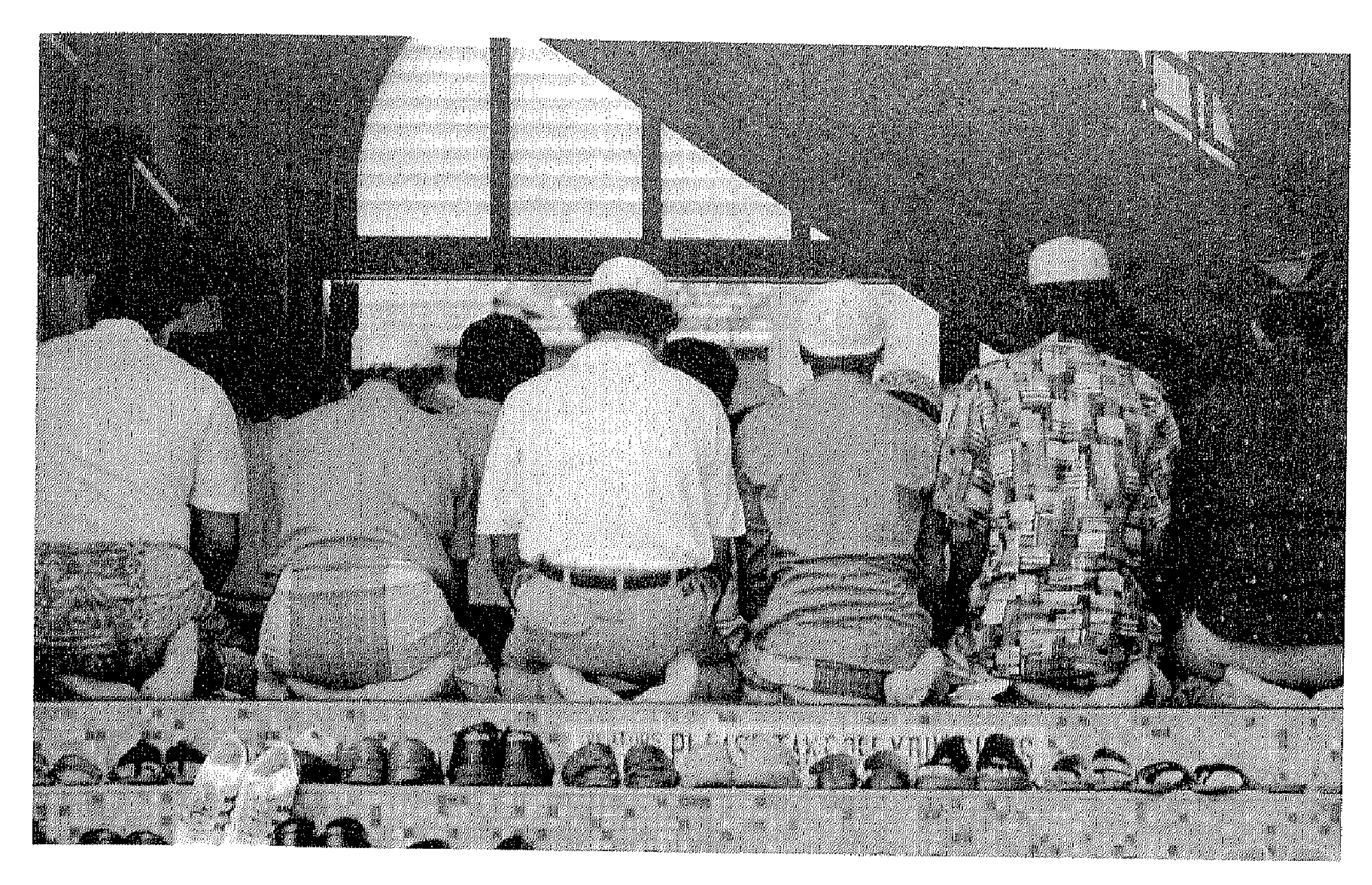
أولاً: نلاحظ أن الكتب المنقولة إلى الصينية بالنسبة إلى الكتب الإسلامية كلها ضئيلة جداً والكتب التي تعتبر حجة في مجال الدين والاجتماع والأدب وغير ذلك بالمكتبة الإسلامية ما زالت في حال العدم باللغة الصينية. وهذه الحال لا تناسب مدة التاريخ لدخول الإسلام في الصين والتي قد مضى على دخوله أكثر من 1300 سنة ولكن عدد الكتب الإسلامية المنقولة إلى الصينية لا تجاوز عن مائة كتاب بما فيها من كتاب وكتيبات. وكذلك لو قارنا أعمالنا في الترجمة بأعمال الراهب البوذي تونغ سوان زونغ الذي قد نقل الكتب البوذية من اللغة الهندية القديمة إلى اللغة الصينية سيكون الفرق واضحاً حيث أنه وحده قد نقل أكثر من 1225 كتاباً إلى الصينية وكذلك الفرق بين عدد الكتب البوذية المنقولة إلى الصينية والكتب الإسلامية المنقولة إليها كالفرق بين الثراء والثريا. فنأخذ القرآن الكريم مثالاً على ذلك مع أنه أساس ومصدر العلوم الإسلامية يؤسف أسفاً شديداً أن لا يوجد حتى الآن كتاب منقول إلى الصينية من كتب التفاسير للقرآن الكريم فصار عائقاً كبيراً للفهم الصحيح لنصوص القرآن الكريم وكما أن الحديث الشريف مصدر ثان للتشريع الإسلامي ولكنه وجد الصحيح البخاري وحده وجوده بالصينية بين الكتب الستة وفي مجال الفقه الذي لا تستغني عنه حياة

المسلمين اليومية لا يوجد إلا كتاب شرح الوقاية الذي قد ألف من قرون فكثيراً يقع عامة المسلمين في حرج وحيرة أمام المشكلات الفقهية الحديثة فلا يعرف من أين يجد جواباً عنها وتعتبر العقيدة أساس الحياة وعمدتها بالنسبة إلى المسلمين. ولكن الكتب المنقولة إلى الصينية منها خاصة الكتب المواكبة مع أحوال الزمن نادرة جداً وليست الحالة الواقعة في المجالات الأخرى أحسن من غيرها.



مسجد بكين

ثانياً: إن اختيار الكتب الإسلامية التي ستنتقل إلى الصينية أمر يحتاج إلى الدراسة العلمية. فإن الحوار بين الحضارات والجوار بالحسنى بين الأمم والشعوب شعار هذا الزمان. فللشعب الصيني رغبة في التعرّف على الحضارات الإسلامية والعلماء والمثقفين أشدهم رغبة كما أشار العالم الجليل فيساو تونغ (Feixiao Tong) إلى أن العلم في طريق توجهه إلى القرية وفي ظل هذا يكون البحث والدراسة في الحضارات العالمية له أكبر أهمية. ولهذا يكون من أهم الأمور اختيار الكتب القيمية لها أهمية وروحانية العصر لنقلها إلى الصينية بين الكتب الإسلامية. وينبغي هذا الاختيار مبنياً على الدراسة والبحث العلمي. ونلاحظ أن هذا النقص أعني عدم الدراسة في اختيار الكتب الإسلامية للنقل إلى الصينية واضحاً عندما نعرض الكتب التي قد نقلت إلى الصينية بين الكتب الإسلامية. وكثيراً يختار المترجم كتاباً ما حسب ميله الشخصي ولا يهتم بأحوال الزمن والبيئة حوله ولهذا أرى أن اختيار الكتب الإسلامية للنقل ينبغي أن يراعي أمران أولهما احتياج الثقافة الوطنية إلى أي نوع من الكتب وهذا يطلب من المترجم أن يأتي بحكم سديد على البيئة المحيطة به وحاجات الناس العلمية وميلهم الثقافي. وثانيهما مكانة الكتاب المنقولة إلى الصينية في المكتبة الإسلامية ويتطلب هذا معرفة كاملة عن الكتاب المنقول منها ومؤلفه وعادة أن الكتاب الذي لا يجذب



عليه نظر الناس في لغته الأم تكون حياته العلمية قصيرة وهذا التفكير من جانب الحضارة الصينية سيؤثر على نوعية الكتب التي ستنقل إلى الصينية حتى نقدم للقرّاء الصينيين الكتب القيمة منها.

ثالثاً: إن بعض الملاحظات الفنية في الكتب المنقول إليها ينبغي الاهتمام بها منها عدم وحدة المصطلحات الإسلامية وغير ضبطها وقد لاحظ هذه المشكلة كثير من الباحثين ويرون أنها مشكلة عقيمة وضررها بالغاً شديداً وواسعاً. فترجمة المصطلحات الإسلامية ما عدا بعض المصطلحات الفقهية مثل الصلاة والزكاة وغيرها وهذا قليل ما زالت في حالة فوضى فكل مترجم له رأيه حتى في أسماء الأشخاص المرموقين. مثلاً أن اسم الإمام أبو حنيفة قد نقل إلى الصينية أكثر من خمسة استعمالات في اللغة الصينية فالقارئ غير المتخصص في الدراسة الإسلامية يقع دائماً في التخبط وسوء الفهم. واخطر من ذلك أن بعض المصطلحات قد تمّ نقلها إلى الصينية من اللغة الغربية بما فيها من سوء الفهم للإسلام فكلمة «الجهاد» تمّ نقلها من الإنجليزية فصار معناها بالصينية «الحرب الإسلامي» فقط. ومثل هذه الحالة يجب علينا أن نلتفت إليها. ومنها الفهم الصحيح للنص الأصلي. من المعلوم أن عملية الترجمة ليست نقل لغة ما إلى لغة أخرى فحسب بل نعلم أن اللغة مع أنها رموز وحروف تحمل أفكار الشعب الذي يستعملها وعاداتهم وقيمهم وكل جانب من جوانب حياتهم اليومية ولذلك يتطلب فهم النص الأصلي فهمه في بيئة لغته وحضارته وعلى هذا ينبغي أن يكون المترجم متقناً للغة المنقولة منها وعارفاً بثقافتها معرفة كاملة علماً وشعوراً. وهذا يحتاج إلى تدريب المترجمين وإعطائهم الفرصة للدراسة في الدول العربية وكثيراً ما نجد أخطاء في الكتب المنقولة إلى الصينية إما بسبب عدم الفهم السديد للغة العربية وإما بسبب عدم الإحاطة بالثقافة العربية الإسلامية. منها إبقاء اللون الحضاري باللغة المنقولة إليها وذلك أن الهدف من نقل الكتب الإسلامية إلى الإسلامية هو عرض الإسلام وحضارته كما هو على الأبناء الصينيين سواء

كانوا مسلمين أو غير مسلمين. ولهذا لا بد من أن نبقي اللون الحضاري الإسلامي في اللغة الصينية بقدر إمكان. فكثير من الكلمات الإنجليزية بما فيها من فكر ديني أو قيم غربية صارت متداولة بين الصينيين في آدابهم وحياتهم اليومية. ولكن عندما نقرأ الكتب الإسلامية التي قد تمّ نقلها إلى الصينية نجد أن المترجم دائماً يهمل هذا الجانب المهم فتفوت القارئ فرصة للتعرّف على خصائص الحضارة الإسلامية.

4 ـ تأسيس المؤسسات لنقل الكتب الإسلامية إلى الصينية

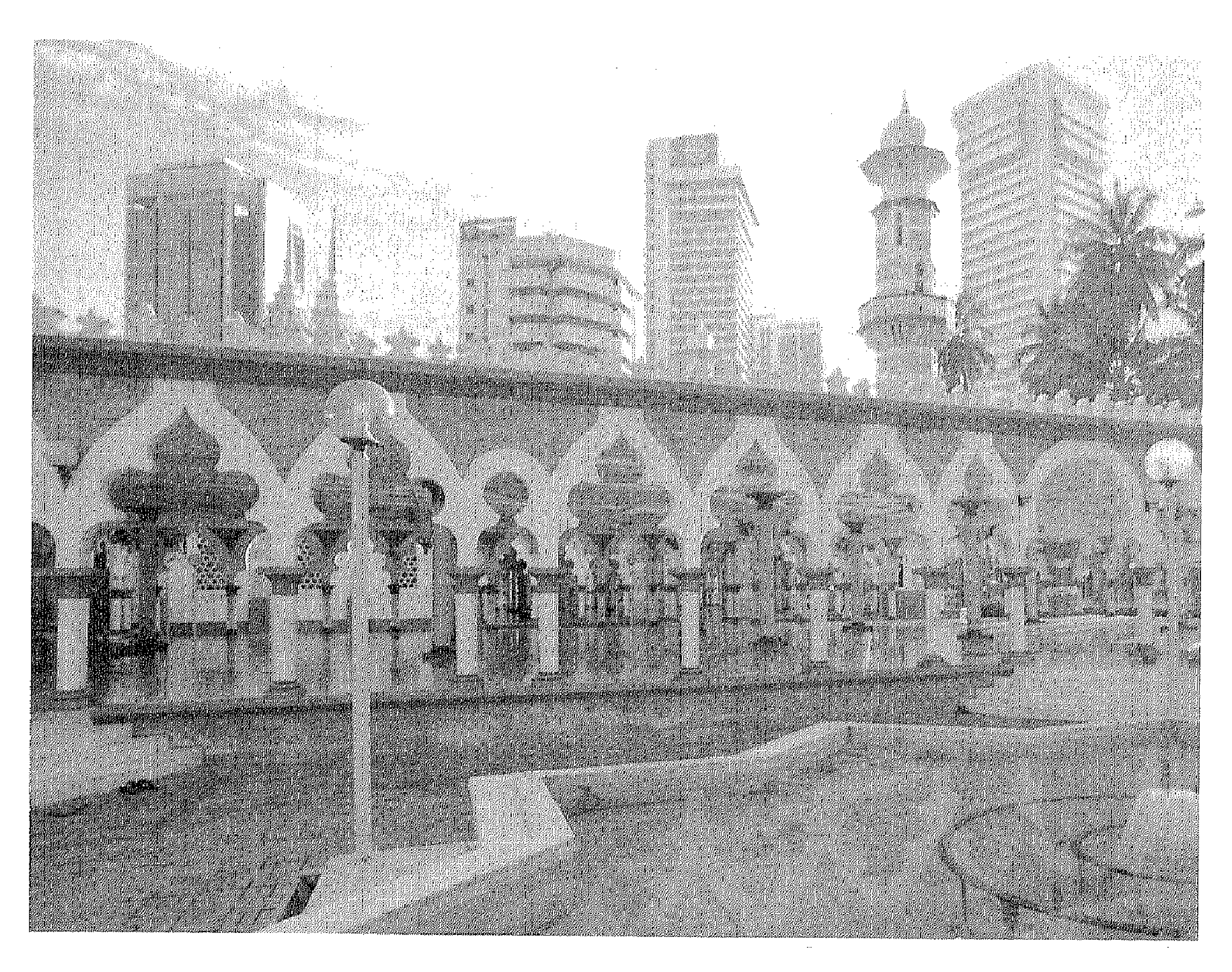
وعندما ننظر إلى الحالة الواقعية بالصين في عملية الترجمة للكتب الإسلامية نجد أساسها ضعيفاً والعاملين عليها قليلين وخاصة من أبناء المسلمين أنفسهم ومازالت عملية الترجمة عملية شخصية ينقصها التنظيم والترابط فمن الصعب أن نتوقع لها مستقبلاً يواكب ركبة تطور الزمن وتقدم العصر إذا بقيت على حالها هذه. وبهذا نرى الأعمال التالية أهم الأعمال التي يجب علينا القيام بها في أسرع وقت ممكن:

أولاً: التخطيط الكامل العلمي ذو الأبعاد في عملية الترجمة ولا يستقيم الأمر والشأن بغير التخطيط الحكيم فترجمة الكتب الإسلامية هي أساس نشر الإسلام وحضارته في أنحاء الصين فيجب الاهتمام بها فبناء على هذا يلزم أن نحطط لها تخطيط حكيماً يمكن التحقق حسب تطور وضع الإسلام بالصين.

ثانياً: تأسيس مؤسسة الرابطة لرجال الترجمة ومنذ عشرين سنة بدأ بعض أبناء المسلمين بالصين وجدوا فرصة للدراسة في دول العربية والإسلامية مثل المملكة السعودية وماليزيا وباكستان ومصر وسوريا وليبيا وغيرها فأخذوا من العلوم ما أخذوا ويقدر عددهم بأكثر من ثلاثمائة شخص خلال هذه الفترة ولكن الذين يمارسون الدراسة والبحث العلمي في العلوم الإسلامية وخاصة في المؤسسات الرسمية مثل الجامعات ومراكز البحوث بعد عودتهم إلى الوطن فهم قليلون. فبرغم هذه القلة يقل الاتصال والترابط بينهم فأدّى هذا الوضع إلى إسراف وقلّة الاستفادة من هذه الثروة الثمينة. فتأسيس الرابط ليست لتوثيق العلاقات بينهم فحسب بل يعني الاستفادة منها على أحسن وجه. مثلاً إن نقل الكتاب الضخم إلى الصينية من قبل شخص واحد قد يكون شيئاً صعباً من حيث الوقت والجهد ولكن عن طريق التعاون الجماعي سيتم العمل بسهولة. ومن ناحية أخرى يمكن أن يتعاون الذين يعرفون اللغة العربية مع البارزين في اللغة الصينية فينقل العارف باللغة العربية كتاباً إلى الصينية ثم يصحح العالم في اللغة الصينية من حيث اللغة وأسلوب الترجمة وأسلوب التعبير وغير ذلك فيكون نتاجاً يحمد وكذلك إن التعاون بينهم وتوثيق العلاقات وتبادل المعلومات بينهم سيبعد تكرير العمل وتضييع الوقت والجهد. وكنت قمت بالاستفسارات فوجدت أن بعض الكتب الإسلامية قد تمّ نقله إلى الصينية ولكن هناك أشخاص مازالوا في طريق نقله إلى الصينية ولا شك أن مثل هذا الإسراف يمكن الابتعاد عنه.

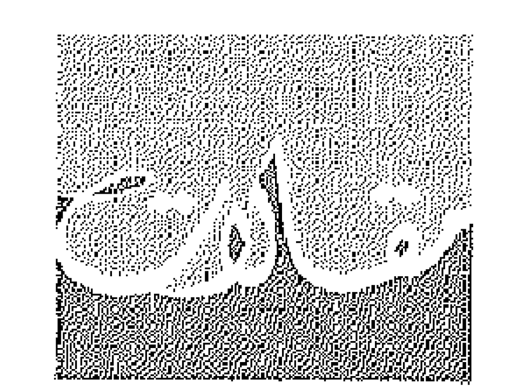
ثالثاً: عمل فهرسة كاملة عن المصادر الإسلامية وبكثرة الكتب الإسلامية وضخم عددها فهي بالصينية في أمس حاجة إلى فهرسة كاملة مفصلة فبهذا العمل يمكن أن ينقل في أسرع وقت الكتب التي يحتاج إليها المجتمع الصيني بالتعاون الجماعي وكذلك بهذا العمل يمكن أن نغلب على مشكلة وهي كثرة نقل الكتيبات التي لا يحتاج إليها المجتمع الصيني أو أقل أهمية وندور الكتب القيمة التي يرغب فيها عامة الناس.

رابعاً: عقد بعض الاجتماعات الخاصة بأعمال النقلية بتبادل الخبرات للترجمة لا شك أن عقد الاجتماع حيناً وآخر لتبادل الخبرة للترجمة والبحث



في نظرية الترجمة وتبادل المعلومات بين المترجمين سيدفع أعمال الترجمة إلى الأمام على وجه أحسن. وقد عقدت في الصين اجتماعات للبحث العلمي في الإسلام في هذه السنوات منها رسمية ومنها أهلية وعل كل حال لم يقام حتى الآن أي اجتماع لقضية نقل الكتب الإسلامية إلى الصينية مع أهميتها البالغة.

خامساً: تأسيس صندوق خاص للترجمة ومن المعروف أن أي نتاج للترجمة لا بد من طبعه ونشره وإلا فلا قيمة لها ولكن من الأسف الشديد أن الدراسة الإسلامية بالصينية تواجه مشكلة التكاليف المالية بصفة عامة وعملية الترجمة بصفة خاصة حيث نجد أن بعض الكتب القيمة التي قد تمّ نقلها إلى الصينية لا يستطيع صاحبها طبعه ونشرها بسبب عدم الإمكانيات المالية وذلك أن طبع الكتاب بالصين يكلف تكاليف مالية تفوق قدرة معظم العمال المالية وكذلك يصعب أن تتكون جماعة أو فرقة خاصة للترجمة بعدم الدعم المالي الخاص ذلك أن معظم الشاغلين بالترجمة الآن يمارسون أعمالهم النقلية في أوقات فراغتهم من الأعمال حيث ينفقون معظم أوقاتهم لطلب الرزق فيحتاج نقل كتاب ما إلى وقت طويل. فبتأسيس الصندوق الخاص يمكن أن نجمع القوة المادية أو المعنوية لنقل الكتب التي يكون المجتمع الصيني في أشد رغبة فيها في أسرع وقت ممكن وعلى أحسن وجه. وبالإضافة إلى ذلك سيلعب دوراً مهماً ويترك أثراً بالغاً سواء في تحويل نتاج العمل إلى الطبع والنشر أو تكوين فرقة أو جماعة خاصة لمباشرة هذه الأعمال الجليلة ونظراً إلى وضع المسلمين المالي بالصين نرجو من المؤسسات بالدول العربية والإسلامية أن تعطي هذا العمل أهميته.



ملامح الحضارة الإسلامية

ومدى اختلافها مع الحضارة الغربية

د. مفتاح السنوسي بلعم*

الحضارة ذات جانبين: جانب مادي، وجانب ثقافي فكري.. ويقصد بالجانب المادي المنشآت العمرانية كالمساجد والمكتبات والمؤسسات العلمية التي كان لها دور كبير في إظهار التقدّم الحضاري العمراني والزخرفي..

أما الجانب الثقافي الفكري فيتضمن المعارف والعلوم والأنظمة التي تعالج شؤون المجتمع والمال والحرب والسلم والقضاء، والمناهج العلمية والتربوية.

إن حضارة الإسلام قد تميزت عن غيرها من حضارات العالم في كل شيء.. في مصدرها، في خصائصها، في غاياتها وأهدافها.

ولكي يتبّن لنا فضل حضارة الإسلام، وما قدمته للإنسانية قاطبة، نبرز أهم ملامحها، ومدى اختلافها مع الحضارة الغربية.

1 ـ تعتمد الحضارة الإسلامية على القرآن الكريم والسنّة النبوية المطهرة بينما تعتمد الحضارة الغربية على التراث اليوناني، والقانون الروماني. والديانة المسيحية، والمعتقدات الوثنية.

2 ـ تؤمن الحضارة الإسلامية بأن الدين الإسلامي جزء أساسي في حياة المجتمع المسلم، لا ينفصل عنه بأي حال من الأحوال.. بينما تنادى الحضارة الغربية بفصل الدين عن الحياة، وإبعاده عن تسييره للحياة الإنسانية.

3 ـ تؤمن الحضارة الإسلامية بالطبع الإنساني، وترى أن ما تتوصل إليه في المجال الصناعي والتقني هو لخدمة الإنسان بصفة عامة، بينما تهدف الحضارة الغربية من وراء ذلك إلى خدمة الإنسان الأوروبي.

4 ـ تؤمن الحضارة الغربية بحلول للمشاكل على قاعدة القوة وأسلوب الميكافيلية التي تفصل فيها الأخلاق عن السياسة. بينما تؤمن الحضارة الإسلامية بالحلول الأخلاقية، ولا تبرر الوسيلة عندها الغاية.

5 ـ تقوم الحضارة الغربية على أساس انفصال الوازع الديني عن العلوم والمعارف، وأن المادة لها السيادة الكاملة على الوازع الديني، بينما تؤمن الحضارة الإسلامية بأن الوازع الديني أساس لتقدم العلوم المختلفة.

6 ـ تحاول الحضارة الغربية أن تثبت أن الإنسان عبد

* أستاذ جامعي/ ليبيا

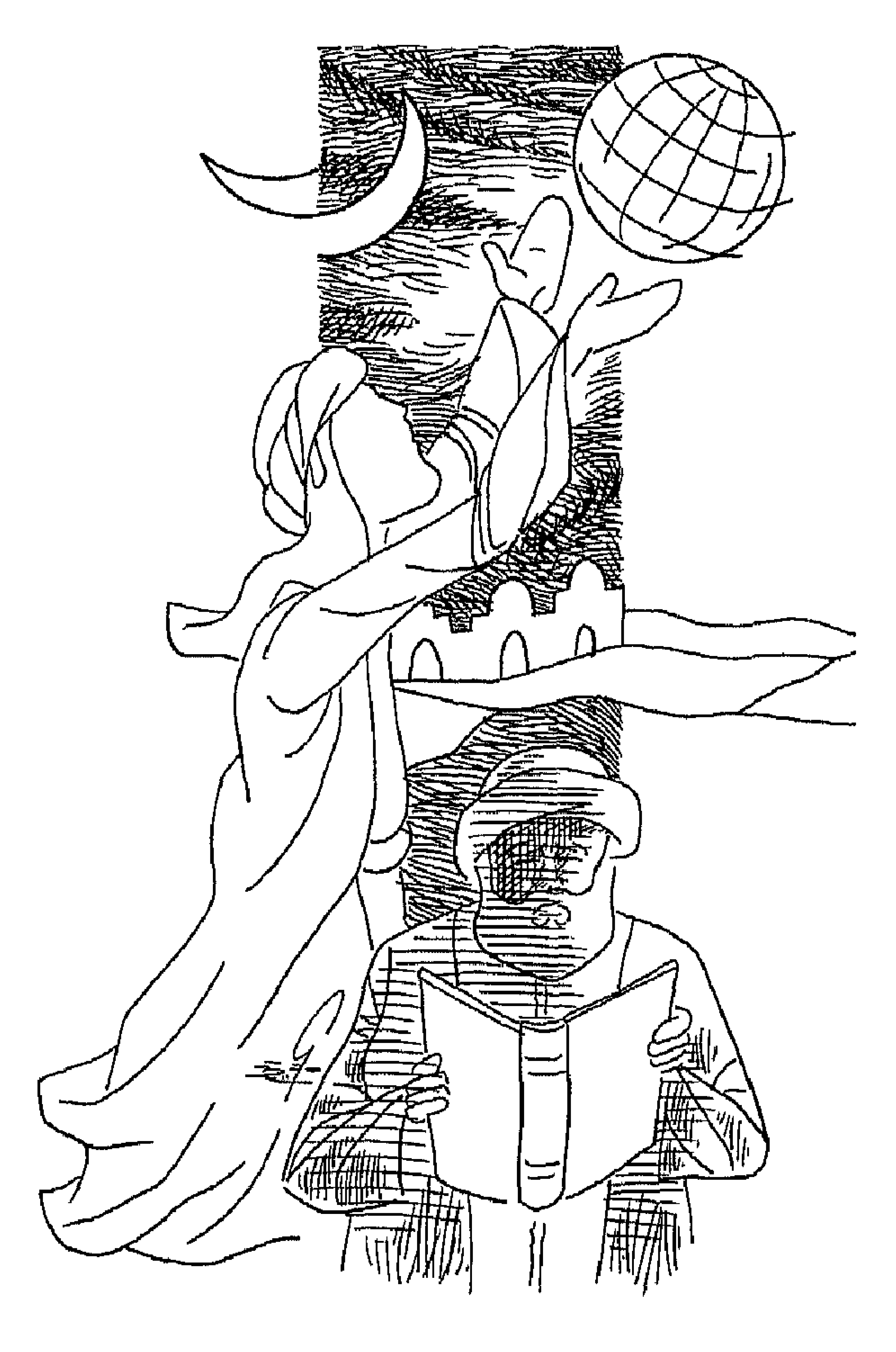
لنزواته وغرائزه الجنسية. ومن هنا أدخلت هذه الحضارة الإنسان إلى حظيرة الحيوان.. وهذه المفاهيم تتعارض مع مفاهيم وقيم الحضارة الإسلامية التي ترى للإنسان كرامة تعلو على جميع المخلوقات، وأن له السيادة تحت حكم الله ترفعه بالعقل، وتكرمه بالإيمان.

7ـ تفصل الحضارة الغربية بين الروح والمادة، والعقل والقلب، والدين والحياة.. بينما تؤمن الحضارة الإسلامية بالوحدة بين هذه العناصر، والالتقاء والتوازن بينها.. كما أن الحضارة الغربية تنكر الغيبيات، وتؤمن بالمحسوس، والملموس.. بينما تؤمن الحضارة الإسلامية بأن هناك جانباً من الحياة لا يصل إليه الحس والنظر، ولكنه يفهم ويدرك بالعقل والإيمان.

8ـ تعلي الحضارة الغربية من شأن الجنس، وتحاول أن تجعل للأوروبيين والبيض والغربيين استعلاء على المسلمين والملوّنين. ونحاول بهذا الاستعلاء أن نجعل للاستعمار سيادة على الأمم التي وقعت تحت سيطرة الاحتلال الأجنبي، بينما تختلف الحضارة الإسلامية عن الحضارة الغربية في هذه النظرة، وترى أن الناس سواسية كأسنان المشط، وأنه لا فضل لعربي على أعجمي، ولا أبيض على أسود، إلا بالتقوى والعمل الصالح.

9ـ تنظر الحضارة الغربية إلى الإسلام على أنه دين مثل الأديان الأخرى اللاهوتية التي ترى أن الدين مجرد علاقة شخصية بين العبد وربه، وأنه لا يتدخل في شؤون الحياة المختلفة.. بينما تنظر الحضارة الإسلامية إلى الإسلام نظرة أكثر عمقاً وواقعية ـ أنه دين شامل، ونظام كامل لجميع جوانب الحياة الإنسانية.

10ـ تؤمن الحضارة الغربية بالإباحية المطلقة، وتحرير الإنسان تحريراً كاملاً من كل القيود والضوابط. وقد أصبحت هذه الإباحية طابع



المجتمعات الغربية التي انتشرت فيها الملذات والشهوات إلى آخر مدى.. بينما تؤمن الحضارة الإسلامية أن الإنسان المسلم عبد الله، توجهه شريعته حيثما كان وأينما وجد. وله مقومات أساسية قائمة على الأخلاق، لا يستطيع الخروج عنها. وترى الحضارة الإسلامية أن في ذلك حماية للإنسان من الانهيار والانحلال.

ومع أن الحضارة الإسلامية منحت الإنسان حق إشباع غرائزه وشهواته بطرق شرعية، إلا أنها لم تطلق العنان لغرائزه، ولم تفتح أمامه الطريق إلى الملذات والشهوات. هذه النظرة من جانب الحضارة الإسلامية تؤكد للباحثين الغربيين المنصفين جميعاً حاجة الإنسانية إليها اليوم في مواجهة أزمة القيم، ونحو مجال الماديات مع

تجاهل حاجة النفس الإنسانية إلى الوازع الديني والأخلاق الأصيلة.

11ـ تمنح الحضارة الغربية الإنسان ما يعرف بالحريات الأربع وهي: حرية العقيدة، حرية الرأي، حرية التملك، الحرية الشخصية، بينما تؤمن الحضارة الإسلامية بأن الإنسان المسلم عبد الله، منقاد لحكم الله. لا يجوز أن يترك دينه، ويعتنق ديناً آخر.. وإن فعل ذلك اعتبر مرتداً يجب قتله بعد استتابته لما رواه ابن عباس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله (ﷺ) قال: «من بدل دينه فاقتلوه»[1]. أما غير المسلم فلا يجوز أن يجبر على الدخول في الإسلام لقوله تعالى:

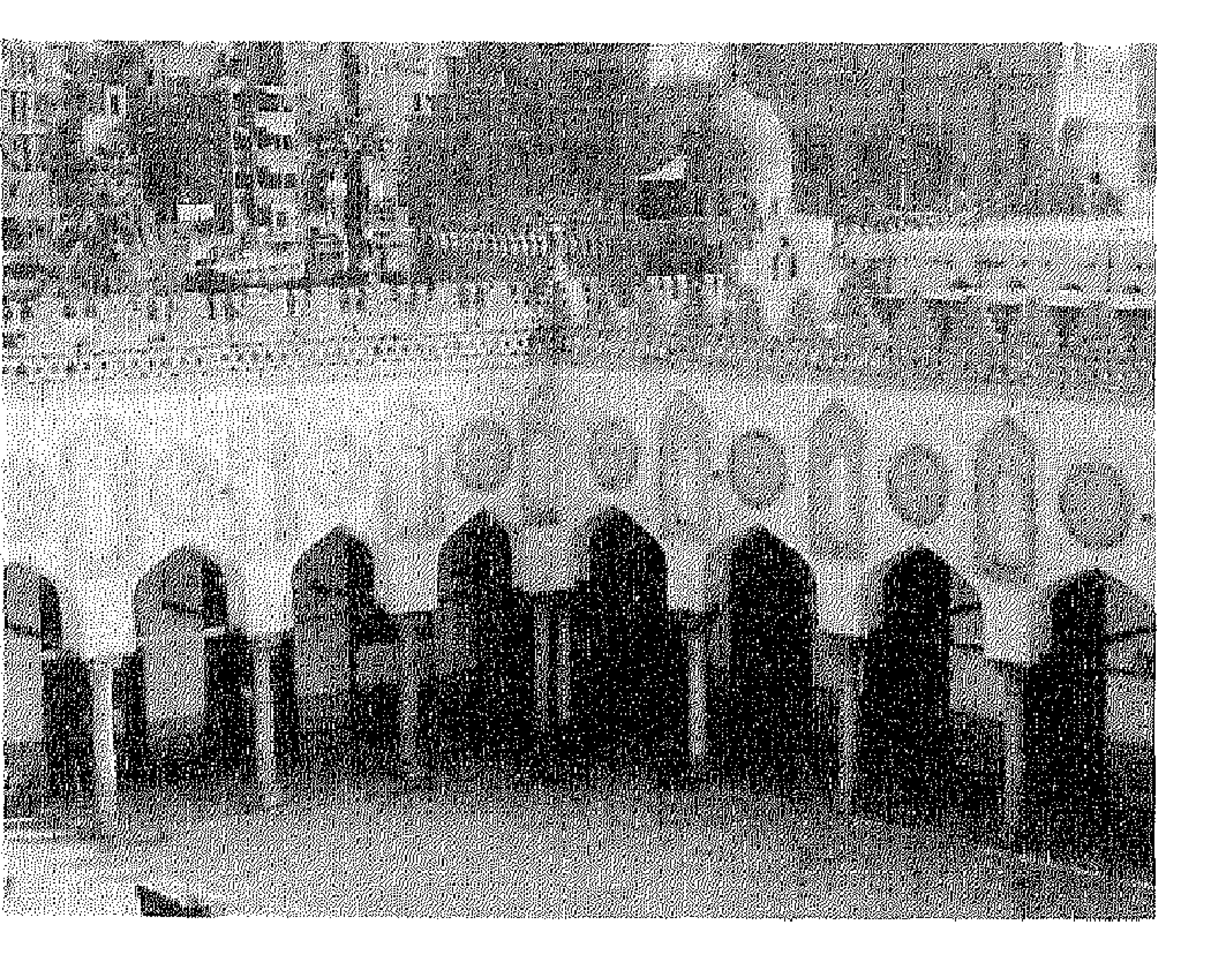
﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾
[سورة البقرة: الآية 256]

وكذلك لا يجوز للمسلم أن يصرح برأي يخالف حكماً من أحكام الإسلام، فرأيه مساعد من عقيدته ودينه.

ولا يجوز له ـ كذلك ـ أن يملك أي شيء بغير الطرق الشرعية بحجّة حرية التملك.. فله أن يملك ولكن في حدود أحكام الإسلام، وفي إطار مبادئه وقيمه الثابتة.

وكذلك لا يجوز للإنسان المسلم أن يتصرف أي تصرف، أو يظهر أمام الناس بأي مظهر مخالف للإسلام بحجة الحرية الشخصية. فهذه الحرية مقيدة بأحكام.. ففي إطار هذه الأحكام وفي حدودها يملك الإنسان المسلم الحرية التي تعني حرية الإنسان من أي عبودية كانت سوى عبوديته لله تعالى.

إن الحضارة الإسلامية تواجه في الوقت الحاضر تحديات خطيرة تستهدف احتواء هذه الحضارة، والسيطرة عليها، والدعوة الملحة إلى مخاصمتها



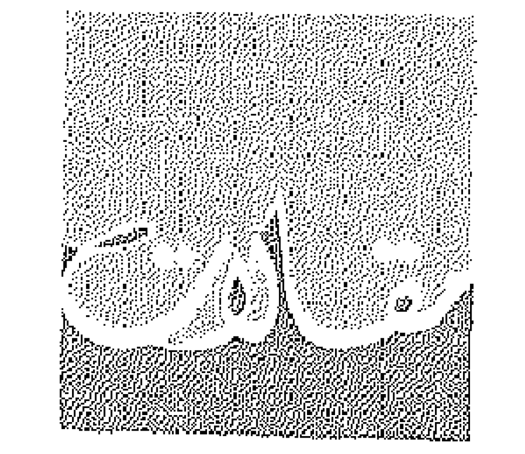
واحتقارها، وإثارة الشبهات حولها، والعمل على صرف المسلمين عن هذه الحضارة العظيمة التي اتهمها أعداء الإسلام بأنها هي السبب المباشر لتأخّرهم وتخلّفهم عن ركب الحضارة الإنسانية.

إن إيماننا بقدسية هذه الحضارة، وأنها المصدر الأساسي لنهضتنا، يفرض علينا أن ننذر حياتنا وما نملك لحماية هذه الحضارة من أي دخيل، والمحافظة عليها من أي تشويه، وأن نسعى لفهمها، والعمل بما تضمنته، وتمكين الشعوب المغلوبة على أمرها من الاطلاع عليها ومعرفتها حتى يتبيّن لها أنها الحضارة الوحيدة التي تهتم بالإنسان، وبما يسعده ويصلح شأنه كله.

إن العالم اليوم لا يمكن أن يخطو خطوة واحدة نحن حياة إنسانية فاضلة. يكون فيها الإنسان هو القائد لا المادة، الا اذا استنكر واسترشد بما تضمنته حضارة الإسلام من أفكار قيّمة، ومبادئ عظيمة، كانت لها آثار واضحة في تاريخ الإنسانية كله قال تعالى:

﴿أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [سورة الملك: الآية 22]

(1) رواه البخاري



التحدي النفسي المعرفي التربوي

خطوط عريضة

د. عبد الحميد أحمد أبو سليمان*

هذه الخطوط عريضة يقصد منها طرح هذه القضية للنقاش على أن يستفيض البحث والنظر فيها فيما بعد إن شاء الله فما لا يدرك كله لا يترك كله.

جوهر الإشكال الإسلامي الحضاري فكري ـ تربوي

لا شك أن الأمة في هذا العصر ولأمد طويل قبل ذلك قد عانت من قصور الأداء والغيبة في مجال الأداء الحضاري واتسمت وجوه الحياة فيها علمياً واقتصادياً وإدارياً وعسكرياً وسياسياً بالتخلف. وأساس الأداء في كل هذه المجالات وفي كافة مجالات الحياة الإنسانية هو في قيمة الأفكار التي يطرحها الإنسان ونوعيتها ولذلك فإن أي إصلاح في أي مجال من هذه المجالات لا بد أن يرتكز إلى منهج علمي عملي في التفكير كأساس ومنطلق، والفكر السليم لا بد أن يقود صاحبه إلى أن يستكمل الأدوات ويذلل العقبات ويهدي إلى أفضل الحلول.

والأساس الإسلامي العقيدي من حيث التصور الكوني لمعنى الإنسان وغاياته الحياتية ومن حيث القيم والمبادئ يقدم ولا شك أفضل عقيدة وأسمى تصوّر وأشمل القيم.

ولهذا فلا بد لنا إذا شئنا أن تستعيد الأمّة عافيتها وقدراتها الحضارية التي تفردت بهما وأبدعت زمناً طويلاً أن ننظر في مناهج فكرها وما اعتراها من عطب عطل طاقة الأمة وأداءها الحضاري.

فالمنهج هو الآلة التي تتناول الطاقات المادية والمعنوية وتهضمها وتصوغها وبقدر ما تكون آلة المنهج سليمة الأداء كلما حسن نوع الفكر وأمد الأمم بالخطط والتصورات والأفكار التي تبدع بها في ميدان العلم والمعرفة والحضارة.

وكلنا يعلم أن الأمة بدأت في مهد الرسالة الإسلامية المحمدية قد احتضنت الفطرة في الإنسان والكون ورشدت خطاها بمفهوم الاستخلاف والإعمار والاستعمار.

ولذلك تميّزت المعرفة الإسلامية بتآزر مصادرها في الوحي والغيب مع العقل والشهادة فكان منهج الإسلام منهج الإيمان والوحدة والخير والمعرفة والإعمار.

وأخذت السيوف تعتور المنهج الإسلامي

---

* مدير الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا ورئيس المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالولايات المتحدة الأمريكية، ومؤلف «أزمة العقل المسلم» من منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالولايات المتحدة الأمريكية.

التوحيدي بتأثير ثقافات الشعوب التي دخلت الإسلام وجاهلياتها وتناقضاتها.

وكان لا بد أن تثخن سيوف الانحراف منهج فكر الأمة وأن يختل أداؤها وأن تختل صفوفها وأن يتمزق نسيجها الاجتماعي والحضاري.

وحين انعزل أصحاب الفكر عن أصحاب الإدارة الاجتماعية والسلطان السياسي كان لا بد أن يضعف الفكر وأن يختل الأداء وأن تتمزّق الوحدة وأن يتعارض النقل والعقل والغيب والشهادة والعاجل والآجل.

وهكذا انحسرت المعرفة وذوي الإبداع وانزوى العلماء في الصوامع وثلمت أدوات القادة والساسة وضعف أداؤهم.

وهزل فكر العلماء بالعزلة عن الواقع وضعف فكر القادة بانعزالهم عن العلماء فكان لا بد أن يؤدي ذلك إلى أخذهم الأمة بالإرهاب بديلاً للفوضى وعموم الخراب، فأخذ العلماء من جانبهم الأمة بالإرهاب المعنوي وإلجام العقل وأخذ السلاطين المعارضين بالسيوف وإرهاب السجون.

وهكذا أدى انحراف المسيرة إلى فساد المنهج وأدى فساد المنهج إلى فساد الفكر وفساد الفكر أدّى إلى الإرهاب والإرهاب أدى إلى فساد التربية لتصبح تربية خوف وإرهاب، والإرهاب لا ينجم عنه إلا نفسية العبيد بكل ما فيها من خوف وذعر وخنوع وزهد في الإعمار والمبادرة.

جوهر الإصلاح فكري تربوي:

مما سبق يتضح لنا أنه إذا لم تصلح مناهج التفكير فإنه لا مجال لإصلاح الفكر وبالتالي فلا مجال للإنجاز العلمي والاقتصادي والإداري والسياسي وفي أي مجال حياتي آخر لأن الإنجاز يستلزم فكر العزم والجرأة والمبادرة.

والعزم والجرأة والمبادرة صفات نفسية يتميز بها الأحرار، وهي صفات نفسية تربوية وليست مجرد صفات معرفية ذهنية. فلا يكفي علم كثير من الأطباء بمضار التدخين ليتركوه ولا يكفي الشاعر حفظ ألوف بيوت الشعر في الحماسة ليكون شجاعاً بل لعل كثير ممن أبدعوا في شعر الحماسة كانوا أرهب من غزال.

فإذا الإنجاز الحضاري هو وليد صفات نفسية لذلك فإن الإصلاح المنهجي يجب أن يوظف أول ما يوظف في المجال التربوي وذلك لبناء الطاقة النفسية لدى الطفل حتى يشب إنساناً قوياً صاحب عزم ومبادرة محباً للخير والمعرفة والإعمار.

❖ إصلاح المنهج يجب أن يحرر الثقافة الإسلامية من فكر الخوف والإرهاب والخرافة وأن يغرس في موضعها فكر الاستخلاف وكرامة النفس وحب المعرفة والمبادرة والإعمار.

إن إصلاح المنهج يجب أن يحرر الثقافة الإسلامية من فكر الخوف والإرهاب والخرافة وأن يغرس في موضعها فكر الاستخلاف وكرامة النفس وحب المعرفة والمبادرة والاعمار. وإذا كانت هذه المهمة من أصعب المهمات لما يحول دونها من موروثات تاريخية روّضت النفوس على أحوال لا تجد الأمّة ومثقفيها الجراءة على التصدي لها، إلا أن فداحة الثمن ومخاطر العولمة والاختراق الثقافي لا يدع مجالاً بعد الآن للتأجيل والتسويف.

إن إصلاح المنهج يجب أن يحرر العقل المسلم من التناقض وأن يعيد إليه صحته في وحدة الغيب والشهادة والنقل والعقل والمادي والمعنوي والأخلاقي والعلمي والدنيوي والأخروي.

وهذا يوجب إعادة النظر في مناهج التعليم فلا مجال لعزلة الدارسين لعلوم الوحي - وهم أساس في

تكوين عقليته وصفاته النفسية - في كتب التاريخ وعصور التاريخ ومجتمعات التاريخ وإلا فليس لهم إلا فكر التاريخ وأحكام مجتمعات التاريخ وتصورات حياة التاريخ فتجديد الفكر رهن بتغير الأحوال والظروف والحالات والحاجات.

كذلك لا مجال لأصحاب العلوم الإنسانية والفيزيائية أن يعزلوا فكرهم عن كليات المعرفة وغاياتها وقيمها وضوابطها وإلا كانت تصوراتهم قاصرة اعتباطية في حقيقتها قد تقود إلى الضلال لعدم فهم الكليات وغيبة الضوابط والقيم.

لا بد في طلب المعرفة الإنسانية من إدراك معناها ورسالتها وغايتها وقيمها وضوابطها، ولا بدّ لإدراك الضوابط والقيم والغايات من الدراية بالطبائع والأحوال ولذلك لا يكون طلب المعرفة الإسلامية سليماً منهجياً لغير العارف بأسس المعرفة والدراسة الإنسانية في عصره ومحيطه ليحسن تنزيل النص على الواقع والطبائع. ولا مجال للدراسات الإنسانية والفيزيائية دون دراية بجوانب الكليات الإنسانية والكونية التي تنزل بها الوحي وكشف عنها الغيب.

وهكذا فإن إصلاح مناهج المعرفة الإسلامية معناه استعادة وحدة مصادر المعرفة الإسلامية ووحدة الحياة الإنسانية وغائيتها الخيرة.

وبالطبع فإنه لا يكفي إصلاح مناهج التعليم فلا بد معها من إصلاح مناهج التربية.

فمن الملحوظ أن مناهجنا التربوية أننا نهتم بالجانب المعرفي والمعلوماتي الذي هو في جوهره جانب اقتنائي يحصل به الدارس ما هو معلوم. أما الجانب النفسي الذي هو الأساس في قدرة الأداء فإننا نهمله ولا نهتم به. إننا إذا لم نهتم بالجانب النفسي ونسخر الجانب المعرفي لخدمة الجانب النفسي بحيث يكون ما يقدم للطفل بما يتناسب مع المرحلة التي يمر بها في نموه النفسي ويعين على بناء الصفات الإيجابية في تكوينه. إن من المهم أن ندرك بوضوح أن الجانب المعرفي يصبح قليل الجدوى وقد يكون هداماً إذا تعارض مع متطلبات مرحلة النمو النفسي الذي يمر الطفل الدارس.

إن القدرات العملية الإبداعية ليست مجرد تحصيل المعلومة ولكنها تنبع قبل ذلك من طاقة نفسية إيجابية تتميز بروح المبادرة وحب الاستطلاع والمعرفة ويجب أن يعين الجانب المعرفي على تكوينها وتنميتها لا عرقلتها وتعويقها.

إن الجانب المعرفي في تحصيل المعلومات قضية تستمر باستمرار الحياة أما تكوين الطاقة النفسية فإنها لا يتم تحصيلها إلا في الطفولة ونعومة الأظافر فإذا انقضى أمد الطفولة وأعوج فيها العود فلن يستقيم أمر صاحبها ولن يتغير طبعه مهما تراكمت معلوماته.

ولذلك فإن الأثر النفسي التربوي في جهود الإصلاح الحضاري الإسلامي يجب أن يعطى الأولوية وأن يتم تقديم المعلومات والمعارف للناشئ على أساس الوعي والدراية بمراحل تكوينهم النفسي ومراحل نموهم المختلفة.

إن لنا في قضية سيدنا موسى عليه السلام حين أخرج بني إسرائيل من مصر حيث استعبدوا وكوّنوا نفسية العبيد وطلب إليهم أخذ الأرض وبناء الملك فكان جوابهم جواب العبيد الذي يتميز بالخوف وانعدام المبادرة، لأن المبادرة من شأن الأحرار، أما العبيد فيفعلون ما يؤمرون، ولذلك قالوا لسيدنا موسى:

﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾
[سورة المائدة: الآية 22]

وذلك الخوف

﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾

[سورة المائدة : الآية 24]

وذلك عدم المبادرة، فما كان تدبير سيدنا موسى التربوي الناجع إلا أن يبقيهم في التيه أربعين عاماً ينشأ فيها جيلٌ من الأحرار لهم الشجاعة والمبادرة اللازمة لإعمار الأرض وبناء الملك.

يتضح لنا مما سبق أن التحدي الذي تواجهه الأمة في عصر التدافع والتنافس الحضاري وعصر التسابق العلمي والتقني الإبداعي هو في أساسه منهجي فكري وفي جله فكري تربوي ينشأ به جيل الخلافة القادر.

الوسائل:

من الواضح مما تقدم أن الإصلاح الفكري التربوي الإسلامي يمثل الموقع الاستراتيجي الهام في إصلاح حالة الأمّة. ومن الواضح أن تحقيق الإصلاح الفكري التربوي الإسلامي يعتمد على عناصر ثلاثة هي الأسرة والمدرسة والإعلام.

1 - الإعلام:

لا شك أن وسائل الإعلام الحديثة وما تبثه من أفكار وتصورات لها تأثيرها الكبير في تكوين عقلية الناشئة وبناء تصوراتها للحياة والعلاقات الإنسانية ولذلك لا بد من الاهتمام بالإعلام ودور الإعلام وما يقدم إلى الناشئة من المواد الإعلامية.

والإعلام المحلي إذا أتقنت صنعته وصدق أداؤه فإنه أكثر تأثيراً في نفوس أبناء الأمّة لأنه حديث الرحم وأقرب إلى تكوين نفس الناشئة. ولذلك يجب إعطاء صناعة الإعلام الاهتمام اللازم بها وتشجيعها حتى تتمكن من تقديم المواد الإعلامية التربوية التعليمية الهادفة اللطيفة الروحية الخالية من الخلاعة والانحطاط والخرافة وتوفير متطلباتها الاكاديمية والفنية.

2 - المدرسة:

وللمدرسة ولا شك دورها الهام جداً في تكوين نفسية الطفل وعقليته وإمداده بالمعلومات الأساسية والنشاطات التي تساهم في تطوين عقليته وقدراته وصفاته ومعارفه.

ويقضي الفرد في المدرسة في مراحل تكوينه نعومة أظفاره وسنين نشأته الأولى وفيها تترك مناهج المدرسة ونشاطاتها المعرفية والتربوية أعمق البصمات على ملامح شخصيته وتكوين عقليته.

ولذلك فإن من المهم إعطاء المدرسة ونظم التعليم نصيبها الوافر من الاهتمام ويجب العمل بجدية على تطوير مناهج المدارس في العالم الإسلامي بحيث لا يقف جوهر أدائها على الجانب المعلوماتي المعرفي وتهمل في أدائها الجانب النفسي وتنمية الطاقة النفسية.

❖ القدرات العملية الإبداعية ليست مجرد تحصيل المعلومة ولكنها تنبع قبل ذلك من طاقة نفسية إيجابية تتميز بروح المبادرة وحب الاستطلاع والمعرفة

يجب الاهتمام بالجانب النفسي في التربية والتعليم وخاصة في مناهج التعليم الديني بحيث نحمي الطفل من العرض السلبي لأسس تكوينه العقيدي كما نحميه من فكر الخوف والخرافة الذي يسيء استخدام الخطاب القرآني بتوجيهه للطفل الغض وما قصد به إلا البالغين كما نحميه أيضاً من سوء استخدام خطاب السنّة بإهمال نقد المتن وتجاهل عامل الزمان والمكان في ذلك الخطاب.

وخطاب الرسول ﷺ إلى الطفل كان خطاباً نفسياً إيجابياً على غير حال الخطاب القرآن المكي الذي كان خطاباً للبالغين الجاحدين، فجاء خطابه للغلام عبد الله بن عباس على غير ذلك يقيم بين الغلام

وبين الله في الجزء الأول من خطابه له المحبة والتساند مع الله سبحانه وتعالى ويعلمه في الجزء الثاني منه الشجاعة والتصرف على أساس القناعة دون خوف ولا رجاء من أهل الأرض جميعاً.

ونجد الرسول ﷺ إماماً في الصلاة وفي السجود يحسب الأثر النفسي على الطفل حسين ابن ابنته وقد علا ظهره فأطال السجود حتى لا يعجله كما قال، لا لأنه كما يقولون يحب الأطفال، فلا غرابة في ذلك، خاصة وأن الطفل هو ابن ابنته، ولكنه لأنه لم يشأ أن ينزل الطفل الذي يلعب على ظهره بسرعة يحس معها الطفل الغافل الصغير الرفض والابعاد بل تركه لنفسه يلعب هنيهة على ظهره ثم ينزله وقد أنست نفسه وأحسّ حب جده وملاعبته، وبهذا الإدراك لطبيعة تكوين نفسية الطفل وحاجاته النفسية أمكن أن يكون عليه السلام أباً وجداً ناجحاً ولم يضرب طفلاً قط.

ولذلك يجب أن تعطى كليات التربية ومراكز البحث العلمية التربوية الاهتمام الكافي لدراسات علم نمو الطفل وأن تولي دراسات المناهج الدينية والعقيدية الإسلامية الاهتمام اللائق بأهميتها وأن يعطى الجانب النفسي التربوي في تطويرها أكبر الاهتمام.

كذلك يجب التعاون بين الجامعات ومراكز الأبحاث ووزارات التربية والمنظمات الدولية ومن أهمها منظمة المؤتمر الإسلامي والايسيسكو واتحادات الجامعات والمدارس الإسلامية وتكاتف الجهود بينها من أجل تطوير المناهج التربوي والمساقات المعرفية لتكوين العقلية الاستخلافية العلمية الريادية الخيرة المبدعة لدى الطفل المسلم.

إن من المناسب أن تدرس منظمة المؤتمر الإسلامي مع الدول الإسلامية والمنظمات المحلية والدولية المعنية أمر إنشاء رابطة للمدارس الإسلامية العالمية تعمل على تطوير المناهج الدراسية التربوية الإسلامية المستقبلية التي تعد الناشئة والأجيال القادرة على مواجهة تحديات عصر العولمة والمواجهة الحضارية وذلك حتى يمكن أن تأخذ الأمة الإسلامية مقعدها على مائدة الحوار الحضاري المعاصر وأن تسهم بنصيبها في توجيه دفة القيادة الحضارية نحو شواطئ الأمان الحضاري المبني على العدل والإخاء الإنساني فالإسلام يؤمن بأن الإنسان خلق من نفس واحدة، وخلق الله البشر شعوباً وقبائل ليتعارفوا، وجعل اختلاف ألسنتهم وألوانهم من آيات قدراته في إبداع الخلق وحسن الصنعة وقضى أن لا تفاضل بينهم إلا بالتقوى والعمل الصالح.

إن قيام هذه الرابطة التي تعمل على تطوير المناهج على أسس عليمة نفسية خالية من موروثات الأمراض والانحرافات الثقافية التي ألمّت بالأمّة وهدّمت حضارتها وقضت على قدراتها ورعايتها للمدارس الإسلامية العالمية التي تقوم على أساس تتبنى مناهجها المطورة ووسائلها التربوية الإسلامية العلمية أمر أساسي لإصلاح شؤون الأمّة وأخذ المبادرة الجادة لتحقيقه.

3 ـ الأسرة:

ودور الأسرة هو أهم حلقات الإصلاح التربوي الإسلامي ولا شك، فدور المدرسة ودور الإعلام إيجابياً أو سلبياً فإنه إنما يستمد طاقته ومشروعيته من دور الأسرة وتوجهاتها الثقافية والتربوية.

إن مشروعية توجيه المدرسة وتأثيرها إنما تستمده من دور الأسرة إيجابياً بالدعم والتأييد أو سلبياً بالتخلي والمقاومة وإفساد تأثير جهود المدرسة التعليمية التربوية.

إن دور الأسرة الواعي القدير لا يعدله تأثير

شيء آخر على نفس الطفل لأن الأسرة هي الوعاء الذي يشكل عطاء المدرسة وثمرة تأثيره في نفس الطفل ولذلك ليس من المستغرب أن نرى البون الشاسع في النفسية والعقلية والخلق بين تلميذ وتلميذ آخر رغم أن كليهما يدرسان في مدرسة واحدة ومنهج واحد وفصل واحد ومدرس واحد وذلك بسبب أن لكل واحد منهم أسرته التي تختص بولائه وعاطفته، لذلك فإن اختلاف الأسرة والصحبة تغلب الدور المهم في تشكيل ضمير الطفل وقابلياته وتشكيل مفرداته المعرفية في وعاء نفسيته وتوجهات ضميره. والأسرة بذلك هي التي تفسر كثيراً من الفروق النفسية بين تلميذ وآخر في المدرسة الواحدة.

ولذلك يجب أن يهتم المثقفون والمفكرون في المقام الأول بثقافة الأسرة وفهم دورها الاستراتيجي الهام في تشكيل عقلية الطفل وتكوين ضميره وضبط توجهاته والتي يمد الطفل من خلالها المشروعية لكافة المؤثرات الخارجية التي يتعرض لها وتحيط به.

وأول خطوة بعد تطوير مناهج التربية وإصلاحها أن نعمل بكل الوسائل من أجل إعداد شباب الأمة بالثقافة الأسرية اللازمة لمزاولة أدوارهم في الأبوة الإيجابية. إن الأسرة والأبوة الصالحة التي تمارس دورها في توجيه الطفل هي الوسيلة القادرة على حماية الطفل المسلم من ثقافة الإرهاب والخرافة وتنمي فيه الشجاعة والمبادرة والإبداع وتدعم الجهود الإصلاحية التربوية وتمكن لجذورها في نفس الطفل وتهبها المشروعية.

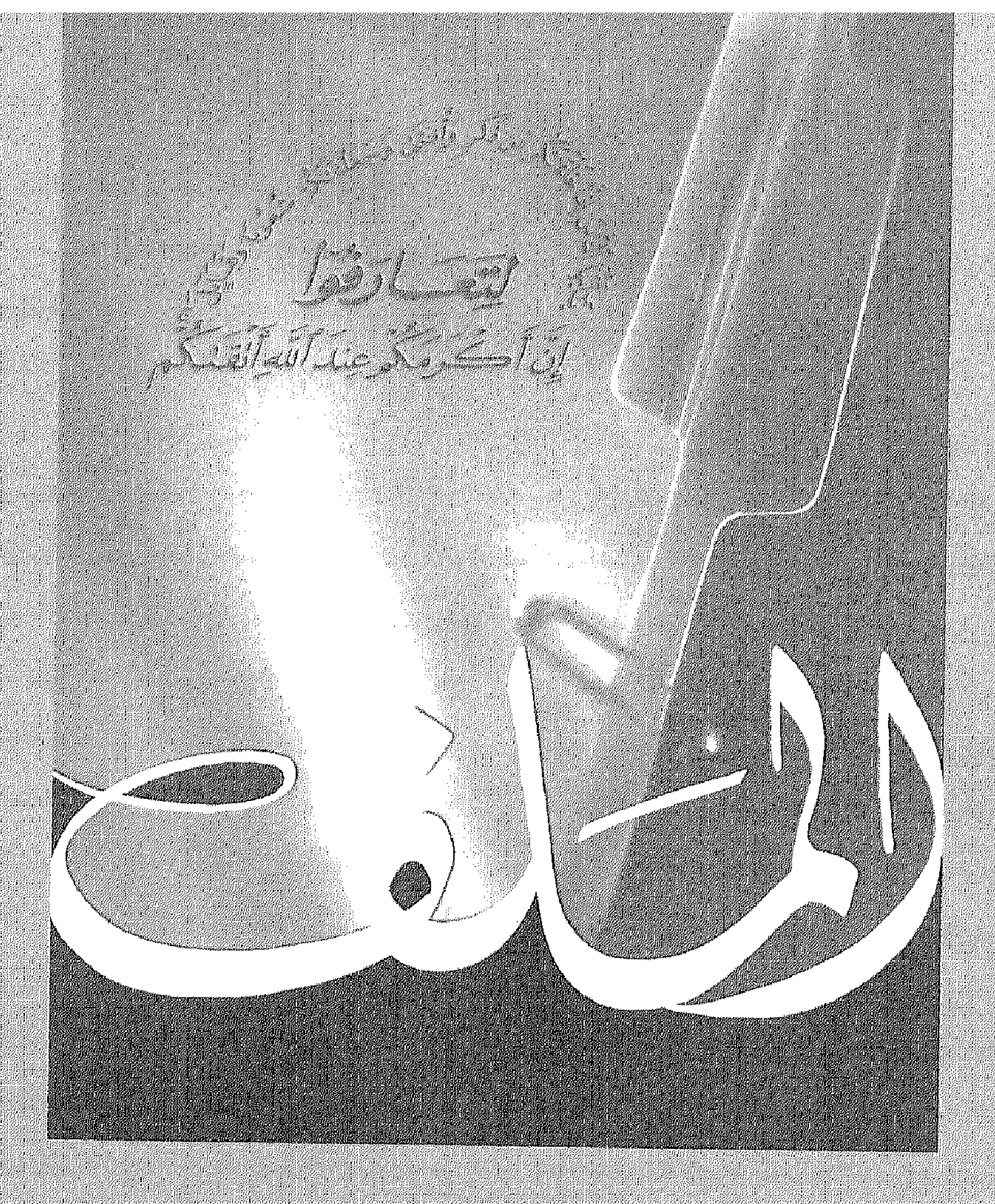
إن مسؤولية استنقاذ الأمة وإصلاح مناهجها الفكرية ومناهجها التربوية وثقافتها الأسرية إنما تقع في المقام الأول على المفكرين والعلماء والمثقفين، وعلى جهود الصفوة الفكرية. إن جهود هذه الصفوة هي الأساس في الوعي على أحداث الإصلاح والتغيير المرغوب وهؤلاء المثقفون والمفكرون هم القادرون على أحداث الوعي التربوي وتقديم الثقافة والبرامج المطلوبة وتأتي المجتمعات والحكومات والأجهزة والمؤسسات تبعاً لهم في ذلك.

❖ مسؤولية استنقاذ الأمة وإصلاح مناهجها الفكرية ومناهجها التربوية وثقافتها الأسرية إنما تقع في المقام الأول على المفكرين والعلماء والمثقفين، وعلى جهود الصفوة الفكرية.

إن على منظمة المؤتمر الإسلامي والمنظمات الدولية والمحلية طرح قضية الإصلاح الفكري التربوي كأساس أولي للإصلاح المادي والحضاري وتشجيع أعمال البحث فيه ونشر أطروحاته الفكرية في كافة المجالات وبكافة الوسائل التي تمكن لها في ثقافة الشباب والآباء والمربين وبؤرة اهتمام رجال الإدارة والحكم.

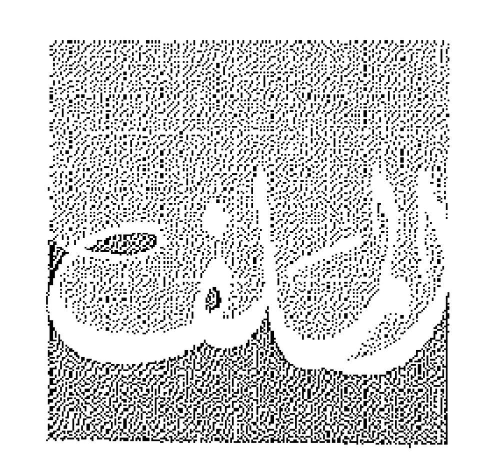
ودون أن يضع المفكرون والمربون المناهج الفكرية التربوية السليمة ويبصرون بها الآباء والمربون ويمكنون لها في نفوسهم وأدائهم فلن تفلح جهود الإصلاح ولن يصلح حال الأمّة وستبقى الأمّة عالمياً فريسة الخسف والاستغلال ما امتد الزمن حتى تأخذ نفسها بسبل الإصلاح الفكري التربوي المطلوب.

إن على الأمة أن تعي درسها وتدرك أولوياتها وان ترتد عن الطريق الخطأ السهل إلى الصواب العصب، فالصواب مهما بدا صعباً فهو السهل إذا صح العزم وستعين عليه وتيسّر أمره الطاقة المتنامية من ثمار غرس دروب الإصلاح.



لتعارفوا

❖ من عرف شيئاً أحبه	التحرير
❖ لماذا تعارفوا؟	أ. إبراهيم علي الربو
❖ نداء طرابلس للتعارف	
❖ ندوة وندسور	
❖ ندوة موسكو: المسلمون في سبيل السلام والوفاق	
❖ الوثيقة الختامية لملتقى عمان	
❖ التعارف وحق الإختلاف	أ. د. محمد السماك
❖ الحوار بين النظرية والتطبيق	أ. د. يوسف مونس
❖ وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا	أ.د. وهبه الزحيلي
❖ التعارف طريقة للعيش المشترك	أ. د. ناصر الدين الأسد
❖ آراء وانطباعات علماء ومثقفين وسياسيين	التحرير



من عرف شيئاً أحبه

تحدث حتى أعرف من أنت، جملة قيلت وتناقلها الناس حتى جرت مجرى الأمثال، ومن معانيها التي تتبادر إلى الأذهان بسرعة وبساطة أن معرفة الآخر متوقفة إلى حد ما على ما يجود به من كلمات وجمل يحاول من خلالها الافصاح عما يدور بخلده، ومن خلالها يحاول أيضا تبيان رؤاه وآراءه ومعتقده.

لذلك لا أظن أننا سنكون مخطئين إذا ذهبنا إلى أن الحوار بين هذا وذاك وهذه وتلك والأنا والآخر هو خطوة سابقة وأساسية وضرورية تقود حتماً - إن صدقت النوايا وقدمت الآرء وبوضوح - إلى تعارف متبادل بين المتحاورين.

وتأسيسا على ذلك وانطلاقا منه سيكون مقنعا إلى حد كبير أن يكون التعارف خطوة تالية وربما نتيجة منطقية لحوارطال أو قصر.

أعتقد أنها خطوة منطقية قادت إلى تنمية الحوار وتطويره والانتقال به إلى النقطة أو المرحلة أو النتيجة المترتبة عليه، ذلك أنه ليس منطقيا أن يتجمد النمو ليظل حوارا وحوار وحوارا... حتى ليكاد المرء يشك أنه أمام حوار بيزنطي منغلق، إن أي حوار لا يؤدي إلى التعارف هو في الحقيقة مجرد دائرة مغلقة لا تسمح بالنمو أو التقدم.

الخطوة الأولى التي اتخذت منذ عام كانت نقطة انطلاق ساهم فيها أكثر من 200 شخصية ينتمون إلى منظمات وهيئات ومؤسسات وجمعيات من مختلف أنحاء العالم، كل برؤاه وقناعاته وآرائه وتوجهاته،لم يكن الهدف دحض حجة أو إقصاء طرف، أو مجرد حوار يحاول فيه طرف وضع ما يريد على الطاولة دون أن يسمح للآخر من التعرف على منطلقات ومعطيات تمكن الجميع من مغادرة دائرة الحوار المغلق...

ولعله من المهم التأكيد على أن ذلك الملتقى كان يهدف إلى أن يقدم كل طرف ما يساعد الآخر ويمكنه من معرفة واضحة ومباشرة بعيدة قدر المستطاع عن الوسائط التي ربما تحمل ما تريد وتسقط ما لاتريد، مما ينتج عنه معرفة منقوصة أو مغلوطة أو مشوهة، والبعد عن الوسطاء الذين ربما يسعون إلى توسعة هوة الجهل المتبادل عوضا عن ردمها، ومحاولة عدم الاستفادة من جسر الحوار الذي يعبره الجميع إلى مساحة التعارف الإنساني الأكثر اتساعا..

إننا إذا تدبرنا بعض الآيات القرآنية الداعية إلى الحوار والجدال لوجدنا أنها تركز بادئ ذي بدء على أن أطراف الحوار هم أقل من تلك الأطراف المدعوة للتعارف، ذلك أن الحوار والجدال حسب التعبير القرآني يتوجه في معظمه نحو أهل الكتاب، الذين ينبغي أن

تتم مجادلتهم بالتي هي أحسن، ومحاولة التوصل إلى كلمة سواء وهي ألا يعبد الجميع أحداً إلا الله، لكن مساحة التعارف تتسع لتشمل كل الناس دون النظر إلى عرق أو جنس أو لون، والتعارف هو مرحلة ثالثة - إن صح التعبير - بعد الخلق من ذكر وأنثى وجعل الذكر والأنثى شعوبا وقبائل، وكنتيجة للمرحلتين السابقتين كان التعارف كهدف لا تفاضل فيه إلا بالتقوى..

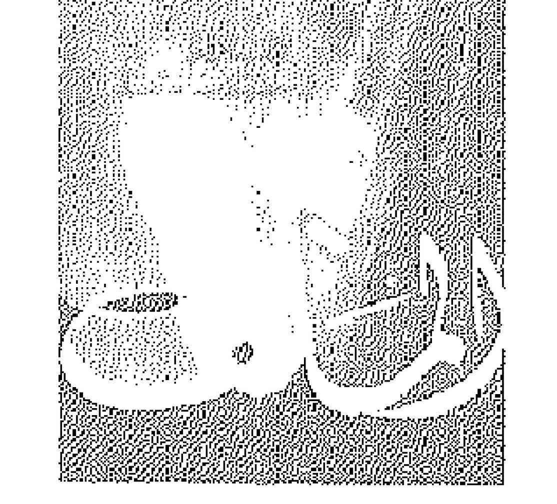
وإذا كان الحوار مبنياً في أغلب أشكاله وصوره على حشد الحجج والبراهين لتحقيق مكسب وتسجيل انتصار، ومحاولة هذا الطرف إقناع الطرف الآخر برأي أو بتغيير وجهة نظره على أقل تقدير، فإن التعارف في أهم صوره هو النظر للآخر كما هو دون الإصرار على تغييره أو الانتقاص من قيمته وقيمة حججه وبراهينه، ذلك أن المعرفة هي اكتشاف قبل أن تكون مقارعة كلامية جدلية، وهي تطور لأداة الحوار وليست أداة فردية تقصي الآخر أو تعمل على تحجيمه..

وإذا كان القول المشهور بيننا: من جهل شيئا عاداه، فإنه من المفيد أن نقول: من عرف شيئا أحبه.. والتعارف في بعض صوره تفاعل إيجابي بالضرورة بين الناس، تبادل للخبرات والتجارب، وهذا يعني ببساطة ووضوح أنه منهج يفرض نمطا من التعامل على قدم المساواة بين الأطراف دون أن يشعر هذا الطرف أو ذالك بأفضلية أو تفوق أو تميز خارج المقياس الإلهي للتفاضل: التقوى.. والتقوى تفرض التسليم الكامل بالمنهج الذي شرعه الله لخلقه، والقاضي بأن يخضع الجميع له، وكلما تحقق الخضوع والتقوى كلما اتضحت معالم التفاضل لا بالنظر لطول وقوة ومال وجاه وسلطان، ولكن بالنظر لمقاييس أخرى ليست من اختراع هذا الطرف أو ذالك.

التعارف هو في بعض صوره تفاعل ايجابي بين الثقافات والحضارات الإنسانية، وهو صمام الأمان الذي يحول دون أي شكل من أشكال الصدام المدمر، ذلك أن الصدام والتدمير ينتجان عن جهل وعدم معرفة وعدم إدراك لما يتمتع به الآخر من مواصفات وصفات ربما تكون عوامل إيجابية إن هي اتضحت بشكل أو بآخر وقدمت بطريقة لا لبس فيها أو غموض..

الخطوة الأولى من أجل إقرار نمط جديد في العلاقات بين الناس - كل الناس - والمبنية على التعارف انطلقت من طرابلس منذ عام كامل تبعتها خطوات أخرى في بريطانيا وروسيا والأردن وستتواصل الخطوات، وإذا كنا قد اخترنا أن ننشر في ملف هذا العدد بعض الأبحاث التي قدمها عدد من العلماء والباحثين في أحد ملتقيات (لتعارفوا) فإننا نرفقها بوقائع ملتقيات أخرى، غير ناسين آراء وانطباعات ثلة من العلماء من مختلف بقاع العالم، ولأهميته واعتماده من أكثر من 200 أستاذ وعالم وباحث من هيئات ومؤسسات وجمعيات ومنظمات متعددة نضع بين أيديكم أيضاً (نداء طرابلس من أجل التعارف).

المحرر



لماذا لتعارفوا؟

جهود جمعية الدعوة الإسلامية العالمية من أجل إشاعة ثقافة الحوار والتعارف

إعداد: **الأستاذ إبراهيم الربو***

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾

[سورة الحجرات: الآية 13] صدق الله العظيم.

هذه آية يتوجه فيها الله سبحانه وتعالى بالنداء ليس فقط إلى المؤمنين أو إلى فريق منهم، بل إلى عموم الناس ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ وهو ما يفيد بأن الأمر الذي يلي النداء موجه إلى الجميع دون استثناءات يقتضيها الدين أو الجنس أو اللون، أما الأمر المنادى من أجله فهو الإعلام بمشيئة إلهية وحكمة ربانية بدأت ببدء الخليقة، حيث خلق الله سبحانه وتعالى الناس ذكوراً وإناثاً وأودع فيهما معاً سر استمرار الحياة الإنسانية بما يؤكد أن دور كل منهما في ذلك لا يقل عن دور الآخر من حيث أن كلاً منهما بمفرده عاجز عن أن يكون له دور في استمرار الحياة على هذا الكوكب، وهو ما ينصرف إلى إقرار المساواة الكاملة بين هذين العنصرين وفقاً لطبيعة كل منهما، ووفقاً للدور المناط به في الحفاظ على الحياة البشرية واستمرارها، وأن لا افضل لأي منهما على الآخر في هذا الشأن. وهكذا تمّت عملية الخلق...، ووفق عنصري الذكورة والأنوثة استمرت الخليقة أما عملية (الجعل) وهي عملية لاحقة لعملية الخلق ومؤسسة عليها فقد تمّت وفق مشيئة إليهة قسمت الناس إلى شعوب وقبائل تختلف عن بعضها، وميز كل قبيلة أو شعب بخصائص اجتماعية وهوية ثقافية وانتماء حضاري، دون أن تكون تلك الخصائص في ذاتها مدعاة لتفضيل قوم على قوم أو جماعة على جماعة أو شعب على شعب، لأن مجموع تلك الخصائص والهويات الثقافية والحضارية تمثل إرثاً إنسانياً عاماً يتحتم علينا جميعاً أن نحترمه ونحافظ على تنوعه.

ويخبرنا الله سبحانه وتعالى بأن حكمته في خلق الناس من ذكر وأنثى وجعلهم بعد ذلك شعوباً وقبائل إنما هدفها التعارف (لتعارفوا)، وأن عملية التعارف تلك التي تعني التفاعل الاجتماعي الإيجابي محكومة بميزان واحد فقط هو ميزان (التقوى) التي تعني في أبسط معانيها مقاومة الشر واتقاءه والعمل من أجل الخير والانحياز له، وأن الكرامة إنما تتحقق للإنسان أو تنسلخ عنه في تناسب مع قربه للتقوى أو بعده عنها، ففي ذلك المحيط البشري الواسع من الاقوام والألوان والأديان والأجناس والثقافات والرؤى والأفكار تنتصب (التقوى) ميزاناً أوحد للتفاضل بين البشر.

وتأسيساً على ذلك فقد جاءت كل الأديان رافضة لمبدأ التمايز أو التفاضل على أسس الجنس أو اللون أو العرق، وأمام هذه الحقيقة الدينية والإنسانية

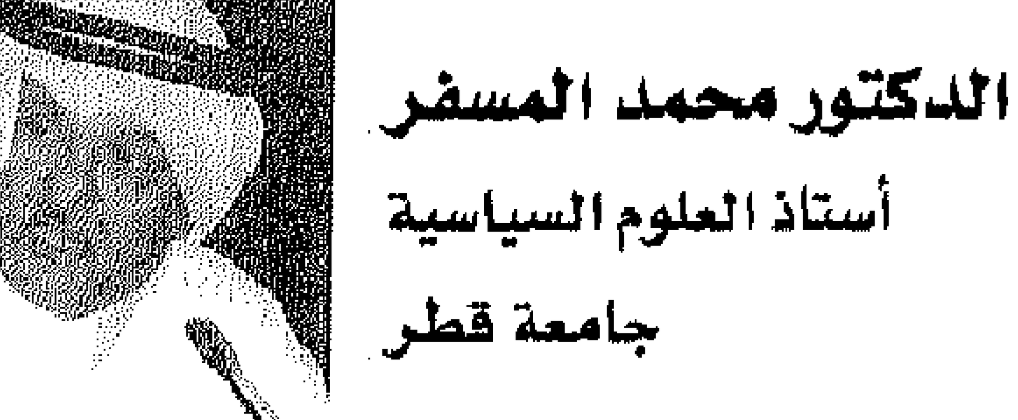
* أمين مكتب المؤتمرات والهيئات الدولية بجمعية الدعوة الإسلامية العالمية.

والأخلاقية الثابتة فإن نظرية الاختيار الإلهي لشعب دون سواه أمر لا يقره أو يعتقد به أو ينادي بتطبيقه الا كل مشكك في العدالة الإلهية التي كرمت بني آدم واستخلفته في الأرض.

وإذا تأملنا الصيغة الصرفية لـ«التعارف» لوجدنا أنها جاءت على وزن «التفاعل» ولوجدنا أيضاً أن كل صيغ هذا الوزن توحي بعلاقة من نوع ما بين طرفين أو أكثر، قد تكون تلك العلاقة سلبية مثل التقاتل والتناحر والتنابز، وقد تكون إيجابية مثل التعارف والتعاون والتآزر والتسامح، ولو رجعنا إلى الجذر اللغوي لمصطلح التعارف لوجدناه «عَرَفَ» ومنه جاءت اشتقاقات كثيرة تدور في عموم معانيها حول معنى الإدراك للشيء كله أو بعضه ومعرفة العناصر المكوّنة له مما يؤدي إلى قيام علاقة من نوع ما معه، فمعرفة الآخر شيء أساسي لنشوء علاقة سوية معه أي علاقة مبنية على عناصر تلك المعرفة، ولذلك فإن العلاقات السوية بين الناس أفراداً وجماعات ودولاً إنما تنشأ عن معرفة بالآخر لكنه من الصعب بل من المستحيل أن نضع خطوطاً لنهايات تلك المعرفة أو نرسم حدوداً تحصر مساحتها وذلك لسببين رئيسيين: أولهما أن المعرفة نسبية في طبيعتها، فمهما كانت معرفتك بموضوع تبقى قاصرة عن أن تلم بكل جزئياته... وثانيهما أن حدود الآخر مرتبطة مباشرة بحدود الأنا أي أن الآخر تحدده دائرة الأنا.

وخلاصة القول هنا أن العلم والمعرفة شيء أساس في إدراك الأشياء إدراكاً يمكن أن يقوم عليه (التعارف) وأن التعارف يتناسب طردياً مع عمق المعرفة بالشيء، فكلما اتسعت دائرة المعرفة وتعمّقت كلما أنتجت تفاعلاً بصيغة إيجابية، والعكس بالعكس، ولعل ذلك ما جعل كل الديانات والشرائع تحث على العلم والمعرفة، وتطالب الإنسان بأن يحارب الجهل والجهالة، وكما يقال فإن الإنسان عدو ما يجهل، أي أن علاقته مع ما يجهل ستكون علاقة غير سوية.

وما «التبين» الذي أوصانا الله بضرورة انتهاجه في قوله تعالى:

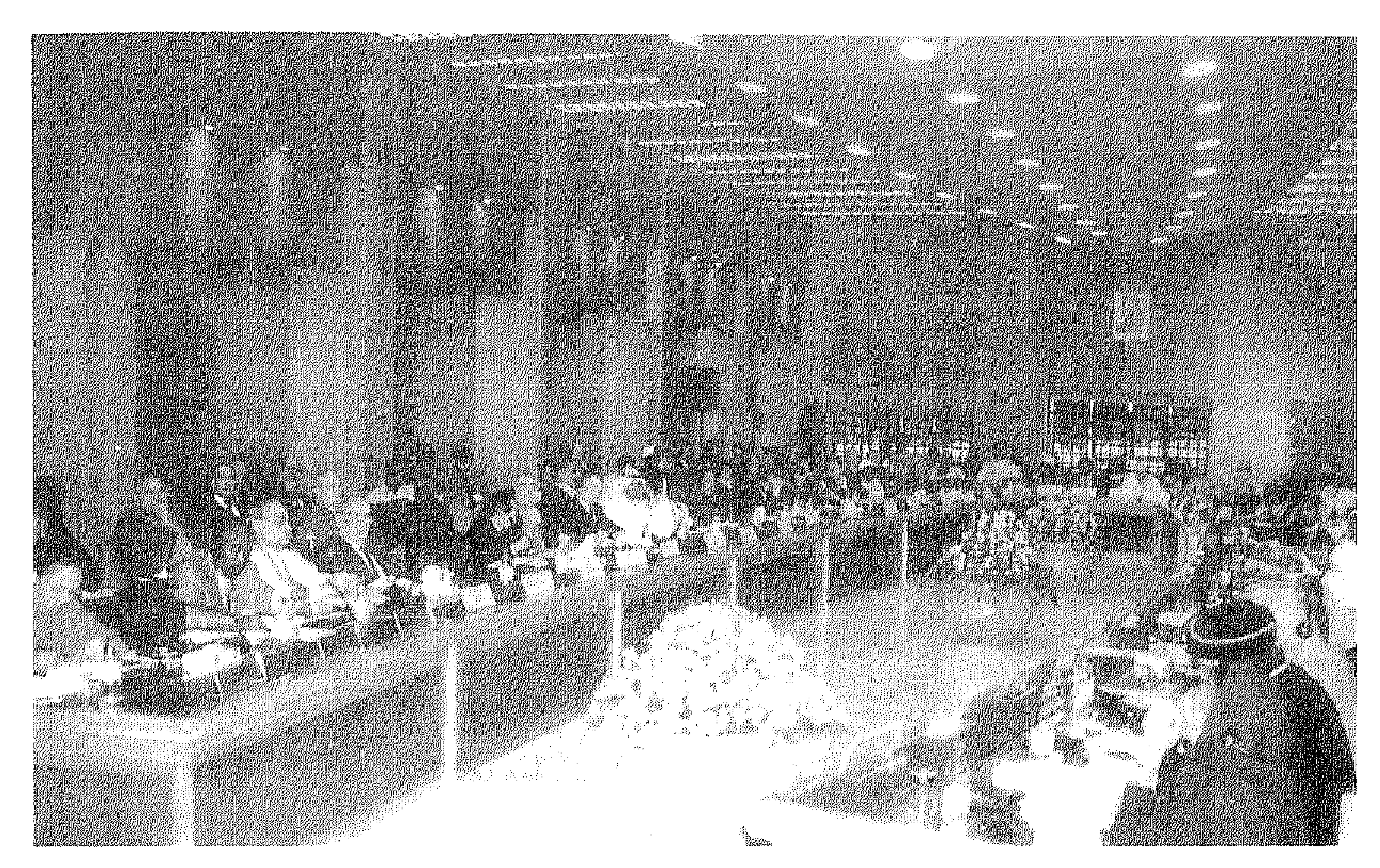



الدكتور محمد المسفر
أستاذ العلوم السياسية
جامعة قطر

أنا أعتقد أن ملتقى لتعارفوا انعقد في ظرف حاسم ومؤثر لما يجري في العالم وخاصة العالم الإسلامي. وهذا أول مؤتمر ينعقد بهذه الفعالية الكبرى، وأرى أن هذا الملتقى جمع شمل الكثير من الفعاليات من المسيحيين والمسلمين والقوميين والكتاب والمفكرين على اختلاف مذاهبهم وتوجهاتهم، وهذه تظاهرة ثقافية جديدة نتمنى لها التواصل والاستمرار. وفي نفس الوقت دائما ليبيا هي المبادرة لمثل هذه المواقف والملتقيات، ونتمنى أن تؤدي فعاليات هذا الملتقى إلى تألق جديد وتفاعل جديد بين كل قطاعات العالم الإسلامي والمسيحي.

وهنا أرى ضرورة أن ننطلق من تلمس الإجابة عن سؤال مهم هو: كيف يعرفنا الآخر ؟ كيف يرانا ؟ ما هي معرفته بمشاكلنا وقضايانا المصيرية ؟ وما هي أبعاد هذا الهجوم الذي نتعرض له من الإمبريالية العالمية ؟ أو ما يسمى المسيحية الصهيونية ؟ أو اليمين الجديد الذي يقود الغرب في هذه المرحلة ؟

ولا يخفى أن الأرضية التي ننطلق منها ونحن نتدارس ونتداول مسألة التعارف ؛ فإننا نؤسس لمشروع مستقبلي كبير ومهم، يحدد ويوضح ما هي احتياجات المستقبل. ونداء طرابلس من أجل التعارف قدم صياغة عملية للعديد من النقاط التي تشكل الأساس لعمل كبير ومتواصل من أجل خير البشرية.



﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ﴾
[سورة الحجرات : الآية 6]

سوى أمر بالتريث واعتماد مزيد من الوقت في البحث والتقصي وجمع أكبر قدر ممكن من المعارف؛ يمكننا من الوقوف على الحقيقة حتى لا نصيب الآخرين بجهالتنا أو جهلنا نتيجة معلومات مضللة قد يكون مصدرها أحد الفساق... وإذا كان الفساق في عصور خلت مجرد أفراد يقلبون الحقائق وينشرون الأكاذيب وينفخون في أبواق الفتنة، ففساق اليوم قد يكونون في صورة مراكز بحثية ومؤسسات إعلامية وأحزاب سياسية، بل قد يكونون قيادات سياسية ذات تأثير كبير في كل مناحي حياة مجتمعنا الإنساني.

إذاً فالجهل والجهالة والتجهيل هي العقبة الكأداء في الوصول إلى «تعارف» حقيقي بكل ما يحمله التعارف من معانٍ إيجابية. ولكن يبقى الجهل بالشيء وعدم معرفته أهون من التجهيل به أو تقديمه على غير حقيقته، ففي الحالة الأولى قد لا يتطلب الأمر موقفاً محدداً سوى محاولة إزالة ذلك الجهل بالشيء، وبذل الوسع في الوصول إلى معلومات حوله، بينما في الحالة الثانية فإن علاقة سلبية ستنتج بسبب معلومات ومعارف خاطئة، وهنا تكمن خطورة تزييف الحقائق وحجب المعلومات، لأنها ستفرز علاقات ظالمة بين المجتمعات البشرية، ولعل نسبة كبيرة من مشكلات العالم اليوم هي نتيجة لمعرفة إما غير موضوعية ومناقضة للواقع أو غير مكتملة في عناصرها حول موضوعات تلك المشكلات... فالمعرفة الخاطئة بالشيء ستؤدي حتماً إلى نشوء علاقة خاطئة معه، لذلك فإن المجتمع الإنساني اليوم في أمس الحاجة إلى «التعارف» القائم على معرفة حقيقية بالآخر، وقبوله كما هو لا كما تريده أنت.

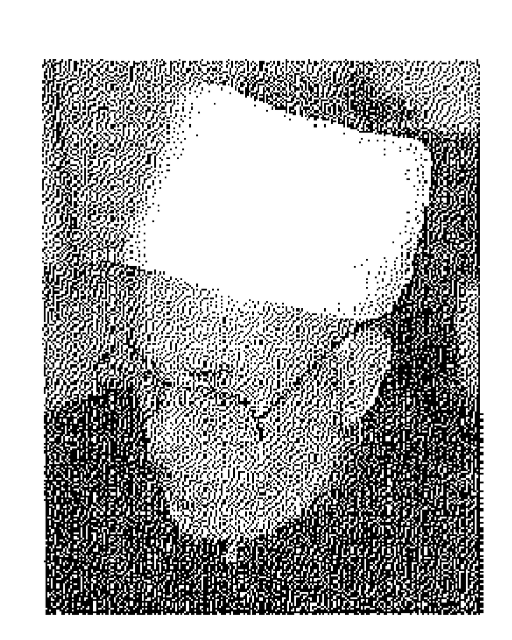
ولعل من الأسباب الرئيسية التي حدت بالجمعية إلى تجاوز صيغة الحوار بصفة عامة والحوار الإسلامي المسيحي على وجه اخص إلى صيغة التعارف؛ هو أن الأول ظل على مدى عقود يحوم في أفاق اكاديمية، أو توقف عند مستويات دينية محددة، وكان في جزئه الأكبر استعراضاً لوجهات نظر كل طرف حيال قضايا تشغل عالمنا المعاصر من خلال كم كبير من الندوات والمؤتمرات وورش العمل، كان نتاجها كلاماً إيجابياً بقي جله في ذاكرة المشاركين

أو حبيس الأرفف، دون أن يتجاوز الحوار إلى التعارف بمعنى التفاعل الإيجابي المفضي إلى برامج عملية يحس بها الإنسان العادي.

كما أن التستر بالدين لممارسة أعمال العنف والإرهاب، وانتهاج أساليب إرهابية بحجة مقاومة الارهاب وشيوع ظواهر التمييز العنصري في مناطق مختلفة من العالم، والقول بصراع الحضارات، ومحاولة إقصاء الدين أو تهميشه في حياة مجتمعاتنا المعاصرة، وخلخلة المنظومة القيمية للأديان من خلال الترويج لمظاهر الفساد والانحلال والتفكك الاجتماعي، كلها عوامل تحتم على أتباع الديانتين الإسلامية والمسيحية أن يتجاوزوا اللقاءات الحوارية التي يجمعون فيها عادة على التنديد بكل تلك الصيغ السلبية في عالم اليوم إلى أعمال ملموسة تشارك فيها فعاليات ثقافية ورموز فكرية وسياسية.

هذه توطئة لدخول واحة التعارف، أردنا أن نستهل بها هذه الورقة التي تحاول أن تلقي بعض الضوء على نشاط الجمعية في ميدان «التعارف» الذي نلجه اليوم بعد سلسلة من البرامج الحوارية التي نظمتها الجمعية مع هيئات ومؤسسات دولية عدة، لعل في مقدمتها المجلس البابوي للحوار بين الأديان بالفاتيكان الذي انتظم آخر لقاء حواري معه منذ بضعة أشهر وكان حول دور الأئمة والقساوسة في بناء مجتمع متسامح... وإذا كنا نصنف الحوار مدخلاً للتعارف وسبيلاً له فإننا لا بد أن نوضح أن التعارف ـ كما سبق أن أشرنا ـ يعني التفاعل الجمعي المؤدي إلى تدافع حضاري قوامه التفاهم والتعاون المؤدي إلى إعمار الكون وتقدم الإنسانية، ولولا ذلك التدافع لاضطربت الحياة وأصاب المجتمع البشري خلل روحي ومادي كبير يقول تعالى:

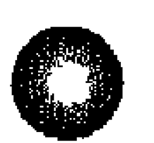
﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [سورة الحج : الآية 40] **صدق الله العظيم**



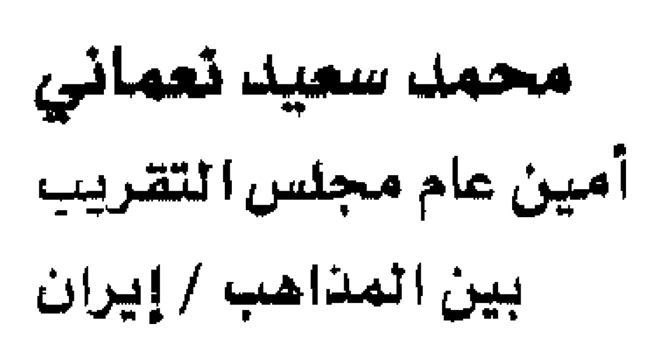
الشيخ تاج الدين الهلالي
مفتي أستراليا

هذه الملتقيات تجسد حقيقة التعارف بين البشر تحت هذا الشعار لتعارفوا، وليس لتعاركوا. لقد استخلف الله الإنسان على وجه هذه البسيطة ليعمرها بالمحبة والمودة والتعارف والبناء والإعمار، ولا يحولها إلى ميدان للاعتراك، فقانون الاستخلاف هو أن نجعل من هذه الأرض جنة بقانون التعارف وقانون عالم الشهادة، ومبدأ التعارف مبدأ إنساني إسلامي، وقد أكد عليه الإسلام كل التأكيد، وقد بدأ الحوار طريقه منذ الرسول (عندما التقى وفد نصارى نجران ووفد الحبشة في المسجد النبوي وقام على خدمتهم بل وسمح لهم بأداء صلاتهم متوجهين جهة المشرق في المسجد النبوي.

نقول هذا لأولئك الذين أصابهم الهوس الديني ووقعوا في فخ الصهيونية التي تدعوا إلى صراع الحضارات. الإسلام دين التعارف والحوار والحكمة والموعظة الحسنة.







محمد سعيد نعماني
أمين عام مجلس التقريب بين المذاهب / إيران

هذا اللقاء مهم جدا نحتاجه اليوم في العالم، صحيح أنه عقدت وتعقد الكثير من الندوات بهذا الاسم وتحت هذا العنوان، ولكن نتيجتها وللأسف الشديد ضعف ثقافة الحوار والتعارف والتفاهم نتيجة لممارسات دولية تحاول أن تقصي الآخرين كي لا يشتركوا في صنع القرار

وإيماناً من الجمعية بأن الحوار هو السبيل الحضاري لفهم الآخر كما هو لا كما تريده أنت، وإسهاماً منها في إشاعة مفهوم (التعارف) الذي يتجاوز مفهوم الحوار ويعمقه ويخرج به من التخوم الأكاديمية إلى الوسط الجماهيري، فقد نظمت الملتقى الدولي الواسع حول مفهوم التعارف، وذلك على هامش الدورة الرابعة عشرة للمجلس العالمي للدعوة الإسلامية في الفترة من 20ـ2003/9/23.. وملتقى «لتعارفوا» ليس النشاط الحواري الأول الذي تنظمه الجمعية، وبالطبع سوف لن يكون الأخير لكنه كان الأوسع مشاركة والأبرز أثراً بعد مؤتمر الحوار الإسلامي المسيحي الذي عقد بطرابلس في شهر فبراير 1976.

❖ فقد حضر أعماله قرابة مائتي مشارك من العلماء والمفكرين والمهتمين بقضايا الحوار من مسلمين ومسيحيين جاؤوا من ستين دولة من جميع قارات العالم، حيث تدارسوا عدداً من القضايا التي دارت في مجملها حول المصطلح القرآني «لتعارفوا».

❖ ولعله من الجدير بالذكر بأن هذا هو أول لقاء لم يتخذ من مصطلح «التعارف» شعاراً فحسب بل قدم رؤية متكاملة لهذا المصطلح من خلال عدد من الأوراق والدراسات والمداخلات والنقاشات المفتوحة، التي أثرت هذا المفهوم وأوضحت مرتكزاته وكشفت عن عمقه باعتباره مفهوماً يتجاوز الحوار إلى عملية تفاعلية إيجابية بين الأقوام والشعوب، تهدف في النهاية إلى الاعتراف بالآخر كما هو واحترام خصوصياته وإدراك أن هذا الاختلاف واقع اقتضته الحكمة الإلهية.

❖ وشهد الملتقى حضوراً مسيحياً واسعاً جغرافياً وعقائدياً، فقد كانت مشاركة الجانب المسيحي تمتد من الفلبين إلى شمال أمريكا ومن وسط آسيا إلى جنوب القارة الأفريقية، ومثلت فيه جل الطوائف والمذاهب والتيارات والكنائس المسيحية، وكانت الشخصيات المسيحية المشاركة في أغلبها تحتل مراكز قيادية في كنائسها وتجمعاتها، وتميزت مناقشاتها لمفهوم «التعارف» بإدراك للمعاني الإنسانية التي يحملها، وقوامها التعاون والمحبة وقبول الآخر في إطار احترام خصوصياته الدينية والاجتماعية والقومية.

❖ كما غطت المشاركة الإسلامية مساحات جغرافية أوسع، وتنوعت هذه المشاركة بين علماء ومفكرين حضروا بصفتهم الشخصية وبين مسؤولين عن منظمات وهيئات إسلامية حضروا لتمثيل منظماتهم، إضافة إلى عدد من الصحافيين والإعلاميين والكتّاب المهتمين بقضايا الحوار.

❖ التعارف يعنى التفاعل الاجتماعي الإيجابي المحكوم بميزان واحد فقط هو ميزان «التقوى» الذي يعني في أبسط معانيه مقاومة الشر واتقاءه والعمل من أجل الخير والانحياز له

❖ ولعل ما ميّز هذا اللقاء مشاركة عدد من الشخصيات الرسمية من الجانبين المسيحي والإسلامي فقد حضر أعماله (جوسي ديفينيسيا) رئيس البرلمان الفلبيني، والرئيس أحمد بن بلة البطل التاريخي للثورة الجزائرية، والسيد جون دالي وزير المالية ونائب رئيس الحكومة المالطية آنذاك وزير الخارجية الحالي، والسيد نائب وزير الداخلية الإيطالي ممثلاً للإتحاد الأوروبي، والدكتور أحمد توفيق وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب.

❖ وتميّز الملتقى بحضور عدد كبير من المنظمات الدولية ذات العلاقة بالشأن الثقافي وقضايا الحوار منها: منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة «اليونيسكو» والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إاسيسكو» والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم «إليكسو» منظمة المؤتمر الإسلامي، المفوضية العليا لشؤون اللاجئين، ومجلس الكنائس العالمي، ومنظمة الفرانكوفونية، الأزهر الشريف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

بمصر، والمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب بإيران.

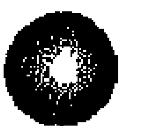
❖ أما توقيتاً فقد أتى المؤتمر في أوج ما يتعرض له الإسلام ديناً وعقيدة من افتراءات تتهمه زوراً وبهتاناً بأنه يجنح إلى العنف ويبرر الإرهاب ويتميز بالانغلاق الفكري والانكفاء على الذات، ويمارس الاضطهاد ضد المرأة والأقليات، ويرفض الاعتراف بالآخر، ولذلك فقد كان الملتقى بتلك المشاركة الواسعة ـ رسمياً وشعبياً ـ رسالة واضحة إلى العالم بأسره تؤكد على أن «التعارف» كمفهوم قرآني يحمل كل معاني الاحترام للآخر ويدعو إلى التعاون معه في كل ما يحقق خير البشرية، رافضة بالحجة والمنطق ما يلصق بالإسلام من تهم بالتطرف والإرهاب والتعصب، وقد صيغت تلك الرسالة من قبل المسلمين والمسيحيين على حد سواء، وتمثلت بجلاء في «نداء طرابلس من أجل التعارف» بشقيه المتمثلين في الأسس والمبادئ ـ والقرارات والتوصيات.

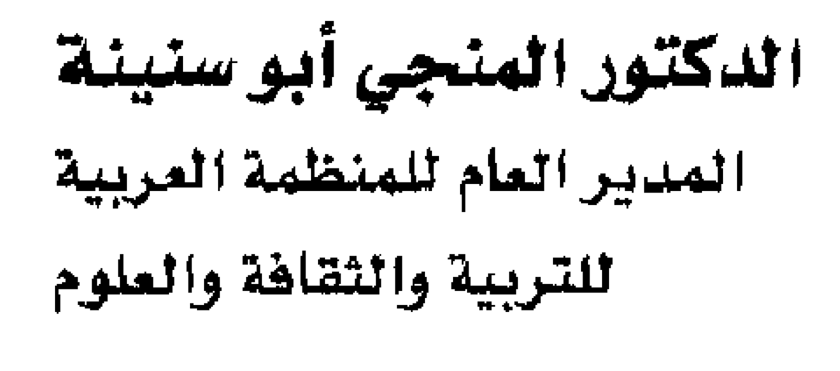
وبالتأسيس على الملاحظات التي سيقت فإنه يمكننا أن نقيم ذلك اللقاء تقييماً إيجابياً، وأن نصفه باللقاء الناجح بكل المقاييس، وقد عزّز ذلك النجاح دون شك مكانة الجمعية ومجلسها العالمي ولجنتها التنفيذية في الأوساط الدولية والإسلامية وأوضح بجلاء النهج الحضاري الذي تتبعه في إبلاغ رسالة الإسلام إلى العالمين.

ولا شك في أن نجاح اللقاء رتب على الجمعية ومجلسها العالمي للدعوة الإسلامية وعلى الهيئات الإسلامية والمسيحية التي حضرت اللقاء وساهمت في نجاحه مسؤوليات المتابعة اللازمة، واستثمار هذا النجاح من خلال برامج ترسخ المبادئ التي أسّس عليها «نداء طرابلس من أجل التعارف» وتحويل توصياته إلى برامج عملية تنفذ من قبل الجمعية أو بالتعاون بينها وبين الهيئات والمؤسسات الإسلامية والمسيحية التي أرادت أن تكون طرفاً في مثل هذا العمل الحضاري.

الذي يهمهم جميعا.

كلما ازدادت هذه الندوات واللقاءات وتعددت أنا أتصور أنها إيجابية جدا، ومهمة، لكي تشيع ثقافة التعارف وثقافة الحوار على أوسع مدى يمكن أن تصل إليه، وحسنا فعل المجلس العالمي للدعوة الإسلامية باختياره هذا العنوان «التعارف» شعاراً لهذا الملتقى الفكري، وهذا الجمع من العلماء والمفكرين مسلمين ومسيحيين يعطي اللقاء معنى ونكهة وطعما مميزا يختلف عن بعض اللقاءات التي يكون فيها تقريبا الإنسان محاورا لنفسه فقط. إن الشخصيات التي حضرت هذا الملتقى على مستوى معروف ومشهور في العالم الإسلامي والمسيحي واللقاء بكل صدق كان مميزا ومتميزا.





الدكتور المنجي أبو سنينة
المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم



ملتقى لتعارفوا جمع نخبة من العالم أجمع، وقد قال أحدهم عن هذا الملتقى «كأني في الأمم المتحدة» والوفود من أنحاء العالم الإسلامي والمسيحي ومن كل التيارات والتوجهات، إنه ملتقى عالمي أفضى إلى نتائج مهمة باعتبار أن الشعار الذي اختير لهذا الملتقى هو شعار الحوار والتعارف، بحيث أن النتيجة ستكون مهمة جدا وتفضي إلى برامج عمل لمواصلة الحوار في المجالات الثقافية والدينية واللغوية على أسس السلم والتسامح وزرع بذور الخير في العالم والقضاء على العنف وإحلال السلام.



وشعوراً بتلك المسؤولية فقد تمّ وضع برنامج لمتابعة توصيات الملتقى بالتنسيق مع عدد من الهيئات الإسلامية والمسيحية، منها تنظيم ست ندوات حول موضوع التعارف، نفذت اثنتان منها في مدينة وندزر ببريطانيا والعاصمة الروسية «موسكو»، وهذه هي الندوة الثالثة التي تنفذ اليوم في عمان، أما الرابعة فستنظم في تورنتو بكندا يومي 18 و19 من شهر الفاتح (سبتمبر) الجاري... والاتصالات جارية لتحديد مكان وزمان الندوتين: الخامسة في جنوب شرق آسيا والسادسة في شرق أفريقيا واللتين ستعقدان بإذن الله قبل نهاية هذا العام... وتهدف هذه الندوات وورش العمل - التي تأتي في إطار تنفيذ ملتقى «لتعارفوا» وبهذا التوزيع الجغرافي وبمشاركة إسلامية ومسيحية واسعة - إلى دراسة صيغ تنفيذية لبرامج التعارف وجمع تصورات لعمل مشترك بين

❖ نسبة كبيرة من مشكلات العالم اليوم هي نتيجة لمعرفة إما غير موضوعية ومناقضة للواقع أو غير مكتملة في عناصرها حول موضوعات تلك المشكلات

منظمات إسلامية ومسيحية يقرب نتائج الحوارات بين الطرفين إلى الشارع الذي كانت صلته بتلك النتائج في حدودها الدنيا.

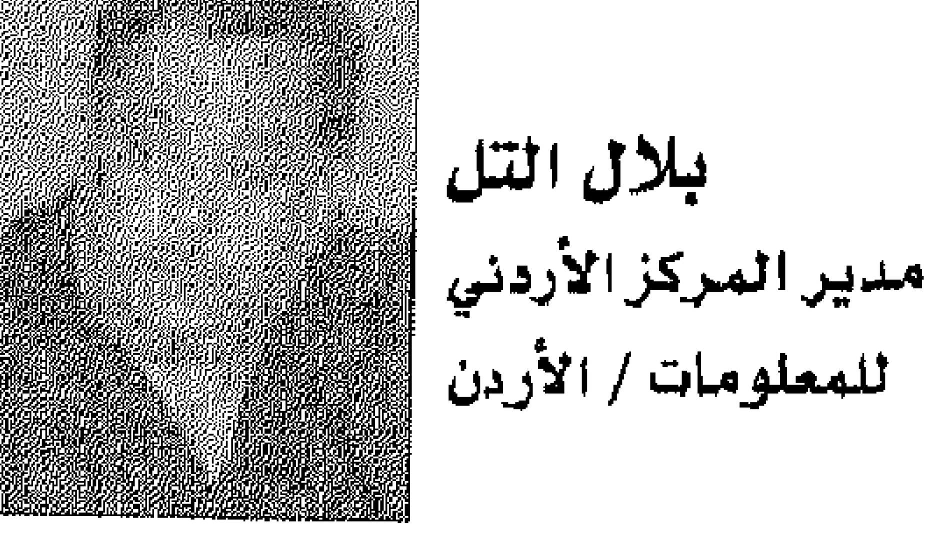
كما تهدف هذه الندوات إلى جمع الأفكار ودراسة التصورات والاطلاع على التجارب ذات العلاقة بمصطلح التعارف وتطبيقاته العملية، وإن خلاصة هذه الندوات وما يرد فيها من توصيات واقتراحات ستكون مادة لمؤتمر واسع يجمع الفعاليات الفكرية والثقافية التي شاركت في هذه الندوات من أجل إقرار برنامج عمل مؤسس على نتائجها، وذلك من أجل إشاعة ثقافة التعارف بما يؤدي إلى تعاون حقيقي يساهم في تخفيف حدة الصراعات في عالمنا ويقاوم الأصوات التي تقول بصراع الحضارات أو تصادم الثقافات.

ولما كنا قد أشرنا إلى أن ندوتين قد عقدتا في

كل من بريطانيا وروسيا، وحيث إن جل الحاضرين معنا اليوم في عمّان لم يشاركوا في ندوة مدينة وندزر ببريطانيا والعاصمة الروسية موسكو فلا بأس من إحاطتهم علماً بأن ندوة «وندزر» عقدت في الفترة بين 23ـ2004/3/26 بالتعاون والتنسيق مع مؤسسة روح أوروبا Soul of Europe الانجليكانية، وشارك فيها عدد من العلماء والمفكرين من العالم الإسلامي وأوروبا وأمريكا وأفريقيا، وعرضت خلالها أوراق بحثية حول مفهوم التعارف، مؤسسة في جلها على ما دار في ملتقى طرابلس، كما احتوت الندوة على حلقات نقاش وعروض إعلامية عزّزت مفهوم التعارف، وقد قامت مؤسسة روح أوروبا مشكورة بجمع أدبيات تلك الندوة في ملف باللغة الانجليزية متاح لاطلاعكم.

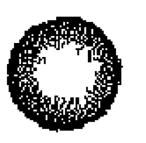
أما ندوة موسكو التي التأمت يومي 25ـ2004/5/26 فقد كانت ضمن إطار الاحتفالات التي نظمتها بلدية موسكو بمناسبة مرور مئة عام على بناء مسجد موسكو وبالتنسيق والتعاون مع المجلس الأعلى لمفتي جمهورية روسيا الاتحادية، وقد شارك في تلك الندوة رؤساء جمهوريات الداغستان وتتارستان وأنغوشيا وعميد بلدية موسكو ومديرو الإدارات الدينية في روسيا وأعضاء مجلس الإفتاء فيها، وممثلون عن الكنيسة الروسية وعدد من العلماء من تركيا وإيران وأذربيجان وطاجيكستان،إضافة إلى عدد من أساتذة الجامعات الروسية والمهتمين بشؤون الحوار والتعارف في الأوساط الثقافية الروسية، وسيقوم المجلس الأعلى لمفتي جمهورية روسيا الاتحادية بترجمة أدبيات تلك الندوة من الروسية لتكون ميسرة لاطلاع الراغبين.

ولا شك في أن الاستجابة المشجعة لجهود الجمعية في إطار التعارف من قبل عدد من الشخصيات السياسية والفكرية والدينية مثل الرئيس الإيطالي الأسبق كوسيغا والرئيس السيراليوني تيجان كابا اللذين حاضرا في طلاب كلية الدعوة الإسلامية داعمين رؤية الجمعية للتعارف وجهودها من أجل

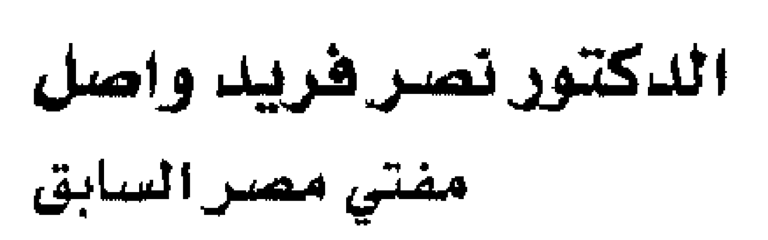


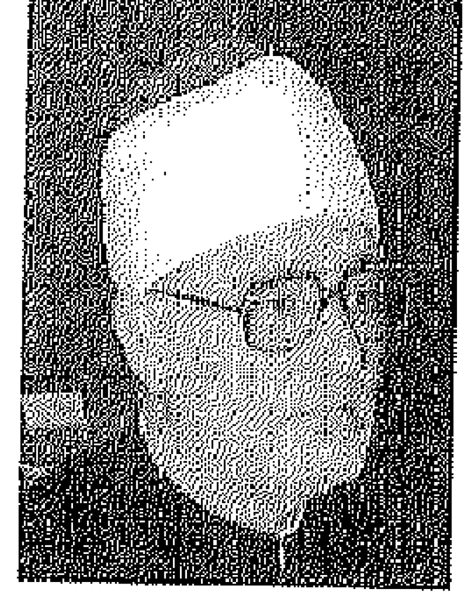
بلال التل
مدير المركز الأردني للمعلومات / الأردن

الملتقيات السابقة كانت تتحدث عن الحوار بشكل عام في حين ركز هذا الملتقى على فلسفة التعارف وكانت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية سباقة فيه، وقد تميز هذا الملتقى بنوعية الحضور وكثافته من مختلف الشرائح والمذاهب على المستوى العالمي.









الدكتور نصر فريد واصل
مفتي مصر السابق

التعارف في الإسلام ليس فقط ضرورة أمر بها الإسلام بل يرتقي لدرجة العقيدة والشريعة واجبة النفاذ، فالمسلم لا يكون مؤمنا إلا إذا آمن بإنسانية أخيه الإنسان مهما اختلفت الألسنة والعقائد والألوان، الإسلام ينظر إلى الإنسان على أنه مستخلف في الأرض، أما العقيدة التي أرسل الله بها الأنبياء والمرسلين وختم بها رسالة سيدنا محمد (فهي تمثل علاقة الإنسان بربه، وعلى عقلاء العالم وعلمائه أن يجتمعوا على كلمة سواء في مواجهة الظلم والبغي الذي ينتشر في العالم اليوم، ويظهر بأبشع صورة في فلسطين والعراق، وإن لم يقل العلماء كلمتهم فلن تكون النتيجة سوى الدمار.



إشاعة مفهومه، إضافة إلى محاضرات ألقاها في نفس الموضوع قداسة البابا شنودة، والسيد محمد فؤاد نهدي مستشار رئيس الوزراء البريطاني للشؤون الاعلامية رئيس تحرير صحيفة Q. News والدكتورة ليزا إندرسون عميدة كلية الشؤون الدولية في جامعة كولومبيا بنيويورك... وكانت آراء كل هؤلاء مشجعة وداعمة ومشاركة في تلك الرؤية.

وكانت دورة المجلس العالمي للدعوة الإسلامية التي التأمت في روما خلال شهر الماء (مايو) الماضي بما استضافته من فعاليات أوروبية وثقافية ودينية من كل من إيطاليا وأسبانيا وفرنسا وألمانيا والسويد ومالطا واليونان إضافة إلى أعضاء الأمانة العامة للمؤتمر الإسلامي الاوروبي فرصة لمناقشة قضايا التعارف وتطبيقاته.

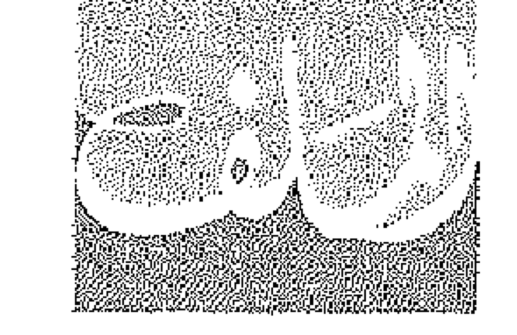
وفي ختام هذه الورقة فإن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية التي تنظم هذه الندوة بالتعاون مع المركز الأردني للدراسات والمعلومات لتدرك بأن هذه الثلة من العلماء والمفكرين من الجانبين الإسلامي والمسيحي في منطقتنا العربية لقادرة على أن تثري موضوع التعارف برؤى وأفكار ستلقى كل اهتمام ومتابعة من جانب جمعية الدعوة الإسلامية العالمية والهيئات والمؤسسات التي صاغت معها بيان طرابلس من أجل التعارف... إن هذه الندوة والندوات التي نظمت في إطار برنامج التعارف لهي أكبر دليل على اختلاف الناس تمشياً مع حكمة أرادها الله.

«ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة» والإرادة الإلهية التي خلقتنا من ذكر وأنثى وقسمتنا إلى شعوب وقبائل هي ذات الإرادة التي طلبت منا أن نتعاون على البر والتقوى وألا نتعاون على الإثم والعدوان، مرضاة لإلهنا الواحد واتباعاً لمنهاج رسله الكرام، ذلك هو الإيمان المبني على التعارف الذي تؤطره التقوى ولا شيء غير ذلك...

﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾

[سورة العنكبوت : الآية 46]

صدق الله العظيم



لتعارفوا

نداء طرابلس من أجل التعارف



إدراكاً للحكمة الإلهية التي اقتضت جعل الناس شعوباً وقبائل، أمماً وأقواماً، أجناساً وألواناً.. وشعوراً بثقل الأمانة التي حمّلها الله الإنسان باستخلافه في الأرض لإعمارها وعدم الفساد فيها.. واستشعاراً لخطورة ما ينتاب مجتمعنا الإنساني من فتن وصراعات، وحروب واضطرابات هددت أمنه وعبثت باستقراره، ورداً على الأصوات التي ظهرت هنا وهناك تُنظّر لصراع الحضارات وصدام الثقافات، فقد قرر المجلس العالمي للدعوة الإسلامية الذي يبرمج لأنشطة جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ويشرف عليها، تنظيم ملتقى فكري ثقافي موسع تحت شعار (لتعارفوا) وذلك على هامش دورته الرابعة عشرة.

وقد انتظم هذا الملتقى بطرابلس في الفترة من 20 ـ 22 من شهر الفاتح (سبتمبر) 1371 من وفاة الرسول ﷺ (2003 مسيحي) وشارك فيه أكثر من (130) منظمة وهيئة إسلامية ومسيحية من مختلف أنحاء العالم إضافة إلى عدد من المنظمات الدولية والإقليمية ومسؤولي الكنائس الشرقية والغربية ولفيف من الباحثين والمفكرين ورجال الإعلام والمهتمين بقضايا الحوار.

وقد عكف المشاركون في هذا الملتقى على دراسة عدد من الأوراق والمداخلات التي ناقشت مفهوم التعارف باعتباره نتيجة من نتائج الحوار الهادف الذي يعزز الاحترام المتبادل ويرفض الظلم ويقاوم الاستعلاء في الأرض، ويؤسس لعلاقة تعاونية بين الأقوام والشعوب على أساس المساواة التي أكدتها الشرائع وعززتها المواثيق والأعراف الدولية.

وقد وجه المشاركون في هذا الملتقى (نداء) أسموه (نداء طرابلس من أجل التعارف) هذا نصه:

«إننا المشاركون في الملتقى الفكري الحواري الذي نظمته وأشرفت عليه جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ومجلسها العالمي قد تدارسنا أوضاع عالمنا وما تحف به من مخاطر، نتيجة ابتعاد الناس عن الشرائع وانحرافهم عن درب الأنبياء والمصلحين، وانحسار مساحة القيم والأخلاق في الحياة، وظهور صور من العلاقات الظالمة بين الأمم والأفراد، لنتوجه بهذا النداء إلى كل قوى الخير والحق في عالمنا من أجل غد أفضل لأجيالنا وعالم أكثر أمناً وسلاماً لمجتمعاتنا ويرتكز نداؤنا على الأسس والمبادئ التالية:

❖ التعدد الديني والاثني والثقافي واللغوي بين الناس والمجتمعات آية من آيات الله، وتعبير عن المشيئة الإلهية في خلق الناس مختلفين ليتعارفوا وليتدافعوا في عمارة الكون.

❖ كرامة الإنسان وحريته مبدأ أساسي في كل الأديان والمعتقدات والمساس بتلك الكرامة بأي صورة من الصور أو تقييد تلك الحرية تحت أي مبرر يناقض ذلك الأساس ويصطدم بالمشيئة الإلهية التي كرمت الإنسان واستخلفته في الأرض.

❖ التمييز بين البشر أو المفاضلة بينهم على أساس الدين أو العرق أو اللون ممارسة عنصرية لا يقرها دين ولا تبررها شريعة، وان انتهاج أي شكل من أشكالها أو إقراره تحت أي ظرف إنما هو عمل يتناقض مع كل القيم والأخلاق ويتعارض مع كل الشرائع والمعتقدات.

❖ تعميم الأحكام وانتهاج أسلوب العقاب الجماعي ظلم كبير لأنه يأخذ الأبرياء بجريرة غيرهم، ويوسّع دائرة العسف ويعرض مجتمعاتنا لخطر العنف ويفتح الباب للعنف المضاد.

❖ التعارف بين الناس والحوار بينهم هو السبيل الأوحد لحل مشكلات عالمنا حلاً منصفاً، والجنوح إلى القوة في التعامل مع تلك المشكلات إنما يذكرنا بصور الحروب المأساوية التي شهدها عالمنا والتي يجب أن نتعاون جميعاً حتى لا يكتوي العالم بنارها مرة أخرى.

❖ التطرف والتعصب والإرهاب أساليب يرفضها الدين وتمجها الفطرة السوية لأنها تجر المجتمع الإنساني إلى صراعات وصدامات تؤثر سلباً على الحضارات الإنسانية مما يحتم تعاوناً دولياً لمعالجة أسبابه والتضامن في مقاومته.

❖ الدفاع عن النفس حق تدفع باتجاهه الفطرة وتقره الأديان وتضمنه الأعراف والمواثيق والخلط بينه وبين الإرهاب والتطرف إنما يساهم في تشجيع الظلم والعدوان ويسعى إلى تشويه الحقائق وقلب الموازين.

وفي سبيل تحقيق هذه المبادئ على أرض الواقع فقد أوصى المشاركون بما يلي:

أولاً: التأكيد على التمسك بثقافة التعارف بين الناس انطلاقاً من القيم الروحية الإسلامية والمسيحية ومن المبادئ الإنسانية السامية وذلك على قاعدة احترام الإنسان الذي كرمه الله واستخلفه في الأرض.

ثانياً: العمل على إبراز القيم الأخلاقية المشتركة التي يدعو لها الإسلام والمسيحية في نبذ العنف والتطرف والغلو، وفي رفض منطق الاتهام الجماعي والإدانة الجماعية والعقاب الجماعي، وفي مقاومة كل مظهر من مظاهر استغلال الدين وتوظيفه في الصراعات والخلافات السياسية والتأكيد على أن السلوك الإلغائي للآخر يتناقض مع هذه القيم الدينية التي تشكل ركناً أساسياً من أركان العقيدة في الرسالتين السماويتين الإسلام والمسيحية.

ثالثاً: العمل على استمرار موقع (لتعارفوا) والذي أنشأته الجمعية خصيصاً لهذا المؤتمر، وتطويره بحيث يصبح ملتقى دائم للمشاركين فيه وغيرهم من دعاة الحوار وذلك لتعميم فكر التعارف ونقله من أن يكون محصوراً بين النخب المثقفة إلى أن يصبح لغة مشتركة بين الشعوب.

رابعاً: تنظيم لقاءات شبابية بين المسلمين والمسيحيين لتحقيق تعارف مباشر فيما بينهم سواء في حرم الجامعات والكليات أو في مخيمات صيفية توفر لهم إمكانات التعارف لتصحيح ما قد يكون عالقاً بأذهانهم من صور نمطية سلبية عن الآخر وتمكنهم بالتالي من تكوين صور إيجابية وموضوعية متبادلة.

خامساً: التوجه إلى الجيل الجديد الذي يقع ضحية الحملات الإعلامية المضللة والمشوشة وذلك من خلال القيام بحملات ثقافية وإعلامية تركز على ما في الإسلام والمسيحية من قيم ومبادئ أخلاقية سامية تحرّم الاعتداء على حياة أي إنسان، كما تحرّم أي انتهاك لحقوقه وفي مقدمتها حقه في ممارسة شعائره الدينية بحرية.

سادساً: إصدار نشرة دورية تتضمن عرضاً للأعمال والأنشطة التي تقوم بها مؤسسات ومنظمات وجمعيات إسلامية ومسيحية في إطار الحوار والتعارف بما يمكنها من تبادل المعلومات وتنسيق النشاطات وتشارك في إنتاج ثقافة التعارف المتبادل.

سابعاً: مناشدة الجميع وخاصة الكتّاب والإعلاميين والسياسيين تجنب استخدام المصطلحات الاستعدائية التي تتضمن اتهامات ضمنية جائرة بحق الآخر أو تمس شعائره ومقدساته أو تحرض عليه وتستعديه.

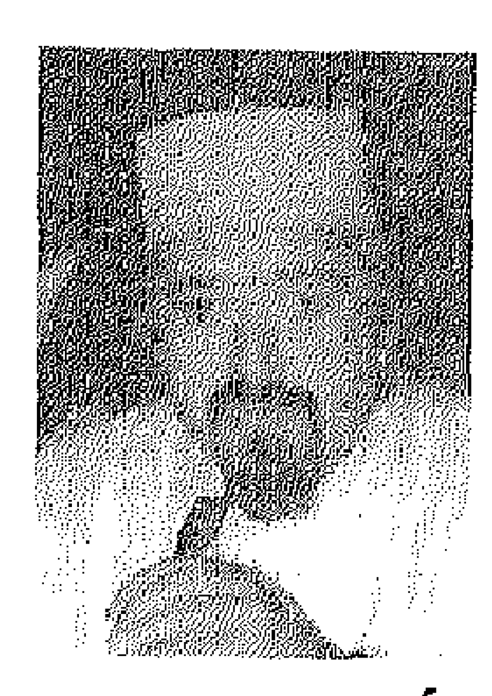
ثامناً: الالتزام بأسس ومبادئ ثقافة الحوار بالتي هي أحسن باعتبارها الأداة الوحيدة لتحقيق التعارف بين الناس والتعريف بمقومات تلك الثقافة في مؤسساتنا التربوية والاجتماعية.

تاسعاً: ضرورة الفصل بين المواقف السياسية لبعض الحكومات الغربية وبين العقيدة المسيحية وكذلك الفصل بين الإرهاب والعقيدة الإسلامية لما في الحالتين من إجحاف وتجنٍ.

عاشراً: يؤيد الملتقى إنشاء مجلس دائم للحوار بين الأديان والعقائد في إطار الأمم المتحدة دعماً لأسس التعارف بين الناس وإسهاماً في إرساء قيم الحق والسلام في العالم.

حادي عشر: توثيق أعمال هذا الملتقى وتجميع أبحاثه ومداخلاته وترجمتها إلى عدة لغات وتوزيعها على أوسع نطاق توسيعاً للفائدة ونشراً لثقافة الحوار.

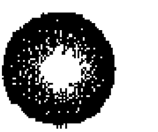
ثاني عشر: يتقدم المشاركون بشكرهم وتقديرهم لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية ومجلسها العالمي على تنظيم هذا الملتقى وعلى الترتيبات التي ساهمت في نجاحه».



الدكتور عبد الحق عيسى

أمين الجمعية الإسلامية/ ميلانو

إن لقاء المؤمنين يكتسي أهمية من حيث أنه يمكن من تأصيل الدين ونقاوة عبادة الله، وإن حياة أول مجتمع إسلامي في المدينة دليل واضح على تعايش وتكيف مختلف الشعوب والشرائع، وينبغي أن يكون ذلك نموذجا يحتذى به، إن التعارف يجب أن يكون بعدا طبيعيا لحياتنا لأنه إرادة الله.





الدكتور يوسف القرضاوي

رئيس مركز بحوث السنة والسيرة/ قطر

إن كل لقاء يجمع ولا يفرق، ويبني ولا يهدم، ويوحّد ولا يشتت ؛ هو لقاء يرحب به الإسلام وعلماء ودعاة الإسلام. ينطلق الإسلام من فكرة واضحة ومن عقيدة راسخة، وهي أن البشرية كلها أسرة واحدة، تشترك في العبودية لله تعالى وفي البنوة لآدم، وهذا ما قاله رسول الإسلام في حجة الوداع للجموع الحاشدة : أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، لا فضل لأحمر على أسود ولا لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم. وهذه هي نظرة الإسلام للبشرية، إنها أسرة واحدة، وإلى هذا يشير قوله تعالى في مطلع سورة النساء:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

[سورة النساء: الآية 1]

ندوة وندسور Wendsor للتعارف

المنعقدة بدار سانت جورج، بقلعة وندسور

23 ـ 2004/3/26

انعقد مؤتمر وندسور في وقتٍ يتزايد فيه التوتر في العالم، فقبل انعقاد المؤتمر بإثني عشر يوماً حدثت تفجيرات مدريد التي أودت بحياة 200 شخص. وقبل انعقاده بيوم واحدٍ اغتالت إسرائيل زعيم حركة حماس الكسيح الشيخ أحمد ياسين بينما كان يغادر المسجد في صلاة الفجر. وكلٌّ هذا تهديد لعملية السلام في الشرق الأوسط. وقبل أسبوعين اندلعت موجة من الحرائق في المساجد والكنائس في البوسنة وصربيا بسبب الاضطرابات بين المسلمين والنصارى في كوسوفا.

إن مؤتمر وندسور هو متابعة لمؤتمر التعارف الذي انعقد في طرابلس بجمعية الدعوة الإسلامية العالمية في سبتمبر 2003.

لقد دعا د. محمد الشريف، ودونالد ريفز معاً قادة الفكر في العالمين الإسلامي والمسيحي لوضع خطة استراتيجية من أجل نشر مبادئ التعارف عبر العالم. وسوف يتبع مؤتمر وندسور مؤتمرات مماثلة في (كندا) بتورنتو، وروسيا (موسكو)، وجنوب شرق آسيا وأفريقيا.

كما انعقد اجتماع في الفاتيكان بروما بتاريخ

2004/3/10 بين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية والمجلس البابوي للحوار بين الأديان، وكان ذلك قبل بضعة أسابيع من انعقاد مؤتمر وندسور.

لقد كان المقصد الأساس من مؤتمر وندسور التعرّف على الخطوات الدقيقة اللاحقة لهذه المبادرة الجديدة المتحدّية نحو التعاون الفعّال بين الإسلام والمسيحية.

وقد اتفقت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ومنظمة روح أوروبا، وجميع المشاركين في المؤتمر على أن الحاجة باتت ماسّة الآن لتجاوز الحوار بين الأكاديميين والزعماء الدينيين، وذلك بالأخذ بمبادئ التعارف وغرسها في الجماعات العريقة التي تحتاج إلى معرفة كيف تعيش مع بعضها البعض بشكل منسجم في ظروف يغلب عليها التوتر بسبب الريبة المتبادلة، وفقدان الدعم المادي والروح الكافيين معاً.

إن النتيجة الرئيسة لمؤتمر وندسور إدراك الأهمية الأولى للصداقة التي تحدث بين أتباع العقائد المختلفة، وتكون أساساً ثابتاً لمنتديات مستقبلية مع خلق مرونة لمهام مستقبلية التي تحتاج أن تكون عملية ومنتجة في أهدافها ونتائجها.

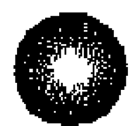
إن انعقاد المؤتمر في دار سانت جورج في وندسور، وهي وسط مريح جداً يقوم على أرض قلعة وندسور، شجّع على الابتعاد عن الرسميات، كما شجّع على العمل المكثّف في الموضوع الرئيس.

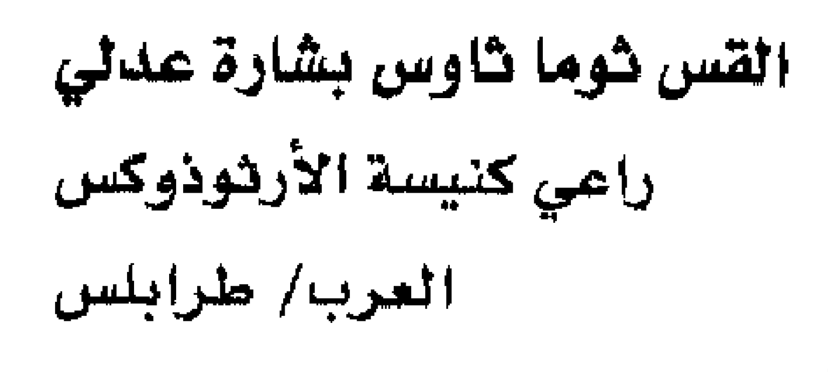
لقد كان كلٌّ واحدٍ من الحاضرين حُرّاً في الحديث والمشاركة في الخطاب. وقد أدّت سلسلة المحاضرات إلى مناقشات مكثّفة.

وقد أقبل المتحدثون الضيوف في أوقاتٍ مختلفةٍ لإضافة وجهات نظر جديدة والتحفيز لأفكار أخرى.

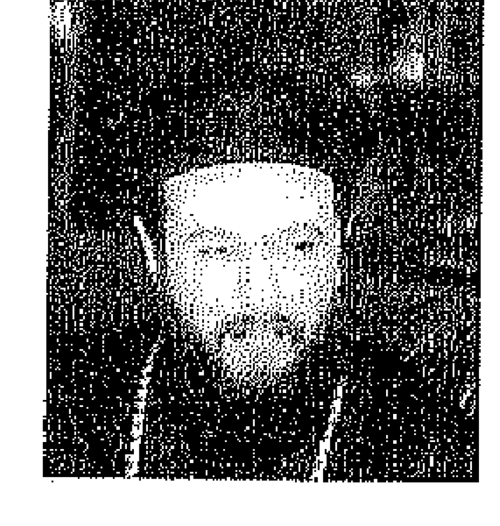
وقد تضمن البرنامج عرضاً لشريط Rehem Tayie عن نشاطات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، مع الإشارة إلى مؤتمر (لتعارفوا) المنعقد في طرابلس في سبتمبر 2003، والذي تحدث فيه

وما أجدر كلمة الأرحام هنا أن تكون إشارة إلى الأرحام الإنسانية العامة **وليس مجرد الأرحام الخاصة، فبين الإنسانية كلها رحم مشترك**، ووشائج واصلة، وهي أنهم مخلوقون لرب واحد ﴿ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ﴾ وأنهم مخلوقون من نفس واحدة، وأنهم لهذا إخوة، ولذلك كان رسول الإسلام يقول دُبُرَ كل صلاة (اللهم ربنا ورب كل شيء ومليكه أنا شهيد أنك وحدك لا شريك لك، اللهم ربنا ورب كل شيء ومليكه أنا شهيد أن محمدا عبدك ورسولك، اللهم ربنا ورب كل شيء ومليكه أنا شهيد أن العباد كلهم إخوة) فهذه نظرة الإسلام إلى البشرية.





القس ثوما ثاوس بشارة عدلي
راعي كنيسة الأرثوذوكس العرب/ طرابلس



الإسلام والمسيحية رسالة واحدة وهي الدعوة للحب الصادق والتعاون، نبني على هذا الحب مجتمعا إنسانيا تسوده العدالة والرحمة، وتربط بين أفراده أواصر الصدق والأخوّة:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [سورة الحجرات: الآية 13]

وهذه أيضا هي تعاليم المسيحية التي تدعوا إلى المحبة والتعارف والتعاون (إن الله محبة، من يثبت في المحبة يثبت في الله والله فيه) لذا فنحن نؤمن ان عزتنا في وحدتنا، نجاحنا في أخوتنا، قوتنا في ترابطنا، فنحن المسلمون والمسيحيون دمًا ولحمًا، أملا وألمًا، والحاجة الملحة في هذه الأيام هي الحب، والعالم كله محتاج إلى لغة الحب، وهي لغة السمائيين، يحتاج إليها العالم الآن لكي تصبح الأرض سماء.

دونالد ريفز من بين الحاضرين عن الحاجة العَجْلَى للجماعات العالمية الكبرى، لا من أجل الحديث فقط بل من أجل العمل أيضاً.

وقد دُعي جميعُ المشاركين للالتحاق بصلاةٍ في كنيسة سانت جورج.

وفي كلمة الترحيب ذكّرنا أندرو هاردينج مدير دار سانت جورج بالتاريخ الطويل لقلعة وندسور التي ظلّت آهلة منذ سنة 1565.

ثم تحدث دونالد ريفز عن الاختلافات الجوهرية بين المسيحية والإسلام وتحدث د. محمد أحمد الشريف عن التاريخ الطويل للحوار بدءاً من مجادلة النصارى لمحمد (ﷺ) في المسجد وهو أقدم مثال على الحوار العملي. فالمجادلات كانت علامة طيبة وبديلاً عن الحرب والكراهية.

ولم يكن الجدل بين العقائد فقط، بل معنى إلى أبعد من ذلك وهو الحوار داخل الدين الواحد.

إنّ معنى التعارف هو أبعد من الحوار ويتجاوزه. إنّه معرفة مشتركة تقود إلى الآخر. وهذه المعرفة هي أعلى نمط من المحبة والتي هي معرفة الله. وقد أكّد على الأهمية الخاصة لمؤتمر وندسور في تحقيق الخطوات اللاحقة، في الاجتماعات الإقليمية الخمسة بعد مؤتمر التعارف في طرابلس في سبتمبر 2003.

وسوف يلتحق ممثلون عن كل مجموعة بالمؤتمرات الإقليمية، بدءاً من وندسور ذهاباً إلى كندا، وروسيا، وإفريقيا، وجنوب شرق آسيا.

ثم سيجتمعون ثانية في طرابلس عند نهاية العام للنظر فيما استجدّ من مسائل ظهرت أثناء الاجتماعات، واتخاذ القرارات في الموضوعات المستقبلية التي تحتاج أن تكون قوية وعملية.

وقد اختتم د. الشريف ترحيبه بأن الجميع يمكن أن يتعلّموا من بعضهم البعض. وبصرف النظر عن الاختلافات فإن لدينا قواسم مشتركة من قيم السلم والتعايش.

توصيات ندوة «لتعارفوا» المنعقدة في وِنْدْسور

1 ـ التأكيد على الالتزام بثقافة المعرفة المتبادلة بين الشعوب على أساس القيم الروحية الإسلامية والمسيحية، والمبادئ الإنسانية الراقية، وعلى أساس احترام الوجود الإنساني الذي شرّفه الله واستخلفه في الأرض.

2 ـ محاولة التأكيد على القيم الأخلاقية المشتركة التي ينادي بها الإسلام والمسيحية في إنكار العنف والتطرف والغلوّ، والتخلّي عن منطق الاتهام الجماعي، والإدانة، والعقاب الجماعي، ومقاومة جميع أشكال الاستغلال، واستخدام الدين في النزاعات السياسية والخلافات، والتأكيد على أنّ إقصاء الآخر يكون عند التعارض مع تلك القيم الدينية التي تشيد أحد الأركان الأساسية للإيمان في الرسالتين السماويتين: الإسلام والمسيحية.

3 ـ الإبقاء على موقع (لتعارفوا) على الانترنت مفتوحاً، وهو الموقع الذي أسّسته الجمعية وطوّرته لا سيما من أجل هذا المؤتمر، وجعله مكاناً لاجتماع المشاركين، وأنصار الحوار الآخرين. والغرض من ذلك إشاعة ثقافة التعارف المتبادلة، والخروج بها من الدائرة الضيّقة للنخبة المثقفة والتحوّل بها إلى لغة الشعوب المشتركة.

4 ـ عقد اجتماعات شبابية للمسيحيين والمسلمين لغرض تحقيق التعارف المتبادل داخل الجامعات وفي المخيمات الصيفية التي تزوّدهم بالإمكانات التي تحقق هذا التعارف المتبادل بحيث تعالج التحامل الذي زُرِعَ في عقولهم ضد بعضهم البعض، يمكّنهم من بناء صورة موضوعية وإيجابية بشكل متبادل.

5 ـ مخاطبة الأجيال الجديدة التي هي ضحية سوء القيادة والحملات الإعلامية المزعجة عبر حملات تعليمية وإعلامية تركّز على القيم السامية ومبادئ الإسلام والمسيحية التي تحرّم أخذ حياة الناس وانتهاك حقوقهم.

6 ـ طبع نشرة دورية تتضمن مسحاً بالأعمال والأنشطة التي قامت بها المؤسسات والمنظمات والجمعيات الإسلامية والمسيحية داخل إطار عام للحوار والتعارف المتبادل لكي يمكنهم من الاشتراك في المعلومات والتنسيق في الأنشطة والمساهمة في إنتاج ثقافة التعارف المتبادل.

7 ـ مناشدة الجميع، ولا سيما الكتّاب، والتجمعات الإعلامية والساسة أن يتجنّبوا استعمال المفاهيم العدائية التي تتضمن اتهامات خاطئة ضد الآخر والتحامل ضد معتقداته ومقدساته، وتحريض الناس على الوقوف ضده، أو إخفاء المشاعر العدائية ضد الآخر.

8 ـ مناصرة مبادئ ثقافة الحوار من خلال الكلمات اللطيفة، والنظر إليها على أنها السبيل الوحيدة لتحقيق التعارف المتبادل بين الشعوب، وتقديم مكوّنات هذه الثقافة في مؤسساتنا التعليمية والاجتماعية.

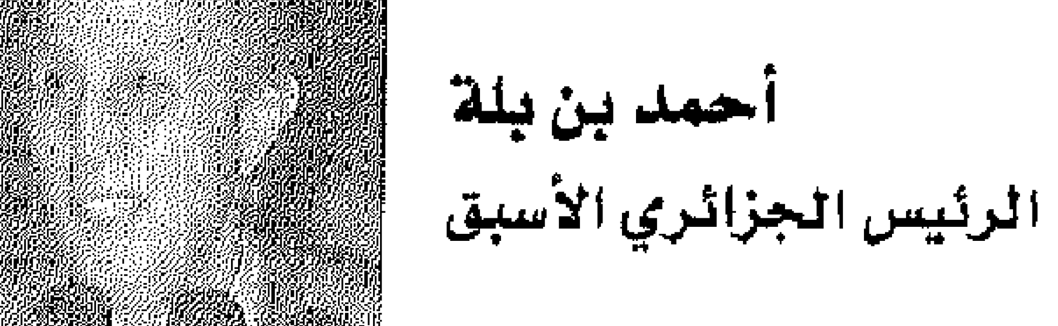
9 ـ الحاجة إلى التفريق بين المواقف السياسية لبعض الحكومات الأوروبية والدين المسيحيّ، وبين الإرهاب والدين الإسلامي. وفي ذلك ظلم للديانتين واتهامات باطلة توجّه ضدهما.

10 ـ يؤيد الاجتماع تأسيس مجلس دائم للحوار بين الأديان والعقائد داخل إطار الأمم المتحدة لتوحيد قواعد التعارف المتبادل، وللمشاركة في تأسيس قيم الحق والسلام في العالم.

11 ـ توثيق نشاطات هذا الاجتماع، وجميع دراساته وبحوثه، وما عُرِضَ فيه وترجمتها إلى لغات متعددة التي سينتفع بها الجميع ونشر ثقافة الحوار على مستوى كبير.

12 ـ يعبّر المشاركون عن شكرهم وتقديرهم لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية ومجلسها العالمي للدعوة إلى هذا الاجتماع، والتنظيم الذي ساهم في نجاحه.

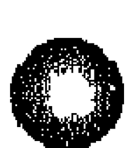
13 ـ قرّر المشاركون إرسال برقية شكر واحترام إلى الأخ العقيد معمر القذافي قائد ثورة الفاتح.



أحمد بن بلة

الرئيس الجزائري الأسبق

ملتقى لتعارفوا يمثل أهمية بالغة في نشر ثقافة السلام وتعزيز روح التعارف بما تشكله من مضامين إنسانية تهم البشرية جمعاء. إن الإسلام يدعو إلى التعارف، وإن المسلمين دعاة تعارف وسلام، وهم يستمدون الثبات على هذه القيم والمبادئ الإنسانية من رسالة الإسلام وسماحة دعوته. إن الإنسانية وصلت إلى مرحلة من المدنية والتحضر، ترفض الحرب ولا تعترف إلا بقدسية السلام باعتباره خيارا إنسانيا. وانا استغرب بعض الدعوات التي يُنَظِّر لها عدد من الغربيين مثل صراع الحضارات ونهاية التاريخ. ولذلك فإنني أدعو إلى ضرورة تأكيد وترسيخ قيم التعارف والتعاون والحوار بين المجتمعات الإنسانية، وهذا الملتقى الإنساني العالمي (لتعارفوا) هو خطوة صحيحة في اتجاه صحيح، كما أنني أنبه إلى خطورة الاستمرار في تناول وتداول بعض المفاهيم التي تؤطر للصراع والتنافر ورفض الآخر بأي شكل من الأشكال، والتي يجب أن تحذف من قاموس الإنسانية.





جورج دي فينيسيا

رئيس البرلمان الفليبيني

المجتمع الإنساني مجتمع واحد، ومن هنا فإنني أدعو إلى ضرورة تقاسم المسؤولية من خلال تقليل المسافة بين المجتمعات من

ندوة موسكو

المسلمون في سبيل السلام والوفاق



متابعة لتوصيات الملتقى العالمي الذي عقد في مدينة طرابلس خلال شهر الفاتح «سبتمبر1371» من وفاة الرسولﷺ (2003 مسيحي) تحت شعار «لتعارفوا» وبمناسبة مرور 100 عام على إنشاء المسجد الجامع بمدينة موسكو انعقدت في موسكو يوم 27 الماء «مايو1372» من وفاة الرسولﷺ (2004 مسيحي) ندوة عالمية بعنوان «المسلمون في سبيل السلام والوفاق» بالتعاون والتنسيق بين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ومجلس مفتي روسيا الاتحادية. وقد شارك في الندوة وفود من الجماهيرية وتركيا وإيران وكازاخستان، ومسؤولو الإدارات الدينية في مختلف أنحاء روسيا والجمهوريات القوقازية وتتارستان، ومندوبون عن الاتحادات والمؤسسات الدينية في روسيا، ومسؤولون في الحكومة الفدرالية وحكومة موسكو، وعدد من المستشرقين والمفكرين وأساتذة الجامعات والمهتمين بإجراء الحوار والتعارف.

ألقيت في الندوة عدة مدخلات تناولت منزلة السلام في الإسلام، والتعدد والتنوع الثقافي والوفاق الاجتماعي، كما تناولت أثر الحوار ودوره في إرساء قيم الإسلام، ودور مسلمي روسيا في إرساء قيم الإسلام، وكذلك دورهم في إشاعة ثقافة الحوار والتعارف.

وقد تحدث حفل افتتاح هذه الندوة الشيخ راوي عين الدين رئيس مجلس مفتي روسيا الاتحادية فرحب بالمشاركين وأثنى على دور جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في إقامة هذه الندوة العالمية، مشيرا إلى أنها كانت ثمرة من ثمرات زيارة مجلس مفتي روسيا إلى مقر الجمعية منذ أشهر، وعبر عن تقديره لدور الأخ القائد معمر القذافي في دعم المسلمين في كل مكان، وخاصة في جمهورية روسيا الاتحادية، وتمكينهم من الحفاظ على تراثهم وهويتهم وانتمائهم الحضاري من جهة، ومن جهة أخرى حرصه على أن يقوموا بكل واجباتهم ليكونوا مواطنين صالحين في بلدانهم.

كما تحدث في حفل الافتتاح الأخ أمين الجمعية فنقل إلى الحاضرين تحيات مؤسس جمعية الدعوة الإسلامية العالمية الأخ العقيد معمر القذافي، مشيرا بالخصوص إلى جهوده المتواصلة في تعزيز السلام والوفاق، وعمله من أجل أن تكون للمسلمين إسهاماتهم في الحضارة الإنسانية، مؤكدا على دوره المتميز في تطويق النزاعات الدينية والطائفية، مذكرا المشاركين بخطابه الذي ألقاه في الجلسة الافتتاحية لقمة « س ص» التي عقدت مؤخرا بجمهورية مالي والتي ضمنها رؤيته حول النزاع بين المسلمين والمسيحيين.

وأكد الأخ الأمين أن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية قد بنت سياستها منذ البداية على أسس الحوار واحترام الآخر والوسطية المبنية على أسس الدين وثوابت العقيدة في المقاومة لكل مناهج التطرف والغلو والانغلاق الفكري، وأنها كانت دائما واضحة في مواقفها التي تدين الإرهاب بصوره وأشكاله كافة.

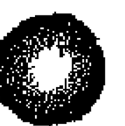
وتحدث الأخ أمين الجمعية عن أهمية هذا اللقاء العالمي متمثلا في هذه الندوة التي تعتبر الثانية في سلسلة من الندوات التي تدور حول أهمية الحوار والتعارف تنفيذا لتوصيات ملتقى طرابلس « لتعارفوا» فقد كانت الأولى بمدينة«وندزور» ببريطانيا وندوة موسكو هذه هي الثانية، وستعقد الندوات الثلاث الأخرى في عمان وفي شرق أفريقيا وفي جنوب شرق آسيا، وستكون نتائج كل هذه الندوات مادة لمؤتمر كبير حول التعارف تصاغ فيه كل أفكار هذه الندوات، ويحول بعضها إلى برامج عمل تنفذ من قبل الجمعية أو بالتعاون بينها وبين المؤسسات والهيئات المسيحية التي شاركت في هذه الندوات.

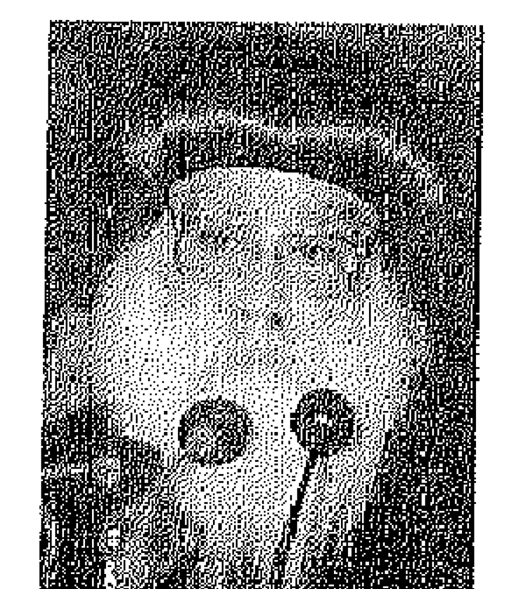
وعبر الأخ الأمين في ختام كلمته عن شكره وتقديره لمجلس مفتي روسيا ومن خلاله إلى رئيس وحكومة روسيا.

كما تحدث في هذه الندوة كل من آية الله محمد على التسخيري الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب في إيران، والدكتور نفزات يالسنطاش عضو المجلس العالمي للدعوة الإسلامية سابقا وعضو البرلمان التركي، ومندوبو الديانات الأخرى في روسيا، فعبروا جميعا عن تقديرهم لدور جمعية الدعوة الإسلامية العالمية وتعاونها مع مجلس مفتي روسيا لتنظيم هذا اللقاء العالمي.

هذا وصدرت عن الندوة وثيقة دعت إلى تعزيز الحوار وإشاعة ثقافة التعاون، وأكدت على ضرورة معالجة أسباب تنامي ظاهرة العنف والإرهاب والتطرف، ودعت إلى احترام قرارات الشرعية الدولية باعتبار أن رفضها أو العبث بها أو الانحياز في تطبيقها قد يشكك في مصداقيتها، وهذا يساهم في زرع بذور الكراهية بين الأقوام والشعوب والأمم، ويعرض المجتمع الإنساني لفوضى غير مسبوقة، هذا وقد وزع كل الحاضرين بالعربية والروسية خطاب الأخ القائد في قمة «س ص» التي عقدت في باماكو، كما تم توزيعه بالروسية والعربية أيضا على مندوبي وسائل الإعلام التي غطوا أعمال هذه الندوة.

خلال التعارف والحوار والقبول بالتنوع، لقد اتخذت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية من خلال تنظيمها لهذا اللقاء العالمي الخطوة الأولى، لأن الإنسانية بحاجة إلى التقارب والتفاهم، ولا تخفى المرارة التي تشعر بها الإنسانية بسبب النزاعات التي يشهدها العالم. لقد أتينا لنؤكد على السلام الدائم بين الجميع.





الأنبا باخوميوس

مطران البحيرة ومطروح وشمال أفريقيا

أحيي وأشكر الجمعية لاحتضانها هذا اللقاء العالمي الذي يجمع إخوة من كل قبيلة وجنس، وقد أدركنا أن الحل الحقيقي لمشكلاتنا هو رجوعنا إلى القيم الروحية، واجتماعنا يعني أننا نقدس القيم الروحية، وأن المادة لا تستطيع حلّ أي مشكلة. نحن نلتقي لا لنتصارع، لأننا لا نؤمن بصراع الحضارات، بل إننا نلتقي لنتحاور، وهذا اللقاء يعني أننا أحسسنا بمسؤولياتنا نحو السلام العالمي الحقيقي، وهذا السلام لن يأتي بالحروب والنزاعات، ولكنه يأتي عندما نتكاتف معا ونعمل بجدية من اجل السلام بين الإنسان وأخيه الإنسان، سلام في الأوطان وسلام عالمي، ومن لا يصنع السلام لا يكون عضوا في الأسرة الدولية. إن هذا اللقاء هو لقاء الحب والعمل الروحي وتكافؤ الحضارات.



الوثيقة الختامية (ندوة لتعارفوا) الأردن

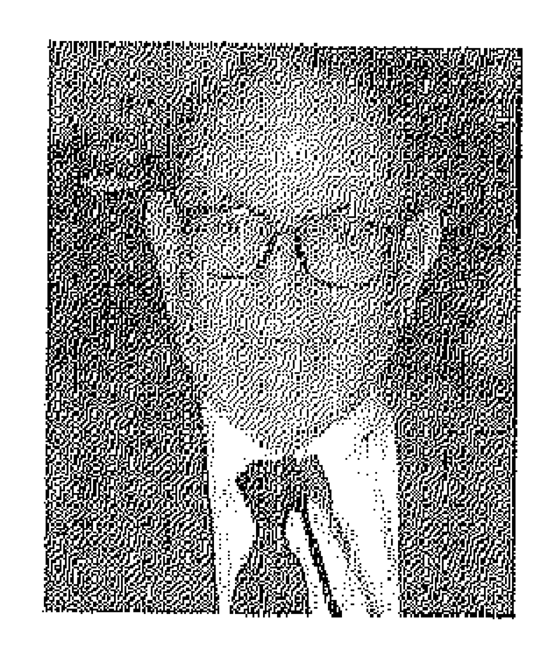
تأسيساً على الملتقى الموسع الذي نظمته جمعية الدعوة الإسلامية العالمية تحت شعار لتعارفوا خلال شهر الفاتح/ سبتمبر 2003 بطرابلس، وتنفيذاً لتوصياته بإقامة ندوات وورش عمل إقليمية تعمق مفهوم التعارف وتقترح تطبيقات عملية لذلك المفهوم، وبمشاركة علماء ورجال دين ومهتمين بشؤون الحوار في كل من الأردن، فلسطين، لبنان، سوريا ومصر، إضافة إلى أعضاء المكتب التنفيذي للقيادة الشعبية الإسلامية العالمية... عقدت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية والمركز الأردني للدراسات والمعلومات ندوة إقليمية بالعاصمة الأردنية عمّان يومي 25، 26 من شهر ناصر/ يوليو 2004 تحت شعار «نحو خطاب عربي إسلامي مسيحي مشترك للتعارف مع الآخر» برعاية كريمة من الملك عبد الله الثاني بن الحسين حيث انتدب جلالته دولة السيد فيصل الفايز رئيس الوزراء لافتتاح أعمال المؤتمر، وقد حضر حفل الافتتاح الذي بدأ بتلاوة مباركة من آي الذكر الحكيم دولة رئيس مجلس الأعيان ومعالي رئيس مجلس النواب ومستشارو جلالة الملك وعدد من الوزراء والأعيان والنواب وأعضاء السلك الدبلوماسي وشيوخ العشائر ووجهاء المخيمات وممثلو الأحزاب ومؤسسات المجتمع المدني وعشرات من العلماء والمفكرين وأساتذة الجامعات في المملكة الأردنية الهاشمية، وقد ألقيت في حفل الافتتاح كلمات من قبل كل من:

غبطة البطريرك ميشيل صباح بطريرك

القدس اللاتين، وسماحة الشيخ عكرمة صبري مفتي القدس والديار الفلسطينية، وغبطة البطريرك أغناطيوس زكا الأول عيواص بطريرك انطاكيا وسائر المشرق الرئيس الأعلى للكنيسة الأرثوذكسية السريانية في العالم- والدكتور وهبة الزحيلي عضو المجامع الفقهية- والأنبا باخاميوس أنبا البحيرة وشمال أفريقيا في الكنيسة القبطية المصرية- وسماحة الشيخ محمد كنعان رئيس المحاكم الشرعية في لبنان- والأب الدكتور يوسف مونس ممثلاً عن غبطة الكاردينال مار نصر الله صفير بطريرك انطاكية وسائر المشرق للكنيسة المارونية، والشيخ أمين الكردي ممثلاً عن سماحة الشيخ محمد رشيد قباني مفتي الجمهورية اللبنانية- والمطران سلفستروس الفار ممثلاً عن البطريرك ايرينيوس الأول بطريرك القدس وسائر الأراضي المقدسة - والشيخ تيسير التميمي قاضي قضاة فلسطين - والدكتور محمد أحمد الشريف أمين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية- والسيد بلال حسن التل رئيس المركز الأردني للدراسات والمعلومات.

وقد عبّرت تلك الكلمات في مجملها عن الشكر والتقدير لكل من جمعية الدعوة الإسلامية العالمية والمركز الأردني للدراسات والمعلومات على مبادرتهما بتنظيم هذا اللقاء الموسع في هذه الحاضرة العربية التي كانت دوماً رمزاً للتعايش والتسامح والحوار.. مؤكدين على الروابط التاريخية والثقافية والاجتماعية التي ربطت المسيحيين والمسلمين في منطقة مصر والشام على مدى أربعة عشر قرناً، مشيرين في كلماتهم إلى أن هذا اللقاء إضافة إلى ما يتيحه من فرصة لتبادل الرؤى والأفكار حول مفهوم التعارف فإنه يمثل فرصة أيضاً لمراجعة الذات والتعاون على سد كل الثغرات والذرائع التي يحاول أن ينفذ من خلالها المغرضون، وأعداء الاستقرار والأمن في المنطقة لبث سموم التفرقة والخصام.

كما عبّر المتحدثون في كلماتهم عن حرص



الدكتور عبد الصبور مرزوق
الأمين العام للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية / مصر

إن الحوار هو طريق للتعارف وأحد وسائله؛ وإن فكرة التعارف فكرة جيدة تتيح جلسات أكثر حرية من المؤتمرات التي قد يحتدم فيها النقاش حول مسألة خلافية، ويتيح التعارف أيضا التعاون في المتفق عليه في الإطار الإنساني.

أما العقبات التي أرى أنها ذات أثر في الإحجام عن فكرة الحوار والتواصل الإنساني بين المسلمين وأصحاب الحضارات الأخرى ؛ فإن من أهم تلك الأسباب: رواسب الماضي المتمثلة في الاستعمار بأشكاله المختلفة التي تركت آثارها بصورة واضحة على قبول فكرة الحوار والتواصل، كما أن البعض يريد أن يطرح صيغة حوار القوي مع الضعيف، ولا شك في أن هذه الصيغة لا يمكن أن تجدي أو تأتي بنتيجة.

وهناك شروط أراها ضرورية لنجاح الحوار، وحتى يكون مجديا وفاعلاً ؛ أولها أن يكون الحوار بعيدا عن الانطباعات المسبقة والفكر المسبق، ثانياً: أن تتوافر فيه الندية فلا يمكن أن يتحاور تابع مع متبوع ولكن أن يشعر كل طرف بالندية، حينها يمكن أن ينجح الحوار وإلا فسيكون مصيره الفشل وعدم النجاح.

وعلى المسلمين أن يشعروا بالاعتزاز بدينهم وحضارتهم والثقة في عقيدتهم وشريعتهم دون الانبهار بالحضارات المادية، فهذه الثقة يمكن أن تولد حوارا جادا مع الآخر بعد أن يأتي حوار المسلم من منطلق الندية.

مؤسساتهم الإسلامية والمسيحية على ضرورة استمرار التواصل ومضاعفة التعاون بينها من أجل غد أفضل للمسلمين والمسيحيين على هذه الأرض التي أشرقت منها الرسالات الإلهية لتملأ العالم أمناً وسلاماً.

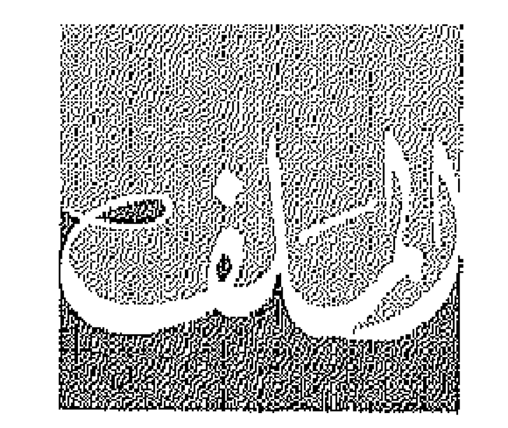
وقد ناقش المشاركون من خلال ست جلسات عمل عدداً من الأوراق كانت على التوالي:

* ورقة بعنوان «لماذا تعارفوا» قدّمها الأستاذ إبراهيم علي الربو مدير إدارة المؤتمرات والمنظمات الدولية بجمعية الدعوة الإسلامية العالمية.
* ورقة بعنوان «الحوار بين النظرية والتطبيق» قدّمها الدكتور يوسف مؤنس أمين عام اللجنة الأسقفية الكاثوليكية لوسائل الإعلام/ لبنان.
* ورقة بعنوان «التعارف وحق الاختلاف» قدّمها الأستاذ محمد السماك رئيس لجنة الحوار الإسلامي المسيحي لبنان.
* ورقة بعنوان «التعارف وأثره في حل المشكلات الدولية» قدّمها معالي الأستاذ عبد الإله الخطيب وزير الخارجية الأردني السابق.
* ورقة بعنوان «التعارف طريق العيش المشترك» قدّمها معالي الدكتور ناصر الدين الأسد.

وأعقبت كل ورقة مداخلات ومناقشات حول موضوعها، وكانت الجلسة الأخيرة حلقة نقاش مفتوح حول مفهوم التعارف وتطبيقاته ساهم فيها جل المشاركين.

وتأسيساً على محتويات الأوراق البحثية التي ألقيت وما دار حولها من نقاشات ومداخلات يمكننا استخلاص التوصيات التالية:

- استحضار نماذج التاريخ المشترك والثقافة واللغة الواحدة وإعطاؤها الحيّز المناسب في مناهجنا التربوية وأنشطتنا الثقافية والاجتماعية، وتنمية الوعي بها لدى الأجيال القادمة.
- توحيد عناصر الخطاب الإعلامي العربي الإسلامي المسيحي حيال القضايا الأساسية وفي مقدمتها قضية فلسطين، والعمل الجاد من أجل مزيد من التنسيق بين مؤسساتنا الدينية لكشف مخططات الاحتلال وممارساته الإرهابية وتهديده للمعالم الإسلامية والمسيحية في فلسطين المحتلة.
- توظيف مساحة الاتفاق الإسلامية والمسيحية واستثمار كل معطيات تلك المساحة في تنفيذ برامج مشتركة تعمق مفهوم التعارف وتؤدي إلى ممارسة عملية له من خلال برامج مشتركة وخاصة في الأوساط الشبابية.
- العمل مع المؤسسات الدينية المسيحية والإسلامية في العالم من أجل إشاعة التدين، والدفاع عن المنظومة القيمية للأديان ودحض أي علاقة للإسلام والمسيحية بالتطرف والتعصب والإرهاب والتفريق بين الإسلام والمسيحية كدين وبين ممارسات بعض من ينتمون إليهما من الأفراد والجماعات.
- انتهاج وتشجيع سياسة الانفتاح على الآخر، والارتقاء بخطابنا الإعلامي العربي الإسلامي المسيحي بطريقة تطرح قضايانا بلغة العصر بعيداً عن التقوقع والانكفاء على الذات واستعداء الآخرين أو استفزازهم.
- تسيير الوفود المشتركة سواء لزيارات تهدف إلى شرح قضايانا والتعريف بها أو المشاركة في المؤتمرات والمنظمات الدولية وخاصة تلك التي تكون ذات صلة بتلك القضايا.
- التعاون في نشر الأدبيات المشتركة التي تحارب التعصب والتي تقيم وحدة حقيقية في إطار التنوع تعرف الآخر وتعترف به، وكذلك التعاون في إنتاج برامج مرئية موجهة للأطفال لتنمية تلك القيم في نفوس الناشئة.
- إبراز وإشاعة ثقافة حقوق الإنسان واحترام حقوقه الأساسية وتمكينه من أن يعبّر عن نفسه بكل حرية، وتأكيد القيم الدينية المسيحية والإسلامية التي تحدد تلك الحقوق وتضع إطارها.



التعارف وحق الاختلاف

د. محمد السماك*

في الأساس لا تكون الوحدة إلا مع الآخر. والآخر لا يكون إلا مختلفاً. وإلاّ فإنه لا يكون آخر. هذا يعني أن المحافظة على الوحدة تتطلب المحافظة على الآخر. وأن استمرارها هو استمرار له. وهو يعني بدوره أن الوحدة يجب أن لا تؤدي بل يجب أن لا تعني أساساً محاولة إلغاء الآخر أو تذويبه، وإلا تصبح وحدة مع الذات. فما من وحدة قامت واستمرّت وازدهرت إلا وفيها تماه للآخر. وما من وحدة تهاوت وتفتّتت إلا نتيجة امتهان حق الآخر المكوّن لها في أن يكون نفسه، أي أن يكون آخر.

يتحدث فرويد عن نرجسية الاختلاف. ويقول إنه مهما كان الاختلاف محدوداً فإنه يحتل موقع القلب في هوية كل منا.

أرسى الإسلام ثلاث قواعد أساسية تقوم عليها الوحدة في التنوّع:

- **القاعدة الأولى:** هي الوحدة الإنسانية. بمعنى أن الناس جميعاً يشكلون أمة واحدة خلقهم الله من نفس واحدة. ولقد قال القرآن الكريم:

  ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾

  [سورة الحجرات : الآية 13]

- **القاعدة الثانية:** هي التنوع الإنساني حيث تتابع الآية الكريمة ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ﴾ .

  أي أن هذا التنوع جُعل بإرادة إلهية، وأن وجوده هو تجسيد لهذه الإرادة الإلهية وتعبير عنها.

- **القاعدة الثالثة:** هي ان الهدف من هذا التنوع هو التعارف بين الناس تحقيقاً لوحدة تحفظ التنوع وتحترمه وتصونه. حيث تكتمل الآية القرآنية بتحديد الحكمة من التنوع بقولها:

  ﴿لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾

  [سورة الحجرات : الآية 13]

فالتعارف هو الجسر الذي يربط بين الجماعات المتنوعة والمختلفة، ولكن لا تعارف من دون معرفة. ذلك أن التعارف يقوم أساساً على المعرفة. ويفترض بالآخر أن يكون مختلفاً حتى نتعرف إليه. ويفترض أن نكون نحن مختلفين عنه حتى يتعرّف إلينا. ومن دون هذا الاختلاف ما كانت هناك حاجة للمعرفة، وما كان للتعارف أساساً أن يكون. من هنا فإن الدعوة القرآنية للناس ليتعارفواهي في حدّ ذاتها دعوة لهم للتعرّف على ما بينهم من اختلافات، وللاعتراف بهذه الاختلافات، ولإدراك حتمية استمرارها، ولبناء مجتمع إنساني واحد ومتناغم على قاعدة معرفة المختلفين وتعارفهم.

---

* رئيس لجنة الحوار الإسلامي المسيحي/لبنان

كثيرة هي الإشارات إلى الاختلاف والتنوع التي وردت في القرآن الكريم، أذكر منها:

﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخۡتَلَفُواْۚ﴾
[سورة يونس : الآية 19]

﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةًۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ﴾[سورة هود : الآية 118]

﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ﴾
[سورة الشورى: الآية 8]

لقد شاءت الحكمة الإلهية أن يكون الناس رغم وحدة الخالق، ووحدة الخلق أمماً وشعوباً مختلفة. فالوحدة الإنسانية تقوم على الاختلاف والتنوّع وليس على التماثل والتطابق. ذلك أن الاختلاف آية من آيات عظمة الله ومظهر من مظاهر روعة إبداعه في الخلق. يقول القرآن الكريم:

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ﴾
[سورة الروم : الآية 22]

وبالتالي فإن الاختلاف العرقي لا يشكل قاعدة لأفضلية ولا لدونية. فهو اختلاف في إطار الأسرة الإنسانية الواحدة، يحتم احترام الآخر كما هو وعلى الصورة التي خلقه الله عليها.

وإذا كان احترام الآخر كما هو لوناً ولساناً (اي اثنياً وثقافياً) يشكل قاعدة ثابتة من قواعد السلوك الديني في الإسلام؛ فإن احترامه كما هو عقيدة وإيماناً هو إقرار بمبدأ تعدد الشرائع السماوية واحترام لمبدأ حرية الاختيار والتزام بقاعدة عدم الإكراه في الدين.

فالقرآن الكريم يقول:

﴿وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ﴾ [سورة البقرة : الآية 148]

وفي إشارة واضحة إلى تعدد التوجهات يقول أيضاً:

﴿وَمَا بَعۡضُهُم بِتَابِعٖ قِبۡلَةَ بَعۡضٖۚ﴾
[سورة البقرة: الآية 145]

﴿لِّكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكًا هُمۡ نَاسِكُوهُۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلۡأَمۡرِۚ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدٗى مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [سورة الحج :الآية 76]

﴿كُلُّ أُمَّةٖ جَاثِيَةٗۚ كُلُّ أُمَّةٖ تُدۡعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[سورة الجاثية : الآية 28]

معنى ذلك، أنه مع اختلاف الألسن والألوان، كان من طبيعة رحمة الله اختلاف الشرائع والمناهج، وهو ما أكد عليه القرآن الكريم بقوله:

﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾[سورة المائدة : الآية 48]

فالاختلاف الثقافي والعرقي والديني والمذهبي باق حتى قيام الساعة، والحكم فيه يومئذ لله. والتعامل مع بقائه لا يكون بإلغائه ولا بتجاهله، بل بالتعرّف إليه وتقبّله واحترامه كسنّة دائمة من سنن الكون.

لا يتناقض الاختلاف مع الوحدة الإنسانية، فالعلاقة التكاملية بين الوحدة والاختلاف تبرز من خلال المبادئ الثلاثة التالية التي قال بها القرآن الكريم:

المبدأ الأول هو التداول:

﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾
[سورة آل عمران : الآية 140]

إذ لو كان الناس كلهم شعباً واحداً أو إثنية واحدة أو على عقيدة واحدة وفكر واحد؛ لما كانت هناك حاجة للتداول. ولأنهم مختلفون، ولأن الإرادة الإلهية شاءت أن يكونوا مختلفين، كان لا بد من التداول. والتداول يعني تواصل الإنسانية واستمرارها بما هو مناقض لمقولة نهاية التاريخ. فالتداول حياة، والنهاية موات.

المبدأ الثاني هو التدافع:

﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ﴾[سورة البقرة : الآية 251]

فالتدافع - وليس التحارب ولا التصادم - هو تنافس ارتقائي وتطويري للمجتمعات الإنسانية المختلفة. ذلك أن المجتمعات هي كالمياه، إذا ركدت أسنت، وإذا تحرّكت وتدافعت أمواجها، تعانقت مع حركة الضوء والريح مما يوفر لها عناصر الحياة والانتعاش والنمو والتقدم. فمن دون الاحتكاك الفكري والتلاقح الثقافي والتدافع الحضاري بين الناس المختلفين والمتنوعي الثقافات، يفقد الذهن عطشه إلى المعرفة التي هي عودُ الثقاب الذي يلهبه. إن الاختلاف بين الناس وما يشكّل الاختلاف من تدافع هو أحد أهم مستلزمات عدم فساد الأرض.

المبدأ الثالث هو التغاير:

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [سورة الأنعام: الآية 38]

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾ [سورة يونس: الآية 47]

﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ﴾ [سورة الرعد: الآية 30]

فالتغاير والاختلاف هو القاعدة، وهي قاعدة عصية على التجاوز، تشكل الثابت الدائم في المجتمعات الإنسانية منذ بدء الخلق وحتى نهاية الزمن.

ولذلك ارسى الله قاعدة التعارف المكملة لقاعدة الاختلاف والتغاير. والقاعدتان معاً تشكلان الأساس الذي تقوم عليه الأخوّة الإنسانية التي لا سلام ولا استقرار من دونها.

لقد قال الإسلام بالتعارف بين الجماعات البشرية ولم يقل بالتسامح.

كان نيتشه على حق عندما اعتبر «التسامح إهانة للآخر»، لما يتضمنه من فوقية المتسامح تجاه المتسامح معه.

إن علاقة الإسلام بالرسالات السماوية التوحيدية ليست علاقة تسامحية ولكنها علاقة إيمانية. ذلك أن إيمان المسلم لا يكتمل إلا بالإيمان بالمسيحية وباليهودية رسالتين منزلتين من عند الله. ففي القرآن الكريم نصّ واضح بذلك:

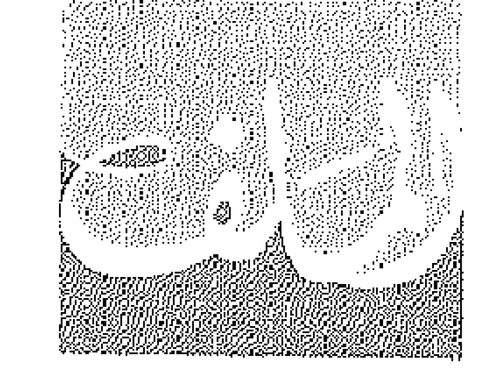
﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة البقرة: الآية 136]

وشتان بين العلاقة القائمة على الإيمان، وتلك القائمة على التسامح. فالعلاقة الأولى نديّة تقوم على الاعتراف بالحق واحترام الاختلاف، بينما الثانية فوقية، تقوم على إنكار الحق والاستعلاء على المختلف معه.

إن من شأن التعصب للدين أو للمذهب أو للجماعة أن يقيم جزراً من التنوّع المتباعدة والجاهلة للآخر، وبالتالي المتشككة فيه والمستنفرة دائماً لمواجهته. وهذا تنوع خارج إطار الوحدة. بل رافض لها. أما التعارف فإنه على العكس من ذلك يقيم وحدة في إطار التنوع، تعرف الآخر وتعترف به، وتبادله الاحترام والثقة والمحبة، وهذه وحدة في إطار التنوع.

سلبيتان لا تصنعان إيجابية: «وحدة تعسفية تطمس التنوع (كما كان الأمر في الاتحاد السوفياتي السابق)، وتعددية مطلقة تأبى الوحدة»، (كما هو الأمر اليوم في البلقان وفي مناطق أخرى من العالم).

إن التعارف من حيث إنه يقوم على المعرفة، هو إحدى أسمى هبات الله للإنسان، والأساس الذي تقوم عليه أخوة إنسانية تغتني بالاختلاف وتحترمه وتجعل منه قاعدة للائتلاف والتوافق وليس للخلاف والتنابذ.



الحوار بين النظرية والتطبيق

الباحث: **الدكتور الأب يوسف مونس***

I- في النظرية

1. الأساس الأوّل للحوار - البعد اللاهوتيّ:

في اعتقادي أنّ الحوار قائم في ذات الله وفي ذات الإنسان. الله حاورنا بخلقه لنا ولم يبقَ مغلقاً على ذاته، أيّ صامتاً في كينونته وكيانه. بفعل حبّه لنا خلقنا ودعانا لنعرفه ونسعد بوجوده وعنايته.

الحوار ثابت في مسار الباحث في وجدانه وقلبه عن سرّ الحضور الإلهي وعن كشف هذا الحضور، وفي تجليّاته عبر اختبارات البشريّة والأفراد أو عبر الوحي.

أظنّ أنّ هناك وحدة في المصدر الإيماني قد سبقت الوحي في اليهودية والمسيحية والإسلام. لا نستطيع احتكار هذا الاختبار لوحدنا وفي زمن تاريخي مرتبط بنا ونلغي اختبار ملايين السنين لملايين من الناس تحت الشمس تاقوا إلى الله وبحثوا عنه وعرفوه ولم تكن السماء مغلقة فوق رؤوسهم ولا في قلوبهم. فهناك وحي قبل الوحي منثوراً في تنوّع الكشف والتجليات الإلهية :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ . . . ﴾
[سورة الحجرات: الآية 13]

هناك اختبار وعيش لسرّ هذا الوحي الهابط من السماء والمنثور في قعر الوجدان وهو يتراقى من أعماق التراب ليلتقي بهاء السماء في الذات السامية المُطلقة.

هنا، اسمحوا لي بهذه الملاحظة أنه يجب علينا الفصل بين الدين والوحي:

الدين، حركة تصاعدية من قلب الإنسان وقلب الكون إل الخالق، مُبدع الكون وغاية الوجود.

أما الوحي، فهو نزول أو هبوط الخالق مجاناً وحبّاً لملاقاة البشرية والإنسان.

المضمون الإيماني في جوهره واحد أمّا أسلوب التعبير عنه فمتنوّع،

﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُواْ﴾
[سورة يونس: الآية 19]

هناك في أساس الوجود حوار قائم على التوق إلى الله يتوهّج في أعماق الإنسان الباحث عن معنى لوجوده ومصيره وعن حماية له يطلبها من المقدّس المطلق أو النسبي الذي يؤمن به ويخافه ويسترضيه وعن بعد ما وراء يؤمن له السعادة والبقاء.

هذا المقدّس الجاذب Facinendum والمخيف Tremendum كما يقول رودولف أوتو Rudoplh Otto,,"Le Sacré" «يضرب جذوره في قعر وجدان الكائن البشري وهو بنية في ذات الإنسان كما البنيّات الأخرى طبيعيّة كانت أم روحيّة».

التحدّي الأكبر لنا اليوم هو مشكلة العيش معاً على

---

* أمين عام اللجنة الأسقفية الكاثوليكية لوسائل الإعلام/لبنان

اختلاف عائلاتنا الروحيّة؛ السؤال العميق هو كيف يمكن أن نعيش حقاً في الاحترام والسلام ووحدة الله وتعدّد مفاهيمها ونظرتنا لله كيف يمكن أن نحوّل روعة هذا الاختبار الواحد المتعدّد إلى عمليّة تواصل وتكامل وليس إلى مصدر للتنافر والتناحر والإلغاء؟ أسيبقى منطقنا إمّا أنا وإمّا هو؟ أم سنطلّ إلى الأيام الآتية بمنطق «أنا وأنت» معاً للمستقبل في حضارة المحبة وليس في صراع الحارات.[1]

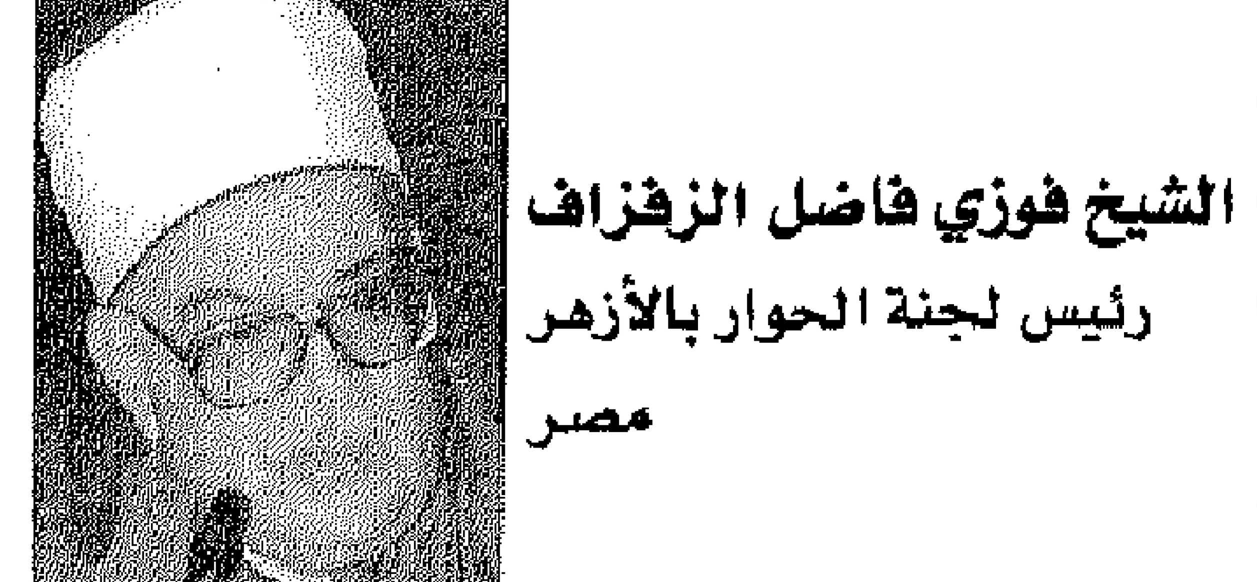
هناك خالق يحاور الإنسان كاشفاً له عن سرّه وعن ذاته باستمرار، وهناك مخلوق يشتاق ويتوق إلى هذا القوي الجبّار المُبدع والراعي والحامي والمُدبّر، وهو يظهر في التجليّات المتنوّعة لهذا الكشف الإلهي الخاضع للزمان والمكان والظروف الاجتماعية والتحوّلات ونضج القلب والعقل. فمرّة هو في القوى الطبيعية ومرّة في الحيوان ومرّة في الإنسان في إطار مقدّس مرهوب مُخيف جاذب ساحر، حامٍ، معاقب مُخصب مكافئ مثيب بالموت والحياة، وهو بيان في عبقريات وذهنيّات ونفسيّات الشعوب المتأثّرة بمحيطها وأنماط سلوكها وقيم ثقافتها وحضارتها وتفاعلها الثقافي أو عزلتها الجغرافية والاجتماعية، لكنه يتلقّى رسالة البعيد ويعيشها في بيئته وتطوّره وترقّيه في الزمان والمكان والمتغيّر الثقافي والحضاري.[2]

إن ينبوعيّة الحوار تقوم على وحدة المصدر وتنوع الاختبار.[3]

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ [سورة الروم: الآية 22]

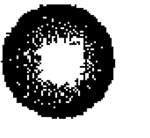
الله لا يستنفده أو يختزله أو يستأثر به دين، فحبّه وخلاصه ورحمته أُعطيَت لجميع الناس.

﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [سورة المائدة: الآية 48]



الشيخ فوزي فاضل الزفزاف
رئيس لجنة الحوار بالأزهر
مصر

لقد وُفق المجلس العالمي للدعوة الإسلامية حين اختار موضوع (لتعارفوا) والتعارف يتطلب الحوار، والحوار هو لغة القرآن الكريم، فالقرآن كله حوار : حوار بين الله ورسله، وحوار بين الرسل، وحوار بين الرسل وأتباعهم. وإن الشعوب أيقنت عن إيمان بأن الحروب والصراعات لن تحلّ المشاكل، فالحروب يترتب عليها الحقد والكراهية، والحقد يترتب عليه الثأر من الآخر، ولذلك اتجه العالم إلى الحوار، والحوار بدأ في الإسلام منذ عهد النبوة.





الدكتور طارق متري
ممثل مجلس الكنائس
العالمي / سويسرا

أول شرط من شروط الحوار هو احترام آخرية (خصوصية) الآخر، فإنه لا يجعل الآخر أسيرا له، فتحسب المغايرة الدينية وكأنها مغايرة في كل شيء. ولا شك في أن التعارف يكتسب عن طريق الحوار أهمية مضاعفة اليوم بفعل انتشار الأديان خارج معاقلها الدينية. وأنبّه هنا إلى أن هذا الواقع أفرز تيارا يعتبر الدين مجرد بعدٍ من أبعاد الثقافة ومستودعا للذاكرة الجمعية ليس إلا، وهذا المفهوم يستحيل إلى أيديولوجية ما يسمى صدام الحضارات. إن الحوار والتعارف والتعايش هو في الحقيقة دعوة إلى العيش معًا مع الاعتراف بالخصوصيات.

من هنا ضرورة الحوار كما يقول الدكتور محمد السماك في محاضرته في المؤتمر الدولي الحضاري، بيروت، 10/12/2003.

فلا جاهليّة ولا اختيار؛ البشريّة بأسرها تبحث عن الله عبر مسارها، والبشريّة كلّها مختارة لحبّه ورحمته وعنايته، الأرض أرض الله والسماء سماء الله والناس كلّهم خلائقه وعياله.

الاختيار لم يعطَ لشعب أو لجماعة دون أخرى، ومعرفة الله ومساره متواصل مستمر لا جاهلية فيه ولا وثنية بل واختلاط في معرفة الحقيقة البهيّة المطلقة، أو توقف عند ظلالها، لأنّ سرّ الكشف والوحي والنضج لم يكتمل في وجدان الناس.

❖ المضمون الإيماني في جوهره واحد أما أسلوب التعبير عنه فمتنوع

❖ ينبوع الحوار يقوم على وحدة المصدر وتنوع الاختيار

البشرية هي المختارة الصاعدة من ترابية لحمها وأشواقها، مطهّرة بعشقها للمعشوق الأبعد من الصورة والأيقونة والكلمة والحواس والطقوس. فلا انتقاص للإنسانية في وثنيّتها أو جاهليّتها أو زمن الوحي فيها، بل هناك وحدة مسار ليندرج من العتمة إلى النور، من الصنم إلى المجرّد، من التلمّس إلى الانبهار، في حال حواريّة تاريخية منفتحة لا تنتهي إلاّ مع نهاية الأيّام ونهاية الاختبارات في حضور إلهي كوني. فلا أستطيع احتكار الله في ديني ومجتمعي وكتابي، بل عليّ أن أقرأ ذاتي مع إيماني بالمطلق الذي فيها ومع إقراري للآخرين بحقّ الاختلاف وإيمانهم المستقيم بالمطلق الآخر على طريقتهم. هو حقّ لهم، فعليّ أن أقرأ الآخرين باحترام لأفهم كيف حاورهم الله، كيف كلّمني أنا وكشف لي عن سرّ حبّه وحضوره.

ألا يقول الرسول بولس: بأشياء كثيرة ورموز شتّى كلّمنا الله..

التيولوجيا مرتبطة بالجغرافيا والسوسيولوجيا في إبيفانيتها (Epiphanie) أي ظهوراتها التاريخيّة السماوية والأرضية. فهناك لاهوت للسماء والشمس والقمر والنجوم، ولاهوت للأرض في أشجارها وأنهارها وجبالها وصحاريها وجبالها وفصولها ومواسمها وكائناتها، الكلّ في حوار مع الكلّي الأزلي. من هنا، علينا استقراء النصّ المقدّس واستيلاده بحركة مايوتيكيّة (Maeutique) تربط النصّ بالزمان والمكان والإنسان والدراسات اللغويّة المُعاصرة.

تقديس النصّ واللغة شيء وتقديس مدلولاته شيء آخر.

المدلول هو الأساس أمّا القراءة الحرفيّة فصعب اليوم القبول بها دون التوقف عند نقد النص المقدس وربطه بعملية النقد التاريخي المرتبط بالزمان والمكان والحالة الاجتماعية الثقافية لاستيلاد روح النص وعمق مدلولاته ورسالته وغايته.

التاريخ في صيرورته وجدليّته يطوّر العقيدة أو الدوغما، يخصيها، يطهّرها بفعل كاتارسيّ (Catharsie) نقديّ، عقليّ، ينطلق من «براكسيس» (Praxis) جديدة لأناس جدد قدموا إلى التاريخ حاملين إيمانهم وشكّهم قائمين باختبار جديد لله، لهم الحقّ فيه ولو شطحوا فلا يحقّ لنا تكفيرهم أو إهدار دمهم. العقائد أو الدوغما ليست متاحف جامدة يحرسها الموظّفون والعلماء والكهّان والفرّيسيين والفقهاء القائمين على حمايتها وخدمتها والدفاع عنها والاستفادة منها كما قال الكاتب الألماني الكبير Eugène Drewerman في كتابه إلهام: موظّفو الله.Les fontionnaires de Die

فكلّ شيء يتطوّر ليتطهّر وإلاّ غرق المقدّس في طقوسيّة فرسيّة ابتعدت عن حقيقة الإيمان وتاهت في مظاهر إيمانيّة يغلب عليها القساوة والوحشيّة الشرائعيّة، لتصل إلى تبرير قتل الأبرياء باسم الدين، والخلط بين الترويع والإرهاب وحق الدفاع عن النفس والحرية والكرامة وحرية العقل والنقد. وهذا ما يُسيء

جداً إلى الإسلام في صور مشوّهة يقدّمها بعض الناس باسم فتاوى هي أقرب إلى الإجرام وليس إلى روح الرحمة والعدل والتسامح الموجودة في نصوص عديدة. وإن حقّ الإجرام والعنف وقتل الأبرياء والنساء والأطفال لا يبرّره أيّ نص مقدّس، بل هذه بربرية جديدة.[4]

II – في التطبيق

1. نسبيّة الحقيقة

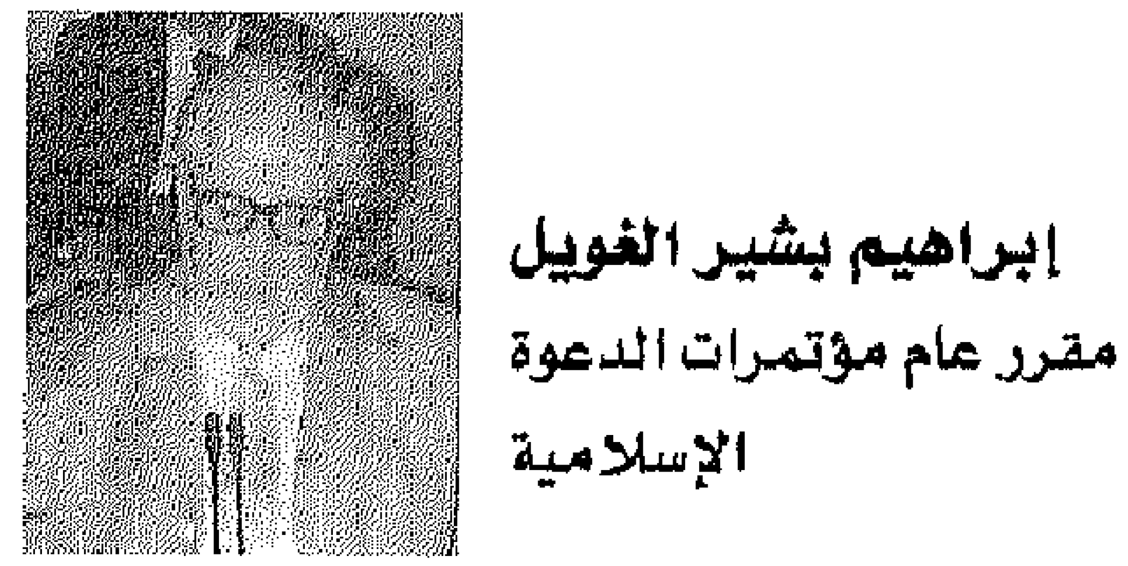
الأساس الثاني للحوار هو نسبيّة الحقيقة؛ الحقيقة النسبيّة في تجسّداتها ونسبيّتها تفتح القلب على مناداة الله ومناداة الآخر بالحُبّ والعدل والرحمة والسلام.

أعتقد أنّ من أهمّ أسس الحوار بين الإسلام والمسيحيّة واليهودية هي الالتزام بالنظر إلى وجه المسيح المشرق محبّة وحناناً وسلاماً. إنّ الله في جوهره محبّة. لذلك وعد البشريّة بالمخلّص المسيح المخلّص في اليهودية، وأرسل عيسى روحاً منه في الإسلام.[5]

(الله محبة) هذا هو المدخل الحقيقيّ للحوار. والله تجلّى في محبّة المسيح يسوع. البشريّة بأسرها انجذبت إلى هذا المخلّص وبخاصّة اليهودية والمسيحية والإسلام. القاسم المشترك الحقيقيّ للحوار هو هذا الانجذاب إلى وجه يسوع المسيح.

إن الافتتان بالمسيح وبوجهه البهيّ المنوّر هو باعتقادي الجامع المشترك الحقيقيّ للحوار.[6]

إنّه مضمون مشترك ومساحة لاهوتيّة مضيئة في رحبة المدى العيساوي دون الدخول في المضامين العقائدية، بل التقارب بروح التراحم والخشوع والصلاة. الوجه العيساوي المسيحانيّ زوّد اليهود انتظاراً ونبوءات، والمسيحيّين خلاصاً وحبّاً، والإسلام رقّة وحناناً وزوّدهم جميعاً شعراً ورسماً وخيالاً وفنّاً وقضيّةً وجمالية إبداعية.



إبراهيم بشير الغويل
مقرر عام مؤتمرات الدعوة الإسلامية

إن الأخذ بفكرة تعدد الثقافات وتنوع مصادر المعرفة والاعتراف بالآخر ورفض فكرة التميز واحترام التجمعات الإنسانية البسيطة وعدم تهميش ثقافاتها المنسجمة الفطرية قد يمكن المجتمع الدولي من الانطلاق بعمق حضاري مجهز بإمكانات إنسانية عالمية ليجتاز العالم مرحلة التبدلات الكبرى والحاسمة على قاعدة خصوصيات المواقع، وخصوصيات التكوين الحضاري، وتعدد الثقافات ومخزون الثروات الطبيعية وتراكم المعلومات وغيرها.

إن الإنسان المعاصر يحتاج إلى فهم جديدة يؤسس لحضارة التعارف، في سبيل الاعتراف بالآخر، وفقا لقواعد العدل الفطري الطبيعي، أساسه منطق عاقل، وموضعية راشدة، مستمدة من تعاليم الرسالات السماوية الخالدة، والتجارب الإنسانية السامية التي منهجها الإقناع والاقتناع دون إكراه أو إقصاء أو تهميش، بعيدًا عن كل محاولات الهيمنة والتلويح بالقوة أو استعمالها لفرض الرؤية الواحدة، وقد ثبت بما لا يقبل مجالا للشك أن منطق القوة وسياسات الاستكبار لن تقود المجتمع الإنساني إلا إلى الهمجية الطاغية، وتعميق الكراهية، وفقدان الطمأنينة، وانعدام الأمن والأمان، وتغييب ثقافة السلام التي لن تشرق شمسها لتبدد ظلام الطغيان، وكوارث الحروب إلا بالتسامح ثم الاعتراف بالآخر والعطف عليه وبذلك الجهد لمعرفته (ولتعارفوا).

نطلّ من خلال وجه المسيح على الثورة الجماليّة والثورة الاجتماعية والثورة الثقافية الحضارية، في بُعد إبراهيمي كتابي مُوحّد يدعو إلى المحبة والعدل والحرية والأخوّة ومحبّة الأعداء. وأمّه ست العالمين مريم وهي للجميع العذراء، الحامية والمشيرة، المصغية. وهي في نقائها وطهرها مثال شريف لقيمة المرأة وأنوثتها وحريّتها وكرامتها. هذه هي المعيّة التاريخيّة المعبّرة عن حضارة المحبّة والحوار، بين أبناء إبراهيم القائمين معاً بالشموع والبخور حول وجه عيسى، يسوع المسيح، ابن مريم العذراء نجسّد الحوار حول وجه عيسى المسيح يسوع الذي هو روح من الله، ابن مريم بحسب المفهوم الإسلامي.

***المسيح يدعونا لفرح اللقاء، في الحب يقوم الحوار، لا حوار في العزلة، كما أنه لا نغم في قصبة لا تشق، ولا نهر في ضفة واحدة.**

2. في الحبّ يقوم الحوار ونعبر من التسامح إلى المعيّة

المسيح يدعونا لفرح اللقاء حتّى بأعدائنا: أحبّوا أعداءكم. في الحبّ يقوم الحوار. لنتحاور يجب أن نكون اثنان. لا حوار في العزلة كما أنّه لا نغم في قصبة لم تشقّ. ولا نهر في ضفّةٌ واحدة. لنتحاور يجب أن نكون أنا وأنت في قبول إيجابيّ وليس فقط بالتسامح والتغاضي. بل بقرار كيانيّ بحقّ الآخر بالوجود والاختلاف وبحقّه بكينونته. لست هنا بانتظار فرصة لإلغاء الآخر والانقضاض عليه. بل أنا على موعد ليكتمل وجودي بإطلالة الآخر وإقباله لفرح اللقاء والوجود. فأبتعد عن مقولة هيجل بأني رغبة لقتل الآخر، كما يقول هوبس شهوة ذئبيّة نهشه، أو إرادة تشيئيّة كما يقول سارتر.

أمّا التسامح مع الآخر مؤسس لشفقة وجوديّة تدعو لساعة الإلغاء والتدمير. وننسى أنّنا في تدميرنا للآخر لا ندمّر إلاّ ذاتنا ونعمة الاستخلاف الإلهي التي أعطاناها الله كما يقول الدكتور رضوان السيد.[7]

ونهدم فرح التعارف الذي دعانا إليه الله كما يقول الدكتور محمد السماك.[8]

أنا أحبّ وأعرف الآخر، إذاً أنا موجود. هنا تأخذ الخطيئة معناها الحقيقيّ. إنها الانكفاء عن معرفة الله وعن معرفة الآخر والاكتفاء بالذات لأستمد من نفسي معناي وقدرتي وغايتي وليس من الله. الجنّة هي الحضور الحواريّ مع الله ومعرفته مع الآخر. والجحيم هو الانغلاق على الذات والقيام في التراب والعودة إليه بالموت في العزلة والانفراد. كما يقول سارتر.[9]

وهناك مشاكل عديدة تواجهنا: التراث، الحداثة، التنمية الاجتماعية والانسانية، الحريات الأساسية، الحرية الدينية، الحرية العقائدية، حرية الضمير، حقوق الإنسان، كرامة وحرية المرأة، التعامل مع الأقليّات، الحريّات السياسية، البيئة، قضايا الحق الفلسطيني، قضيّة القدس، قضايا العراق والجنوب اللبناني.[15]

هذا الرفض الوجوديّ يقابله كلام في الإنجيل يدعو إلى الخروج من هذا الجحيم من مدينة الطاعون كما يقول كامو، بالمحبة حتى محبّة الأعداء، كما يقول المسيح: «سمعتم أنّه قيل أحبب قريبك وأبغض عدوّك. أمّا أنا فأقول لكم، أحبّوا أعدائكم وصلّوا لأجل الذين يضطهدونكم ويعنّتونكم»[11]

3. في العدل والتضامن يقوم الحوار

المسيحيّة تدعو للعدل، الإسلام يدعو للعدل، الإسلام يدعو إلى محبّة الفقراء. المسيحية تدعو إلى محبة الفقراء. فالحوار اليوم يقوم على أنّ نبني معاً حضارة المعيّة وليس حضارة الاستبعاد والاستئثار لمدينة الله القائمة على العدل والتعاضد وليس مدينة قيصر القائمة على المجد والقوّة والمال. بناء حضارة

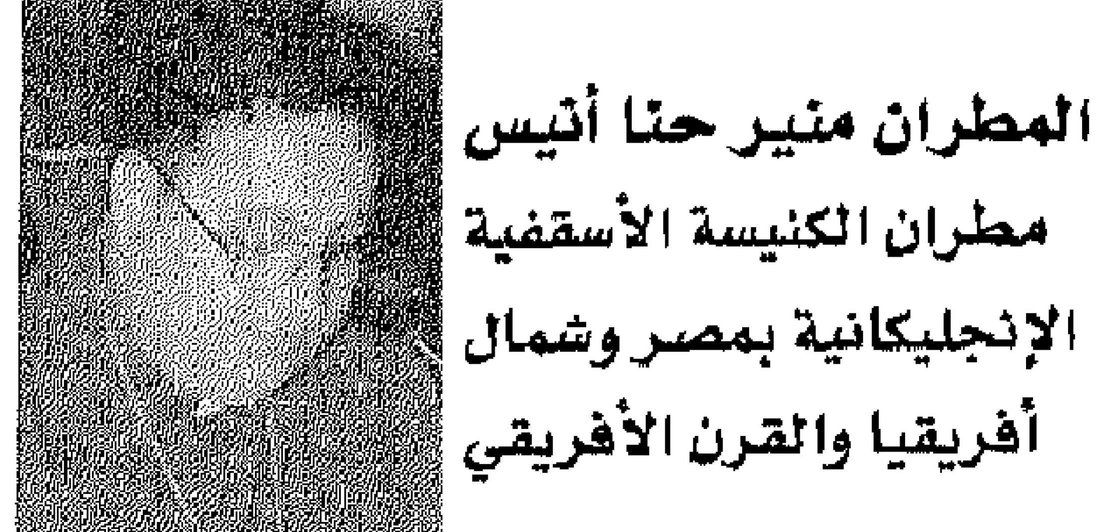
الاقتسام والمشاركة وهدم هكيليّات الظلم والاستئثار. القضية الاجتماعية هي المرتكز الحقيقي لمستقبل الحوار وشهادة الأخوة والاقتسام والمشاركة وعلامة عبوديتنا الواحدة لله، فلا كان لنا في السماء ونحن نتقاتل على احتكار الأرض والسماء طاردين الآخرين من قلبنا وعقلنا.

العطاء هو الأساس الحقيقي لرحمة الله لنا ولشهادة حبّنا له، حتى ولو بالتقدمة المستورة المتواضعة كفلس أرملة الإنجيل. الاقتسام هو المطلوب من الجماعة المسيحية وهو العمل المطلوب من الجماعة الإسلامية: يذكر أعمال الرسل في الفصل 44/2 «وكان الذين آمنوا جماعة واحدة يجعلون كل شيء مشتركاً بينهم، يبيعون أملاكهم ويتقاسمون الثمن على قدر احتياج كل منهم». وبيت الخزانة لا يغب عنه حقّ البؤساء والزكاة الواجب نحو المساكين.

هذا ما يقوله الله في نبوءة إرميا (13/22) «ويل لمن يبني بيته بغير عدل، وعلياءه بغير حقّ، ويستخدم قريبه بلا أجرة، ولا يوفيه ثمن عمله». ويضيف إليه أشعيا 1/10: «ويل للذين يشترعون شرائع الظلم والذين يكتبون كتابة الجور ليحرّفوا حكم المساكين ويسلبوا حق بائسي شعبي، لتكون الأرامل مغنماً لهم».

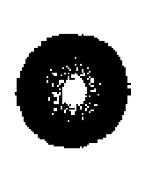
العهدان القديم والجديد يتلاقيان في الدعوة، إلى الحقّ ورفع الظلم. هذا ما يضيفه القدّيس يعقوب في رسالته في الفصل 4/5، «ها أنّ أجرة العملة الذين حصدوا حقولكم تلك التي نجسّتموهم إيّاها، تصرخ وصراخ هؤلاء الحصّادين قد بلغ أذنيّ ربّ الجنود».

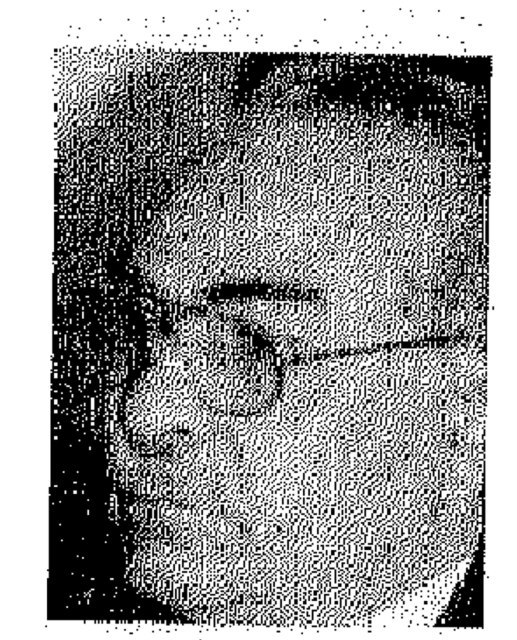
كما أنّ الإنجيل ورسالة بولس يؤسّسان لهذا العدل ولهذه المساواة، ألا يقول بولس «ليس هناك عبدٌ ولا سيدٌ ولا رجل ولا امرأة بل الكلّ واحد في المسيح» ويضيف يوحنّا: «إنّ من قال إنّه يحبّ الله الذي لا يراه وهو يبغض أخاه الذي يراه فإنّه كاذب» وكما قال أيضاً السيد المسيح: «أحبب الربّ إلهك من كلّ قلبك وكلّ



المطران منير حنا أنيس
مطران الكنيسة الأسقفية الإنجليكانية بمصر وشمال أفريقيا والقرن الأفريقي

لا شك في أن للدين أهميته وضرورته في أن يكون قوة دافعة للخير وحل النزاعات وليس خلقها، وإذا لم يكن الدين أساسا للسلام فماذا يمكن أن يكون أساسا لذلك ؟ إن الحكمة الإلهية التي اقتضت الاختلاف بين الشعوب وتعدد العقائد والثقافات وتنوع المجتمعات الإنسانية ؛ عملت من خلال الشرائع على الاهتمام بالإنسان. وعلى هذا فإنني أطالب بنقل هذا الحوار من النخبة إلى رجل الشارع والتعاون في تفعيل صور التنمية، وبالتالي علينا أن ندرك أن بيننا اختلافات عميقة، ومع هذا لابد أن ندرك أيضا أن هناك أرضية مشتركة بين الجميع، مسلمين ومسيحيين، ونريد أن ننطلق من هذه الأرضية المشتركة. إن الله أحبّ كل العالم، ولذلك يجب أن لا نحتقر نحن خليفة الله وننظر إلى الآخرين كأننا أفضل منهم. ومن هنا فإن الحوار بيننا يمكن أن يصحح الصورة المشوهة في أذهان المسيحيين خاصة في الغرب عن المسلمين، وتلك التي في أذهان المسلمين عن المسيحيين.





المفكر الإسلامي الدكتور محمد عمارة

نحن في مثل هذه المنتديات الحوارية والتعارفية نجد أنفسنا أمام فرص وتحديات ومشكلات، ولكن علينا أن يكون منهجنا

نفسك وكلّ ذهنك» تلك هي الوصيّة الكبرى والأولى والثانية مثلها أحبب قريبك كنفسك»[12] ويُضيف «لا تدينوا لئلا تُدانوا فكما تَدينون تُدانونَ ويُكال لكم بما تكيلون» [13]

يُضاف إلى ذلك تعاليم آباء الكنيسة ورسائل البابوات التي راحت إلى أبعد من الشفقة والزُكاة والحسنة، فأمرت بتوزيع الثروات واعتبرت الفائض سرقة إذا لم يُوزّع على الفقراء والعمّال. وهو انتزاع حقّ مقدّس لجميع الناس. ألم يقل باسيليوس «الخبز الذي تحفظه في المخبأ هو ملك الجائعين والثوب الذي تقفل عليه الخزانة هو ملك العراة والحذاء الذي يتلف عندك هو ملك للحفاة والذهب الذي تدفنه هو ملك للمحتاجين، فأنت مجحف بحقّ الذين تسدّ حاجاتهم ولا تفعل» (العظة رقم 6). ويُضيف «أنت سارق إذا لم تعطِ المحتاجين».

أما يوحنا فم الذهب فيقول «الخيرات ليست ملكاً لك، إنّها ملك مشترك لك ولأخيك كما السماء والأرض وكل شيء آخر هو مشترك»؛ الحبّ إذاً يؤسّس للحوار، والعدل يشهد له. أكان ذلك في الإسلام أم في المسيحية.

حوارنا الثقافي يترافد مع حوارنا الروحي الصوفي في الحفاظ على لغتنا العربيّة وقدرتنا على استعمال وسائل الإعلام والاتصال المعاصرة لنطل على العالم بلغة واحدة ويقبلها متفاعلة مع الثقافة العالمية التي عندها همومنا وهواجسنا بالحفاظ على خصوصياتها لئلا تذوب وبعدم الانعزال لئلا تختنق.

4. حوارنا قائم في اللغة العربية والتراث العربي المشترك

الظروف الثقافية المتجدّدة جعلت من اللغة العربية أداة تعبير في طقوس كنائسنا وفي قراءة كتبها المقدّسة. فحملت هذه الكنائس وخاصة المارونية منها هذه اللغة إلى حاضرة الفاتيكان في أيام تقديس شربل، رفقا والحرديني. كما حمت الكنيسة في أديار رهبانها لقرون عدة واليوم هذه اللغة صارت جزءاً من التراث الشرقي والحضارة العربية في صلواتها وكتبها. هذا هو المدى الحضاري للتعاون والتلاحم المستقبلي ولقيام نهضة حديثة - في حوار حضاري خلاق[14] في محيطنا الثقافي دون أن نغرق في السلفيات الأصولية أو الشعارات الساذجة المبتذلة.

❖ التسامح مع الآخر مؤسس لشفقة وجودية تدعو لساعة الإلغاء والتدمير، وننسى أننا في تدميرنا الآخر لا ندمر إلا ذاتنا ونعمة الاستخلاف الإلهي التي أعطانا الله

الخاتمة

فعلى وحدة المصدر الإلهي نؤسّس الحوار، وعلى انّ الله محبة نؤسّس الحوار، وعلى أنّ محبة الله فينا تتجلّى في محبتنا للآخرين نؤسّس حوار الحياة والعيش معاً في حضارة المحبة، ونشهد لهذا الحوار بالعدل واقتسام خيرات الأرض في تضامن اجتماعي لا يميّز بين إنسان وإنسان. فالجائع والمريض والمهاجر والمسكين، والمقهور والفقير والبائس أيقونة الله وأخوة المسيح ولا دين لوجعهم على الأرض. وسنُحاسب في آخر الزمان عن المحبة حتى لأعدائنا «أحبّوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم»(لوقا 6).

فلنحاور إله السماء انطلاقاً من أخوّتنا على الأرض، لنكون حقاً الله. فيقوم على أيدينا تاريخ جديد وليس نهاية التاريخ في صراع الحضارات والثقافات والناس والأديان. كما هي الحال الآن في العديد من الأماكن والنظريات.

هذه هي المغامرة التي نحن مدعوون إليها لنطلّ بجرأة وفرح ورجاء على المستقبل الكئيب المضروب بالترويع والتعصّب والذي راح يرتسم على فجر أيامنا

الآتية بذبح بعضنا البعض قرباناً وتضحيات باسم دين معولم أو باسم عولمة تتحوّل ديناً. لنخرج كما الأنبياء والمفكّرين «الكبار» من برص العقل الضيّق والقلب الضيّق والعين الضيّقة إلى مدينة الله بعيداً عن مدينة قيصر ولنعطِ ما لله لله وما لقيصر لقيصر، فلا نقدّس نظاماً سياسياً اجتماعياً باسم الدين، ولا نجعل من الدين فعلاً سياسياً بعيداً عن معنى الإنسان والوجود والمصير والقلق على الحياة وما بعد الحياة.

واسمحوا لي أن أنهي بهذا النداء الحار الذي جاء في رسالة بطاركة الشرق الكاثوليك والذي صدر عن بكركي سنة 1993 في رسالتهم بعنوان «الحضور المسيحي في الشرق» صفحة 44، والذي ردّد ما جاء في رسالة بطاركة الشرق الكاثوليك الأولى في شهر نيبال (أغسطس) 1991.

«إن عيشنا المشترك الذي يمتدّ على قرون طويلة بشكل ـ بالرغم من كل الصعوبات ـ الأرضية الصلبة التي نبني عليها عملنا المشترك حاضراً ومستقبلاً، في سبيل مجتمع متساوٍ ومتكافئ لا يشعر فيه أحد، أيّاً كان، أنه غريب أو منبوذ. إننا ننهل من تراث حضاري واحد نتقاسمه، وقد أسهم كل منا في صياغته انطلاقاً من عبقريته الخاصة. إن قرابتنا الحضارية هي إرثنا التاريخي الذي نصرّ على المحافظة عليه وتطويره وتجذيره وتفعيله كي يكون أساس عيشنا المشترك وتعاوننا الأخويّ. إن المسيحيين في الشرق هم جزءٌ لا ينفصل عن الهُويّة الحضارية للمسلمين، كما أن المسلمين في الشرق هم جزءٌ لا ينفصل عن الهُوية الحضاريّة للمسيحيين. ومن هذا المنطلق فنحن مسؤولون بعضنا عن بعض أمام الله والتاريخ. ولذا يتحتّم علينا أن نبحث، بشكل مستمرّ، عن صيغة، لا للتعايش فحسب، بل للتواصل الخلاق والمثمر الذي يضمن الاستقرار والأمان لكل مؤمن بالله في أوطاننا، بعيداً عن آلية الحقد والتعصّب والفئوية ورفض الآخر. وإنا على قناعة بأن قيمنا الروحية والدينية الأصيلة

المصارحة، وأنا أطالب بضرورة وجود ما يمكن أن نسميه فقه التعارف.

ولا شك في أن التنوع هو سنة وقانون وليس حقا فقط، فالتنوع سنة من سنن الله، ولكن ليكون هناك حفاظ على التنوع يرفض الإسلام الصراع ويستبدله بفلسفة التدافع، وهو إطار يخرج بالحياة من الصراع إلى التدافع الذي يحافظ على التنوع الذي يسمح بتعديل المواقف، وهذا لم يكن فكرا نظريا في الإسلام وإنما كان تأسيسا للتعددية.

ولمن يتهمون الإسلام بالعنف أقول : إن ضحايا المواجهات التي دارت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم من الطرفين لم يتعد 356 قتيلا، بينما لا نستطيع أن نحصي ضحايا حروب الحضارة الحديثة بالملايين.

وأرجو أن نلاحظ أن هناك تحديات أساسية أمام الحوار والتعارف منها : ضرورة وجود احترام متبادل بين أصحاب الثقافات المتباينة إضافة للهيمنة الاستعمارية التي تتمثل في القواعد العسكرية في بلدان العالم وكذلك العلمانية التي باتت تهدد أوربا المسيحية.



أحمد بدر الدين حسون
مفتي حلب / سوريا

لا بد أن يقوم العالم الإسلامي بالتعرف على نفسه أولاً وعلى دينه حتى يستطيع أن يعرف الآخرين به. إن الله دعانا للتعارف عندما أنزل على نبيه قوله تعالى زالحمد لله رب العالمينس ولم يقل: الحمد لله رب المسلمين، فأراد

خليقة بأن تساعدنا على تخطي المشاكل التي قد تطرأ على مسيرة عيشنا المشترك. وهذا ما يفرض علينا أن ينظر بعضنا إلى بعض بروح الانفتاح والتعرّف المتبادل الحقيقي، لأن الإنسان عدوٌّ ما يجهل. إن عالم اليوم تمزّقه آفات الفرقة والتعصّب والتمييز على اختلاف أنواعها. إننا نطمح إلى إرساء قواعدَ عيشٍ تكون نموذجاً لعالمنا، يدل أن نشوّه قصد الله فينا فنكون صورةً عكسيةً لما يصبو إليه إنسانُ اليوم من السلام والوئام والتعاون على أساس المواطنة الحقيقية الصادقة. لقد أرادنا الله، جلّت حكمتُه، معاً في هذه البقعة من العالم. وإننا نقبل هذه الإرادة برحابة صدر، ونرجو أن تعمل هذه الإرادة على توسيع قلوبنا بحيث تتّسع للجميع مهما كانت انتماءاتهم المختلفة».

أليس هذا ما يدعونا إليه الإرشاد الرسولي في ندائه للعيش المشترك حين يقول: «ليس الحوار الإسلامي - المسيحي حواراً بين مثقفين فقط فهو يهدف أولاً إلى تشجيع العيش معاً بين مسيحيين ومسلمين في روح من الانفتاح والتعاون... الكنيسة تريد أن تكون منفتحة على الحوار والتعاون مع مسلمي سائر البلدان العربية، ولبنان جزء لا يتجزّأ منها. وفي الواقع فإن مصيراً واحداً يربط المسيحيين والمسلمين في لبنان وسائر بلدان المنطقة... ومسيحيو لبنان وكامل العالم «العربي» وهم فخورون بتراثهم يسهمون إسهاماً ناشطاً في التطور الثقافي وإنني أشدّد يقول قداسة البابا لمسيحيي لبنان «للمحافظة على علاقاتها التضامنية مع العالم العربي وتوطيدهم أدعوهم إلى اعتبار انضوائهم إلى الثقافة العربية، التي أسهموا فيها إسهاماً كبيراً، موقعاً مميزاً لكي يقيموا هم وسائر مسيحيي البلدان العربية حواراً صادقاً وعميقاً مع المسلمين. إن مسيحيي الشرق الأوسط ومسلميه، وهم يعيشون في المنطقة ذاتها، وقد عرفوا في تاريخهم أيام عز وأيام بؤس مدعوون إلى أن يبنوا معاً مستقبل عيش مشترك وتعاون، يهدف إلى تطوير شعوبهم تطويراً إنسانياً وأخلاقياً، وعلاوة على ذلك قد يساعد الحوار والتعاون بين مسيحيي لبنان ومسلميه على الخطوة ذاتها في بلدان أخرى.[15]

❖الحوار اليوم يقوم على أن نبني معا حضارة المعية وليست حضارة الاستعباد والاستئثار

أليس هذا المؤتمر الذي تنظمه اليوم جمعية الدعوة الإسلامية العالمية والمركز الأردني للدراسات والمعلومات اللذين نشكرهما ونشكر جميع القائمين على تنظيم هذا المؤتمر الذي يقام في رحاب المملكة الأردنية برعاية ملكية كريمة مع هذا الحفل الكريم الرفيع هو منارة مضيئة على الدرب المؤدي إلى نعم السماء.

الهوامش

(1) مجلس بطاركة الشرق الكاثوليك، الحضور المسيحي في الشرق، رسالة راعوية، بكركي 1992 ص 10ـ11.

(2) الاختلاف اللاهوتي في تصوّر الله واحداً أو متعدداً أو مثلّثاً قائماً في السماوات أو متجسداً لحماً وبشراً بين الناس لا يلغي وحدة إنسانية الإنسان.

(3) مشير باسيل عون، «الأسس اللاهوتية في بناء حوار المسيحية والإسلام»، دار المشرق، بيروت 2003.

(4) رنيه جيرار، «العنف والمقدّس» ترجمة جهاد هواش، عبر الهادي، عباس دار الحصاد، دمشق، 1992) (أمال شحادة، «تحت غطاء محاربة الإرهاب في العالم، حملة إسرائيلية لتشويه القرآن والإسلام» الوسط، 2004/4/26).

(5) الأب ميشال حايك، «المسيح في الإسلام»، بيروت، طريق الخالدي، «الإنجيل برواية المسلمين»، دار النهار، بيروت، 2003).

(6) (د. جوني عوّاد، «يسوع التاريخي من هو، لماذا، وإلى أين»؛ النهار، 2003/12/28).

(7) «الصراع على الإسلام» دار الكتاب العربي، بيروت، 2004.

(8) «ثقافة الحوار في الإسلام: حرية الاختيار وحق الاختلاف»؛ النهار 2002/11/17)

(9) «الآخرون هم الجحيم وأنا لن أتعزّي أبداً على كوني لست إلها».

(10) محمد السماك، «كيف ومن يُصلح العالم الإسلامي» النهار، 2004/6/27.

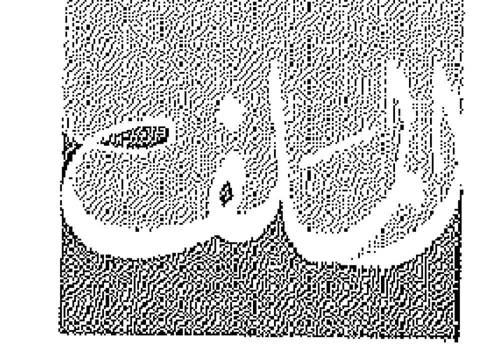
(11) (متّى 5/43ـ47).

(12) (متّى 22/34)

(13) (متّى 1/7).

(14) (رسالة البطاركة ص 24ـ25)

(15) (الإرشاد الرسولي رجاء جديد للبنان بيروت 1997، رقم 90، 91، 92، 93 و94).



﴿وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا﴾

أ. د. وهبة مصطفى الزحيلي*

كلما اشتد الصراع والنزاع بين الأمم والشعوب، وسيطرت الأهواء والنزعات والمطامع على العلاقات الدولية الخارجية، كلما بحث الناس عن طريق الانقاذ والنجاة، للخروج من حمأة الصراع، فلم يجدوا ذلك في غير القبس الإلهي الذي يضيء للبشرية دائماً سبيل الحياة الآمنة والمستقرة على المستوى العام والخاص، وهو سبيل الحق والعدل، والحرية والمساواة، والسلم والأمان، والحوار والتفاهم، والتعاون البنّاء، والتسامح والتوادد، والحب والإخلاص، من أجل تحقيق رغد العيش في المستقبل، والعمل على إقامة مجتمع أفضل. وهو صوت النداء الإلهي الجامع للبشرية قاطبة على صعيد الإنسانية الحقة، ولا شك بأن أهل الحكمة ورجال الفكر وعمالقة الثقافة والفلسفة الموضوعة المجردة هم أسرع الناس تجاوباً مع منطق الوحي الإلهي، ومقتضيات المصلحة العامة العليا لجميع بني الإنسان.

المجتمع التعددي:

ومن الملحوظ في واقع الحياة والتأمل الدقيق البعيد عن الأهواء الضيّقة أننا في خضم الكثرة البشرية الهائلة نعيش في مجتمع متعدد الأديان والمذاهب والأفكار والثقافات والتقاليد والعادات، ويتفاوت سكان المعمورة الآن وفي كل عصر في المستوى الحضاري، والاقتصادي، والاجتماعي، والنضج السياسي.

وتظهر القوميات أحياناً، فتكون سبب التجزّؤ والانقسام، ويكون التدخل الأجنبي أو الاحتلال عاملاً مهماً من عوامل التفرقة، وتقسيم الوطن الواحد إلى أقسام، وتجزئته إلى دويلات، كما تعلن الآن الولايات المتحدة الأمريكية في وضع خطة تقسيم البلاد العربية الإسلامية إلى دويلات هزيلة صغيرة، فتزداد التجزئة، ويجزّأ المجزّأ.

والتوجّه السياسي الأمريكي يتجه الآن إلى فرض تقاليد الأمركة وذيولها، وترويج الدعوة إلى الديمقراطية الغربية، وتذويب الإسلام بالذات، وتشويه رسالة المسيحية.. رسالة المحبة والمودة والتسامح والوئام، من أجل صهيون فقط، والتحيز الواضح لتطويع المنطقة العربية لأطماع الصهيونية العالمية، والمسيحية اليمينية المتطرفة، انطلاقاً من تفسيرات وأساطير في التلمود اليهودي، والعمل على إيجاد كيان جديد وهو الشرق الأوسط الكبير، على النحو الذي تتحكم به «إسرائيل» في جميع بلاد المنطقة.

والمؤكد أن هذا التوجه السياسي الغربي يسير في منهج الغطرسة المادية القاتلة، ومحاولة بسط النفوذ والسلطة الأمريكية المطلقة، والعودة إلى أسلوب الاستعمار الجديد النابع من الشعور بالقوة العسكرية

* أستاذ جامعي/ باحث/ عضو المجامع الفقهية/ سوريا

المتفوقة، والاقتصاد المادي الرأسمالي، لحماية التكتلات الاحتكارية الكبرى، في مظلة ما يسمى بالنظام العالمي الجديد أو العولمة بمختلف أقسامها: السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإعلامية، من أجل محووجود الآخرين، وإبقاء الهيمنة الأمريكية الشاملة.

وبه يتبين أن مظاهر الصراع الجديد قائمة على منطق تمجيد القوة، وشهر السلاح في وجه الضعفاء، واستغلال بعض السلبيات تحت مظلة ما أسموه «مقاومة الإرهاب» وتصفيته من العالم علماً بأنهم هم وإسرائيل يمارسون إرهاب الدولة، حيث يقومون بتخريب ديار العرب ومصادرة ممتلكاتهم ونهب ثرواتهم وقتل آلاف الأبرياء وتشريد آلاف آخرين حتى يبيتوا في العراء أو تحت الخيام، ويحتلوا الأراضي كما تفعل أمريكا وحلفاؤها الآن في أفغانستان والعراق، وكانوا قد فعلوا مثل ذلك قريباً في الصومال وبعض دول أمريكا الوسطى، بالإضافة إلى ما ترتكبه «إسرائيل» من مجازر وحشية في حق الشعب الفلسطيني.

وهم الآن فيما يرتكبون من جرائم مع حلفائهم الغربيين عصفوا بكل المواثيق الدولية والقيم الأخلاقية، واخترقوا كل حقوق الإنسان، ومن أغرب ما يفعلون في الوقت الحاضر أيضاً محاولة تشويه معالم الإسلام ومفاهيم القرآن، وتمييع تلك المفاهيم بحسب الخطة الأمريكية الموضوعة في أحدث تقرير سري منذ أيام عن طريق إلغاء ومحو اللغة العربية من ثقافتنا بأساليب ماكرة وخبيثة. وكأنهم في هذه المحاولات يعيدون تاريخهم الأسود الملطخ بالدماء وإثارة الحروب الضارية التي ارتكبوها في الحرب العالمية الأولى والثانية، وما تخلل تلك الفترة من حروب جانبية استعمارية قامت بها البرتغال وإيطاليا وفرنسا وبريطانيا وغيرها، حتى شوّهوا صفحة العلاقات الدولية، ويكادون الآن أن يعطلوا ميثاق الأمم المتحدة الداعي إلى توطيد السلام العالمي والأمن والاستقرار، وحماية الآمنين، واحترام ميثاق حقوق الإنسان.

طريق الإنقاذ:

يظل الأمل كبيراً، وتحقيق البشائر بالخير متصوراً، والتفاؤل معقوداً على ما قد يسهم به القادة الروحانيون من علماء الإسلام، ورجال الدين المسيحيين، وحكماء الأمة ومفكروها، ودعاة الخير والفضيلة وعقلاء السياسة، في توجيه المجتمع الدولي إلى ضرورة حماية مكاسب الإنسانية والإذعان لصيحة الحق والعدل، وحل المشكلات الدولية بالمساعي الودية الحميدة، والدبلوماسية الحاذقة الأمينة الناجحة، والحفاظ على الأمن والسلم الدوليين، وعدم التورط في متاهات ومشكلات معقّدة، بالاعتماد على تقارير أمنية استخباراتية غير صحيحة، ومعلومات سطحية، ومبتورة، ينقصها التوثيق والحكمة والتعقل، فقد ثبت زيف كل تلك التقارير أمام حملات التفتيش الدولية المتكررة البالغة زهاء (240) جولة استطلاعية واختبارية، شملت كل نواحي بلاد العراق ومراكزه وقصوره وتحصيناته ومنشآته العسكرية والمدنية وغيرها.

❖ الغاية الأساسية من الدعوة الإسلامية العالمية هي توطيد السلم وتقريره وتحقيق الأمن ونشر الحرية والحق والعدالة وإبراز أصول العقيدة الإسلامية القائمة على توحيد الإله الحق والإيمان بوجوده والإقرار برسالات الرسل والاعتراف بالكتب السماوية وبالملائكة والإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره من الله تعالى

إن تأثير رجال الدين والمفكرين والمثقفين سواء في وسائل الإعلام المختلفة، أو في المساجد والكنائس وغيرها من المؤسسات الاجتماعية، ما يزال قوياً، دولياً ومحلياً، لتحقيق معالم الصحوة، وعقد

مؤتمرات وندوات وإلقاء محاضرات متخصصة ومعمّقة، وإقامة جسور مشتركة بين حملة هذه الطاقات الكبيرة والتخطيط لها، وتحديد غاياتها ومقاصدها، ووضع أساليبها ووسائلها الناجعة.

فمن المعلوم أن المسيحية في أصول دعوتها تحرص على إشاعة المحبة والعفو والتسامح، والود والسلام، وتدعو بإصرار الأفراد والجماعات إلى إعمال الفكر والعقل، والتأني في علاج الأحداث، ونبذ العنف والتشدد، والترفع عن طغيان المادة، وإذكاء روح التعاون والتضامن في مناصرة الفضيلة والسلم، والتخلص من كل ظواهر الإجرام والانحراف، والإبقاء على الصلة الحميمية بين الإنسان وأخيه الإنسان. حتى إن المسيح عيسى (عليه السلام) يدعو إلى حب العدو ومسامحته.

المنهج الإسلامي في إرساء معالم الإصلاح والنجاة والاستقرار

منطلقات هذا المنهج:

تزخر النصوص الشرعية في القرآن والسنّة وترددها كتب أئمة الفقه والاجتهاد، بالدعوة إلى السلم والأمان، والتعاون الدائم بين المسلمين وغيرهم، لأن الشريعة الإسلامية هي شريعة الوفاق والوئام، والود والسكينة، والحب والتعاون، وإحلال السلم محل الحرب، والتسامح محل التعصب، والتفاهم محل التنازع، والتآلف والتعارف محل الخصام والتناكر، والحب السامي بين الإنسان وأخيه بدلاً من الكراهية، وإظهار حسن النيّة والصراحة، والتخلّي عن سوء الطوية والمكر، وجعل الحوار لا الشجار، والإقناع والحرية بدلاً من الإكراه، والأمن محل الخوف، والترويع أو الإرهاب غير المشروع، والتعايش السلمي والودي معاً بدلاً من التقاطع والتآمر والبغضاء، والمساواة بديلاً عن التمييز العنصري والتفرقة بين المواطنين والناس جميعاً، وترسيخ

بذلك أن يوجهنا إلى أن نتعرف على العالمين اجمعهم.

وإنني أرى أن عالمنا الإسلامي مقصر في التعارف بينه وبين بني جنسه وفي التعريف بنفسه أمام الآخرين، فعندما التقينا بأخوة من الغرب وعرفناهم بالإسلام حينها أدركوا حقيقة هذا الدين فعاتبونا وسألونا لماذا تأخرتم في تعريفنا بأنفسكم ودينكم؟ فأنتم ظلمتم دينكم جداً.

ولا يخفى أن الله سبحانه وتعالى حثنا على التعارف من خلال تفضيل الصلاة في جماعة ومن خلال صلاة الجمعة التي لا تقبل إلا في جماعة ز. وإن الله عز وجل أراد بصلاة الجمعة أن يمنح فرصة للمسلم لكي يتعارف على الآخرين في كل أسبوع، أما الحج فالغرض منه هو «التعارف الأممي» للتعارف على أنفسنا وعلى الآخرين.

وعلى هذا فإنني أرى ضرورة تفعيل الدور الإسلامي في المنظمات الدولية، فمنظمة اليونسكو وأطباء بلا حدود وصحفيين بلا حدود يقومون بدور حقيقي في التواصل من خلال أنشطتهم الواضحة في مناطق مختلفة من العالم.. لكن للأسف نحن المسلمين لم يكن لنا دور فيها، ولم نعطى هذه المنظمات حقها في التعرف بنا. وهذه المنظمات التي أصبح العالم كله يعرفها ما هي إلا مجموعة من الأفراد لهم هدف معين واستظلوا بظل الأمم المتحدة ثم اخذوا في الانتشار. ونحن كأمة إسلامية يجب أن نأخذ خطوة في التعريف بأنفسنا في المنظمات الدولية.

صرح العدل في الحقوق بين الأصدقاء والأعداء على حد سواء بدلاً من كل مظاهر الظلم ووقائعه، وتتويج كل ذلك بمزية زائدة عن تلك القيم قررها الإسلام، وهي الإحسان بدلاً من الإساءة أو الأذى والضرر.

ولكن الإسلام وغيره من الأديان يحافظ على الكرامة الإنسانية، ويبيح الدفاع عن استقلال الأوطان والحفاظ على حرمة النفس (حق الحياة) والفكر (العقل) والعرض والمال، فهناك فرق واضح بين المقاومة المشروعة للدفاع عن الحقوق والمصالح الخاصة والعامة، وبين الإرهاب غير المشروع، الفردي والدولي، الذي يلحق الضرر بالفرد والجماعة، وبالأمة والوطن، ولا تقره الشرائع الإلهية كلها، ولا الوضعية القانونية، سواء القانون الدولي العام، أو القانون الوضعي الخاص.

وهذه هي وثائقنا ودستورنا ونظامنا التشريعي الإلهي، والاجتهادي الفقهي.

وأول وثيقة عندنا هي القرآن الكريم:

- قال الله تعالى مقرراً وحدة الإنسانية والإخاء الإنساني:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾
[سورة النساء: الآية 1]

قال المفسرون: في الآية تنبيه على ضرورة التواصل لحرمة هذا النسب وإن بعد، أي وإن كانت الرابطة إنسانية محضة، وليست من قرابة الدم.

كما أرشدت الآية إلى وحدة الإنسانية المخلوقة من أب واحد وأم واحدة وهما آدم وحواء عليهما السلام، ثم وحدة الأسرة القائمة على القرابة الدموية وصلة الرحم.

وأما ضمان احترام هذه الاصول الثلاثة: وحدة الإنسانية، والأخوة الإنسانية، ووحدة الأسرة: فهو عند المؤمنين رقابة الله عز وجل بالإحسان لمن وفى بالحقوق، وتأثيم وعقاب المتنكر لهذه الأصول، مع ملاحظة أن الخطاب القرآني موجّه للناس جميعاً بكلمة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ .

ميثاق الأمم والشعوب:

إن الميثاق العالمي للأمم والشعوب قاطبة، الإسلامية منها وغيرها: هو نداء القرآن الكريم في قول الله عز وجل:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [سورة الحجرات: الآية 13]

قرر المفسّرون أن القصد من هذه الآية التسوية بين الناس، وهدم برج العصبية القبلية وأشباهها مما يفرق ولا يجمع، ولاستئصال نزعات الاستعلاء والاستكبار والتفاخر بحيث يريد البعض أن يكون أكرم وأعز وأسمى من البعض الآخر، ومن أجل التعارف والتآلف والتوافق، لا التناكر والتنابذ والتعارض من غير بينة أو سبب مقبول، وأن طريق التفاضل فقط هو تقوى الله والعمل الصالح.

- إن جسور المودة والتواصل والتقارب قائمة بين المسلمين وغيرهم منذ القديم على أساس من المسالمة والمودة، والتصافي، والإذعان للحقوق، والاحترام المتبادل للرابطة الإنسانية والمساواة، لقول الله تعالى:

﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ * إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[سورة الممتحنة: الآيتان 8، 9]

السلم والحرب

إن الغاية الأساسية من الدعوة الإسلامية العالمية أو ذات النزعة العالمية إلى مختلف شعوب الأرض هو توطيد السلم وتقريره وتحقيق الأمن، ونشر الحرية والحق والعدالة، وإبراز أصول العقيدة الإسلامية القائمة على توحيد الإله الحق والإيمان بوجوده، والإقرار برسالات الرسل صلوات الله عليهم، والاعتراف بالكتب السماوية وبالملائكة الكرام، والإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره من الله تعالى.

والأصل في هذه النزعة: إيثار السلام والتوصل إليه بقناعة ورضا. لا بضغط وإكراه، ولا يلجأ إلى الحرب إلا إذا أصرّ العدو على الاحتكام إلى القتال، فتكون الحرب حينئذ دفاعاً عن النفس أو الأمة والبلاد، أو الدعاة، إلى الله تعالى، أو لدفع الظلم، أو لنصرة المستضعفين، أو لإنهاء النزاع المسلح وإعلاء كلمة الله: كلمة الحق والعدل والتوحيد، لأن شريعة الإسلام تحرص على عزة المسلمين والكرامة الإنسانية، ولا تقبل من المسلم المذلة والهوان. بل إنها حريصة على تربية الفرد والجماعة تربية استقلالية متحررة. وعلة الحرب هي العدوان وليس المخالفة في الدين فهي إذاً ليست حروباً دينية.

والبراهين كثيرة، منها ما أمر الله تعالى به في القرآن الكريم في آيات كثيرة، مثل:

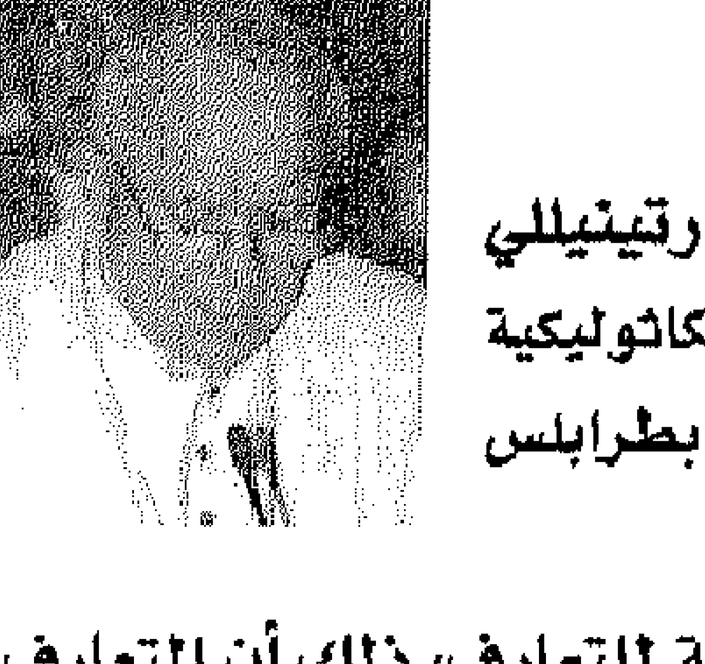
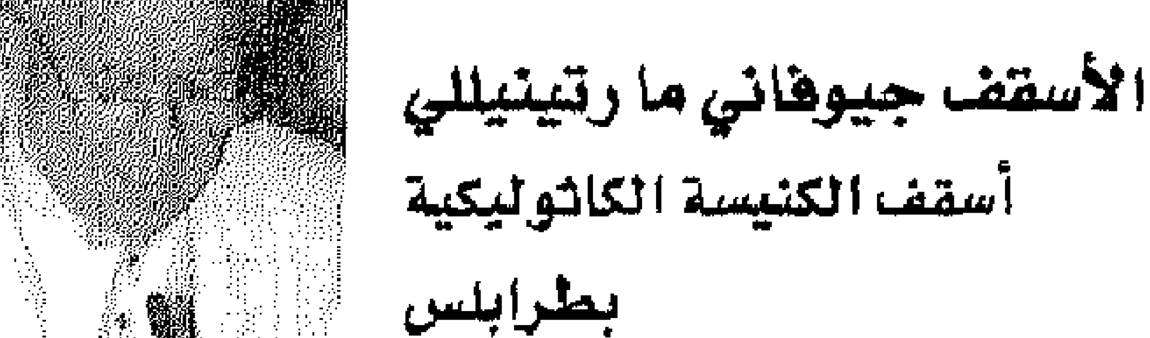
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [سورة البقرة: الآية 208]

ومثل:

﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة الأنفال: الآية 61]

ومثل:

﴿وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾
[سورة الأنفال: الآية 72]

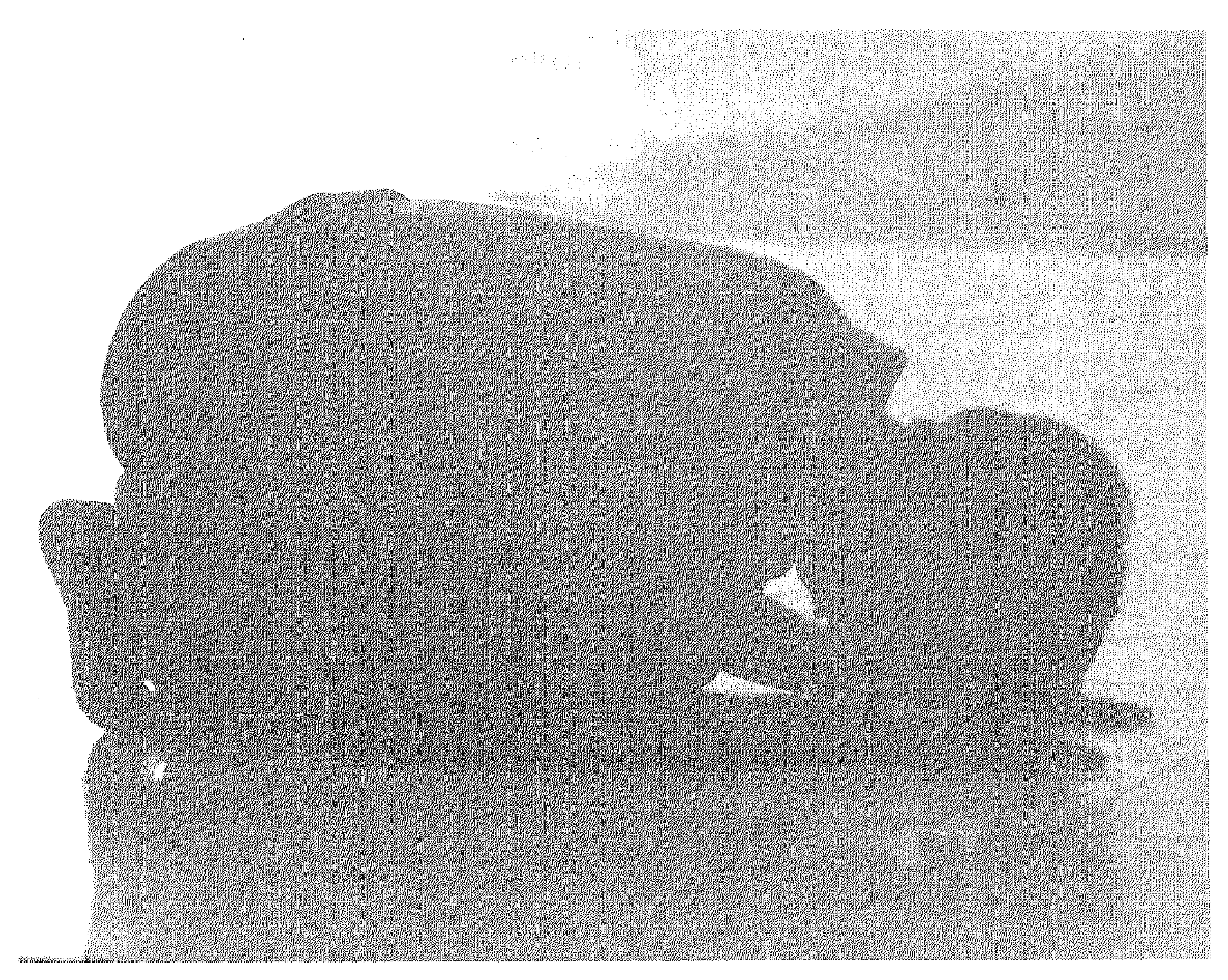
الأسقف جيوفاني ما رتينيللي
أسقف الكنيسة الكاثوليكية
بطرابلس

هناك حاجة ماسة للتعارف، ذلك أن التعارف المشترك يحمينا من كثير من المزالق والأحكام المسبقة والتقييم السطحي، فالهوية الثقافية للآخر مهمة لنا جميعا، ولكي نحقق المعرفة المشتركة لابد أن يكون هناك صدق وإخلاص وموضوعية، فالمعرفة المشتركة تأخذ مصدرها من نور الله، وهي الحقيقة، وهذه المعرفة تعطينا السلم الداخلي، ونعيش مع الآخرين في وفاق.



سليمان آدم كونفي
أمين عام مدارس النور /
بوركينا فاسو

إن التعارف الحقيقي كما ورد في القرآن الكريم يؤدي إلى التعايش السلمي، والمسلمون اختاروا التعارف منذ ظهور الإسلام، المسلمون كانوا جادين في إيجاد وسائل وطرق التعارف، والمسلمون متمسكون بالحوار والتحاور مع الأديان، وخاصة المسيحية، فالمسيحية أكثر تفاهما مع الإسلام، ومن الضروري وضع أسس ثابتة للتعارف بين الجميع من أجل عالم أكثر عدلا وإنصافا.



وهذا مثال عال في احترام الميثاق أو المعاهدة.

ومنها في تقرير القاعدة العامة في مشروعية القتال: أن القتال لمن قاتلنا، وذلك في آية من أواخر الآيات والسورة المدنية:

﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾
[سورة البقرة: الآية 190]

ومن الأحاديث النبوية في هذا الشأن: الحديث الثابت الكابح لا رغبة النفسية الجامحة في لقاء الأعداء فيما أخرجه الشيخان:

(لا تتمنوا لقاء العدو، وإذا لقيتموهم فاصبروا)

وقرر جماعة من الفقهاء كالإمام الثوري والإمام الأوزاعي والإمام ابن تيمية والشيخ محمد عبده وأغلب المعاصرين أن مشروعية القتال هي لمن قاتلنا، ولا يحل البدء بالاعتداء.

وأما الحروب أو الفتوحات الإسلامية ففي نطاق الجزيرة العربية: خاض المسلمون بقيادة رسولهم الكريم (ﷺ) سبعاً وعشرين معركة أو غزوة، كلها كان المسلمون هم المعتدى عليهم، فكانت أول الآيات بعد أكثر من اربع عشر سنة من بدء الدعوة الإسلامية مقرّرة اسباب المشروعية وهي:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ [سورة الحج: الآيتان 39 ـ 40]

وأما حروب مانعي الزكاة أو المرتدين فلاعتدائهم على قدسية العقيدة، ووحدة الشريعة، ومنع إحداث الثغرات الهدامة لصرح الإسلام.

وأما الفتوحات الإسلامية في الشرق أو الغرب، فكانت لمواجهة الفرس الوثنيين في الشرق، والروم

النصارى في الغرب حتى في شمال إفريقية أو بلاد المغرب العربي أو أسبانيا، حيث كان عسكر كل من هاتين الدولتين أو الامبراطوريتين هم المعتدين على المسلمين والبادئين بحشد الجيوش على حدودهم.

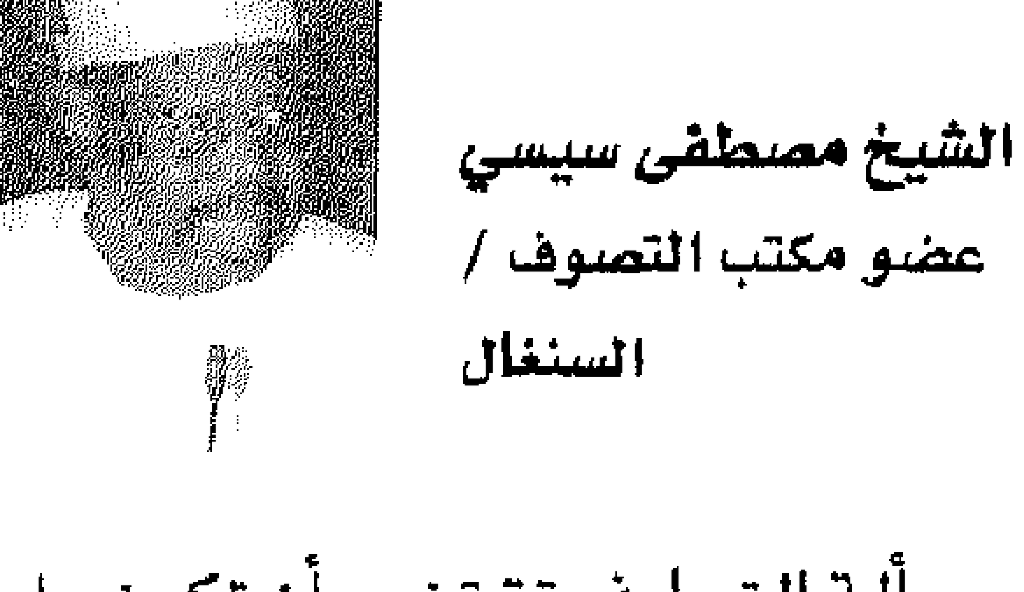
وأما حروب المغول والتتار وهجومهم الوحشي المدمر للحضارة الإسلامية واجتياح البلاد الإسلامية سنة 616 هـ/ 1219 مسيحي، وتحقيق الانتصار عليهم بقيادة سيف الدين قُطُز في معركة عين جالوت عام 658هـ/ 1260 مسيحي، فلرد بغي هؤلاء ومحاولتهم اكتساح بلاد المسلمين.

وكذلك الحروب الصليبية من جيوش الغرب التي استمرت قرابة مئة سنة وتحقيق انتصار القائد المظفر صلاح الدين الأيوبي في موقعة حطين وتحرير القدس عام 583/ 1187 مسيحي كانت كما هو معروف لدحر قوى هؤلاء المعتدين ورد العدوان ودفع الظلم الصارخ.

والتاريخ يعيد نفسه في طرد المستعمرين المحتلين في القرن العشرين من مختلف البلاد العربية والإسلامية، وبقي ارتقاب الفرصة المواتية لطرد المغتصبين الصهاينة من فلسطين الجريحة، وتبديد مساندة الدول الغربية ولا سيما بريطانيا وفرنسا وأمريكا وروسيا، سواء بالمال أو السلاح أو تسهيل الهجرة لمئات الآلاف إلى فلسطين.

حرية التدين أو العقيدة:

على الرغم من المد الإسلامي الظافر كما ذكرت، فإن المسلمين حرصوا على نشر دعوتهم بالإقناع والحوار والإرشاد والأسوة الحسنة وبيان فضائل الإسلام، ولم يتورطوا ولو في حادثة واحدة على مدى تاريخهم بإكراه أحد على الدخول في الإسلام، وإنما كانت الشعوب المفتوحة تبادر طواعية واختياراً إلى قبول الإسلام، لما رأوا من عدل المسلمين وتحضرهم



الشيخ مصطفى سيسي
عضو مكتب التصوف / السنغال

إن مسألة التعارف تقتضي أن تكون على مائدة المودة والمحبة، لا في حرب وخصام، وأن يكون هناك تعاون حقيقي بين البشر، فالتعارف أساس التعاون، وإذا تعارفنا وتعاونا أصبحنا كتلة واحدة. وإن سبب تعدد الألوان والثقافات هو أن نتعارف ونتقارب ونلتقي، وإذا التقينا أصبح كل واحد منا يعرف أخاه معرفة جيدة.

ونشر العلم والمدنية، وكما أثبت المؤرخون المنصفون حتى من الغربيين مثل جوستاف لويون صاحب كتاب (حضارة العرب) وأرنولد صاحب كتاب (الدعوة إلى الإسلام).

والسبب في التزام هذا المنهج الاسلامي هو منع الإكراه على الدين في قوله تعالى:

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ [سورة البقرة: الآية 256]

العلاقات الدولية في الإسلام:

تتميز العلاقات الخارجية أو الدولية في الإسلام بأنها لا تقتصر على إعلان المسالمة والمودة والمهادنة إلا دفعاً للظلم، وإنما تمتد إيجابياً إلى الإنعاش الاقتصادي والتبادل التجاري، والتلاقح الثقافي، والتعاون الإنساني، لتتأصل هذه العلاقات وتنمو ويكون الأخذ والعطاء، وإظهار فضائل الإسلام بالحوار والإقناع هو الطابع المهيمن على هذه العلاقات.

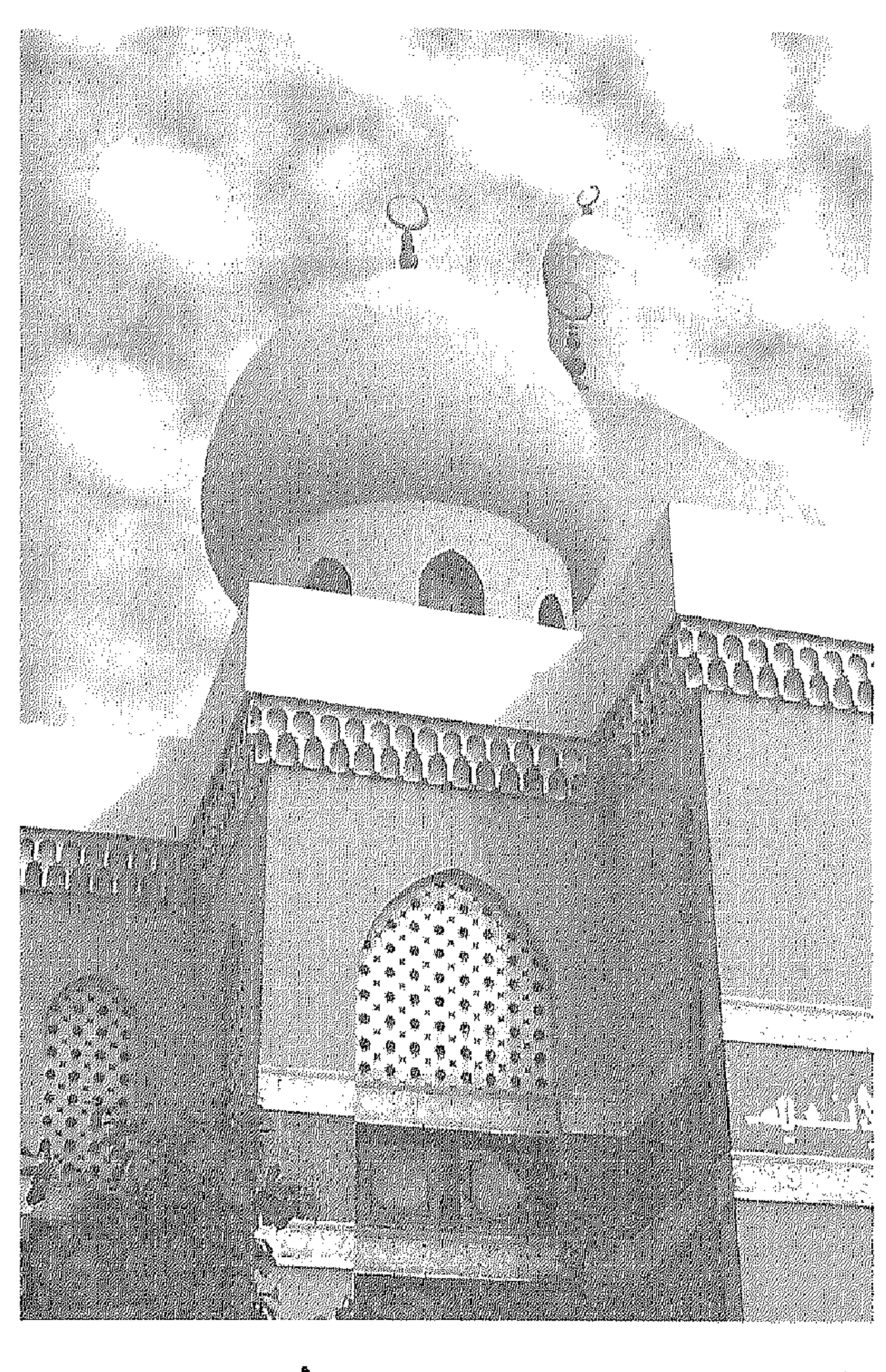
ويلتزم المسلمون في حروبهم بالحفاظ على معطيات المدنية والحضارة، والعلم والمعرفة، وعدم التعرض لمن يعرفون في عصرنا بالمدنيين. ثبت في السنن الصحاح عن الرسول (ﷺ) أنه مرّ على امرأة مقتولة في بعض مغازيه، قد وقف عليها الناس، فقال: (ما كانت هذه لتقاتل) وقال لأحد صحابته: «ألحق خالد فقل له: (لا تقتلوا ذرّية ولا عسيفا) وقال أيضاً: (لا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا طفلاً صغيراً ولا امرأة) وكان أبو بكر الصديق يوصي قادة جيوشه بتجنّب التخريب والتحريق والهدم وقطع الأشجار المثمرة، فقال في وصيته ليزيد بن أبي سفيان: «وإني موصيك بعشر: لا تقتل امرأة، ولا صبياً، ولا كبيراً هرماً، ولا تقطعن شجراً، ولا تخربن عامراً، ولا تعقرن شاة ولا بعيراً إلا لمأكلة، ولا تحرقن نخلاً ولا تغرّقنه، ولا تغللن ولا تجبن».

قال الأوزاعي: لا يحل للمسلمين أن يفعلوا شيئاً مما يرجع إلى التخريب في دار الحرب، لأن ذلك فساد، والله ولا يحب الفساد.

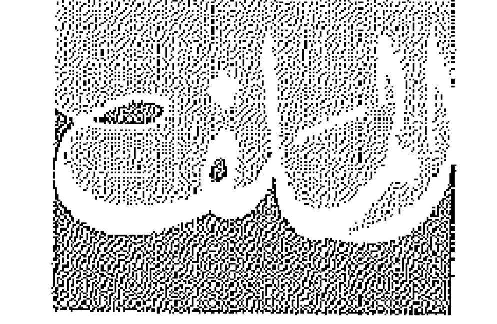
وينادي الناس اليوم بما يسمى بالتعايش السلمي بين الدول، ومعنى ذلك أن تتعايش المذاهب السياسية والاجتماعية المختلفة في سلام وحسن جوار، فأما الإسلام فلم يدعُ إلى التعايش السلمي فقط بين المسلمين وغيرهم، بل دعا إلى ما فوق ذلك من التعايش الودي الذي يتجاوز المسالمة إلى المودة والمصاهرة والتعاون والتضامن.

صحيح أن دعوة الإسلام دعوة عالمية، تتجاوز حدود الوطن والإقليم، لكنها دعوة حوار وبناء وتنظيم لقواعد الحياة، وترسيخ لأصول السلام ومتطلباته، وما الحرب إلا ضرورة اجتماعية ودفاعية فقط لدفع الظلم ومصادرة الحريات. وليست الحرب على الإطلاق لنشر العقيدة الإسلامية وإكراه الناس عليها.

هذه هي أصول دعوتنا وغايتنا. وهي دعوة الحق والعدل والحرية المساواة، والسلام والأمن



والاستقرار، والتعاون والتضامن، فما أجدرنا نحن علماء الإسلام أن نحيي هذه المعاني في واقعنا، وأن نوجه الأمة إلى ما فيه خيرها وعزها واستقرارها، وأن نتعاون مع دعاة هذه القيم العليا لتصفو الحياة، ويرتفع الطامعون عن الزج بالبشرية إلى نار الجحيم، وأن نضع أيدينا مع كل دعوة صادقة إلى الحوار والتفاهم والتعارف والمصارحة في فهم حقائق ومقاصد بعضنا بعضاً، فيعم الأمن والسلام، ويتفرغ البشر في حل مشكلاتهم الاقتصادية والاجتماعية، وتهدأ روح الغليان، فيرتاح كل إنسان، وتكون الدول كلها آمنة تتفيأ ظلال الحرية والمحبة والسلام، ويهنأ المجتمع الدولي بما لديه من خيرات كثيرة ومنافع وفيرة وكنوز وثروات عظيمة، فإذا ما استنبطت، تحقق الرفاه والسعادة للجميع.



التعارف طريق للعيش المشترك

أ.د. ناصر الدين الأسد *

هذا الحديث مستمدّ من عنوان المؤتمر، وهو ملتزِمٌ به فالعنوان «لتعارفوا» إنما يشير إلى الآية الكريمة :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ . . . ﴾
[سورة الحجرات: الآية 13]

فهذا الحديث إذن عن الإسلام وليس عن المسلمين، عن النظريات والمبادئ والتعاليم وليس عن الممارسات والتطبيق. وكثيراً ما تقوم فجوةٌ قد تكبر وقد تصغر بين النظرية والمبدأ وبين التطبيق ـ في جميع الأديان والمبادئ وفي جميع العصور ـ بين ما يجب أن يكون وبين ما هو كائن. ومما يجب تأكيده أن سوء تطبيق المبدأ لا يَعيب المبدأ نفسه.

وهو حديث سبق أن تحدّث فيه كثيرون: كتابةً ومحاضرات وكلاماً في المجالس. ومع ذلك لا يزال الناس يكتبون فيه ويتكلمون، إما لأنهم يرون في كتاباتهم وكلامهم تأكيداً لا بدّ منه للكلام السابق، أو توضيحاً لجوانب منه تحتاج إلى التوضيح، وإما لأنهم يرون أن الموضوع لا يزال فيه جديد وفضل بيانٍ من المفيد أن يقال، وأن هذا الذي يقولونه هو هذا الجديد، ولكن لا يلبث أن يظهر أنه هو القديم ذاته وإن اختلفت ألفاظه وبعض عباراته.

والحديث عن الإسلام ـ وليس عن واقع المسلمين ـ لا يكون إلا من القرآن الكريم ومن السنّة النبوية الشريفة، ثم مما يُسْتأنَس به من مواقف بعض الصحابة رضوان الله عليهم.

والأصل الكبير الذي ينبني عليه الخطاب الإسلامي في حواره مع غيره هو ما تضمنته الآية الكريمة التي جُعِلتْ إحدى كلماتها عنواناً لهذا المؤتمر. فقوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ . . . ﴾
[سورة الحجرات: الآية 13]

إنما يدل على وحدة الجنس البشري وأن الإنسانية جمعاء أصلها واحد. ويؤكد ذلك ويوضّحه ما جاء في الحديث النبوي الشريف من قوله صلى الله عليه وسلّم: «الناس بنو آدم وآدم من تراب»[1]. ثم إن الكلمات التالية من الآية الكريمة تشير إلى أن هذا التعدّد والتنوّع في خَلْق الناس بين شعوب وقبائل، إنما هو لحكمة أرادها الله، وهي أن يقوم بينهم تواصل وتآلف وتفاهم، وهو المقصود بقوله تعالى: «لتعارفوا»، وليس المقصود من التعارف التوحّد والاندماج، وإلا لكان الأمر كما قال تعالى

﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ . . . ﴾
[سورة هود: الآية 118]

وهو معنى يتكرر في عدد من الآيات منها قوله عزّ وجل:

﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ . . . ﴾
[سورة هود: الآيتان 118 ـ 119]

---

* أستاذ جامعي / الأردن

فإذا سلّمنا بوحدة الجنس البشري وبأن هذه الشعوب والقبائل إنما تلتقي كلها في الإنسانية ذات الأصل الواحد، فإن العلاقات بينها إنما تقوم على أساس «المعاملات» وليس على أساس «العقيدة». والمعاملات والعقيدة أمران يلتقيان ثم قد يفترقان. وهذا موضوع دقيق يحتاج إلى توضيح: ذلك أن لله عزّ وجلّ حُكماً حكم به على غير المسلمين، من أهل الكتاب وغيرهم، وهذا من صميم العقيدة، وله أمرٌ للمسلمين بينهم وبين غيرهم عليهم أن يتبعوه وهو من «المعاملات». وإذا كان «الدين المعاملة» فإنها يجب أن تقوم على التعارف وليس على التدابر والتخاصم والتقاطع، وفي هذه الحالة فإن التفاضل ين الناس إنما يقوم على أساس واضح من هذا التعامل فيما بينهم وذلك قوله تعالى:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾
[سورة الحجرات: الآية 13]

وللمعاملات، أي للتعامل بين المسلمين وغير المسلمين، آداب في السلوك ووسائل وأساليب، بيّنها عزّ وجلّ في عدد من الآيات، وتمثلت في سُنّة رسوله عليه الصلاة والسلام. وربما كانت الآية الأساس التي تُعَدّ أصلاً في التعامل ثم تتفيع منها آداب وأساليب أخرى هي قوله تعالى:

﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾
[سورة الممتحنة: الآيتان 7 ـ 8]

ونحن لا نحبّ أن نقف عند اختلاف الآراء في نَسْخ هذه الآية ولا عند النَّسْخ عامة، إذ نرى أن كتاب الله الكريم يجب أن يُقْرأ غضّاً حيّاً كما نزل، ولا يجوز أن نذهب إلى أن بعض آياته قد أصبحت متروكة مهجوة ميتة لا في نصّها ولا في أحكامها. ولكننا نحب أن نقف ـ وأن يقف غيرنا ـ طويلاً عند هذا البيان القرآني الناصع في قوله تعالى:

﴿أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾
[سورة الممتحنة: الآية 8]

إذ إن المسلم مأمور ألا يكتفي بأن يقف موقفاً محايداً غير مُبالٍ في مواجهة غير المسلم، فلا يُلحِق به الأذى، بل إن الله عزّ وجل أباح للمسلم القيام ببِرّه والإقساط إليه. وإذا كان الإقساط إليه هو العدل معه وعدم الجور عليه ولا الظلم له فإن البِرّ يعني ـ زيادة على ذلك ـ أن يحسن إليه ويقدّم إليه العون. ونحن نعلم أن البرّ يرتبط عادة بالوالدين وخاصة بالوالدة، فنقول: «بِرٌّ الوالدين، وفلان بارٌّ بوالديه، وفي التنزيل العزيز أن سيدنا عيسى قال عن نفسه:

﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى﴾ [سورة مريم: الآية 32]

وأن الله وصف سيدنا يحيى بقوله تعالى:

﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ﴾ [سورة مريم: الآية 14]

ووصف الله الملائكة بقوله عنهم:

﴿كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ﴾ [سورة عبس: الآية 16]

ذلك كلّه إذا لم يكن غير المسلم مقاتلاً للمسلم ولا معتدياً عليه. أما إذا كان ممن

﴿قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ﴾ [سورة الممتحنة: البية 9]

فإن الموقف مختلف ولا يجوز للمسلم حينئذ أن يواليَ من كانت تلك أحواله.

إن هذه الآية الأساسية في تعامل المسلمين مع غيرهم تتفرع عنها أحكام أخرى في آداب السلوك وخاصة مع أهل الكتاب، منها قوله تعالى:

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾
[سورة العنكبوت: الآية 46]

وتتجلى في هذه الآية ـ كما في مثيلاتها ـ سماحة الإسلام وإنسانيته في أوضح صورهما، ففيها أمر بأن يكون حوار المسلمين مع أهل الكتاب حواراً مبرّاً من كل ما يمكن أن يسيء إليهم تصريحاً أو تلميحاً. وفيها أيضاً تقريب للنفوس بذكر ما يجمع بين المسلمين وبينهم، وهوأننا جميعاً نعبد إلهاً واحداً، بالإضافة إلى التحبب إليهم بأننا نؤمن أيضاً بما أنزله الله إليهم من كتب سماوية.

ولا شك في أن هذه الآية ومثيلاتها تنفي نفياً قاطعاً كثيراً مما ورد في تراثنا وخاصة بعض ما ورد في كتب الفقه والتفسير عن معاملة أهل الذمّة وعن زيّهم وعن تفسير معنى «وهم صاغرون» في آية الجزية، وعن معنى الجزية عامة. وما أحوجنا إلى فقهٍ وتفسيرٍ وفهمٍ صحيح لكل ذلك، فـ«الصّغار» هنا ليس صغاراً وخضوعاً أمام المسلمين، لأن الإسلام نفى عبودية الإنسان للإنسان وجعلها لله وحده، وإنما الصغار هنا هو صغار أمام الله عزّ وجلّ وأمام حُكْمه، الشأن في ذلك هو الشأن نفسه في الزكاة، حين قال الله عز وجل:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ [سورة المائدة: الآية 55]

أي وهم خاشعون خاضعون لأمر الله وحكمه. ويشبه ذلك ما ورد في كتاب الله من لفظ «داخرين» و«داخرون» قال تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ﴾

[سورة النحل: الآية 48]

أي وهم صاغرون خاضعون لله. ولرُبَّ سائل يسأل: ولمَ لمْ تُفرَض الزكاة على أهل الذمة كما فُرضتْ على المسلمين؟ والجواب أن الزكاة في الإسلام عبادة شأنها شأن الصلاة، ولو فرضت عليهم لكان في ذلك إكراههم على عبادة من غير دينهم، والله سبحانه يقول:

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [سورة البقرة: الآية 256]

ويقول مخاطباً الرسول (ﷺ):

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾

[سورة يونس: الآية 99]

ولذلك جُنّب أهل الكتاب من الذميين الزكاة وفُرض عليه أمر ليس من عبادات المسلمين. ولكن هذا حديث طويل ليس هنا مجالُه.

ولا بدّ لنا من أن نلاحظ في الآية السابقة ما لاحظناه في الآية التي قبلها من استثناء فئة من أهل الكتاب من هذا الأسلوب من التعامل، وذلك قوله تعالى:

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ [سورة البقرة: الآية 150]

والظلم هنا مجالات متعددة منها الغدر، وعدم وفائهم بعهودهم، ومحاربتهم المسلمين، ومعاونتهم أعداءهم.

وقد ذكرنا مراراً فيما سبق تعبير «مثيلات» الآيتين السابقتين، ونذكر هنا بعض هذه الآيات المثيلات، من مثل قوله تعالى:

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾

[سورة النحل: الآية 125]

وكما وقفنا عند بعض الملاحظات في الآيات السابقة نقف هنا عند عدد منها: فهذا التكرار في الأمر بأن تكون المجادلة «بالتي هي أحسن» ثم إضافة أن تكون الدعوة «بالحكمة والموعظة الحسنة» يجعل أيّ إساءة لأهل الكتاب في المعاملة أو السلوك أو الخطاب، تصرفاً يتنافى مع روح الإسلام ويخالف صريح النص القرآني. ثم إن ختام هذه الآية يدلّ دلالة واضحة على التفرقة بين «المعاملة» وهي التي أمر الله بها المسلمين، وبين «العقيدة» المفوّض

أمرُها إلى الله وحده فهو:

﴿أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾

[سورة القلم : الآية 7]

وليس لأحد من البشر أن يدّعي العلم بذلك أو الحكم على غيره بالضلال أو الهدى.

أهل الكتاب هؤلاء هم الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه العزيز فقال عن بعضهم :

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾

[سورة آل عمران : الآية 199]

وذكر الله لنا أنهم فريقان، وذلك في قوله عزّ وجلّ:

﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ۞ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۞ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾

[سورة آل عمران : الآيات 113 ـ 115]

ذلك كله حُكمُ الله تعالى وأمْرُه، وأما في التطبيق العملي في عهد رسول الله (ﷺ) وفي عهد صحابته، فالأخبار عنه متواترة. منها صحيفة المدينة المشهورة، ذلك أن رسول الله (ﷺ) حين هاجر من مكة إلى المدينة آخى بين المهاجرين والأنصار، وعاهد اليهود، وكتب في ذلك كتاباً سمّى فيه قبائل اليهود قبيلةً قبيلةً، وجعلهم ـ كما نصّت صحيفة العهد ـ «أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم... إلا من ظَلَم وأثِمَ...»[2]. ولو كان في مكة أو المدينة نصارى لعاهدهم الرسول عليه السلام العهد نفسه، فهم «أقربهم مودة للذين آمنوا». ولا يغيب عنا أن الرسول أذِن لوفد نصارى نجران أن يصلّوا صلاتهم في مسجده، فصلّوا نحو المشرق، وصالحهم على أمور منها أن «لنجران وحاشيتهم جوارَ الله وذمةَ محمد النبي رسول الله على أنسهم ومِلّتهم وأرضهم وأموالهم وغائبهم وشاهدهم وبِيَعِهم، لا يُغيّر أسقف عن سقيفاه، ولا راهب عن رهبانيته»[3].

ولا بد أن يستوقفنا تعبير أن اليهود «أمة مع المؤمنين» فهو يعني بالمصطلح الحديث أنهم «مواطنون مع المؤمنين» لهم حقوق المواطنة كاملة: لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، ما عدا أمور العقيدة والعبادات وما يتصل بهما من الأحوال الشخصية.

وليس في الإسلام مصطلح الأقليات، وإنما فيه مصطلح «أهل الذمّة» وقد استعمله رسول الله (ﷺ) في كتبه وعهود أمانه، منها: «هذا أمَنَةٌ من الله ومحمد النبي رسول الله ليُحنَّةَ بن رؤبةَ وأهل أيْلةَ... لهم ذمَّةُ الله وذمّةُ محمد رسول الله...»[4]. واستعمله الخلفاء من بعده كقول عمر بن الخطاب حين طُعِن[5]: «أُوصي الخليفة من بعدي بتقوى الله، والمهاجرين... وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله أن يوفي لهم بعهدهم وأن لا يُكلّفُوا إلا طاقتهم وأن يقاتل مَنْ وراءهم».

ويعرف كلُّ من له بَصَرٌ باللغة العربية جمالَ هذا التعبير ودلالته الرفيعة، وكرَمَ هذه النسبة إلى ذمّة الله ورسوله. ولكن المواطنين المسيحيين في الأقطار العربية أصبحوا يَنفرون من هذا التعبير ويشعرون بالغضاضة منه، فأخذنا نستعمل بدلاً منه تعبير «غير المسلمين» تمشّياً مع روح الإسلام في ألا نسمّي الناس أو نلقّبهم بما لا يحبّون. وقد أصدر المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت) في عام 1989 مسيحي مجلدين بعنوان «معاملة غير المسلمين في الإسلام» كتَب فصولَهما مجموعةٌ من العلماء المسلمين[6].

إن هذا الذي ذكرناه وسواه كثير مما لم نذكره عن ثقافة السماحة في الإسلام والروح الإنسانية العالمية فيه هو الذي جعل مثل فارس الخوري رئيس وزراء

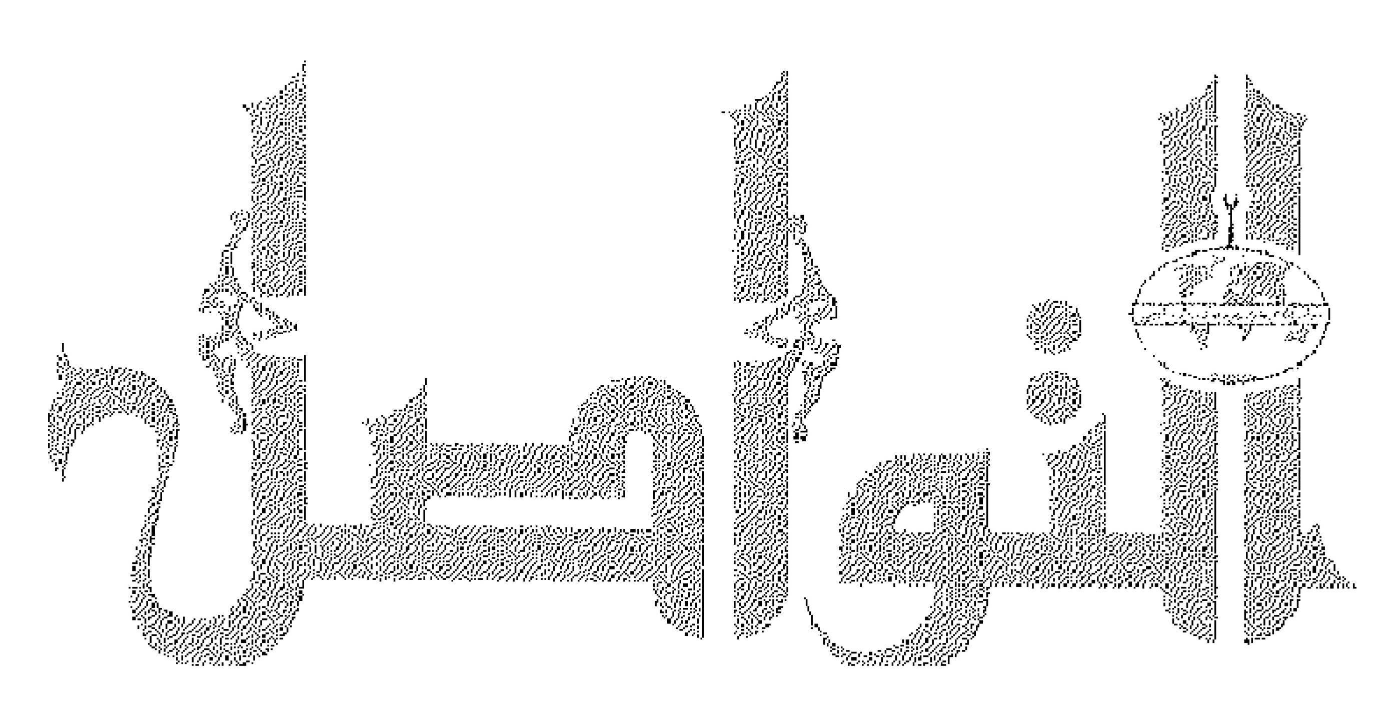
سوريا الأسبق يقول: انا مسيحي ديناً ولكنني مسلم ثقافةً. وهو الذي جعل المفكر اللبناني الماروني نصري سلهب ـ الذي شغل مناصب رسمية عالية متعددة ـ يصدر كتابه «في خطى محمد» وكتابه «الإسلام كما عرفته دين الرحمة والسلام» ثم هو القائل: القرآن الكريم هو كتاب المسلم والمسيحي في آن» والقائل: «أنا نصف مسلم من خلال لغتي العربية»[7]. وهذا الذي ذكرناه هو كذلك الذي جعل الوزير اللبناني السابق إدمون أمين رزق على علاقات صداقة ومودة مع عدد من العلماء المسلمين من السُنّة والشيعة، وحسب المرء أن يقرأ كتابه «مشاركة في الإسلام»[8] ليطّلع على كيف يتحقق العيش المشترك في بلادنا، وقد صدّره بإهداء إلى من سمّاهم أصدقاءه، ومن بينهم المفتي الشيخ حسن خالد والشيخ أحمد عسّاف والشيخ صبحي الصالح. ولا يُغني أي اقتباس منه عن قراءته كلّه، وقد ختم مقدمته بقوله: «فإن وَقَفاتي في مناطق لبنان كُلّها، من الجنوب إلى البقاع، ومن العاصمة والضاحية الجنوبيّة إلى الجبل والشمال، ومقالاتي وتعليقاتي، في المناسبات الإسلامية الكريمة، هي شهادةٌ، ما زِلتُ أؤدّيها للبنان، وطناً ومُجتَمَعاً ودولةً، وقد اخترتُ نماذج منها، لِنشرها في هذا الكتاب، الذي أُقدِّمه إلى قُرّاءِ العربية، عُربون ثقةٍ بالشراكة الإنسانية، وإيمانٍ بالإله الواحد، الضابطِ الكُل، الرحمن الرحيم»[9].

إن «التعارف» يحتاج إلى «معرفة» ينبني عليها. وقد «عَرَف» هؤلاء الثلاثة الذين استشهدنا بهم حقيقة ما عند الآخر، فحدّدوا موقفهم وفقاً لمعرفتهم. ولذلك «تعارفوا» مع مواطنيهم وتفاهموا وتعاونوا، ومع ذلك بقي كل واحد من الفرقاء على دينه وعقيدته. فالتعارف لا يعني تبديل الدين ولا التفريط بالعقيدة والمبدأ. ولا يجوز أن ننخدع بمواقف بعض رجال الدين وعلمائه الذين أصبحوا حجّة في العلم يستفتيهم الناس ويتّبعون رأيهم، فهؤلاء تبحّروا في علم مذهبهم وحده ولم يعرفوا المذاهب والأديان الأخرى على حقيقتها، بل ربما ردّدوا كثيراً من الأباطيل اتي يرددها العوام عن تلك المذاهب والأديان. ومن عرف منهم شيئاً من المذاهب الأخرى على حقيقته قد تركبه العصبية والهوى فيكابر ويغالط ويطوي ما عرف أو يحرّفه طلباً للدنيا وحرصاً على مناصبه فيها.

سأل الله الإخلاص في النيّة، والصدق في القول، والنجاة من الزلل، إنه سميع مجيب.

الهوامش

(1) كذا في مسند أحمد بن حنبل 2:361 و524، طبعة اسطمبول، وانظره كذلك في سنن الترمذي، وفيه «وخلق الله آدم من تراب».
(2) ذهب المفسرون إلى أن المقصود بالأمّة هنا هو الدين، أي لجعلناكم على دين واحد. كقوله تعالى: (إن هذه أمتكم أمة واحدة) أي دين التوحيد دين واحد.
(3) قال الزمخشري في تفسير الآيتين: أي لاضطرهم إلى أن يكونوا أهل أمة واحدة، أي: ملّة واحدة، وهي ملّة الإسلام... وهذا الكلام يتضمن نفي الاضطرار، وأنه لم يضطرهم إلى الاتفاق على دين الحق، ولكنه مكّنهم من الاختيار الذي هو أساس التكليف، فاختار بعضهم الحق وبعضهم الباطل فاختلفوا، فلذلك قال (ولا يزالون مختلفون إلا من رحم ربك) إلا ناساً هداهم الله ولطف بهم فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه، (ولذلك خلقهم)... يعني: ولذلك من التمكين والاختيار الذي كان عنه الاختيار خلقهم، ليثيب مختار الحق بحسن احتياره، ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره.
(4) ابن هشام، السيرة النبوية 2:149.
(5) ابن سعد، الطبقات الكبرى 1:357 ـ 358.
(6) المصدر السابق 1:289.
(7) المصدر السابق 3:339.
(8) وانظر كذلك كتابي: «نحن والعصر: مفاهيم ومصطلحات إسلامية» الفصل الثاني عن الأقليات في الإسلام، من: 39ـ54، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1998.
(9) مجلة الوطن العربي، العدد 1076 بتاريخ 17/10/1997.
(3) صدر سنة 1996.
(4) ص 11.



المنطلقات والأهداف

❖ تنمية المدارك وترسيخ الوعي الإسلامي على مختلف المستويات وفي مختلف الساحات.

❖ السمو بالعمل الثقافي عن محدودية التناول وسطحية المعالجة.

❖ تحفيز العقل العربي والإسلامي للإبداع من خلال تناول قضايا الواقع الثقافي والفكري بالطرح الجريء والتحليل العميق.

❖ عرض المادة العلمية بأسلوب يتوخى الصحة والدقة في تحديد المفاهيم ومخاطبة العقل وتقديم الحقيقة واضحة دون لبس أو غموض.

❖ التواصل مع المنتج الثقافي للحضارات والتعامل مع المستجدات الفكرية والثقافية.

❖ تتبع الظواهر الثقافية الدينية الإيجابية منها والسلبية بالعرض الواضح والنقد العلمي بهدف الوصول إلى الحقيقة المجردة.

❖ التأكيد على دور الدين في المجتمع والحياة، وكشف أساليب استغلاله لتحقيق أهداف ذاتية أو سياسية.

❖ الالتزام بأسس العقيدة وثوابت الدين في المعالجات الثقافية والفكرية.

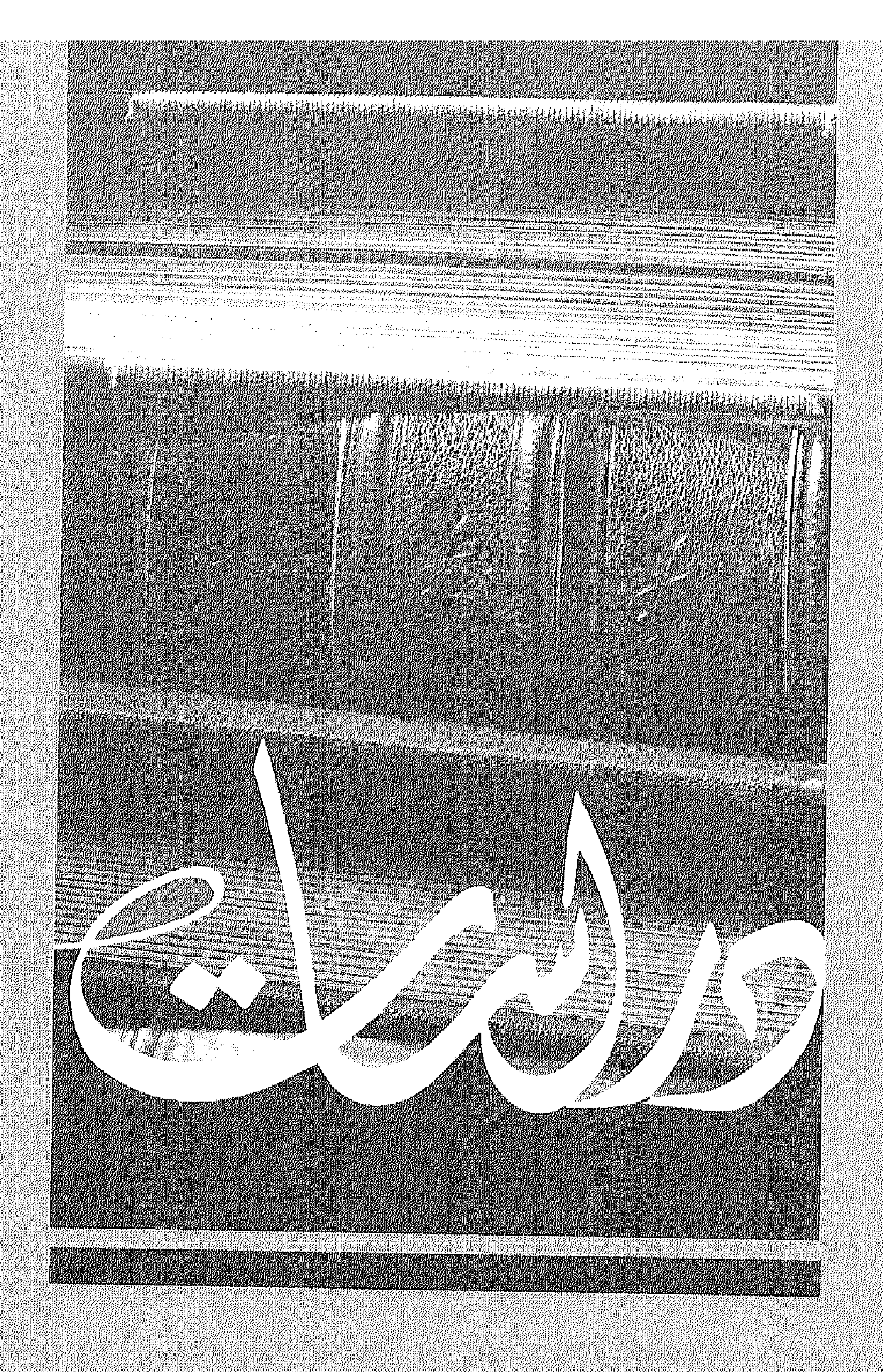
❖ تجديد الوعي الإسلامي وتنمية الروح الديني النزيه.

❖ الابتعاد عن المجاملة والإطراء ومخاطبة النفس والحماس المفرط للذات.

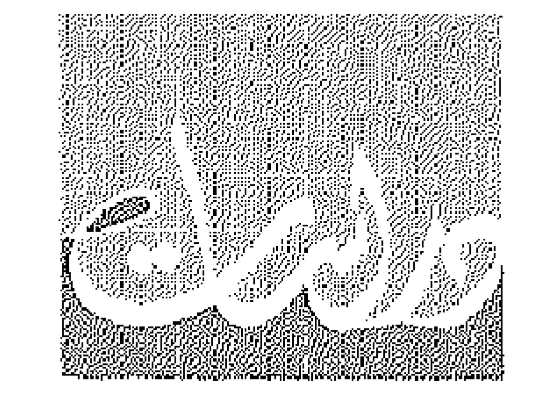
❖ الالتفات إلى عيوب النفس ونقد الذات دون تشهير أو إحباط.

❖ عرض وتناول القضايا الفكرية والثقافية والاجتماعية التي تخترق الواقع المعيش وتهزه.

❖ الانتصار للحق والالتزام به.



❖ مكانة تحفيظ القرآن الكريم في المجتمع التشادي المعاصر



مكانة تحفيظ القرآن الكريم في المجتمع التشادي المعاصر

د. محمد صالح أيوب*

يتناول هذا البحث الأساس الذي تقوم عليه حياة المسلمين في تشاد، وهو تعليم القرآن الكريم، وقد تطلّب تناول هذا الموضوع الرجوع إلى المصادر التي تناولت وصول القراء والقراءات إلى إفريقية، والرواد الأوائل لتحفيظ القرآن الكريم، والوصف التقديري لمؤسسات تحفيظ القرآن الكريم في البادية والريف والحضر، ثم شرح مراحل النظام التعليمي المتكامل للمسيج القرآني، وطرق الحفظ المتنوعة، والقواعد المساعدة على الحفظ، ومساهمات بعض الحفظة المعاصرين في تطوير القراءات، وأخيراً حاولت الدراسة تلمس أثر مؤسسات تحفيظ القرآن الكريم في المجتمع.

أولاً: وصول القرّاء والقراءات إلى إفريقية:

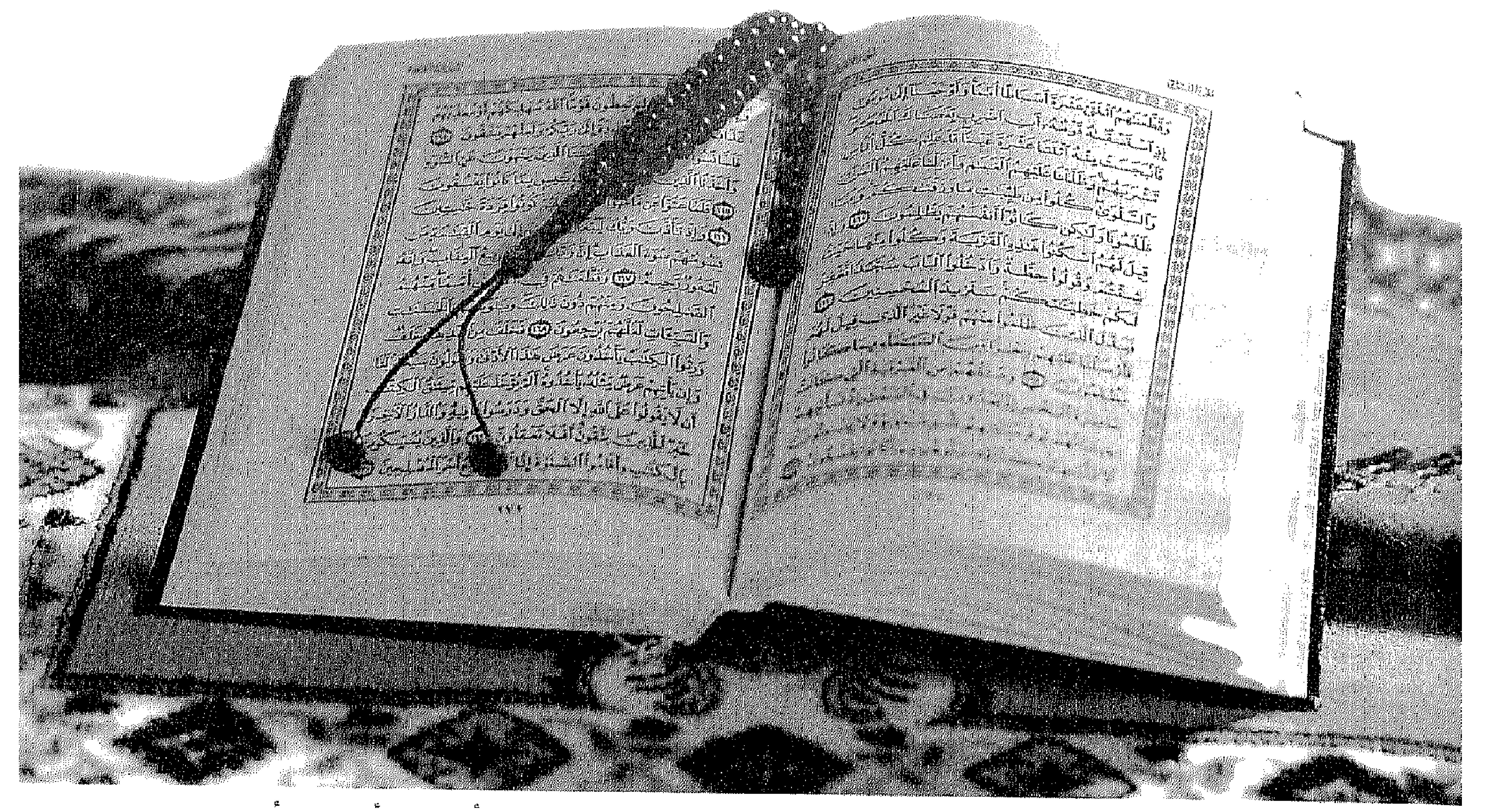
رغم ثبوت العلاقة بين انتشار الإسلام، وعمليات تحفيظ القرآن الكريم في جميع البلدان التي وصلها نور الإسلام، إلا أن الاهتمامات المتزايدة بتحفيظ القرآن الكريم إلى درجة وصول القرّاء والقراءات، تختلف من قطر لآخر.

وحول تواصل الاهتمام بتحفيظ القرآن الكريم بقراءاته الإفريقية، هناك محاولة علمية رائدة تمّت في جامعة القيروان بعنوان «القراءات بإفريقية» للباحثة هند شلبي، وضحت فيها بتتبع دقيق وصول الصحابة الذين يحفظون أجزاء من القرآن الكريم إلى الذين يحفظون الكثير، إلى أن وصلت إلى من وصل إلى إفريقية من القرّاء، ثم تتبعت وصول الأجزاء المكتوبة في الحوامل المختلفة للمصحف الشريف، حتى انتهت بمن أوصل المصحف كله مكتوباً إلى أفريقية، ثم ركزت بحثها على أول من أقام حلقة لتحفيظ أجزاء من القرآن الكريم، وإلى من تصدى لتحفيظ القرآن كله، لأعداد كبيرة من أهل إفريقية، إلى أن وصلت ببحثها إلى أهل القراءات المشهورة في إفريقية، وكيفية انتشارها، وبالتحديد قراءة الإمام نافع، وكيفية رسوخها في إفريقية إلى نهاية القرن الخامس الهجري، وضربت أمثلة عديدة بالرواد الأوائل من الأفارقة الذين تولوا مهمة نشر هذه القراءة برواياتها وطرقها المعروفة[1].

والدراسة العلمية الثانية التي أصّلت لوصول الاهتمام بتحفيظ القرآن وانتشار القراءات في

* عميد كلية اللغة العربية / جامعة أنجمينا - تشاد

1. شلبي، هند: القراءات بإفريقية من الفتح إلى منتصف القرن الخامس الهجري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1983م ص ص 267-276.



إفريقية، هي الدراسة الموسعة للدكتور محمد المختار ولد أباه تحت عنوان: «تاريخ القراءات في المشرق والمغرب» والتي تولت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة نشرها مشكورة عام 1422هـ.

وخلاصة رأيه أنه في الفترة التي كانت حركة جمع القرآن متواصلة في المدينة المنورة في عهد الخليفة عثمان بن عفان، فتحت إفريقية على يد عبد الله بن سعد أبي السرح سنة (27هـ) في حملة اشترك فيها آلاف الصحابة من بينهم مجموعة من القرّاء، كان منهم عبد الله بن عباس وابن عمر، وابن الزبير، فدخل أهل إفريقية في الإسلام ومعهم كتاب الله العزيز. كانت بعد ذلك الحملة الأولى التي قام بها عقبة بن نافع الفهري منتصف القرن الأول، وشارك فيها عدد من قرّاء الصحابة الذين أسسوا رباطات الجهاد، ويذكر أن تلاوتهم لكتاب الله تسمع كدويّ النحل، ثم تلتها مسيرة ثانية لقبة الفاتح وفيها اصطحب معه خمسة وعشرين من الصحابة عُرف منهم أبو منصور الفارسي القارئ والد يزيد بن أبي منصور التابعي الجليل، ولقد توفي أبو منصور في إفريقية، وخلف بنين أوصاهم أن لا يملأوا صدورهم بالعشر، وأن لا يتركوا القرآن، لأنه دليل إلى الله. واستمرت بعد ذلك البعثات القرآنية من حاضرة الخلافة الإسلامية إلى إفريقية، وكانت البعثات تضم مجموعة من المتخصصين في تعليم القرآن والقراءات إلى أن تأسست مدرسة القيروان في القراءات ورسخت فيها قراءة الإمام نافع على يد ابن خيرون حتى صارت القراءة الرسمية. وابن خيرون هو اصل التحقيق في الأداء من ورش[2].

ثانياً: الروّاد الأوائل لتحفيظ القرآن الكريم حول بحيرة الشط (تشاد):

أوردنا في فقرات سابقة من هذه الدراسة أن تاريخ وصول الدعوة الإسلامية حول بحيرة الشط يرجع إلى وصول طلائع عقبة بن نافع الفهري إلى جبال كوار شمال البحيرة في القرن الأول الهجري السابع الميلادي، ومع الإسلام جاءت بعثات تعليم القرآن الكريم والقراءات.

ولكن نظراً لعدم الاهتمام الكافي بالمخطوطات

2. ولد أباه، د. محمد المختار: تاريخ القراءات في المشرق والمغرب، منشورات الايسيسكو، الرباط، 2002/1422هـ، ص ص 186ـ189.

الإسلامية في هذه المنطقة، فإن المعلومات عن الرواد الأوائل الذين قاموا بتعليم القرآن الكريم محدودة، إلى أن نصل إلى القرن الحادي عشر الميلادي من (479ـ549هـ) الموافق (1085ـ1094م) حيث اتضح من مرسوم ملكي أصدره سلطان دولة كانم عام (480هـ ـ 1086م)، للمعلم محمد بن ماني نظير تعليمه للملك حمى جمي عدداً من سور القرآن الكريم، وجهوده التي بذلها في نشر القرآن والعلوم الإسلامية بالمملكة، وينص المرسوم الذي يسمى (بالمحرم) على منح السلطان لمعلمه محمد بن ماني امتيازات عديدة تقديراً له وإقراراً واعترافاً بفضله، وشرح المحرم الجهد الذي بذله المعلم ابن ماني والتوفيق الذي أصابه في العمل مع السلطان (حمى جمي أو محمد بن عبد الجليل بن عبد الله) في نشر الدين الإسلامي إلى خارج حدود برنوح ليبقي الإسلام إلى يوم الدين، وفي جزء من هذا المرسوم يضع السلطان في عنقه ديناً لمعلمه الأول محمد بن ماني الذي أخذ عليه قراءة القرآن والرسالة وتعاليمها السمحة لا بد من الوفاء به، فجعل أرواح وأملاك محمد بن ماني وذريته من بعده في حصانة تامة، بحيث لا يصح المساس بها إلى يوم القيامة. واختتم المرسوم بتحذير منه وتخويف شديد لكل من تحدثه نفسه بالتلاعب وتغيير بنود هذا المرسوم الملكي[3].

ويبدو أن ملوك وسلاطين كانم ـ برنوح قد حافظوا على وصايا أبيهم وجدهم، حيث وجد في مخطوط متأخر أن الإمام احمد بن فرطوا الذي عمل مع السلطان إدريس الومة سلطان كانم ـ برنوح يشير إلى أنه من قبيلة محمد بن ماني وانتهى من تأليف كتابه يوم الجمعة 9 جمادى الآخرة 1269هـ[4].

وينتظر الدارس لتراث رواد القرآن الكريم نحو خمسة قرون لتسعفه المخطوطات بآثار لمعلمي القرآن الكريم، حيث تكثر المعلومات عن الشيخ جامع الملقب بالصالح والصليح في دار وداعة في المنطقة الشرقية لتشاد الحالية.

وقد بدأ الداعية جامع ولد عبد الكريم مؤسس سلطنة دار وداعة العباسية حوالي 1611 ـ 1632م دعوته من قرية قريبة من جبل (فسل) ولم يستجب له أحد، ووصل إلى قرية مجاورة اسمها (بكس) وكانت كسابقتها، ثم انتقل إلى قرية أخرى تسمى (مولون) قريبة من بلتن، فاستجاب لدعوته نفر قليل. وبعد ذلك شرح لهم كيفية حفظ القرآن ابتداءً من فاتحة الكتاب، ثم أسّس لهم مسجداً (مسيجاً) ثم ارتحل إلى قرية أخرى، وترك في كل قرية من يقوم بتحفيظ القرآن الكريم، ويتخير أن يكون كبيرهم (أمامهم) ممن حفظ القرآن حفظاً جيداً لا خلط فيه ولا تحري ليستطيع أن يقوم بالواجب المعلق على عاتقه. وهكذا انتشرت الدعوة عن طريق تحفيظ القرآن الكريم، مما جعل قبائل دار وداعة تقرأ القرآن الكريم قراءة جيدة كما أُنْزِل لأن الملقّن كان عربياً فصيحاً، وكان شديد الحرص على تلقين القرآن لهؤلاء الناس الذين لهم لهجات خاصة بهم، وقد أمرهم أن يعلموا أولادهم بلغته العربية خوفاً من انحراف اللسان، ثم انتقل الداعية جامع إلى قرية قريبة من جبل أب طيور (أب طيور)، وأسس مسجداً (مسيجاً) لتحفيظ القرآن لأطفال القرية كما هو دأبه في بث الدعوة في كل قرية يحل فيها، إلى أن وصل بدعوته إلى قرية (دنبه) واستقر فيها لمدة تقرب من تسع سنوات حتى إنَّ بعض الناس قد حفظوا القرآن حفظاً جيداً[5].

---

3. السراج، زين العابدين عبد الحميد: دولة كانم الإسلامية، (رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، غير منشورة 1975م) ص ص 61ـ63.
4. ابن فرطوا، الإمام احمد: أخبار السلطان إدريس الومة، المطبعة الأميرية، كنو، 1930م، ص 129.
5. أيوب، د. محمد صالح: الدور الاجتماعي والسياسي للشيخ عبد الحق السنوسي الترجمي في دار وداي (تشاد)، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 2001م، ص ص 124ـ130.

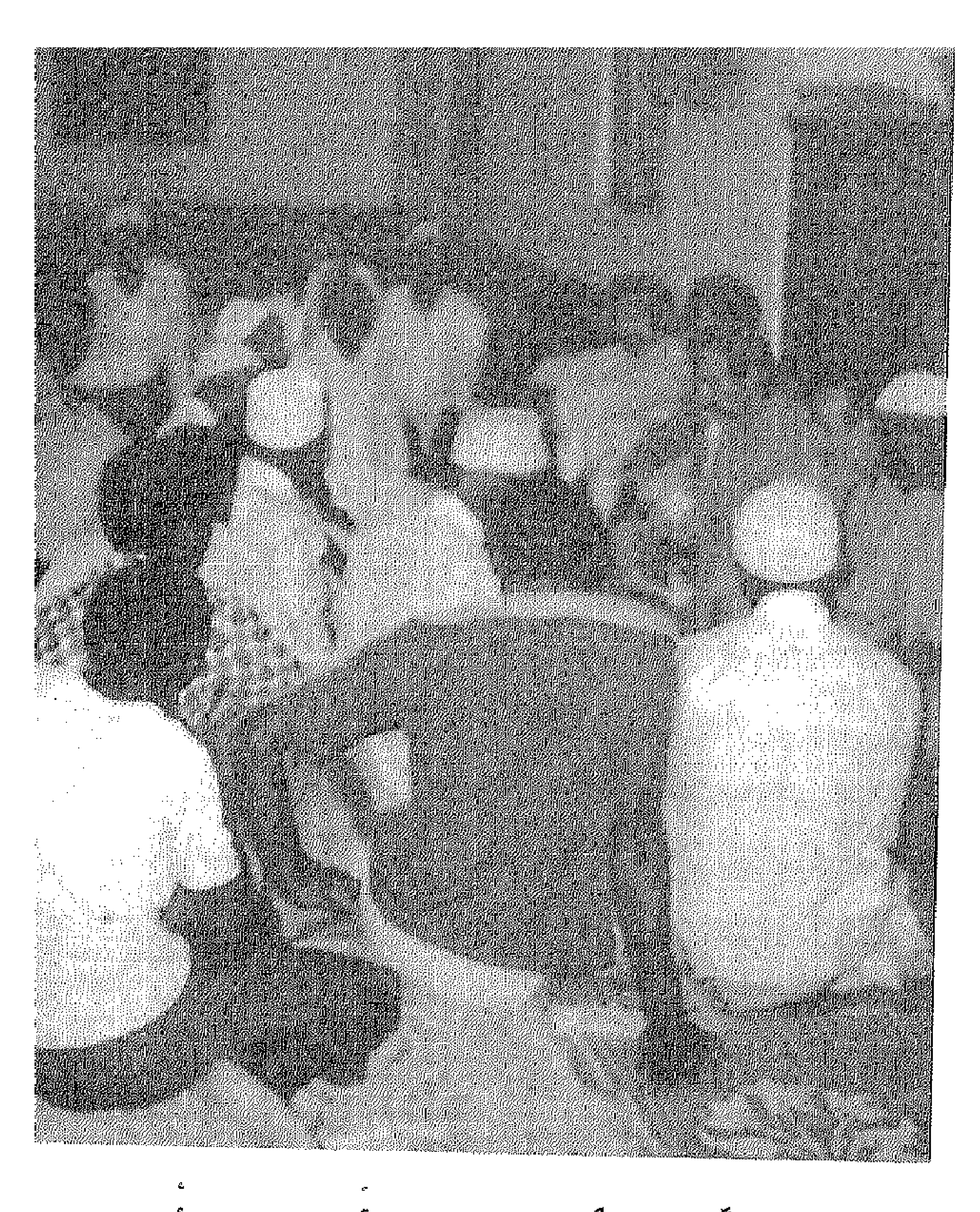
ويتذكر الباحث أنه حضر مع فضيلة الدكتور عبد الله بن علي بصفر، الأمين العام للهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم، حفل تخريج (41) حافظاً من خلوة دار السلام، القريبة من عاصمة مملكة دار وداعة حيث ألقى شيخ الخلوة كلمة أشار فيها إلى أن منطقتهم كانت تسمي بلاد القرآن، من كثرة تلاوة القرآن الكريم فيها وكثرة حفاظه. وكان شيخ الدار يشير إلى مسيرة تحفيظ القرآن الكريم التي بدأها الشيخ جامع والتي أتمها ابنه عبد الكريم بن جامع الذي قاد دعوة لتصحيح الإسلام في المنطقة حتى سمِّي بمجدد الإسلام، وأقام دولة حكّمت شرع الله في العباد، واستمر سلاطين دار وداعة على هداه إلى وصول طلائع الاستعمار الفرنسي، وقد وجدوا سلطنة إسلامية قوامها القرآن الكريم ويقودها العلماء، وهذا ما جعل الفرنسيون يرتكبون الجرائم بذبح العلماء وحفاظ القرآن الكريم في عدد ممن المواقع أهمها موقعة (الكبكب) عام 1917م محاولة منهم للحدّ من تأثير العلماء والحفاظ على المجتمع.

ثالثاً: الوصف التقريري لمؤسسات تحفيظ القرآن:

هناك مداخل متعددة للوصف التقريري لمؤسسات تحفيظ القرآن الكريم في تشاد، والباحث يختار منها المدخل الاجتماعي الذي يحاول دراسة مؤسسات تحفظ القرآن باعتبارها أحد مكونات البناء الاجتماعي للمجتمع، وتختلف صور مؤسسات تحفيظ القرآن الكريم باختلاف نمط الحياة الذي يعيشه السكان، ولهذا سنقتصر في وصفنا التقريري الحالي على ثلاثة أنماط هي:

أ - مسيج البادية:

يُفَضِّل معظم أهل البادية في تشاد أن تكون بداية المسيج عندهم، برجوع أحد أبنائهم من المهجر حافظاً للقرآن الكريم، ومن ثمّ يكون من حقّه أن



يؤسس مسيجاً مستقلاً به، فيستقبله أهل الفريق أو الفرقان في البادية بالاحتفالات الكبيرة للاحتفاء به تقديراً للجهود التي بذلها في رفع رأسهم بالصبر على حفظ القرآن والابتعاد عن الأهل والبلاد لمدة لا تقل في الغالب عن عشر سنوات وقد تزيد، - ومن العادات المرعية في مثل هذا الاستقبال، أن يكرم الحافظ من قبل شيخ القبيلة أو كبير الفريق أو ما يسمى بالشيخ الصغير، بأن يوجه أفراد مجموعته بأن يُزَوِّجَ القوني الجديد في المرة الأولى هذه من أفضل بنات البادية، هذا إذا لم يزوج مباشرة من التي كانت مدفوعة له منذ أن كان في المهجر لحفظ القرآن، على أن يتكفل والد العروسة أو الشيخ أو من يأمره بسداد جميع تكاليف الزواج. ولا تكتمل هذه الاحتفالات بالحافظ الجديد قبل أن يدفع بعض أفراد البادية أولادهم إلى القوني الجديد لتعليمهم القرآن الكريم، فيكونون النواة الأولى للمؤسسة الناشئة، وهذه المجموعة تحظى بعناية خاصة من قبل المعلم حتى بعد أن يكثر

التلاميذ في مسيجه وقد يكافئهم على ذلك بأن لا يجلبوا الحطب أو الماء للمسيج مثلاً، ولهم الأولوية بطبيعة الحال - إذا بذلوا الجهد الكافي في الحفظ بأن يرأسوا المنضَمينْ الجدد إلى المسيج.

ومن عادات مؤسسات تحفيظ القرآن الكريم في البادية، أن لا يبدأ التعليم في المسيج الجديد إلا يوم الأربعاء، والحكمة في ذلك هو الأخذ بيد التلاميذ بالتدرج لفهم طبيعة المؤسسة الجديدة، حيث يلي يوم الأربعاء العطلة الأسبوعية في المسيج، ولا تستأنف القراءة عندهم إلا بعد ظهر يوم الجمعة.

والبداية في تحفيظ القرآن الكريم في البادية غالباً ما تكون تلقين السور القصار، ويركز على النطق السليم للآيات مقطعة، ثم تجمع اثنان اثنان، ثم يجمع بينها، إلى أن تكتمل السورة. ومعظم الحفظة الجدد يشددون - خاصة في المجموعات الأولى - على أن يكون الحفظ متيناً، وأن يعرض لمرات عديدة لتثبيته في ذهن التلميذ من ناحية، ولإثبات جدوى المسيج الجديد من ناحية أخرى، فالتلاميذ الجدد يرددون ما حفظوه على أفراد أسرهم باستمرار، ليثبتوا أنهم نجحوا في بداية مسيرتهم، وليؤكدوا بأنهم قطعوا الشوط الأول في مسيرتهم للوصول إلى التقدير والتشريف الذي لاحظوا أن معلمهم الجديد يحظى به لدى أفراد القبيلة.

ثم تبدأ بعد ذلك عمليات تعليم الكتابة وقواعد الإملاء الخاصة بحفظ القرآن، وهو ما سنشرحه لاحقاً في فقرة النظام التعليمي الخاص بمؤسسات تحفيظ القرآن الكريم.

ومن مميزات المسيج في البادية ظاهرة المهجر، وهي ظاهرة تتمثل في ابسط صورها بأن يأخذ المعلم تلاميذه ويتحول بين الفرقان والبوادي، وهذه العملية تتم لأسباب مختلفة؛ فقد تكون لأسباب دعوية وتعليمية حيث يأخذ بعض المعلمين على عاتقهم أن يتنقلوا بين أهل البادية لتوعيتهم وتعليمهم أمور دينهم وحضهم على إرسال أولادهم لحفظ القرآن الكريم، ولكن قد يصاحب هذه العملية، ترصد وقبول للزكوات والصدقات والهبات، وطلب لبعض الخدمات مثل قراءة القرآن الكريم لبعض القادرين، وبالتالي قد يرجع المعلم من بعض الرحلات بمكاسب مادية في شكل مواش أو غيرها، وقد تدفع له زوجة جديدة، وفي هذه الحالة لا يشترط أن تكون من علِّيَة القوم ولا من أجمل نساء الفريق أو البادية، بل الغالب أن تكون من النساء العاديات أو معوقة أو عانس.

ويصاحب ظاهرة المهجر في البادية بحث المهاجرين (التلاميذ الصغار) عن الصدقات، ويتضمّن القيام بتأمين الغذاء لجماعة المسيج من جمع الصدقات من البيوتات المجاورة، وغالباً ما تكون مما تجود به ربة المنزل، ومن فضلات موائد الرجال، ومن الملاحظ أن عملية المهر لا يقوم بها التلاميذ الصغار إلا حينما يبتعد بهم المعلم عن أسرهم.

ومن أسباب المهجر أيضاً استكمال المعلم حفظه أو طلب بعض علوم ضبط الآي والرسم والشكل، وبالتالي يسعى المعلم للبحث عن متخصص في مثل هذه العلوم ويتابعه في البادية أو يذهب إليه في قرية أو مدينة، ويسكن بجواره، على أن يتحمل تلامذته الصغار البحث عن الطعام والماء والحطب، وهي عمليات متعبة وتأخذ وقتاً كبيراً من زمن التلاميذ، وهو ما يزيد مدة حفظهم للقرآن الكريم، وبعدهم عن ذويهم.

ومن التقاليد المتبعة في مسيج البادية الاهتمام الشديد بعملية «الشرافة» ويسمونها كرامة في بعض المناطق، وهي في الغالب عبارة عن ذبيحة يذبحها أهل التلميذ حينما يصل إلى سورة معينة من سور القرآن الكريم، ورغم اختلافها من بادية إلى أخرى، إلا أن حفظ سورة الفاتحة غالباً ما يتطلب ذبح شاة أو دجاجة كبيرة، ثم تعلو الذبيحة كلما حفظ التلميذ سوراً أطول، مثل شرافة البينة والأعلى، ويركز على

شرافة ياسين، ومريم، أما الختمة فشرافتها أو كرامتها في الغالب كبيرة، مثل ذبح ثور وعمل وليمة كبيرة وتقديم هدايا كبيرة من والد التلميذ إلى المعلم لا تقل عن البقرة أو الناقة أو شياه عديدة، وبعض الملابس للمعلم وأسرته، ونظراً لأهمية مراعاة هذا التقليد قد يرجع المعلم بالمهاجرين من مكان بعيد إلى ذويهم لإتمام هذه المراسم خاصة إذا كان أهلهم من المستطيعين، أما في حالة الأسر العادية، فقد تتم عملية الشرافة في المهجر، وعندها على التلميذ أن يطلب من أهل البادية المجاورين له أن يعملوا له الشرافة، ويعتز بعض البدو بهذه العملية، ويستبشرون بها، خاصة حينما يخبرهم بعض المعلمين أن تكريمهم للتلاميذ وعمل الشرافة نيابة عن ذويهم يعد مشاركة لهم في أجر الدفع بأولادهم لطلب القرآن الكريم.

ونظراً لندرة التعليم في البادية فإن حافظ القرآن الكريم ومتعلميه يحظون بمكانة هامة لدى أفراد أسرهم، توقعاً منهم أن حافظ القرآن يدعو إلى حفظ جميع أفراد أسرته من المصائب في الدنيا ويشفع لهم في الآخرة، ويقبل الله منه الدعاء في طرح البركة في المال والأعمال، وبناء على هذه المكانة العالية التي يحظى بها أهل القرآن في البادية، فإنه الناس هناك يرجعون إليهم في الكثير من شؤون حياتهم اليومية فيستشارون من قبل الشيوخ (شيوخ القبائل) في الأمور السياسية الهامة، ويرجع إليهم في الصلح بين المتخاصمين وحل النزاعات والفصل في الأمور الدينية. والخلاصة أنه يندر أن نجد نشاطاً من أمور الدين والدنيا في البادية ليس لمعلم القرآن وتلامذته أثر فيه.

أما مكان المسيج في البادية، فقد يكون منزل المعلم أو الفقير، وفي البوادي الكبيرة نوعاً ما، يوضع المسيج وسط البادية، ويبني له بيت كبير من المواد المتاحة للبيوت في البادية، وبجواره مساحة كبيرة تخصص للتلاميذ، ومساحة أخرى لأداء الصلاة جماعة، وهذه المساحة نفسها تستغل لعقد الاجتماعات في البادية، ومكان لتناول الطعام جماعة، ولاستقبال الضيوف، وغير ذلك من الخصائص التي ستظهر بشكل أوضح في مسيج القرية.

ب - مسيج القرية

- يتميز مسيج القرية عن مسيج البادية بأنه مستقر، فمن الملاحظ على القرى التشادية المسلمة ندرة وجود قرية بدون مسيج، إن لم يكن الأساس الذي تبنى عليه القرية قبل أي شيء آخر.

❖ المسيج في القرية ليس مقتصراً على تحفيظ القرآن الكريم، بل يتعداه إلى أن يشكل رمزاً لقيادة القرية، فشيخ المسيج هو إمام القرية في الصلاة الجامعة، وعلى يديه يتم حل معظم الأمور الدينية.

فالمسيج في القرية ليس مقتصراً على تحفيظ القرآن الكريم، بل يتعداه إلى أن يشكل رمزاً لقيادة القرية، فشيخ المسيج هو إمام القرية في الصلاة الجامعة، وفي المسيج وعلى يد شيخه يتم حل معظم الأمور الدينية، ويستشار في معظم الأمور الدنيوية، ويحوي المسيج في القرية، سكن لجميع التلاميذ، ينامون فيه، وإن كانوا يأكلون عند ذويهم، خاصة أولاد القرية، ومكان للطعام الجماعي، وعلى جانبيه أو بقربه أجنحة لسكن الشيخ وبعض نوابه في التعليم، وبالمسيج أماكن لاستضافة الضيوف وعابري السبيل، وَحَوْلَ المسيج تقام أنشطة أخرى مثل عرض البضائع التجارية والاعلان عن المفقودات، وساحة للمناسبات الاجتماعية مثل عقد الزيجات وإقامة المآتم.

ونظراً للظروف المحيطة بطبيعة المسيج في القرية، وكثرة المتعلمين للقرآن الكريم نسبياً إذا ما

فيسوا بالبادية، فإن شيخ المشيج توفر له الإمكانات المادية من قبل أهل القرية والخدمات التي يؤديها له تلاميذ المسيج بشكل مستمر أكثر من شيخ المسيج في البادية، في الوقت نفسه الذي تدفع عنه غالباً تكاليف الزواج الأول، ومن الممكن أن يكون مرتباً على أن تكون من أجمل بنات القرية وربما بنت الملك أو السلطان نفسه أو من يقوم مقامه، وهذه هي حال المتميز من الحفظة، أما عامة قرّاء القرآن الكريم فقد يقبلون من تدفع لهم من النساء والغالب أن تكون من عامة الناس وقد تكون معوقة جزئياً أو ثيب أو عانس، وهذه عملية ينظر إليها المجتمع القروي باعتبارها مظهراً من مظاهر التكافل والتضامن الاجتماعي، وخدمة يقدمها قرّاء القرآن الكريم في قبول التقرّب من الأسر والفئات الاجتماعية بغض النظر عن الفوارق الاجتماعية، وبالإضافة إلى ذلك تدفع إلى شيخ المسيج وتلامذته جميع الزكوات والصدقات، على اعتبار أنَّ أهل المسيج من الفقراء. ومن هنا شاع هذا الاصطلاح عن معلمي القرآن الكريم، بالإضافة إلى معلم «ملومة» وسيدنا وشيخ، أما مصطلح «قوني» فسنوليه عناية خاصة في فقرة قادمة[6].

ج) مسيج المدينة

هناك نوعان من المسيج في المدينة؛ الأول هو المسيج العام ويشمل عدداً كبيراً من التلاميذ يلتفون حول معلم أو شيخ واحد أو مجموعة من المعلمين يرأسهم حافظ واحد على الأقل، يتخذون من منزل الشيخ أو المقرئ مكاناً للقراءة وقد يختارون ظل شجرة كبيرة أو أي مظلة كبيرة في ساحة من ساحات الحارات، بل يلاحظ وجود المسيج العام في المدينة في جانب مناسب من جوانب الطريق العام، ويغلب على تلاميذ مثل هذه المؤسسات أن يكونوا من سكان الحارة، يأتون لحفظ أجزاء من القرآن الكريم في أوقات معينة من النهار أو الليل، ومن هنا فإن علاقة أولياء أمور التلاميذ بشيخ المسيج في المدينة ليست بنفس القوة والتأثير عليهم كما لاحظناه في مسيج البادية والقرية، فالعلاقة بين معلم المسيج وأهل الحارة قد لا تتجاوز الالتزام بدفع بعض الرسوم الشهرية، إلا إذا كانت لشيخ المسيج أدوار أخرى يؤديها في الحارة مثل إمامة الناس في الصلاة، فهذه قد تتضمن الالتزام ببعض الهدايا، والأولوية في بعض الصدقات مثل زكاة الفطر وغيرها، ولا يبحث التلاميذ في مسيج المدينة العام عن الصدقات، لأنهم يعيشون مع أهلهم، أما إذا وجد من بينهم من هم ليسوا من سكان المدينة أو ما يسمون عامة بالمهاجرين فنلاحظ فيهم ظاهرة جمع الصدقات، ومنبع هؤلاء المهاجرين هو البادية في الغالب، ويحضرون مع شيوخهم الذين يريدون إتمام تعليمهم مع المشائخ الكبار، وبالتالي يقومون بقيادة مسيج تعليم الأطفال القرآن الكريم فيجدون منه ما يسد رمقهم (الرسوم) ويبحث تلامذتهم عن الصدقات، وقد يقومون ببعض الأعمال التي تجلب دخلاً يكون لشيخهم منه نصيب، وبذلك يتأخرون في تعلّمهم للقرآن الكريم ويقضي المهاجر منهم وقتاً طويلاً قبل أن يحفظ أجزاء من القرآن الكريم ناهيك عن حفظ القرآن كله.

ولا توجد فئة من فئات تعليم القرآن الكريم تحتاج إلى معالجة واهتمام خاص مثل فئة المهاجرين في المدن التشادية فكفالة معلمهم لا ترفع عن كاهلهم أعمال جمع الصدقات التي لا تليق بطالب القرآن أصلاً، ولا الأعمال الشاقة الأخرى التي تأخذ الكثير من وقتهم، وتعرضهم للاحتكاك بفئات اجتماعية منحرفة، تجعل من احتمال تأثرهم بهم أمراً متوقعاً،

6. الدكو، د. فضل كلود: الثقافة الإسلامية في تشاد، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1998م ص ص 195ـ200.

ولذلك يكثر في المدينة فرار المهاجرين من معلميهم، ويعلن المعلمون عن هذا الفقدان في البلاغات العادية في الإذاعة المسموعة التشادية. وهناك أسباب عديدة لهذه الظاهرة؛ أهمها تأثر التلاميذ بأجواء المدينة التي يكثر تجوالهم فيها سواء في عملية جمع الصدقات أو العمل، وارتفاع قيمة الضريبة التي يجب أن يحضرها التلميذ إلى شيخه نهاية كل يوم، والاستفادة من أنظمة التعليم الأخرى المتاحة في المدينة.

ولا تطبق إلا تقاليد محدودة للمسيج في المدينة، فمن الممكن أن يبدأ التلميذ في أي يوم حضر فيه إلى المسيج، ومن الممكن أن يحضره والده أو أي فرد من أفراد الأسرة وفي بعض الأحيان يحضر التلميذ بنفسه، ولا اهتمام شديد بالعطلات مثل العطلة الأسبوعية أو عطلات الأعياد. ومن الممكن أن يبدأ التلميذ على اللوح، ولكن من الممكن أن يقرأ من المصحف، وهذه عملية من الصعب أن يصل إليها التلميذ في القرية أو البادية إلا بعد أن يجتاز مراحل معينة، كما سنشرح ذلك أثناء حديثنا عن النظام التعليمي في المسيج.

ولكن أهم ما يميز خلوة المدينة هو العدد، فمسيج المدينة العام يكثر فيه التلاميذ فمتوسطه من مائة فما فوق ويصل بعضها إلى 350 تلميذاً، ولهذا قلناً إنّ المعلم يختار مساعدين له ليقوموا بمتابعة هؤلاء الطلاب في شكل مجموعات صغيرة، وإن كان على الجميع أن يمرّوا على الشيخ لمعرفة التقدم الذي أحرزوه في الحفظ، ويصدر بشأنهم التوجيهات المناسبة.

أما النوع الثاني من مسيج المدينة فهو المسيج الخاص، وخلاصته أنَّ رب الأسرة الكبيرة في المدينة يعتبر أن من أهم مكونات المنزل المحترم أن يحوي مسيجاً لتعليم القرآن الكريم، فيختار لقيادة هذا المسيج اكثر من يجده حفظاً للقرآن الكريم، وقد يستشار في هذا الاختيار اكثر الناس معرفة بالقرآن الكريم «شيخ المشائخ» في المدينة، ويفضل أن يكون رئيس المسيج الخاص أو مسيج الأسرة من الحفظة، ولكن من الممكن أن يقبل من هو اقل من الحافظ في ظروف معينة.

ومن التقاليد المرعية في مسيج الأسرة، أن الشيخ يتم التعريف به لمعظم أفراد الأسرة قبل أن ينتقل إلى المنزل، وهذا يعني إن معظم الذين يفتحون مثل هذه المؤسسات لتحفيظ القرآن الكريم، يخصصون أجنحة من مساكنهم لسكن شيخ المسيج، ليكون قريباً من التلاميذ من ناحية، ولتقديم بعض الخدمات إليه بطريقة مباشرة مثل السكن والإعاشة والملابس وجميع متطلبات الإقامة من ناحية أخرى.

❖ بعد استقلال الدولة التشادية الحديثة عن الاستعمار الفرنسي عام 1960م بدأت البوادر الأولى للاعتراف بالمسيج كمؤسسة تعليمية أساسية في نظام التعليم.

ورغم أن تقليد مسيج الأسرة وجدت له آثار في تاريخ تعليم القرآن الكريم في تشاد، خاصة في الممالك الإسلامية مثل كانم ـ برنوح، والبقرمية، ودار وداعة، وقد أشرنا إلى بعضها في فقرات سابقة، إلا أن انتشار هذه الظاهرة في الوقت الحاضر يثير الانتباه.

فيندر أن يخلو بيت رجل أعمال متوسط إلى كبير، وبيوت المديرين العامين والوزراء، من وجود مسيج داخل بيت الاسرة، ويلاحظ الاهتمام بمسيج الاسرة باعتباره أحد مكونات المنزل الكبير حتى لدى الأسر التي يتعلم معظم أبنائها باللغة الفرنسية. وحينما يستفسر منهم عن ذلك، يجيبون بأن مسيج القرآن هو الوسيلة الوحيدة المتاحة أمامهم لنقل الثقافة العربية الإسلامية إلى أجيالهم اللاحقة. وكان لهذا المسيج القرآني داخل الأسرة ذات الثقافة الفرنسية الأثر

الكبير في المحافظة على الهوية الإسلامية في مواجهتها للتأثير الفرنسي، فرغم التفوق الذي يبديه أبناء المسلمين في تشاد في التعليم الفرنسي إلا أن انتماءهم للإسلام يظهر في أي احتكاك مع الثقافة الفرنسية يمس الحضارة الإسلامية، وقد لاحظ جميع التشاديين ردود وزير التربية الوطنية، حينما تمّت مساءلته من قبل بعض البرلمانيين، من جدوى قرض ممنوح من البنك الإسلامي للتنمية ينص في بند منه على دعم المدارس القرآنية في تشاد وهي بلد علماني، حتى تجرّأ البعض بالإشارة إلى وجوب دعم المدارس الكنسية، إذا تمّ إقرار دعم المدارس القرآنية، بل إنّ بعض النواب شككوا في جدوى المدارس القرآنية، فدافع الوزير عن هذا البند بكل ما يستطيع إلى أن وصل إلى الاستشهاد بنفسه، وطرح عليهم السؤال التالي؛ هل تشككون بكفاءتي كوزير للتربية الوطنية، رغم أنني مررت بالمدارس القرآنية الخاصة، وتعلمت فيها في مرحلة من مراحل تعليمي[7]؟.

وحول اثر المسيج الخاص بالأسرة على جميع الطبقات حتى تلك التي تلقت تعليماً فرنسياً، يمكن الاستشهاد بظاهرة معرفة القراءة والكتابة العربية لديهم، وكل هذه العملية تمّت داخل المسيج، بدليل إن اغلبهم يكتب العربية باتجاه صدره، وليس من اليمين إلى اليسار كما هو العادة في الكتابة العربية. وهذه العملية الإملائية في الاتجاه من اليمين إلى الصدر أو البطن لا توجد إلا في المسيج ومستمرة إلى اليوم، وهي ظاهرة شائعة في معظم المثقفين بالعربية في تشاد، حتى إن الباحث بإمكانه أن يكتشف مكان تعلّم الطالب في المراحل من خلال اتجاه كتابته.

وهناك مظهر آخر للمسيج القرآني يكثر في المدينة رغم وجوده في القرية والبادية، وهو مسيج القوني، ومعظمهم يطلق عليه اسم «مدرسة القوني»، وتوصف بأنها عبارة عن تصحيح لألواح الطلاب الكبار نسبياً، والذين تجاوزوا مراحل معينة من حفظ القرآن، على الأقل أولئك الذين حفظوا أجزاء كبيرة، وإن لم يحفظوه بالكامل. ويختلف زمن جمع الألواح حسب عدد المترددين على المدرسة، فإذا كانوا كثراً، فقد يتم وصول الألواح مبكراً قبل بداية التصحيح، وفي الحالات العادية يحمل كل طالب لوحه إلى المدرسة بعد صلاة العصر، وأمام الشيخ أو من ينوب عنه دواة وقلم، فينظر هو ومن معه من الطلاب إلى اللوح ويقومون بتصحيح المتن والشكل والقواعد الإملائية وبإمكان أي حاضر أن يشير بيده إلى أي خلل في اللوح مهما صغر، أما العلوم المساعدة على الحفظ الأخرى، فمن حق الشيخ أو من ينوب عنه فقط الإشارة إليها، ووضعها في أول اللوح أو بين السطور أو في آخره، فلا يخرج اللوح من هذه العملية، إلا وهو مليء بالملاحظات والتعليقات والإشارات، والتي قد يقتضي الأمر الاستفسار عن بعضها في نهاية الدرس، وكلما كان صاحب الدرس أو من ينوب عنه بارعاً في معرفة القيود - (مفردها قيد) أو الحبال، وهي قواعد الضبط للمتشابهات في مفردات القرآن الكريم، كلما أدى ذلك إلى الرفع من مكانته بين الحفظة أو القواني وتلامذتهم، وبالتالي تكبر حلقته أو مدرسته، ولذلك قد تجد في قرية أو بادية أو حارة من حارات المدينة عدداً من الحفاظ أو القواني، ولكنك لا تجد إلا عدداً محدوداً من الذين لهم مدارس أو حلقات مثل التي وصفناها.

د) - المعاهد والمراكز القرآنية الحديثة

بعد استقلال الدولة التشادية الحديثة عن الاستعمار الفرنسي عام 1960م بدأت البوادر الأولى للاعتراف بالمسيج وأهميته كمؤسسة تعليمية أساسية في نظام التعليم العام في البلاد، وقد تكلّلت هذه

7. مساءلة وزير التربية الوطنية، عبد الرحيم بريمة حامد، أمام البرلمان التشادي، الميزانية المالية لعام 2002م.

الجهود بإصدار المرسوم الرئاسي رقم (1095) بتاريخ 19/04/1966م، والذي اعترف فيه رسمياً بعدد (12) من المدارس القرآنية في تشاد، وأقر المرسوم الدعم المالي الذي يجب على الدولة أن توفره لهذه المدارس القرآنية[8].

ولكن عراقيل الإدارة وطموح القائمين على هذه المدارس القرآنية، أدى بجزء كبير منها إلى الاتجاه نحو المدرسة الرسمية الحديثة، وتجاوز هذه المدارس لدورها، فحصل انفصام بين المسيج القرآني والمدرسة الحديثة وبتكوين اللجنة الإسلامية العليا للفتوى، بدأت المساعي لتنظيم معهد القراءات بأنجمينا ويرجع الفضل في ذلك إلى جهود الشيخ أبو اليمن عضو اللجنة الإسلامية العليا للفتوى الذي وضع اللبنات الأولى لمعهد القراءات، وهو الذي ساهم في ترتيب ابتعاث الأفواج الأولى من الحفظة «القواني» وإرسالهم إلى معاهد القراءات بالأزهر الشريف، لتلقي علوم القراءات على أحدث طريقة ممكنة، وبرجوع الرواد المحدثين للقراءات من التشاديين إلى الوطن، ونذكر منهم المشائخ القوني جبريل بركة والقوني يوسف إسحاق والقوني حسن عمر، والقوني طه عباس وغيرهم، تمّ تطوير فكرة إنشاء معاهد ومراكز لتحفيظ القرآن الكريم على أحدث طريقة، ولكن الوسائل المتاحة لم تسعف هذه الكوكبة من أن ينفذوا ما عزموا على إنجازه، فحافظوا على معهد القراءات بأنجمينا باعتباره المؤسسة الراعية لعرض القرآن الكريم حسب القراءات السبع أو العشر، ولكن المعهد تنقصه المناهج المنظمة والأطر الإدارية المسيّرة، وأهم إسهام لهذا المعهد تجسد في الصورة التي ينظم بها المسابقات الداخلية والخارجية لحفظة القرآن الكريم، وهو الجهة التي تتولى ترشيح جميع التشاديين من الحفظة للمشاركة في المسابقات الدولية التي تقام في جميع أنحاء العالم الإسلامي، مما عرَّف بمكانة القرآن الكريم في البلاد، والاهتمام الذي يوليه له المهتمون بأمور المسلمين.

وبتكوين المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية حوالى 1990م ظهرت أهمية إنشاء خلاوي نموذجية لتحفيظ القرآن الكريم، ولتطوير معين حدث في العمل الإسلامي في تشاد، ظهرت متغيرات جديدة تمثلت في دخول أعداد كبيرة من المهتدين الجدد في الإسلام والطلبات الملحة منهم بإرسال معلمين للقرآن الكريم، فجاء التفكير في إنشاء منطقة مخصصة لجمع عدد محدود من أبناء المهتدين وتعليمهم القرآن الكريم وشيء من العلوم الشرعية ثم إرسالهم إلى أهليهم وذويهم، دعاة ومعلمين يفهمون لغات وعادات وتقاليد مناطقهم، فينشرون القرآن الكريم بينهم، فأنشئت المدينة القرآنية بكرل، ونجحت الفكرة وحفظ عدد من المهتدين القرآن الكريم وقد اختبر القائمون بأمر المدينة قدرات طلابها في الدعوة بين أهليهم، فقاموا بإرسالهم في رمضان، فحصلت نجاحات كبيرة على أيديهم، وادخلوا أعداداً كبيرة في الإسلام وجلبوا معهم عدداً من المهتدين يطلبون حفظ القرآن في المدينة القرآنية بكرل.

واختار المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية قرية كرل التي تبعد عن العاصمة الشادية حوالى (130) كيلومتراً لتكون مقراً لهؤلاء المهتدين، لأنها منطقة ريفية زراعية لا تبعد إلا قليلاً عن بحيرة الشط وفي نفس الوقت قريبة من العاصمة وتسهل مراقبتها ومتابعتها، ومما ساعد على تطوير هذه المدينة كفالة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجميع الطلاب بالمدينة كفالة تضمن الإعاشة والسكن والرعاية الصحية والتعليمية. وجاء معهد طيبة لتحفيظ القرآن الكريم بمساعدة كبيرة من الهيئة العالمية لتحفيظ

8. جمهورية تشاد، قرار رئاسي، رقم (1095) بتاريخ 19/4/1966م.

القرآن الكريم، منذ أن كانت إدارة تابعة لهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية بالمملكة العربية السعودية، ويتميز معهد طيبة بأن نظامه التعليمي واضح ويربط الطالب الحافظ للقرآن بتأهيل وإعداد أكاديمي يساعده بأن يؤهل غيره من الحفظة أي أن ينشئ مؤسسة قرآنية حديثة. ويؤهل المعهد طلابه أيضاً لاستكمال تعليمهم الأكاديمي الثانوي والجامعي، وقد ترشحت من المعهد ثلاث دفعات إلى الثانوية العامة، والذين نجحوا من هذه الدفعات يواصلون تعليمهم الجامعي بجامعة الملك فيصل بأنجمينا، وقد رتبت جامعة الملك فيصل للأمين العام للهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم لقاء تعارفياً وتوجيهياً بهؤلاء الحفظة أثناء زيارته لكلية اللغة العربية بالجامعة، وحثهم فضيلة الأمين العام على اكتساب التعليم الجامعي الحديث مع المحافظة على كتاب الله تعالى.

وهناك دور ومراكز ومجامع لتحفيظ القرآن الكريم منتشرة في معظم المحافظات التشادية أبرزها قرية مبروكة لتحفيظ القرآن الكريم في سار، وهي قرية قرآنية متكاملة تحوي نحو أكثر (350) طالباً، وقد ساعدت الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم ببناء مظلة ومساكن ومسجد كبير لهذه القرية القرآنية، وقد تشرّفنا بمرافقة الأمين العام للهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم فضيلة الدكتور عبد الله بن علي بصفر أثناء زيارته وافتتاحه لمسجد القرية، وسعدنا بإمامة الأمين العام للمصلين في صلاة يوم الجمعية 25/ رجب 1422 هـ الموافق 12/10/2001م، وقد حضر هذه المناسبة جمع غفير من سكان مدينة سار قدموا خصيصاً لافتتاح المسجد الكبير بالقرية القرآنية، وتفقّد الأمين العام الحالة التعليمية بالقرية القرآنية، وساهم في إعاشة الطلاب بالقرية القرآنية، وتفقد الأمين العام الحالة التعليمية بالقرية القرآنية، وساهم في إعاشة الطلاب بالقرية، ورغم أن القرية القرآنية بسار توفر للطلاب السكن والإعاشة، إلا أن الإعاشة غير منتظمة، خاصة في الفترات التي ترتفع فيها أسعار الغلال، أو حدوث ظروف مناخية غير مناسبة للزراعة.

والحالة نفسها تقريباً في قرية دار السلام قرب أبشة فهي تحوي مجمع لتحفيظ القرآن الكريم يحوي عدداً من الطلاب يحفظون القرآن الكريم، وقد تشرفنا بالحضور رفقة الأمين العام للهيئة العالمية لتحفيظ القرآن فضيلة الدكتور / عبد الله بن علي بصفر حفل تخريج (41) حافظاً من هذا المجمع، بتاريخ 30/ رجب 1422هـ الموافق 17/10/2001م وكان الحفل بهيجاً وقراءات الحفظة تبشر بخير كثير، وإقبال السكان بإرسال أولادهم إلى المجمع مشجعاً، وقد ساهمت المملكة العربية السعودية بإتمام المسجد التابع لهذا المجمع القرآني.

وقد أنشئ في أبشه في الطريق إلى انجمينا مركز عبد الله بن عباس لتحفيظ القرآن الكريم والعلوم الإسلامية ويدرس به عدد من الطلاب، وأعطت السلطات الرسمية قطعة أرض كبيرة بجوار ابشه وبنى فيها القائمون بالمركز عدداً من الغرف لسكن الطلاب، ولهم مشاريع عديدة مستقبلية، وقد قام الأمين العام للهيئة العالمية لتحفيظ القرآن بزيارة المركز بتاريخ 10/ رجب 1422هـ الموافق 17/10/2001م وأوصى بضم المركز إلى المراكز القرآنية التي يمكن أن تدعم من الهيئة لتقوم بدورها في تحفيظ القرآن الكريم في المنطقة.

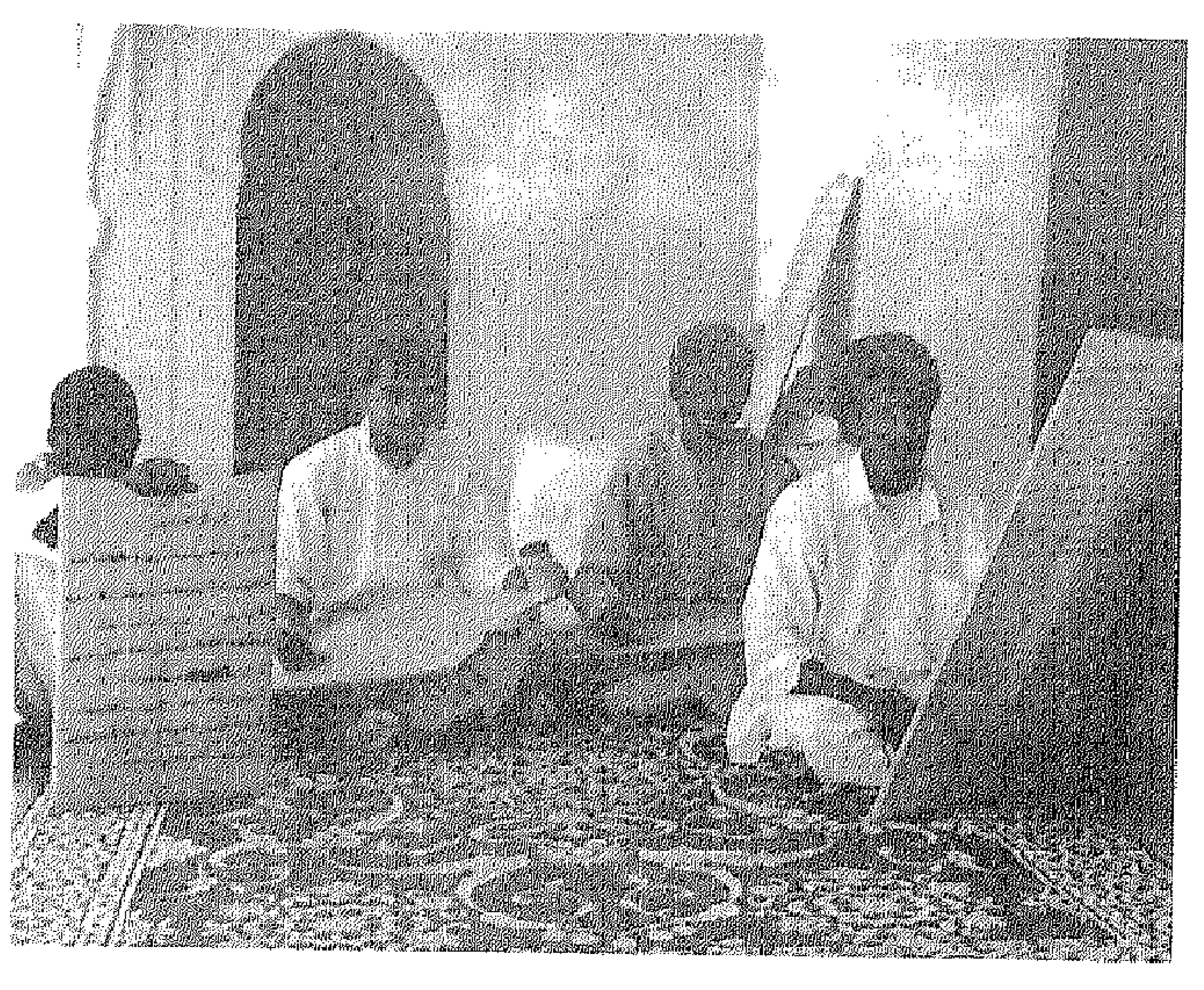
رابعاً: النظام التعليمي في المسيج القرآني التشادي

انتهت تجارب حفظة القرآن الكريم في تشاد إلى التوصل لنظام تعليمي متكامل لحفظ القرآن الكريم، يبدأ من مرحلة محو الأمية أو تعلّم القراءة والكتابة

إلى إتقان المهارة في حفظ القرآن والأدوات أو القواعد المساعدة لتثبيت الحفظ، ونظراً لتميّز هذا النظام التعليمي عن غيره من الأنظمة التعليمية حسب البيئة التشادية، فقد رأى الباحث أنه من المناسب الرجوع إلى الحفظة أو القواني لتفصيل الجوانب المختلفة لهذه العملية، واستنتجت من خلال اتصالات المتكررة معهم، أن معظمهم يتلقى هذا النظام شفوياً وبطرق مباشرة من مشائخهم، ويندر وجود الوصف المكتوب لهذه النظام، إلى ان انبرى أحد الحفظة الذي وفّقه الله أن يجمع بين حفظ القرآن والدراسات الجامعية حتى الدراسات العليا بكلية اللغة العربية جامعة الملك فيصل بأنجمينا، وهو الأستاذ القوني إدريس احمد عثمان وسنعتمد عليه في عرض النظام التعليمي للمسيج القرآني في تشاد إلى ثلاث مراحل تعليمية هي:

1ـ مرحلة المبتدئ (أمبدي):

وهي مرحلة الأساس، تبدأ من يوم التحاق التلميذ بالخلوة. ويكون التلميذ في الغالب بين الخامسة والسابعة من عمره، وتضم هذه المرحلة عنصرين أساسيين. العنصر الأول: تعليم الحروف الهجائية وأمهات الكتابة، العنصر الثاني: تعليم الرسم والإملاء وبداية الحفظ أما تعليم الحروف الهجائية فتكتب للتلميذ أولاً في الأرض أو في اللوح بخط واضح ويختار لذلك من هو أحسن خطاً. ليعتاد التلميذ هذا الخط لأنه قد يبقى معه مدة من الزمن حتى يحفظه حفظاً جيداً، وقد تختلف طريقة الكتابة للحروف الهجائية بتقديم بعض الحروف وتأخير أخرى، ولكن الطريقة المعهودة هي أن تكتب كلها بخط واضح إلى أن يصل إلى حرف العين (ع) وهنا يوضح للتلميذ الفرق بين العين في صدر الكلمة ووسطها، فالأولى عين (شعبة) (عـ) والثانية عين (ركاب أو دوال) (ـعـ) وهكذا حرف الفاء، فالمتصدرة للكلمة تنقط نقطة واحد اسفل الحرف، أما الفاء التي تقع وسط الكلمة فإنها



مهملة، أما القاف فالمتصدر ينقط نقطة واحدة في الأعلى، ويهمل في حالة التطرف، وكذلك النون لا تنقط إذا تطرفت.

وقد يتبع الحروف الهجائية بعض العلامات مثل علامة نهائية الآية ∴ وعلامتي الآية الخامسة والعاشرة وفي الإجمال تكتب متطلبات هذا الجزء حلة الأولى هكذا.

(ا بـ تـ ثـ ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن هـ و لا ي ه ة ∴)

ثم يبدأ التلميذ في حفظها تدريجياً حتى يحفظها كاملة، وطريقة الحفظ أن يلقنه المعلم حرفين أو ثلاثة أو أربعة، وفي يد التلميذ قلم يشير به إلى كل حرف ينطقه، فإذا حفظها يؤمر بكتابتها عن ظهر قلب بعد أن تمحى من لوحه. ويجلس أمام المعلم ويكتبها فإذا كتبها ولم يخطئ في شيء منها يبدأ في تعلّم الشكل وهو يعرف في المسيج بـ(بَا نَصْبَه) ويكتب هكذا:

بَا بِيبُوا بأً بٍ بٌ أبْ، ونطقه هكذا:

(بَا) نَصّبهَ جَابَتْ الفْ، (بي) خفْضَة جَابَتْ يَاء، (بُوا) رُفْعَه جَابَتْ وَاو قَدَّمَتْ الفْ مُكَدْمَلَة. (بـأً) نصبتين جابَنْ الفْ (بٍ) خِفِضْتَن (بٌ) رُفَعْتَيْن (أَبْ) جزمه.

ويستمر التلميذ في حفظها من حرف إلى حرف آخر، حتى يكمل كل الحروف الهجائية، مع المحافظة على الإشارة لكل حرف بقلمه حتى يتقن حفظه، ثم يؤمر بكتابتها بعد محوها أمام المعلم، فإن أجاد كتابتها كاملة بدون خطأ يختبره المعلم فيها بحيث يملي عليه الحروف الهجائية عشوائياً مع شكلها، فإذا نجح في ذلك تكتب له أمهات الكتابة، وهي عبارة عن الكلمات التي تتكرّر كثيراً في القرآن الكريم.

وتكتب هكذا (قال، قالوا، كان، كانوا، يأيها الذين آمنوا، الذين كفروا، الله، لله، له، إلى، على، عليهم، عليه، عليكم، عليك، عليها، أولئك، له، انه، على الله، في سبيل الله...).

2) مرحلة الإملاء والرسم وبداية الحفظ:

هذه المرحلة تعتبر هامة جداً في حياة التلميذ في المسيج، يستطيع المعلم أن يقيم فيها التلميذ، ويختبر مدى ذكائه وقدراته الاستيعابية، فهو قد عرف الحروف الهجائية والشكل الذي يميّزها وتراكيبها.

وأهم ما يلاحظه المعلم في هذه المرحلة أثناء إملاء الآيات القرآنية المقرّرة للحفظ، وفي الأغلب في بداية هذه المرحلة تكون سورة واحدة من السور القصار، أو خمس آيات يومياً، وقد تزيد أو تنقص عنها حسب قدرات التلميذ الاستيعابية، فيراعي المعلم أثناء التملية حسن الخط، واستقامة السطور التي تتجه من اليمين إلى الصدر أو البطن في الغالب، وفي اللفظ يراعي حسن النطق بالحروف، كالتمييز بين مخارج الحروف وصفاتها، وهكذا حتى القراءة والكتابة، وتتميز هذه المرحلة بأن التلميذ فيها لا يسمح له بالنظر إلى المصحف البتة إلى أن يجيد القراءة والكتابة بحيث إذا أمره المعلم بعد التملية بقراءة ما كتبه يقرأه قراءة جيدة يميّز فيها الحركات والمخارج فعندها يسمح له بالكتابة من المصحف بنفسه أحياناً وقد لا يسمح له بالكتابة من المصحف إلى أن يحفظ القرآن الكريم كله.

وبمعرفة التلميذ للقراءة والكتابة جيداً تبدأ المرحلة الفعلية للحفظ، لأنه يستطيع كتابة لوحه بنفسه من المصحف مباشرة ويشكله ثم يراجعه، وفي الأغلب يكتب ثمن الحزب وهو ما يسمى (لوحاً) في اصطلاح المسيج، وهذا للتلميذ المتوسط، ثم يأتي إلى المعلم ليصحح له الأخطاء وينبّهه إلى قواعد الإملاء والرسم والمحمول والمحذوف والمقطوع والموصول، وهكذا يستمر إلى أن يختم القرآن الكريم الختمة الأولى وتُسَمَّى بالختمة (المُرَّة).

3) مرحلة التسيير، والتمرين:

ويسمى صاحبها مُمَرِّن، أو مسير وهي المرحلة التي تلي مرحلة الأساس، ويدرس التلميذ في هذه المرحلة مع شيخ مأذون له بالقراءة والإقراء أي نال درجة (القوني) يطرح لوحه مع ألواح كثيرة في مدرسة الشيخ الذي يقرأه عنده، والجميع ينظرون إلى كل لوح فإذا رأى أحدهم أي خطأ أشار إليه بقلم أو بأي شيء، فيصحح الشيخ الخطأ وقد لا يظهر في اللوح أي خطأ وهكذا، حتى يخرج اللوح من وسط الحلقة وقد صحح كل ما فيه من زلة قلم ومن أخطاء إملائية ورسم ونقط إلى آخره، وعادة يجتمع في المدرسة جمع من الحفاظ المجودين والمسيرين وغيرهم، ويواصل التلميذ سيره مع الشيخ القوني الذي اختاره إلى أن يتقن حفظه اتقاناً جيداً بحيث يعرف الرسم وقواعد الإملاء ويعرف المقطوع والموصول والمحمول والمحذوف ويعرف الحساب القرآني، ومعرفة عدد وقف كل ربع ومده إلى آخر ذلك.

فإذا أجاد كل ذلك يأذن له شيخه (القوني) في ترك المصحف والكتابة عن ظهر قلب، أو من رأسه دون الرجوع إلى المصحف، ويستمر بعرض كل ما يكتبه على الشيخ في المدرسة، بحضور جمع من الحفاظ فيأخذون عليه كل الملاحظات إلى أن يختم ختمات من القرآن الكريم على هذا المنوال حتى يصير ماهراً متقناً، ويشترط أن تكون «بيضاء» بأن لا يشار إلى أي خطأ في ختماته كلها، وكلما كثرت كلما تميّز المسير.

4) مرحلة التجويد:

ويسمي صاحبها مجوداً وهذه هي مرحلة ما قبل القوني لذلك يطلق عليه «مجود عديل القوني» لأنه يستطيع أن يحل محل القوني في حال غيابه، بحيث يستطيع تسيير المدرسة بدون الرجوع إلى القوني، فيمكث المجود فترة من الزمن مع هذا الشيخ حتى يأذن له ويجيزه الإجازة الكبرى ويخلع عليه لقب «القوني».

وهذا اللقب يعطى في حفل كبير يدعو إليه الشيخ الذي يجيز فيحضره مشاهير القواني وأعيان الناس والجمهور.

ثم يخطب فيه أكبر القواني في المنطقة موصياً المجاز بتقوى الله والصبر على التعليم وأن يعلّم لوجه الله تعالى، ويوصي الحضور باحترام المجاز وتقديره وخدمته، ويشيد بمكانته ومعرفته للقرآن الكريم، وأنه استحق هذا اللقب بجدارة، ثم يعمّمه بعمامة تعد لهذا الغرض، ثم يوقفه أمام الحضور، ليسلم عليهم ويأخذ تهانيهم وتبريكاتهم.

وبعد ذلك يكتب له السند المسلسل إلى الرسول ﷺ، فإذا لم يكتب له سند فالشهادة كافية[9].

وقد يرفع عدد من الحفظة في حفل اجتماعي، وذَكَرَ عدد من الحفظة الذين التقى بهم الباحث أن الرفع قد يتم بدون هذه المراسم، خاصة لدى الحفظة الموسومين بالتواضع.

خامساً: طرق تحفيظ القرآن الكريم

أنتجت خبرات وتجارب القائمين على تحفيظ القرآن الكريم حول بحيرة الشط (تشاد)، تطوير عدد من الطرق لتحفيظ القرآن الكريم، تبدأ هذه الطرق من التلقين، وتتدرج حسب ملكات الطالب إلى الإملاء الشفوي وطريقة العرض، ثم الكتابة من المصحف والمناظرة وطرق تثبيت الحفظ المتنوعة والتي أهمها التكرير والمناظرة.

1) طريقة التلقين

وهي من أهم الطرق التي تستخدم في تحفيظ القرآن الكريم، وتظهر أهميتها في المراحل الأولى للتحفيظ، حيث يقوم المعلم أو من يقوم مقامه من التلاميذ الكبار، بتلقين المبتدئ آيات من القرآن الكريم، ويحفظ منها آية آية، وفي الغالب يلقن في البداية السور القصار، وتجزأ هي أيضاً إلى آيات أو أجزاء صغيرة، وبعد أن تحفظ بالتلقين مجزأة يتم جمعها، ويتم التركيز بشدة على مخارج الحروف والنطق السليم لكل حرف أو صوت، ويلاحظ بدقة أن لا يلقن التلميذ في هذه المرحلة أي جزء من القرآن بطريقة غير مناسبة، وهذا ما يجعل بعض الحفاظ يركزون ويسألون عن من علّم أو لقّن التلميذ في البداية، فإذا عرفوا أن من لقّنه في البداية وعرفوا مكانته العلمية، ومدى إتقانه لتلقينه الأوّل لتلاميذه، وعدم التهاون في المراحل الأولى للتلقين، اطمأنوا على مسيرة الطالب، والفرص المتاحة أمامه للتقدم في حفظ القرآن الكريم، والعكس صحيح، فالشيخ الذي يوكل عملية التلقين الأولى لغيره، ويتجنب صعوبات تلقين طلابه في البداية يصعب عليه تعديل لسانهم فيما بعد. وتصاحب عملية التلقين تعلّم الكتابة ـ كما ذكرنا في النظام التعليمي للمسيج ـ فبعد أن يتعلم التلميذ الحروف الهجائية والكلمات التي تتكرر اكثر من غيرها في القرآن الكريم، يسمح له أن يتدرب على الكتابة، في البداية على الأرض، ثم على لوح يصلح للكتابة بحروف كبيرة، ويتدرج تلقين الكتابة أيضاً حيث تكتب له أية واحدة فيحفظها مع

9. عثمان، القوني، إدريس أحمد: النظام التعليمي في الخلاوي القرآنية التشادية، بحث اعد لاستكمال لمتطلبات مادة قاعة البحث سنة أولى دراسات عليا تحت إشراف د. عبد الحميد أحمد بخيت، كلية اللغة العربية جامعة الملك فيصل، العام الجامعي 2000/2001م.

التركيز على معرفة تركيب الكلمات وبالذات الكلمات النادرة أو التي يكتبها لأول مرة، فتوضح له طبيعتها، وهذا التدرج يجب أن يتبع حتى مع الطلاب الذين بإمكانهم أن يحفظوا أكثر من آية شفوياً، أما الكتابة فعليهم أن يتدرجوا مع الإتقان آية آية، ثم يزيد المعلم حسب قدرات الطالب، ويفضل أن لا يترك له العنان أن يكتب آيات كثيرة دون إدراك طبيعة تركيب الكلمات والجمل بمجرد نطقها من الشيخ، ولا يسمح بأن ينتقل الطالب في هذه المرحلة من شيخ إلى آخر حتى داخل المسيد الواحد، وبصورة عامة يتفق المهتمون بتحفيظ القرآن الكريم، على أن مسيرة الطالب في حفظ القرآن الكريم تتوقف على إتقان هذه المرحلة.

2) طريقة الرمي

وتقوم طريقة الرمي على الإملاء الشفوي، والصورة المثلى لها، هي أن يجلس الشيخ في مكان واسع نسبياً وفي وقت مختار ـ يفضل عند البعض وقت ما بعد الفجر ـ ويجلس التلاميذ على مسافة مناسبة من الشيخ على أن تسمح باتساع الحلقة، ويبدأ الطلاب الذين حفظوا ألواحهم السابقة وسمح لهم الشيخ بغسلها بكتابة ألواحهم الجديدة، فبمجرد أن يقرأ الواحد منهم الجزء الأخير من لوحة السابق، يبدأ الشيخ يرمي له الآيات التالية، وأثناء كتابة هذا الطالب، يقرأ زميله الآخر ويرم له، وهكذا، بإمكان الشيخ الواحد أن يرمي إلى عدد كبير من الطلاب إلى أن يكملوا ما هو مقرّر لهم أن يكتبوه.

وغالبية الطلاب الذين يدرسون بهذه الطريقة يكتبون لوحاً واحداً، وهو عبارة عن ثمن، وعند بعض المشائخ وخاصة مع ندرة المصاحف، من الممكن أن يرمي الشيخ لطلاب يختارون المقري كاملاً وهو عبارة عن ربع. وأهم ما يركز عليه في هذه الطريقة هو فهم الطالب للكلمات والجمل والآيات وهي ترمى إليه من الشيخ مباشرة، وأن يكتبها صحيحة من حيث الإملاء والرسم والشكل وبعض العلامات التي يتطلبها النطق في بعض الكلمات أو المقاطع، وعلى الطالب أن يقرأ ما كتبه بشكل صحيح على الشيخ قبل أن يرمي له الأجزاء الأخرى.

ونظراً لأن الألواح التي تكتب على هذه الطريقة لا تعرض في الغالب على مصححين آخرين، فهذا يعني عدم التسامح مع أي خطأ في الكتابة أو النطق، قد يكتشفه الشيخ أثناء الرمي أو القراءة أو حتى أثناء الحفظ، وأي طالب يكتشف عليه شيء من هذه الأخطاء قد يعاقب بعدم غسل لوحه، أو غسله على أن يعاود نفس اللوح السابق، مع الإشارات المتكررة في المرة الثانية للأماكن التي وقع فيها الخطأ وبأن لا تتكرر.

ومعظم الحفاظ يركزون على أنه كلما ظل الطالب أطول فترة ممكنة على التعلم والكتابة على هذه الطريقة، كلما كان إتقانه للقرآن أثبت، خاصة في اكتساب مهارة شيخه في الإملاء والرسم والشكل والنطق وبعض أحكام التجويد، لأنه يصاحب شيخه في ثلاث حالات أساسية هي الرمي أو الإملاء الشفوي والقراءة والحفظ على مسمع ومرآى شيخه وأخيراً عرض ما حفظه على شيخه، وهذا الإشراف على الحفظ الذي توفره هذه الطريقة، يندر أن يوجد في غيرها من الطرق.

3) طريقة النظر

وبعد أن يجتاز طالب القرآن الكريم ويتقن طريقة الرمي من الممكن أن يسمح له أستاذه أن يكتب لوحه من المصحف، ثم يحضره أمام أستاذه في نفس مكان الرمي أو في مكان وزمن آخر يحدده الشيخ، فيقرأ الطالب لوحه أمام نظر أستاذه، وأمامه الدواة وبيده القلم ليصحح الأخطاء التي يمكن أن يقع فيها الطالب، فإذا كثرت أخطاء الطالب يرجعه أستاذه إلى الرمي مرّة أخرى، ولا تحدث مثل هذه الحالة إلا من الطلاب المنتقلين من أماكن أخرى، فيظن الشيخ أنه من الممكن أن يتعلم وبطريقة النظر، ولكنه يكتشف

بأنهم يحتاج إلى مراقبة شديدة في الرمي وما يتضمنه من إشراف دقيق في الإملاء والشكل والنطق والتجويد.

ولذلك لا يسمح أن يتعلم الطالب بطريقة النظر، إلا للذين قطعوا شوطاً كبيراً في الحفظ وإتقان أحكام الحفظ، وهي طريقة مساعدة للطلاب الذين تقتضي ظروفهم الابتعاد عن الشيخ في معظم الأوقات، وقد يكونون في خدمة الشيخ أو في خدمة أنفسهم. وطريقة النظر هذه هي نفسها التي طوّرها المشائخ الكبار إلى المدرسة، والتي لا يحضرها في الغالب إلا من تقدموا كثيراً في الحفظ والإتقان.

4) طريقة العرض

وجوهرها أن يقرأ الطالب ما حفظه من القرآن على شيخه عن ظهر قلب، وتختلف كمية ما يعرض من طالب إلى آخر، فبعض الطلاب يعرض لوحه فقط، ليسمح له بكتابة لوح آخر، ولكن قد يطلب من بعض الطلاب أن يعرضوا أجزاء كاملة من القرآن الكريم قبل أن يسمح لهم بالاستمرار، وفي جميع الأحوال، يركز في هذه الطريقة أن يكون الحفظ جيداً، فأي تلكؤ أو ترتبة أو تردد في الحفظ معناه، إعادة كتابة الأجزاء غير المتقنة وحفظها من جديد، ثم عرضها على الأستاذ أو الشيخ.

وطريقة العرض من الطرق التي يستخدمها حفظة القرآن الكريم للإشراف والمتابعة ومراقبة الطلاب النابهين والجيدي الحفظ، والذين يظهر من عملهم رجاء في حفظ القرآن الكريم، وهي طريقة تحتاج إلى جهد ووقت من الشيخ والطالب، وهذا ما يجعل بعض المشائخ يوزع الطلاب على عدد من الحفظة في المسيج الواحد، فيعرضون عليهم ألواحهم كل يوم، على أن يختار الشيخ من بينهم وبالمصادفة من يعرض عليه، وقد يطلب منه الشيخ عرض معظم ما حفظه أو جزءاً منه، وهي عملية يطمئن الشيخ من خلالها على حسن أداء من أو كلهم أن يقوموا بتقييم العرض لطلابه من الحفظة الجدد.

وتختلف طريقة العرض في حفظ القرآن الكريم عن طريقة العرض التي يستخدمها بعض العلماء في هذه المنطقة في تدريس الكتب العلمية الكبيرة[10].

5) طريقة التكرير (الترتيل)

وتقوم على أن يرتب طالب القرآن الكريم على نفسه أن لا يغسل لوحه قبل تكريره، ويقصدون بتكرير اللوح قراءته بعدد معيّن بعد حفظه بالكامل، وأقل عدد لتكرير اللوح مائة مرّة في جلسة واحدة، ولذلك يختار معظم الذين يقرؤون القرآن الكريم على هذه الطريقة أماكن خاصة، تقل فيها الضوضاء، وتنعدم فيها المشوشات على الذهن، حتى يتم الحفظ بدرجة كاملة، يصل ببعضهم إلى أن يقرأ القرآن الكريم وكأن لوحه مكتوب في ذاكرته أو موضوع أمامه.

❖ طريقة المناظرة من أهم الطرق لإبراز التميز في إتقان القرآن الكريم.

ومعظم الذين يدرسون على هذه الطريقة من الحفظة، ولكنهم يريدون تجويد حفظهم بهذه الطريقة من التكرير. وتذكرنا عبارة التكرير، بتعبيرات المهندسين في علوم الأرض حينما يتحدثون عن استخراج المعادن ثم عن تكريرها، ويقولون أن التكرير عبارة عن عملية تجويد للمعدن أو المادة مثل تكرير النفط. وحينما نناقش حفظة القرآن الكريم نجد عندهم نفس المضمون.

6) طريقة التثبيت

ومعناها أن يكتب الحافظ للقرآن الكريم لوحه من رأسه ويحضره إلى مدرسة شيخه لينظر فيه بمشاركة

10. الدكو، د. فضل كلود: مرجع سبق ذكره ص: 168.

عدد من طلاب القرآن الكريم، إلى أن يختم القرآن الكريم عدة مرات على أن تكون بيضاء، أي خالية من الأخطاء.

وعند بعض المدارس القرآنية، يعني أي خطا في أي ختمة إلغاء عدد ختمات التثبيت وإعادتها من الصفر وفي الغالب لا تحسب الختمة التي فيها خطأ (الختمة التي وقع فيها الحافظ) وتعد الختمات الأخرى ضمن عدد ختمات التثبيت.

أما من حيث عدد ختمات التثبيت، فكلما كثرت كان أفضل، على أن لا تقل عن ثلاث ختمات، ومتوسطها عشر ختمات بيضاء.

ويفضّل أن يشرف على ختمات التثبيت اكبر (القواني) أو الماهرين في القرآن الكريم في المنطقة، وأي منطقة ينعدم فيها مثل هذا الماهر لا يسمح لحافظ أن يطبق فيها طريقة التثبيت، فهي طريقة لتجويد القرآن الكريم وإتقان حفظه، مع ما يصحبها من تمرين على مسك القلم حسب تعبيرات الحفظة في تشاد، وهي أن يسمح الشيخ لبعض الحفظة الذين يدرسون عنده على طريقة التثبيت بأن يحلّوا محله في مسك القلم، وتصحيح الألواح لغيرهم، على أن يضعوا في اللوح جميع الرموز الدالة على الحساب، مثل عدد الوقف والآيات وغيرها في كل لوح، ويتبارى الطلاب لكي يحظوا بمثل هذا الشرف، لأنه الوسيلة الأكثر موضوعية لإتقان أحكام التجويد وأمام الشيخ وكبار الحفظة، بدليل أن ماسك القلم نفسه حينما يأتي دور لوحه، يتركه لآخر حسب تعليمات الشيخ أو يرجعه إلى أستاذه نفسه ويخضع لوح ماسك القلم لنفس قواعد التصحيح التي أجراها على غيره من الألواح السابقة.

7) **طريقة المناظرة (المدارسة)**

وتتمثل بأن يختار الحافظ من بين زملائه الحفظة من يقرأ معه القرآن الكريم بالتداول، وأن يحدد القسم المخصص لكل واحد منهم مثل حزب أو جزء أو سبع، وبعد أن يكمله بمتابعة زميله بدقة شديدة، يبدأ الزميل الآخر قراءة ما يخصه.

ومن حق المناظر أن يصحح لزميله أي خطأ يمكن أن يقع فيه، وتحسب هذه الوقعات، والفائز في المناظرة هو من تقل عنده الأخطاء، لكن الأخطاء عندهم بدرجات، فهناك أخطاء في نطق الحروف أو الأصوات، وأخطاء في الحركات، وهذه من الممكن إصلاحها بدون عيب كبير، أما الأخطاء في الحفظ نفسه وعدم التثبت من المتشابهات، أو التوقف وعدم القدرة على وصل الآيات أو السور بعضها بالآخر، فهذا لا يغتفر، ومن الممكن أن يرفع إلى الشيخ أو الزملاء الآخرين من الحفظة، ويصل الأمر في بعض الأحيان إلى الشك في درجة حفظ المناظر، وإرشاده إلى الرجوع إلى الحفظ من جديد.

وطريقة المناظرة من أهم الطرق لإبراز التميز في إتقان القرآن الكريم، وبالتالي فهي نادرة، وقليل هم الذين يخضعون للاختبار بهذه الطريقة إلا في حالات غير طبيعية، مثل المناقشة أو «التربيط»، وغالباً ما يجبر الحافظ في الدخول فيها حينما يتحداه أحد الحفظة الذين لا يعرفون قدراته، أو سمعوا بها فقط ويريدون التثبت منها، وتجري المناظرة هنا بصورة جماعية في بعض الأحيان، ومن الممكن أن تحسم من أول خطأ يقع فيه أحد المتناظرين، أما إذا تكافأ فمن الممكن أن تستمر المناظرة إلى قراءة أجزاء كبيرة من القرآن الكريم، فيعترف كل مناظر للآخر بمكانته في معرفة القرآن الكريم، ومن الممكن أن تختم مثل هذه المناظرة بحفل بهيج تذبح فيه الذبائح، ويذاع فيه خبر المناظرة، وما انتهت إليه من اعتراف الطرفين بقدرة كليهما على معرفة القرآن الكريم، ويتنادر الحفاظ الآن، ويحكون الكثير من المناظرات التي تمّت بين الرعيل الأول من الحفظة بشيء من الإعجاب والاعتبار.

سادساً: مستويات حفظ القرآن الكريم

من الملاحظ إن حفاظ القرآن الكريم في تشاد يتدرجون حسب مستويات معينة حيث لا يعد كل مَنْ حفظ القرآن الكريم مباشرة حافظاً إلا بعد أن يجتاز هذه المستويات، ويعرف الحفاظ بعضهم بعضاً كأي جماعة وظيفة أو مهنة أخرى، فيحددون درجة أو مستوى كل حافظ حسب ما أوتي من علم أو تجربة وخبرة مكتسبة عن طريق التلمذة المباشرة، وهذه الجماعات مثلها مثل كل الجماعات المهنية تحتفظ لنفسها بمهارات وتجارب عملية وطقوس للمهنة، يصعب أن يدرك فحواها من يراها من الخارج. وإذا أراد الباحث أن يكتشف هذه العلاقات المهنية المنظمة، فعليه أن يلاحظها بالمشاركة المباشرة، عن طريق العيش المشترك داخل هذه الجماعات، فكل من حفظ القرآن الكريم لأول مرة، يوضع عندهم في المستوى اللين أو النيء، ويسمونه (لم آية فقط) أي أن حفظه لم يتجاوز وصل الآيات القرآنية بعضها ببعض، بينما المستوى الذي يلي ذلك هو مستوى مسير، ويليه المجود، ثم الماهر (القوني) ولكل مستوى من هذه المستويات الأربع خصائص تميزه عن غيره.

❖ إن حفّاظ القرآن الكريم في تشاد يتدرجون حسب مستويات معينة حيث لا يُعَدُّ كل من حفظ القرآن الكريم مباشرة حافظاً إلا بعد أن يجتاز هذه المستويات.

8) الحفظ اللين (لم آية):

وهذا هو المستوى الأول للحفظ وعبارة لين أو نيء هي أصدق تعبير عن المكانة التي اختارها الحفاظ لهذا المستوى، فهم لا يعدونه حافظاً ونادراً ما يحظى بمكانة الحفظة من المستويات التالية، فرغم الفرحة التي تعتري دارسي القرآن الكريم حينما يستطيع قراءة القرآن الكريم كلّه من رأسه، إلا أن معظم الحفظة المتمرسين ينصحون من يصلون إلى هذا المستوى بالتواضع، وكأنهم يدربونهم على تحمل المسؤولية في المحافظة على أمانة حفظة القرآن الكريم، فقد يستغرب الملاحظ من موقف شيخ المسيج عندما يصل أحد طلابه إلى هذا المستوى، ويلاحظ على وجهه الوجوم وعدم الانشراح، وكأنه يتخوف من أن لا يجتاز طالبه هذه المرحلة، ويغتر بنفسه، وربما هذه حال عدد لا بأس به من الطلاب، وبالتالي لا تجد من يفرح بالوصول إلى هذا المستوى من الحفظ، ولا تصاحبه أي احتفالات، إلا إذا حفظ الطالب في الختمة الأولى، وعندها يكون الاحتفال بالختمة، ولا يذكر الحفظ، للسبب الذي ذكرناه سابقاً من جهة، وللخوف على الطالب من العين من جهة أخرى.

وغالباً ما يعقب الوصول إلى هذا المستوى جلسات توجيهية توجه إلى الحافظ من أكثر الشيوخ تأثيراً عليه وقد يستغل الجانب الاجتماعي، حيث تبلغ أسرته بأهمية أن يوجه إلى استكمال المستويات المتبقية من الحفظ، وان لا يتوقف عند هذا المستوى الذي من الممكن أن يفلت القرآن منه فيه، وتستعمل الحوافز المعنوية والمادية لتوصيل وتأكيد هذه التوجيهات والوصايا.

9) مسير:

ويتميز هذا المستوى بأن صاحبه قد ختم القرآن الكريم ثلاث مرات على الأقل، وعشر في المتوسط على شيخ معروف بإتقانه لأدوات الحفظ المعروفة، بدون أن يقع في خطأ كبير أثناء عرض لوحة أمام زملائه الحفظة في الدرس كل يوم، بعد اجتيازه للمستوى الأول للحفظ «لم آية».

ويركز الحفظة على هذا المستوى باعتباره نقطة اختبار للحافظ فهو يبذل جهداً مضاعفاً، ففي نفس الوقت الذي يظل فيه يكتب لوحه كبقية الطلاب في

المسيج، فهو يحافظ على ترتيب معين لتلاوة القرآن الكريم، فبعضهم يختمه من رأسه في الأسبوع مرّة، وهذا ما يسمّونه ترتيب (سبع)، وهو الشائع، أما ختم القرآن الكريم في اقل من ذلك أو أكثر فهو الطارئ، فبعض الحفظة الذين يعيشون في مناطق تضمن لهم قوت يومهم وتقيهم عناء البحث عن الغذاء قد يختمون القرآن في ثلاثة أيام، ولكن الذين تقتضي ظروفهم المادية العمل أو البحث عن الغذاء فإن هؤلاء يكتفون بكتابة اللوح وعرضه عصراً على الشيخ في المدرسة، أما ختم القرآن فيتركونه للظروف، مع التركيز على أن لا تزيد مدة الختمة في الظروف الصعبة على أسبوعين أو شهر واحد.

وحَلاً لهذه الإشكالات نجد المسير يبحث عن كفيل يؤمن له قوت يومه، أو عن عدد من المهاجرين يوفرون له من الصدقات جزءاً من قوته.

ويقولون إن آفة المسير الانشغال عن الترتيب، أما كتابة اللوح وإخراجه أبيضَ، فهذه ميزة لا يتسامح فيها المشائخ مع أي مسير، يضاف إلى ذلك ميزة إتقانه للأدوات المساعدة في الحفظ التي توضع على لوحه كل مرة، وأن يسأل عنها كل نهاية درس، فهناك جلسة خاصة بالمسيرين بعد الدرس، تعقد لهذا الغرض، ومستوى المسير في الحفظ حسب وصفنا السابق يختلف عن المسير أو الممرن التي تطلق مجازاً حتى على غير الحافظ في بعض المناطق التشادية.

10) مجود:

ويتميز هذا المستوى بإتقان الحفاظ لجميع الأدوات المساعدة في الحفظ، ولكنه يظل محافظاً على كتابة لوحه وترتيبه للترتيل، وان يكون مستعداً ليحل محل شيخه سواء للتدريب على القيادة أو لاختبار ملكاته في الحفظ والتذكر أو لامتحان قدراته في تحمل مسؤولية رسالة تحفيظ القرآن، حينما يأذن له شيخه بالرفع إلى درجة ماهر (قوني). ويتنافس الحفظة في هذا المستوى على الإجادة في كل عمل يقومون به، والشيوخ يثقون بهم، ولكن ثقة المتتبع والمتريث. ويلاحظون عدم ظهور أي بوادر من المجود لطلب لقب الماهر، وبالتالي قد يظل الماهر لفترات طويلة، في انتظار رفعه، فيمانع أستاذه وقد يرسله إلى شيخ آخر أكثر منه علماً، أو لعله لاحظ بعض الأمور العملية والمهنية في سلوك المجود، فيريد أن يشارك في حكمه أستاذه أو أي خبير آخر، فإذا استمر المجود مع الأستاذ الجديد فترة من الزمن قد يرجعه إلى أستاذه الأول ليرفعه، وقد يرفعه إذا ظهر منه تميز واضح حسب المعايير القيادية والفنية ومدى تحمّله لأمانة تحفيظ القرآن الكريم.

وفي هذه المرحلة من تقييم الحفظة، يركز كثيراً على الموضوعية في التقييم فمن النادر أن يشتكي مجود شيخه على تأخره، ولكن المشائخ أنفسهم يدركون خطورة ملاحظة هذه القضية من زملائهم في المهنة الآخرين، فيحافظون على شرفهم ومكانتهم بعدم حبس مجود لفترة زمنية غير مبررة موضوعياً، وهنا يتحدث بعض الحفاظ عن سير شيوخهم وتعاملهم العلمي معهم، كما يتحدث طلاب الدراسات العليا عن أساتذتهم في الجامعات.

11) ماهر (قوني):

وهو المستوى الأعلى الذي يطمع أن يصل إليه حافظ القرآن الكريم في هذه المنطقة.

وهناك آراء مختلفة حول اصل مصطلح «قوني» اشهر هذه الآراء يرجعه إلى أصل من لهجات كانم ـ برنو، ومعناه «قوي» فهو مركبا من (قو) القوة (ني) للنسبة، أي قوى في القرآن الكريم[11].

وقد لاحظ الباحث رسماً لهذه الكلمة في غرب ليبيا، وبالتحديد في منطقة غدامس التي يسكنها في

11. المرجع السابق، ص 198.

الغالب التوارق وهي واحة لها علاقات ثقافية وتجارية هامة مع وسط وغرب افريقيا لوقوعها في طريق القوافل، فهم يكتبونها (كوني) وهي لقب شائع لعدد من الحفاظ وأناس آخرين، كما هو سائد في تشاد. فإذا كانوا يقصدون المعنى العربي لهذا اللفظ فإنه يقرّبنا من اصطلاح «العالمية» وهي أعلى شهادة تمنح في اغلب العلوم حتى إلى وقت قريب من معظم مراكز الحضارة الإسلامية مثل الأزهر وغيرها، فهل نعتبر أن أهل القرآن الكريم اختاروا لهم مصطلحاً متميزاً وهو «كوني» أي ماهر في علوم الكون؟ أي أن القرآن الكريم شامل لجميع علوم الكون، وحافظ القرآن الكريم «كوني» بمعنى انه حائز على الشهادة «الكونية» التي تعادل «العالمية» في العلوم الإسلامية و«الدكتوراه» في العلوم اللاهوتية تاريخياً.

وفي جميع الأحوال يحرص الحفظة في هذه المنطقة أن لا يمنح هذا اللقب إلا لمن توفرت فيه الشروط التالية:

1 ـ المرور أو التدرج على جميع طرق تحفيظ القرآن الكريم التي ذكرناها سابقاً، من التلقين ثم الرمي والنظر والعرض والترتيل وتطبيق طرق تثبيت الحفظ المتنوعة، وأخيراً تجاوز المناظرات أو التحديات والاختبارات التي يمكن أن تواجه الحافظ في طريقه لإتقان القرآن الكريم.

2 ـ الخضوع لنظام تحفيظ القرآن الكريم بالصورة التي وصفناها في العرض السابق، واستيعاب جميع متطلبات هذا النظام، وإمكانية أن يطبقه على آخرين حينما يسمح له بعد رفعه بفتح مدرسة قرآنية للحفظة ومن في حكمهم، أو مسيجاً للتلاميذ.

3 ـ أن يجتاز الحافظ المترشح لمرتبة «قوني» جميع مستويات الحفظ التراكمية التي شرحناها، حيث يستحيل على أي طالب أن يصل إلى مستوى مسير وهو لم يتجاوز المستوى الأول للحفظ، وهو وصل آيات القرآن الكريم بعضها ببعض «لم آية»، وكذلك مستوى المجود وهو مستوى تال المستوى المسير، ومن مستوى المجود يترشيح طالب القرآن الكريم في هذه المنطقة إلى لقب «قوني» أو قوي في علوم القرآن الكريم.

4 ـ معرفة القواعد والحساب والحبال المساعدة على الحفظ، وهي تبدأ من معرفة عَدّ أي القرآن الكريم، ثم الوقف والقواعد الإملائية والمتشابهات، والمكي والمدني، والمحذوف والمحمول... إلخ، وهو ما سنتناوله في الفقرات التالية. ولا يقل التركيز على هذه القواعد عن التركيز على الحفظ نفسه، بل الجهد الأكبر الذي يبذله طالب القرآن بعد التجويد ينصب على هذه القواعد.

❖ إن الطالب الذي ينكر جميل أساتذته، ولا يظهر منه التقدير اللازم لحفظة القرآن الكريم عموماً وخاصة أساتذته الذين درسوه مباشرة أو من لهم علاقة بهم، فإنه لا يرفع إلى درجة قوني.

رغم أنه من الشائع في هذه المنطقة الفصل بين حفظ القرآن الكريم، وتعلّم العلوم الشرعية، إلا أن معظم المشائخ الكبار يشترطون على من يطمح للرفع لدرجة قوني الإلمام ببعض الكتب الفقهية واللغوية (خاصة) النحو. ويركزون على فقه العبادات والميراث أو الفرائض، على اعتبار أن القوني هو إمام أهل منطقته وبالتالي يتوجب عليه أن يعرف شيئاً عن العبادات، أما الفرائض فيرى بعض الحفظة سهولتها عليهم، لأن معظم أحكامها موجودة في القرآن الكريم، من ناحية، ولمردودها المادي من ناحية أخرى، فالحافظ أو القوني الذي يوزع أي ورثة له نصيب مقدر منها بحكم العادات والتقاليد.

6 ـ تُكمّل الشروط السابقة شروط مهنية خاصة بالحفظة، مثل الروح القيادية، خاصة التحلي

بالحكمة وتحمل الآخرين، والمقدرة على قيادة مدرسة قرآنية مستقلة، وكذلك التواضع والاعتراف بفضل المشائخ والحفاظ الذين درسوا الطالب في مراحله المختلفة، فمن الملاحظ أن الطالب الذي ينكر جميل أساتذته، ولا يظهر منه التقدير اللازم لحفظة القرآن الكريم عموماً وخاصة أساتذته الذين درسوه مباشرة أو من لهم علاقة بهم، فإنه لا يرفع إلى درجة قوني، حتى وإن كانت هناك عداوة بين القواني، فنجد بعض الحفظة الذين ينتقلون من شيخ إلى آخر، وقد يظلون مع الواحد منهم لفترات طويلة، ولكن ظهور أي مظهر يعني عدم الاحترام والتقدير لأساتذته السابقين، يعني عدم ترقيته بغض النظر عن العلاقة بين الحفظة الكبار، وكأن هناك قواعد شرف بين الحفظة لا يمكن اختراقها، ولا يدخلون في طبقتهم إلا من يلتزم بها، ويصعب على أي واحد منهم أن يعبّر عنها لفظياً، لكنها مراعاة ومطبقة بشكل صارم في الجوانب العملية.

سابعاً: القواعد المساعدة على حفظ القرآن الكريم

هناك مجموعة من القواعد التي يستخدمها الحفظة في هذه المنطقة لتثبيت حفظ القرآن الكريم، وتختلف تسميتها من منطقة إلى أخرى، ففي بعض المناطق تسمى (قيود أو قيد) وبعضهم يسميها (حبال)، وقد شاع أخيراً تعبير (حساب)، وتشمل هذه القواعد عدد الآي، ورسم المصحف والمحذوف والمحمول والمتشابهات والوقف.

وحسب التراث المكتوب والمخطوط الذي استقى منه الحفظة في هذه المنطقة معظم القواعد المنظمة للحفظ، نجد على رأسه الكتب المعروفة في القراءات مثل الشاطبية وغيرها، ومنها أيضاً مخطوط الدرر اللوامع في اصل مقرأ الإمام نافع، ويأخذون منه التركيز الذي يوليه لرواية ورش، ثم لاحظ الباحث مجموعة من المخطوطات المحلية التي كتبها حفاظ المنطقة متضمنة بعض القواعد أهمها:

1 ـ الفرود في القرآن الكريم:

وندرسها من خلال اعمال الشيخ العباس بن فاضل المعروف عندهم بالدنفاسي وهو من عرب الهبانية الذين يسكنون بجوار مدينة ابشة عاصمة السلطنة العباسية شرق تشاد، وقد نظم عدداً من الأعمال أهمها مخطوطة «الفرود» والتي يقول فيها بعد البسملة والحمدلة:

إن الحياة قد أتت بالنصب
اثنا عشر معدودة في الكتب
في البكر والنساء ثم النحل
وهود وإبراهيم فافهم قولي

ويستمر في تعدادها في السور، ويقول في موقع آخر من المخطوطة:

خيراً لكلم مفتوحة حرفان
وجدتهم في سورة النسوان

ومعنى حرفان عندهم اثنان، وسورة النسوان هي سورة النساء، وهي منظومة على الطريقة السابقة نحو (265) بيتاً، في معظم النسخ المخطوطة التي في خزانة الباحث[12].

وللدنفاسي حبال أو قيود أخرى لبعض القواعد أهمها كتاب (الجاري على كل قارئ)، وهي أكثر تعقيداً مما هو في المنظومة السابقة، ولا يعرف بعضها إلا خاصة الحفظة، ولا يوجد عنوان واضح في النسخة التي بين يدي الباحث[13].

2 ـ المحذوف في القرآن الكريم:

ونناقشه من خلال أعمال الشيخ عبد الواحد شيخ المشائخ، من سلامات أم حجر آتياً عائلة ولاد أبو

12. الدنفاسي، الشيخ العباس بن فاضل: الفرود في القرآن الكريم، مخطوط، خزانة الباحث، أنجمينا، تشاد.

13. الدنفاسي، الشيخ العباس بن فاضل: الجاري على قارئ، مخطوط، خزانة الباحث، أنجمينا، تشاد.

ضوء، وسط تشاد، وله مخطوط كبير بعنوان «المحذوف في القرآن» والمقصود بالمحذوف عندهم حذف الألف من الكلمة مع وجود علامة مائلة إلى فوق تدل على صوت الألف، ويسمونها الألف الحمراء ويبدأها بالترتيب الهجائي، ورصد جميع الكلمات في القرآن التي أتت فيها الألف محذوفة بعد الهمزة، ثم ما بعد الباء، ثم التاء إلى المحذوف بعد الياء، وهي منظومة في حوالي (410) بيتاً، وهي غنية في رصدها للألف الحمراء والكلمات التي وردت فيها، وترتيبها بناء على حرف الهجاء الذي يرد قبل الألف الحمراء، أمثلة: برءؤا، الطيبت، كتب، ميثق، جهدوا، الصلحت، الخشعون، يسجدن، الذكرين، الصرط، الزرعون، السجدين، شكرين، الابصر، يضعف، استطعوا، ظهرين، العلمون، الغرمين، فعلين، استقموا، الكظمين، الهكم، الرحمن، منفع، الأنهر، ازوجكم، يعباد. ومن الواضح أننا استقينا من كل حرف مثالاً واحداً فقط، مع أن الكلمات في كل حرف تزيد وتنقص حسب ورودها في القرآن الكريم.

وهذا الرسم المحذوف في القرآن الكريم، ورد في هذه المنظومة على رواية ورش عن نافع[14].

3 ـ المحمول في القرآن الكريم:

وهو يهتم بالكلمات التي تثبت فيها الألف في القرآن الكريم، وقد ألف فيه الشيخ المهاجر شين محمد العربي المسيري، مخطوطة منظومة يذكر في بدايتها:

يقول المحمول في القرآن

وهو خفي اللفظ في اللسان

في الصول لا في الوقف للبيان

اسئوا تبوءوا قد أتى حرفان

ففي الروم والحشر فخذ معانٍ

ولا تسبوا ويسبوا حرفان

ويبدو أن كاتب المخطوط قد اتبع نفسه طريقة الرصد التي استخدمها عبد الواحد شيخ المشائخ في المحذوف، بحيث رصد الكلمات التي تثبت فيها الألف حسب الترتيب الهجائي من الهمزة إلى الياء، في حوالي (147) بيتاً على الطريقة السابقة[15].

4 ـ الهمزتان:

ويولي الحفاظ عناية خاصة لإملاء الهمزة، كما لاحظنا في القواعد السابقة، ولكن المخطوط الذي بين أيدينا يركز على الهمزتين وأحكام إملائهما في القرآن الكريم على رواية ورش.

وهذا المخطوط رغم انتشاره لدى معظم الحفظة، إلا أن النساخ أهملوا ذكر اسم مؤلفه، وهو منثور، وهذا على غير عادة كتاب القواعد المساعدة على الحفظ، فقد رأيناهم يضعون معظم القواعد بالنظم، على أمل سهولة حفظها.

ومطلع هذا المخطوط:

«أعلم أن الهمزتين على قسمين؛ في كلمة وفي كلمتين. فالهمزتان في كلمة على ثلاثة أنواع النوع الأول أن تكون مفتوحتين، فالحكم فيهما أن تحقق الأولى وتبدل الثانية ألف مد، وعددها في القرآن إحدى وعشرون، موضعان في البقرة، أأنذرتهم، أأنتم، وموضعان في آل عمران... إلخ».

ويستمر المخطوط في توضيح كل قسم وأنواعه ويذكر جميع المواضع التي يقع فيها كل نوع في كل سورة على حدة.

وهذه القواعد ضرورية للحافظ، خاصة في مستوى المجود لأنه من المتوقع أن يحظى بشرف نيابة شيخه في مسك القلم، وعندها يتطلب موقفه أن يعرف مواضع الهمزتين وحكمها في كل موضع، وتتم هذه العملية في جلسات خاصة بعد نهاية عرض الألواح في المدرسة، حيث يكون من حق أي حافظ أن يسأل

14. شيخ المشائخ عبد الواحد: المحذوف في القرآن الكريم، مخطوط، خزانة الباحث، أنجمينا، تشاد.

15. المسيري، الشيخ الماهر شين محمد العربي: التجويد المحمول، مخطوط، خزانة المؤلف، أنجمينا ـ تشاد.

عن هذه المواضع وعلى شيخ المدرسة أو المسيج ضرورة الرد على جميع هذه القواعد المسؤول عنها، ويقع هذا المخطوط في حوالي (22) صفحة من الحجم المتوسط[16].

5 ـ عد الآي:

ومن القواعد المساعدة على الحفظ في هذه المنطقة معرفة الآيات في كل سورة، لدرجة أن الحافظ يحفظ آيات السورة قبل السورة نفسها، ويرتل عدد الآيات قبل أن يبدأ في قراءة سور القرآن الكريم، وقد يستغرب الزائر العادي حينما يسمع أحد القرّاء التشاديين، يبدأ في قراءة لوحه بعد التعويذة والبسملة ـ بقوله سورة فاتحة الكتاب... وهي سبع آيات، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين... الخ.

وهذا دأبهم في بداية كل السور إلى الناس وقد كتب في حصر عد الآي عدد من الحفظة، ولكني اضرب مثلاً: بمخطوطة القوني الجليل عبد الكريم الزيودي، بعنوان «الفصل الأنور في تمثيل السور» وهي منظومة حاول الكاتب أن يجمع السور بعضها مع بعض حسب عدد الآيات التي فيها فعلى سبيل المثال العدد (76) آية ورد في سورتان هما: الأنفال والحج حيث يقول:

ست وسبعون خذ الافعال(*)

وسورة الحج لها مثال

بينما العدد (44) آية هو فقط في سورتي الرعد وسأل، والعدد (111) في سورتي يوسف والأنبياء، بينما العدد (99) آية هو في ثلاث سور هي الحجر ومريم والواقعة، وهكذا يحصي الكاتب جميع سور القرآن في مجموعات على حسب عدد الآيات في كل سورة. والمنظومة في (44) بيتاً فقط[17].

6 ـ المدني والمكي:

على الحفاظ في هذه المناطق أن يستوعب قاعدة المدني والمكي في القرآن الكريم، منذ مراحله الأولى للحفظ وأن يستمر في التثبت منها طيلة مراحل حفظه، فمعلومة المدني والمكي عن كل سورة تحفظ لدى القارئ التشادي بعد اسم السورة مباشرة، وتكتب على اللوح ويحفظها القارئ كجزء أساسي من حفظ اللوح.

فيبدأ القارئ بإحصاء السور المدنية وهي البقرة وآل عمران والنساء إلى آخره. وعددها (27) ثم باقي السور وهي مكية وعددها (87).

وللشيخ الزيودي منظومة ذكر فيها المدنيات فقط ويحصرها في رمز البيت التالي:

عددها (كز) بضبط الحساب

والباقي (فز) خذ بلا ارتياب

وبحساب الطريقة المغاربية (أيقش) ستجد ان العدد هو كما ذكرنا سابقاً[18].

وقريب من اهتمامهم بالمدني والمكي، اهتمامهم بالقرآن السفري حيث عثرت على مخطوطة متداولة بين أيديهم عن القرآن السفري أي الآيات التي نزلت في السفر.

وهذه المخطوطة للشيخ احمد عبد الكريم الحسيني الملقب بطبيك. يقول فيها:

الحمد لمنزل القرآن

فعدّد السفر من قلته

في حضر وسفرٍ بيان

وترك الحضر من كثرته

ثم يبدأ يذكر جميع الآيات التي نزلت في السفر وأماكن نزولها، والمنظومة تحوي (124) بيتاً[19].

---

16. مجهول (المؤلف)، الهمزتان، مخطوط، خزانة الباحث، أنجمينا، تشاد.

17. الزيودي، القوني عبد الجليل عبد الكريم: الفصل الانور في تمثيل السور، مخطوط، خزانة الباحث، أنجمينا ـ تشاد.

18. الزيودي، القوني عبد الجليل عبد الكريم: المدنيات، مخطوط، خزانة الباحث، أنجمينا ـ تشاد.

19. طيبك، الشيخ احمد عبد الكريم الحسيني: القرآن السفري، مخطوط، خزانة الباحث، أنجمينا ـ تشاد.

7 ـ الوقف:

يركز الحافظ التشادي على قواعد الوقف تركيزه على الحفظ نفسه، فنجد على رأس اللوح رمز الوقف، وفي التراث المتوارث للحفظة أن الحافظ منهم ينطق برمز الوقف لكل لوح و(مقرأ)، قبل بداية حفظه، ولا يميّز الحفاظ كثيراً بين أنواع الوقف، فعلامة الوقف عندهم واحدة فقط لكل نوع من أنواع الوقف. ولهذا بدأ بعض الحفاظ بمحاولات للتمييز بين أنواع الوقف، منذ منتصف القرن الماضي، أي بعد رجوع الدفعات الأولى من الحفاظ الذين أرسلوا إلى الأزهر لدراسة لقراءات، لكن الوقف عموماً ظل من القواعد الضرورية للحفظ.

ثامناً: مساهمات الحفظة المعاصرين في تطوير القراءات

تركز وصفنا لمؤسسات تحفيظ القرآن الكريم في الفقرات السابقة على الجهود التي بذلت من قبل الحفظة المحليين وبرواية ورش عن نافع ـ على الأغلب ـ ولكن ابتداء من استقلال البلاد من الاستعمار الفرنسي عام 1960م والسنوات التي تلت ذلك، وانفتاح البلاد على العالم العربي والإسلامي، بدأت بعض تيارات التغيير تهب على النظام التعليمي لتحفيظ القرآن الكريم وطرق الحفظ ووسائله، والعلاقات الاجتماعية السائدة داخل مؤسسات تحفيظ القرآن الكريم، فبدأ الحافظ الجديد يطمح إلى إضافة قراءة أخرى أو أكثر إلى قراءته التي حفظ بها القرآن، وبدأ السعي إلى إضافة علوم العربية، وكذلك العلوم الإسلامية، بل والعلوم العصرية إلى حفظ القرآن الكريم مظهراً مألوفاً لدى الحفظة الجدد، بينما هذه التغييرات كانت غير مفضلة لدى الطبقات الأولى من الحفظة التقليديين «السابقين» أو الكبار، فما هي العمليات الاجتماعية التي اتبعت لتسهيل عملية التحول هذه؟

يستفاد من بعض الروايات الشفوية إن هذه العملية بدأت حينما احتك الحفاظ بعد الاستقلال بزملائهم في البلدان العربية، وظهر لهم انهم يحفظون القرآن الكريم بإتقان شديد، ولكن برواية واحدة فقط، إن لم يكن بطريق واحد أيضاً، بينما يقتضي الحفظ في المجتمعات الإسلامية الأخرى، الانفتاح نحو قراءات وطرق وروايات متنوعة، زيادة على انفتاح الحفظة على العلوم العربية الإسلامية بل والعصرية أيضاً أي العلوم التقنية.

وكانت البدايات الأولى للاحتكاك مع علماء في القراءات قدموا من المغرب العربي (المغرب + موريتانيا)، وتوقف المعلومات عن هذه الاحتكاكات الأولية بالمغاربة عن الروايات الشفوية، وسعى الباحث إلى الحصول على أسانيد أو وثائق مكتوبة عن هؤلاء القرّاء الذين درّسوا بعض الحفظة بعض القراءات فلم يقف على اثر مكتوب.

والتحول الواضح هو الذي حصل بعد زيارة قام بها أحد أبناء العلماء من جمهورية مصر العربية وهو الشيخ محمد لطفي عامر ابن رئيس القراء في مصر الشيخ عامر عثمان، وهي زيارة غير رسمية عبّر عنها معظم الذين رووا قصتها أنها كانت عفوية، ونزل هذا الضيف في منزل الإمام الشيخ موسى إبراهيم بقرب السوق الكبير، وأقام حلقة في هذا المنزل حضرها عدد من الحفظة ولفترة وجيزة، وبعد كبر الحلقة في منزل الإمام انتقلت إلى المسجد الكبير، وتمّ ختم القرآن الكريم بالقراءات المتنوعة في عشرين يوماً، ثم وزّعت الشهادات على بعض الحفظة الذين تميّزوا في اكتساب مهارة القراءات المتنوعة، وبعدها رجع الزائر، ورغم قصر مدة هذه الزيارة، لكن تمخضت عنها نتائج هامة، غيّرت مسار تحفيظ القرآن الكريم في تشاد بالكامل تقريباً. فقد أظهر هذا الضيف للحفظة عملياً مدى حاجتهم للتجويد الحديث «الذي يشمل قراءات متعددة» من جهة، وأظهر ضرورة

إرسال عدد من الحفظة إلى المعاهد الأزهرية للقراءات من جهة أخرى، ويبدو أن الرجل حاول أن يسهل إرسال هؤلاء الحفظة إلى المعاهد الأزهرية من خلال معارف في إدارات الأزهر الشريف، ويحكي هؤلاء الحفظة سيرة تجاربهم الأولى في الاحتكاك بالحفظة في مصر بشيء من فرحة الاكتشاف، حيث ظهر للجان في المعاهد الأزهرية للقراءات دقة حفظهم للقرآن الكريم، ومدى حاجتهم إلى الإلمام بالقراءات الأخرى[20].

وساهمت عملية إرسال حفظة لهم مكانتهم العلمية في البلاد، واكتسابهم للقراءات المتنوعة، في تقبل الحفظة المحليين للتحول الذي حصل بعد ذلك، وهي عملية معروفة في نشر الأفكار الحديثة لدى الجماعات، فالجماعات عادة تتقبل الأفكار التي تنقل إليها بواسطة مجموعات بشرية تثق بها، ولها صلات اجتماعية أو معرفية بها، ولهذا يعتبر رجوع الدفعات الأولى من الرواد المعاصرين من الحفظة التشاديين الذين تمّ إعدادهم في معاهد القراءات في الأزهر، نقطة البداية في عمليات التحول داخل مؤسسات تحفيظ القرآن الكريم، وساهمت عملية نقل هذه التغييرات بواسطة جماعات من الحفظة لها مكانتها العلمية المعترف بها، في عملية التكييف الاجتماعي، وقبول الحفظة المحليين لهذه التحولات، وقد ضمت الدفعة الأولى التي أرسلت إلى الأزهر عام 1975م أربعة من الحفظة وهم: القوني حسن عمر طاهر، الشيخ طه عباس، والشيخ يوسف إسحاق، والشيخ محمد احمد، ولحقت بهم الدفعة الثانية بعد اشهر، وضمت القوني جبريل بركة والقوني محمد الحر، وسنحصر جهدنا لدراسة مساهمات اثنين من الرواد المعاصرين هما: القوني حسن عمر والشيخ جبريل بركة، لما يتميزان به من إنتاج مكتوب في القراءات.

1 ـ الشيخ القوني حسن عمر طاهر إبراهيم القرشي

وهو من الدفعة الأولى للرواد المعاصرين لحفظة القرآن الكريم الذين ابتعثوا إلى معاهد القراءات الأزهرية سنة 1975م.

وهو من مواليد قرية شاور بمدير البطحاء وسط البلاد حوالى 1935م، تلقى تعليمه حسب نظام تحفيظ القرآن الكريم، على يد شقيقه الأكبر، وكان من عادة أقرانه أن يهاجر الحافظ منهم إلى منطقة بعيدة عن موطنه الأصلي، ليتفرغ لتجويد القرآن الكريم، فهاجر إلى بحر الغزال، والتحق بالشيخ القوني محمد أبو شيب، ولازمه بضع سنوات، ليتجاوز جميع مستويات الحفظ والإتقان المتعارف عليها، إلى أن رفعه إلى درجة ماهر (قوني) في القرآن الكريم، ومن شيوخه في مصر الشيخ عامر السيد عثمان، والشيخ عطاء رزق. وعاد إلى البلاد في عام 1978م، وتولى إدارة معهد القراءات في الفترة من 1981ـ1982م.

وما يميز الشيخ عمر حسن طاهر، ليس فقط اهتمامه بتبليغ رسالته في نشر القراءات والعلوم الإسلامية أنى حلّ، وإنما بتأليفه المبسط في علوم القراءات وغيرها. وسأحاول أن أعرض لبعض أعماله المكتوبة[21].

أ ـ دليل الحيران إلى قواعد أبي سعيد عثمان

وهو كتاب منثور يقع في حوالي أربعين صفحة بخط اليد، تناول شرح أوجه رواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، اتبع فيه طريقة السؤال والجواب، وهذا المخطوط من أكثر مؤلفات الشيخ انتشاراً بين يدي الحفظة في تشاد، لسهولته، من جهة، ولتناوله روايةً تعتبر الأكثر انتشاراً في البلاد، ولكنها الأقل شرحاً وتوضيحاً من جهة أخرى. وتمّ تأليف هذا المخطوط

---

20. مقابلة مع الشيخ القوني جبريل بركة حول (تطور القراءات في تشاد) في منزله بأنجمينا ـ تشاد، حارة أم رقيبة، الساعة الرابعة بعد العصر، بتاريخ 28/4/2002م، والشيخ جبريل بركة من الأوائل الذين حضروا هذه الحلقة ومن الذين أجيزوا بعدها، ثم التحق بالأزهر بعد ذلك.

21. يرجع الفضل إلى القوني إدريس احمد في مدنا بالمعلومات الذاتية عن صهره وشيخه القوني حسن عمر طاهر.

في 26/محرم 1407هـ الموافق 30/9/1986م، ولتسهيل تداوله بين القرّاء والحفظة تمّ تصوير أعداد من المخطوطة عام 1983م[22].

ب ـ الفتح الرباني فيما خالف فيه قالون ورشا من حرز الأماني

وهو كتاب منثور يقع في حوالي (24) صفحة مخطوطة باليد، تناول فيه الخلاف بين قالون وورش وهما راويا قراءة نافع المدني، فأوضح في البداية ما انفرد به قالون، مع بيان أوجه روايته، تمّ بسط القول في الخلاف بين الراويين حسب ترتيب السور في القرآن الكريم كلّه. فرغ من تأليفه في 7 شوال 1405هـ الموافق 24/6/1985م. ونظراً لحاجة الحفظة إلى هذه المقارنات فقد صوّرت منه نسخ عديدة في مطبعة مدينة ميدغري بنيجيريا عام 1407هـ[21].

ج ـ الهداية الربانية إلى ما خالف فيه الدوري ورشاً من طريق الشاطبية

وهو كتاب كبير نسبياً فهو يقع في نحو (60) صفحة مخطوط باليد، تناول فيه الخلاف بين رواية الدوري عن أبي عمر البصري وهي الرواية التي تلي رواية ورش في تشاد، ويقرأها في المنطقة الشرقية خاصة المدن والقرى الكبيرة في سلطنة دار وداعة العباسية. وبين رواية ورش عن نافع الدني، وعلى طريقة تأليف الشيخ عمر حسن في النثر، فإنه يقسم أعماله إلى فصول وفرش، وترجع أهمية هذا الكتاب باعتباره العمل الأول لتوضح رواية الدوري والفرق بينها وبين رواية ورش. تمّ تأليف هذا الكتاب حوالي 1982م، ونظراً لحاجة الطلاب إلى نسخ منه فقد صوّرت منه نسخ عديدة مخطوطة في مطبعة يأوندي بالكمرون سنة 1990م[24].

د ـ الإرشادات الربانية إلى ما خالف فيه عبد الله بن كثير نافعاً من طريق الشاطبية.

وتزيد صفحات هذا العمل عن (70) صفحة مخطوطة باليد، ناقش فيه الخلاف بين قراءة عبد الله بن كثير المكي وقراءة نافع بن عبد الرحمن المدني، وبدأه بترجمة لكلا القارئين، ثم وضّح نقاط الخلاف بين قراءاتهما، وقسّم الكتاب كعادته إلى فصول وفرش، ألف الكتاب سنة 1989م[25].

هـ ـ بيان القراءات الشاذة.

وهو عمل يقع في حوالى (50) صفحة مخطوطة باليد، وضّح فيه المؤلف أشهر القراءات الشاذة، وتطرق إلى أحكامها بإيجاز، وقد التقى الباحث مع الشيخ حسن عمر في مدينة سار جنوب تشاد في سنة 1996م وكان الباحث في مهمة رسمية لفتح المعهد الأزهري بسار، ونزل في استضافته، وأخبره بانتهائه من تأليف هذا الكتاب، ولما طلب منه الباحث نسخة، وعده بواحدة، ولكن بعد مراجعتها وتدقيقها، وقد فعل جزاه الله خيراً[26].

و ـ إرشاد الأخوان إلى تفصيل الهمزتين لرواية أبي سعيد عثمان

وهي رسالة صغيرة مخطوطة باليد في حوالى (14) صفحة، وصاغها على طريقة السؤال والجواب، وتطرق فيها لأنواع الهمزات من كلمة ومن كلمتين، حالة اتفاقهما وحالة اختلافهما، وعدد كل قسم وأحكامه. ألف هذا العمل في مدينة أم التيمان سنة 1997م[27].

22. القرشي، الشيخ القوني حسن عمر طاهر إبراهيم: دليل الحيران إلى قواعد أبي سعيد عثمان، مخطوط، خزانة الباحث، أنجمينا ـ تشاد.
23. القرشي، الشيخ القوني حسن عمر طاهر إبراهيم: الفتح الرباني فيما خالف فيه قالون ورشا من حرز الأماني، مخطوط، خزانة الباحث، أنجمينا ـ تشاد.
24. القرشي، الشيخ القوني حسن عمر طاهر إبراهيم: الهداية الربانية إلى ما خالف فيه الدوري ورشا من طريق الشاطبية، مخطوط، خزانة الباحث، أنجمينا ـ تشاد.
25. القرشي، الشيخ القوني حسن عمر طاهر إبراهيم: الإرشادات الربانية إلى ما خالف فيه عبدالله بن كثير نافعاً من طريق الشاطبية، مخطوط، خزانة الباحث، أنجمينا ـ تشاد.
26. القرشي، الشيخ القوني حسن عمر طاهر إبراهيم: بيان القراءات الشاذة، مخطوط، خزانة الباحث، أنجمينا ـ تشاد.
27. القرشي، الشيخ القوني حسن عمر طاهر إبراهيم: إرشاد الأخوان إلى تفصيل الهمزتين لرواية أبي سعيد عثماني، مخطوط، خزانة الباحث، أنجمينا ـ تشاد.

ز ـ تاريخ القرّاء

وهو مؤلف يقع في (40) صفحة مخطوطة باليد تناول فيه اماكن القرّاء وتواريخهم، ومدى انتشار قراءاتهم وأماكنها الحالية وقد ألف سنة 1997م[28].

وللشيخ القوني حسن عمر طاهر مؤلفات في مواضيع أخرى، مثل علم الفرائض وعمل في التاريخ والحوادث العظام التي وقعت في تشاد، وديوان في الشعر. وجميع أعماله تقريباً مخطوطة باليد، والجزء اليسير الذي نشر، فهو بطريقة التصوير أو التكثير في مطابع محلية في نيجيريا والكمرون.

2 ـ الشيخ القوني جبريل بركة

وهو من الرواد الأوائل الذين قادوا حركة التحول في تحفيظ القرآن الكريم، ولد الشيخ جبريل بركة بن محمد بن حسين الميقني سنة 1941م في بيكرو غرب تشاد، فبعد أن قرأ القرآن الكريم على يد والده ثم أخيه الأكبر القوني أبو بكر بركة في قريته صاح الزراف في بيكرو، هاجر كعادة أقرانه من أجل إتقان تجويد القرآن الكريم، فذهب إلى البطحاء فأدخل لوحه على القوني عبد الله التمير والشيخ القوني الغالي والشيخ القوني عبد الرحمن، ثم رحل إلى قرية بتكن، فقرأ على الشيخ آدم عمر، ثم على الشيخ موسى صالح المعروف بالقوني موسى ابن الفلانية، ثم ارتحل إلى منطقة دربالي وقرأ على الشيخ القوني حسين آدم المعروف بالغرباوي، ثم على الشيخ القوني صالح بن السيخ أبو بكر اشيقر، إلى أن وصل إلى العاصمة التشادية (فورت لامي آنذاك)، فالتحق بمدرسة الشيخ القوني عيسى ولد كندلة إلى أن أجازه في القراءة والإقراء ومنحه درجه ولقب «قوني» في سنة 1964م.

وفي سنة 1975م سافر في الدفعة الثانية من الحفظة إلى الأزهر الشريف فسجل في معهد القراءات بشبر الحزاندارة، وتلقى القراءات العشر على شيوخه، وأهم شيوخه عبد الصبور منصور والشيخ فتحي قنديل والشيخ داود فتحي، ونال من معهد القراءات الشهادة العالية في القراءات العشرة من طريق الدرة الشاطبية سنة 1979م وعاد إلى وطنه عام 1980م.

وبمجرد رجوعه انضم إلى الرواد الأوائل في تحمّل مسؤولية نشر القراءات المجودة، والتنوّع في التجويد، سواء أكان ذلك في معهد القراءات أو في حلقته العامرة في منزله، وكذلك في رحلاته المتعددة داخل الوطن، وإلى الدول المجاورة، نيجيريا وإفريقيا الوسطى والكمرون. وله من التأليف الأعمال الآتية:

أ ـ كتاب الدرر النضيدة في أوجه عثمان:

وهو مؤلف يقع في (92) صفحة مخطوطة بيد المؤلف، تناول أوجه ورش العامة، ثم أوجهة الرواية في كل سورة من سور القرآن على حدة. ومن الواضح أنه يقدم مادة هامة في الرواية التي يقرأ بها معظم الحفظة والطلاب في تشاد، تمّ الانتهاء من تأليفه في انجمينا في 2 رجب 1404هـ الموافق 1985/3/27م ونظراً لحاجة حفاظ القرآن الكريم لهذا العمل، فقد صوّرت أو كثرت منه نسخ عديدة ووزّعت على شكل كتاب[29].

ب ـ رسالة البيان فيما اختص به قالون عن عثمان:

وتحتوي (30) صفحة بخط اليد، كاتبها الناسخ الماهر القوني احمد الجد، بدأها بسيرة الإمام قالون، ثم بين أصول قالون العامة في الرواية والقضايا التي يختلف فيها عن عثمان أي ورش. انتهى منه في 6 رمضان 1404هـ الموافق 1984/9/9م[30].

---

28. القرشي، الشيخ القوني حسن عمر طاهر إبراهيم: تاريخ القرّاء، مخطوط، خزانة الباحث، أنجمينا ـ تشاد.

29. بركة، الشيخ القوني جبريل: الدرر النضيدة في أوجه عثمان، مخطوطة، خزانة الباحث، أنجمينا ـ تشاد.

30. بركة، الشيخ القوني جبريل: رسالة البيان فيما اختص به قالون عن عثمان، مخطوطة، خزانة الباحث، أنجمينا ـ تشاد.

ج ـ الدرر المنثور في تقريب رواية الدوري

وهو كتاب كبير يقع في (216) صفحة مخطوطة باليد، الناسخ عباس محمد احمد عباس، تناول فيه بالتفصيل رواية الدوري التي ذكرنا أن الجزء الشرقي من تشاد يقرأ بها، خاصة المدن والقرى الكبيرة «الحلال»، فأورد الأحكام العامة، في الرواية مثل: ما جاء بين السورتين، والمد المتصل والمنفصل إلخ، إلى أن وصل إلى القواعد التفصيلية للرواية في كل آية وسورة. وكان الفراغ منه يوم 1405/2/3هـ الموافق 1983/8/2م[31].

د ـ القواعد الأدائية فيما خالف فيه شعبة حفصاً من طريق الشاطبية

وهو كتاب متوسط الحجم، يقع (27) صفحة، مخطوط بيد المؤلف، تناول فيه ما يميّز قراءة شعبة عن حفص، لما لاحظه المؤلف من خلط من الطلاب بين الروايتين. بدأ الكتاب بإعطاء نبذة عن حياة شعبة الكوفي، وأوضح ما يميز قراءته من الأحكام عامة، ثم ما يميزه في كل سورة من سور القرآن الكريم، من البقرة إلى سورة الإخلاص، وكان الفراغ من تأليفه يوم 12/ من جمادى الأولى 1414هـ الموافق 1993/10/27م (32).

هـ ـ رسالة تحرير الراءات في طريق الروايات:

وهي رسالة مكونة من (21) صفحة متوسطة الحجم عرض فيها أحكام الراء اتفاقاً واختلافاً، وبين حكم الراء مع حروف الاستعلاء، ثم راء ذكرا وأخواتها، والراء المفخمة والمكسورة والساكنة بعد أكبر... إلخ. تمّ تبييض هذه الرسالة في 11/صفر 1420هـ[33].

تاسعاً: اثر مؤسسات تحفيظ القرآن الكريم في المجتمع

يسند المجتمع التشادي إلى مؤسسات تحفيظ القرآن الكريم بمختلف مسمياتها ـ العديد من الأدوار الاجتماعية.

فالمسيج هو المؤسسة الأساسية في حفظ نظام التعليم والتربية في معظم مراحل تاريخ المجتمع الشادي، وهو الحمى الذي احتمى به المجتمع في الحفاظ على هويته الإسلامية أثناء الاستعمار الفرنسي، وظل ركيزة أساسية من ركائز الثقافة الإسلامية المميزة لهذا الشعب، وساهمت مؤسسات تحفيظ القرآن في الحفاظ على الأنفس والثروة والسلطة السياسية في المجتمع.

1 ـ حفظ التربية والتعليم

❖ لا يتوقف دور مؤسسات تحفيظ القرآن على تحفيظه، بل يمتد إلى القيام بالتربية والتعليم في المجتمع.

فمؤسسات تحفيظ القرآن الكريم، لا يتوقف دورها على حفظ القرآن الكريم، بل يمتد إلى القيام بالتربية والتعليم في المجتمع، وتنفرد في القيام بهذا الدور في بعض المناطق البدوية والريفية، وتشارك بشكل فاعل مع غيرها من مؤسسات التعليم والتربية الحديثة في جميع الأقاليم التشادية.

ولم يكن هذا الدور جديداً على مؤسسات تحفيظ القرآن الكريم في تشاد، فقد كانت المؤسسة الوحيدة للتربية والتعليم في السلطنات والممالك الإسلامية التي قامت حول بحيرة الشط، ابتداء من سلطنة كانم ـ برنوح، إلى سلطنة بقرمية، إلى دار وداعة، ودار سيلا، ودار تاما، وسلطنة لوغون الإسلامية، ففي جميع هذه الكيانات التي أقامها المسلمون حول هذه المنطقة منذ دخول الإسلام، شكل المسيج القرآني

31. بركة، الشيخ القوني جبريل: الدرر المنثورة في تقريب رواية الدوري، مخطوطة، خزانة الباحث، أنجمينا ـ تشاد.

32. بركة، الشيخ القوني جبريل: القواعد الأدائية فيما خالف فيه شعبة حفظاً من طريق الشاطبية، مخطوطة، خزانة الباحث، أنجمينا ـ تشاد.

33. بركة، الشيخ القوني حبريل: رسالة تحرير الراءات في طريق الروايات، مخطوطة، خزانة الباحث، أنجمينا ـ تشاد.

نقطة الارتكاز في النظام التعليمي.

وعند وصول طلائع الاستعمار الفرنسي وجدوا هذه المؤسسات التعليمية، أعدت الحفظة والعلماء والمثقفين بالثقافة العربية الإسلامية، وقد أشاد جميع الأوروبيين بريادة هذه المؤسسات واعتماد المجتمع عليها في التربية والتعليم. فذكر (بارث) في رحلته وجود طبقة من المثقفين بالثقافة الإسلامية في جميع السلطنات الإسلامية حول بحيرة الشط تخرجوا من مؤسسات، تعليمية محلية في المنطقة[34].

وخلفه الرحالة (ناشنيجال) فذكر دور مؤسسات تحفيظ القرآن الكريم في دار وداعة بالتحديد، وأشار إلى قوة الجماعة التي تخرجها في شؤون الدين والدنيا[35].

ودور هذه المؤسسات ظهر بشكل واضح أثناء الاحتكاك بالغزو الفرنسي المباشر حوالى سنة (1900م)، فقد وجد الفرنسيون المدارس القرآنية تقوم بدور التربية والتعليم في المنطقة. ورغم الصورة الصدامية التي واجه بها الفرنسيون هذه المؤسسات التعليمية، إلا أنهم أشادوا بدورها القوي في سحب الأطفال المسلمين من التعليم الفرنسي، فرفض المدرسة الفرنسية من قبل المسلمين، شكل العائق الثقافي الأول للفرنسيين في هذه البلاد.

وأفضل من عبّر عن هذه الصورة من المواجهة بين مؤسسات تحفيظ القرآن الكريم، والمدرسة الفرنسية الدكتور/ عيسى حسن خيار في دراسته «رفض المدرسة الفرنسية» التي أعدّت ونشرت في فرنسا[36].

ولكن لماذا رفض المسلمون في تشاد التعليم الفرنسي الحديث؟ للإجابة عن مثل هذا التساؤل، هناك عدة محاولات، منها؛ ما يراه الأهالي في هذه المناطق من اختيارهم لنظام التعليم الذي يمكن أن يرسلوا أولادهم إليه، وكان اختيارهم لنظام التعليم القرآني، لأنه يقربهم من ربهم من ناحية، ويحفظ لهم أبناءهم من التنصير من ناحية أخرى، فإلى فترة قريبة - وربما إلى الآن - ينظر معظم المسلمين إلى التعليم الفرنسي بأنه «نصراني»، وهذا ما يفسّر وجود عدة خلاوي كبيرة في حارة من العاصمة أنجمينا وهي حارة رضينا تضم الخلوة الواحدة (350) تلميذاً وتلميذة، يدرسون فيها بالدوام الكامل، ويعني هذا انهم غير مسجلين في التعليم العام، بينما لا تبعد عنهم مدارس التعليم العام الفرنسي والعربي إلا مئات الأمتار، وحينما يستفسر من أولياء أمورهم يجزمون، أن النظام التعليمي الذي يوفره المسيح لأبنائهم افضل لحفظهم وحفظ دينهم.

❖ يستخدم المجتمع التشادي مؤسسات تحفيظ القرآن الكريم للحفاظ على الدين الإسلامي ومقاومة ما يمثله التعليم الفرنسي.

فالمجتمع يستخدم مؤسسات تحفيظ القرآن الكريم للحفاظ على الدين الإسلامي، ومقاومة ما يمثله التعليم الفرنسي. واعترافاً من الفرنسيين بدور مؤسسات تحفيظ القرآن الكريم في اكتساب رضى المسلمين، وحجز التلاميذ بمحض إرادة أهلهم وذويهم عن المدرسة الفرنسية، شكل الفرنسيون ما يشبه المسيح في المدارس الفرنسية، وقاموا بتعيين معلمين تخرّجوا من مؤسسات تحفيظ القرآن الكريم، وذلك من أجل استقطاب أولاد المسلمين إلى التعليم الفرنسي، وقد كانت سياسة ناجحة في بعض المناطق، فالطفل المسلم يرى الشيخ «الأستاذ» يدرس مثل

---

34. أيوب، محمد صلح أيوب: مجتمعات وسط إفريقيا بين الثقافة العربية والفرانكفونية منشورات مركز الدراسات الافريقية، سبها، 1992م، ص 40.

35. المرجع السابق ص 25.

36. Khayar Issa Hassan: Refuse de l'ecole, neuf, Paris, 1976.

الفرنسي «النصراني»، وبالتالي فهو في مأمن من التنصير أولاً، ثم يحفظ بعض تعاليم دينه من هذا الشيخ ثانياً.

وترافق مع هذه السياسة في التقرّب من الحفظة، اختيار أعداد من خريجي مؤسسات تحفيظ القرآن الكريم، والاستفادة منهم في القضاء أيام الاستعمار الفرنسي، وقد ذكر الدكتور عيسى حسن خيار عدداً منهم في كتابه «الصفوة الوداوية»[37].

ولكن هذا الاعتراف الفرنسي لم يقلّل من دور مؤسسات تحفيظ القرآن في التعليم، بل ظل المسلمون يرسلون أولادهم إليها كمهاجرين من أجل التعليم، وظلوا يقيمونها في باديتهم وريفهم وحضرهم، باعتبارها النظام التربوي والتعليمي الذي يحفظ لهم أبناءهم من التنصير ويعلمهم أمور دينهم.

وبعد الاستقلال اعترف الرئيس الأول لتشاد، بالمدارس القرآنية باعتبارها أحد مكونات النظام التربوي في تشاد المستقلة، وأصدر مرسوماً رئاسياً بذلك، حدّد فيه بعض المدارس القرآنية الرسمية وأقرّ لها بمساعدات مادية سنوية[38].

وفي الوقت الحاضر هناك اعتراف من وزارة التربية الوطنية بما تقوم به مؤسسات تحفيظ القرآن الكريم من محو الأمية لقطاع كبير من المسلمين.

ومن الملاحظ أن جميع هذه الاعترافات كانت نتيجة لقبول المواطنين للمسيح كمؤسسة للتربية والتعليم وإرسال أولادهم إليها، بشكل كلّي أو جزئي، وعدم قبولهم الدائم للمدرسة الفرنسية.

وهذا ما جعل قبول ثنائية النظام التربوي في تشاد عملية ضرورية، فالمسلمون في تشاد لا يقبلون إرسال أولادهم إلى المدرسة الفرنسية، والدولة ـ كانت ـ لا تريد أن تضم النظام التعليمي القرآني بالكامل لنظامها التربوي، ومرّ قرن كامل، والمسلمون مصرون على التمسك بنظامهم التعليمي القرآني، والتعليم العام منخفض في البلاد، والحل الآن هو القبول بوجود نظامين للتعليم والتربية في البلاد النظام الرسمي، والنظام العربي الإسلامي الأهلي الرسمي، وواضح أن النظام العربي الإسلامي هو تطوير منهجي فقط لمؤسسات تحفيظ القرآن الكريم، وإن كان قد تأثّر بالنظم التعليمية الحديثة في الأزهر والدول المجاورة.

❖ حينما امتحن المجتمع التشادي بالغزو الاستعماري الفرنسي لم يجد مثل مؤسسات تحفيظ القرآن الكريم ملاذاً يحتمي به للحفاظ على هويته الإسلامية، خاصة بعد أن نفّذ المستعمر الفرنسي، سياسة القتل والتنكيل.

2 ـ حفظ الهوية الإسلامية

حينما امتحن المجتمع التشادي بالغزو الاستعماري الفرنسي لم يجد مثل مؤسسات تحفيظ القرآن الكريم ملاذاً يحتمي به للحفاظ على هويته الإسلامية، خاصة بعد أن نفّذ المستعمر الفرنسي، سياسة القتل والتنكيل، فقتل عدداً من العلماء والمشائخ الذين تخرّجوا من المسيح وتوابعه، وحدّدوا بأن المقاومة الأساسية للثقافة الفرنسية تأتي من هذه المؤسسات، ففي موقعة واحدة في مملكة دار وداعة قتلوا أكثر من (400) عالم وشيخ بحجة أنهم أفتوا بضرورة مقاومة الاستعمار الفرنسي «النصراني»، وشمل التنكيل بالحفظة والعلماء الطرد من البلاد والنفي الاختياري، وقطع جميع وسائل الرزق التي كانت تقوم عليها هذه المؤسسات، من قبيل منع دفع الزكاة لهم ولمؤسساتهم.

ولكن هذه المعاملات من الفرنسيين زادت من قوة مواقف المشائخ والعلماء وأصحاب المسيح القرآني،

---

37. Arrêté N° 1096/F.G/E.N accodant des subentions aux ecoles coraniques sur le territoire de la Republique du Tchad, For - Lamy, le 19/04/1966.

38. Khayar Issa Hassan, Regçrd sur les elites ouaddaiennes, Paris, 1984.

فكتبوا الرسائل التي تحرض على مقاطعة الفرنسيين، وعدم تقليدهم والتشبّه بهم وعدم التعاون معهم[39].

ولهذا ظلت مؤسسات تحفيظ القرآن الكريم والقائمين عليها، من اهم الوسائل التي استخدمها المجتمع التشادي للحفاظ على الهوية الإسلامية أيام الاستعمار الفرنسي، وظل يستخدمها في مواجهة التذويب الثقافي الفرنسي إلى اليوم[40].

وفي مؤتمر عن الهوية الشادية أقامته جامعة تشاد (سابقاً) عام 1991م تمّ إقرار هذه الوظيفة لمؤسسات تحفيظ القرآن الكريم، فتم الإقرار من قبل المشاركين في المؤتمر بأن المجتمع التشادي حافظ على هويته الخاصة، وأحد مكوناتها الأساسية الإسلام، بفعل الدور الهام الذي تقوم به مؤسسات تحفيظ القرآن الكريم والمدارس الإسلامية التي قامت إمداداً لها[41].

3ـ حفظ الأنفس والثروة والسلطة

من الوظائف الأساسية لمؤسسات تحفيظ القرآن الكريم في تشاد، اتجاه المجتمع لربط بين حفظ القرآن الكريم في عائلة معينة أو منطقة معينة، وحفظ الأنفس والثروة والسلطة، فالعائلة التي تخلو من حافظ للقرآن الكريم، ترى بأنها معرّضة للهلاك دنوياً وليس لها من أفرادها شفيع يوم القيامة، وهذا ما يوضح احتفاء جميع العائلات ـ تقريباً ـ بالحفاظ فيها، والافتخار بهم في المحافل والمواقف الاجتماعية المختلفة، وترتفع مكانة العائلات بارتفاع عدد الحفاظ فيها، ويتبع هذا الاتجاه، اتجاه آخر يركز على أهمية حفظ القرآن الكريم، وربط ذلك بحفظ الثروة، وهذا ما يفسّر إرسال البدو وأصحاب المواشي لأولادهم لحفظ القرآن الكريم، اعتقاداً منهم بأن ذلك يحفظ الثروة، وقد لاحظنا هذه الظاهرة لدى رجال الأعمال في المدينة، حيث يندر وجود منزل كبير لرجل أعمال مسلم يخلو من مسيج بارز لتحفيظ أفراد أسرته القرآن الكريم، أملاً منه في حفظ أموال وثروته دنوياً، بالإضافة إلى طلب النجاة من النار في الآخرة.

أما حفظ السلطة فقد ارتبط بحفظ القرآن خاصة أيام السلطنات الإسلامية منذ دخول الإسلام إلى هذه المناطق وإلى اليوم، وقد استشهدنا بعدد من المهرة أو الحفظة الذين ساهموا مساهمات فاعلة في الحفاظ على السلطة السياسية لدرجة أن الناس في بعض المناطق، وتقديراً لدور هؤلاء الحفظة أو العلماء في الحفاظ على النظام السياسي في المجتمع، قد اسندوا إليهم القيادة، وهم لها رافضون، كما حصل للشيخ عبد الكريم بن دامع في دار وداعة، والشيخ محمد الأمين الكانمي في كانم ـ برنوح.

ومجمل القول أن هذه الصورة المشرفة للحافظ لكتاب الله في هذه المناطق كانت وليدة لعوامل عديدة اجتماعية وسياسية جعلت العلماء بصفة عامة محط الأنظار، ولم يكونوا بمعزل عن الحياة الاجتماعية والمشاركة الفعالة في أحداثها الحاسمة، وربما مَثَّلَ العالم أو الحافظ في العديد من الفرص دور المحرك الأول لتلك الأحداث[42].

الخلاصة:

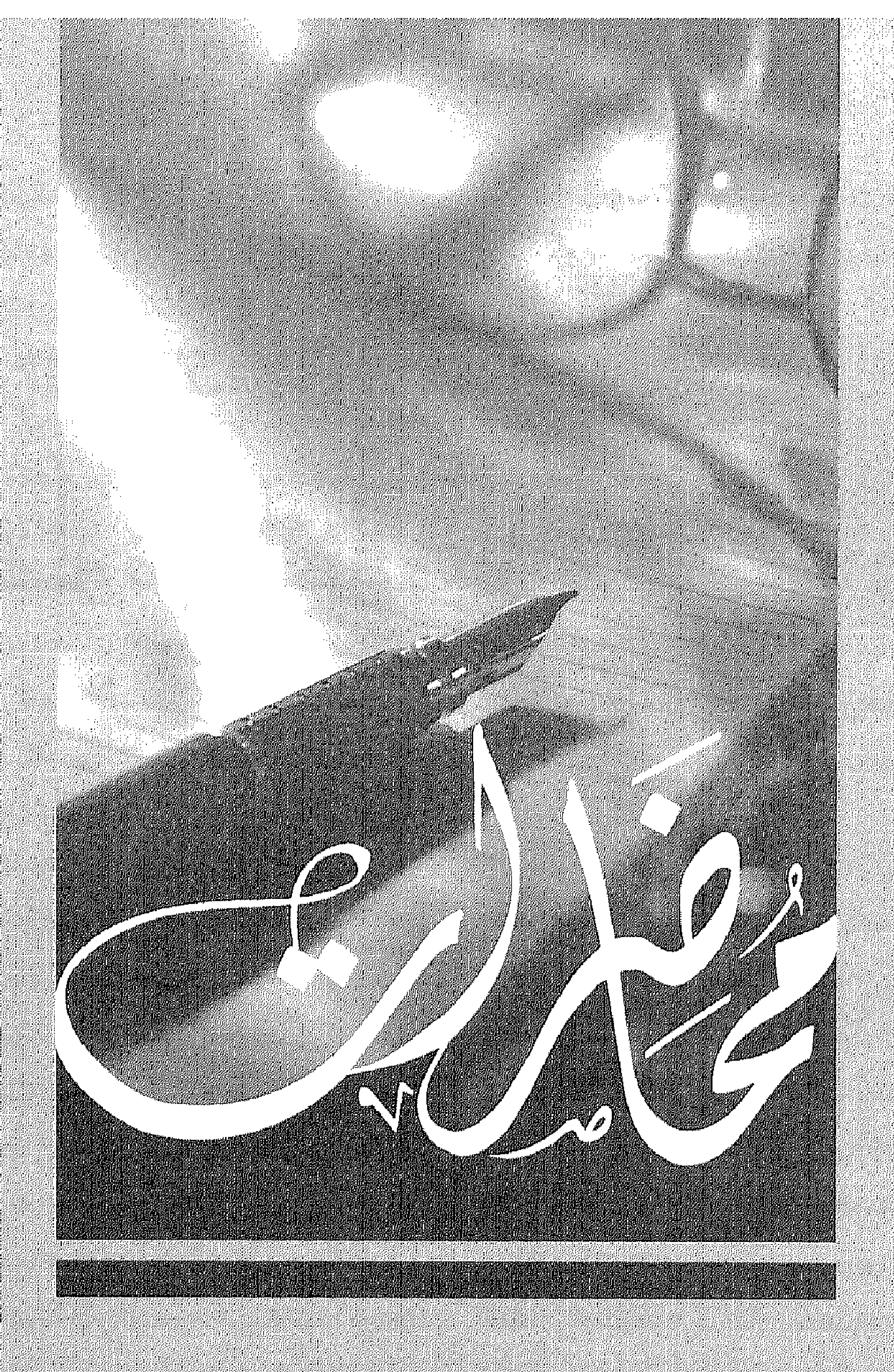
ومجمل القول ان كل ما قيل عن مؤسسات تحفيظ القرآن الكريم في تشاد، يعتبر محاولة أولية لدراسة النظام التعليمي العربي الإسلامي، الذي حافظ عليه المجتمع التشادي، لأنه يقدم له خدمات تعليمية وثقافية واجتماعية وسياسية، زيادة على دوره العقدي في حفظ الدين الإسلامي في الصدور وفي الحياة اليومية للمسلم.

39. أيوب، د. محمد صالح: الدور الاجتماعي والسياسي للشيخ عبد الحق السنوسي الترجمي في دار وداي، مرجع سبق ذكره ص 239.

40. أيوب، د. محمد صالح: جماعات التحديث الاجتماعي في وسط افريقيا، مطبعة المعرفة القاهرة، 1991م، ص ص 134ـ145.

41. Conference sur l'indentité Tchadienne, N'Djaména, université du Tchad, 1991

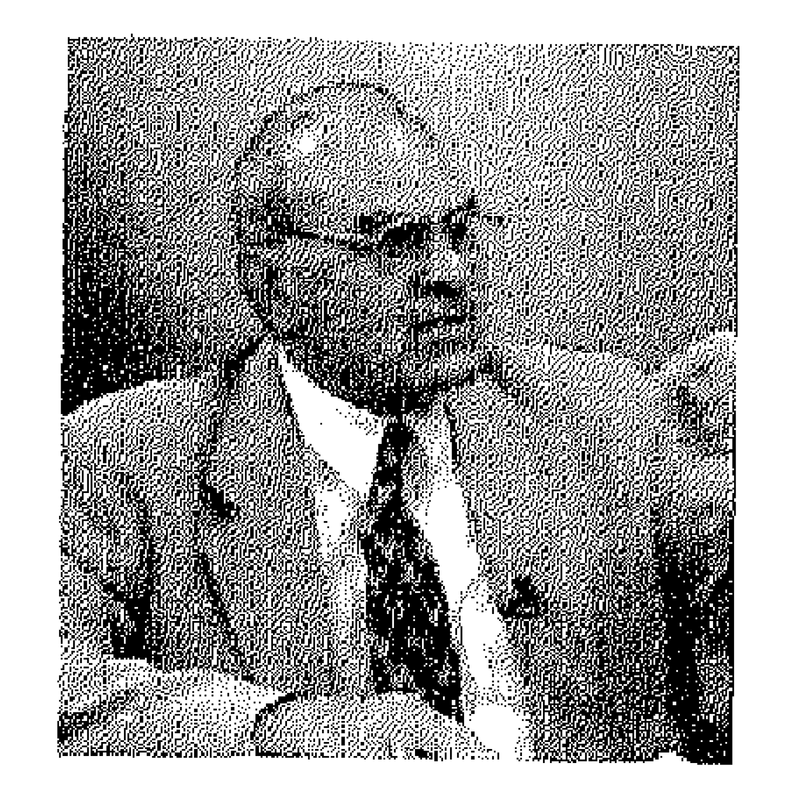
42. شلبي، هند: القراءات بإفريقية من الفتح إلى منتصف القرن الخامس الهجري مرجع سبق ذكره، ص: 274ـ275.



❖ الآفاق المستقبلية للدعوة الإسلامية



الآفاق المستقبلية للدعوة الإسلامية*



الدكتور محمد عمارة**

بسم الله الرحمن الرحيم وصلاة وسلاماً على سيدنا رسول الله ﷺ وعلى آله وصحابته أجمعين. أيها الأخوة الكرام والأبناء الأعزاء سلام الله عيكم ورحمته وبركاته.

عندما نتكلم عن الآفاق المستقبلية للدعوة الإسلامية أتصور أن الظرف الذي نعيشه واللحظات التي نمر بها تفرض علينا أولاً أن نحيي أرواح الشهداء الذين يكتبون بدمائهم في هذه اللحظات - على أرض العراق وفلسطين - وثيقة حتمية انتصار الدعوة الإسلامية في المستقبل إن شاء الله. هذه الحقيقة تطرح قضية تميز الدعوة الإسلامية، يعني في النصرانية - على سبيل المثال - قمة إقامة النصرانية أن تكون راهباً في مغارة أو في شِعْبٍ أو فوق جبل أي بعيداً عن الدنيا بعيداً عن الوطن بعيداً عن الدولة بعيداً عن السياسة بعيداً عن النظام، هذه هي قمة إقامة النصرانية. أما الإسلام والدعوة الإسلامية فيستحيل إقامة كامل الإسلام إلا في وطن وفي دولة وفي نظام، إلا في أمة. فالإسلام دين الجماعة، الإسلام كما جاءت فيه تكاليف فردية موجهة للفرد جاءت فيه تكاليف جماعية واجتماعية لا يمكن إقامتها إلا في جماعة ودولة ونظام، ولذلك فإنه دون وطن لا يمكن أن تقام شعائر الإسلام كاملة، بل حتى الفرائض الفردية في الإسلام عندما تقام في جماعة يكون ثوابها أكبر وأعظم، حتى الصيام - وهو عبادة سرية - نجده يوحِّد الأمة توحيداً شديداً في شهر رمضان.

إذن الإسلام لا بد له من وطن، لأن الوطن هو الوعاء الذي دونه لا يقام كامل الإسلام، ومن هنا فالذين يقدمون أرواحهم ودماءهم دفاعاً عن وطن العروبة ووطن الإسلام هؤلاء إنما يجاهدون في سبيل الوطن الذي هو وعاء الدعوة الإسلامية، ومن دونه لا يمكن أن تكون هناك حقيقة لدعوة إسلامية.

مقاصد الدعوة الإسلامية

النقطة الثانية هي أن للدعوة الإسلامية مقاصد، وهذه المقاصد ليست مجرد كتاب يُطبع، ولا مجرد خطبة تَقال، ولا مجرد محاضرة تُلقى. الدعوة

* محاضرة ألقيت في كلية الدعوة الإسلامية / طرابلس، بتاريخ: 1372/14/13 من وفاة الرسول ﷺ (2004 مسيحي)

** كاتب وباحث / مصر

الإسلامية لها ثلاثة عناصر تمثل مقاصدها المكتملة والمجتمعة: أولاً تبليغ الدعوة، ثانياً إقامة الحجة، ثالثاً إزالة الشبهة. يعني إذا بلّغنا الدعوة فقط ليس هذا هو كامل الدعوة الإسلامية، لأنه لا بدّ من إقامة الحجة على صدق هذه الدعوة الإسلامية، ثم إن إقامة الحجة مع تبليغ الدعوة لا يكفي، لأن هناك شبهات، والإسلام قام في مواجهة الشبهات وفي مواجهة التحديات، وأنتم عندما تقرأون القرآن الكريم تجدونه لا يترك صغيرة ولا كبيرة من الشبهات التي قالها الشرك وقالها النصارى واليهود إلا وردّ عليها، مهما كانت تفاهة هذه الشبهات

﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [سورة صٓ: الآية 5]

﴿إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ...﴾ [سورة الجاثية: الآية 24]

﴿سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [سورة الذاريات: الآية 39]

﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [سورة الأنعام: الآية 25]

﴿هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ [سورة البقرة: الآية111]

إلى آخر كل هذه الشبهات. إذن القرآن لا يترك الشبهات دون أن يرد عليها ويناقشها بالمنطق، الذين كانوا يصادرون ويصمّون آذانهم ويتجاهلون كانوا مشركين، يعني هم الذين كانوا يقولون:

﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾ [سورة فصلت: الآية 26]

يعني الذين يصادرون ويتجاهلون والذين يصمتون أمام الشبهات وأمام حجج القرآن الذي كان يقول لهم:

﴿هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ [سورة البقرة: الآية111]

﴿هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ﴾ [سورة الأنعام: الآية 148]

إذن لا بد مع تبليغ الدعوة من إقامة الحجة، ولا بد من إزالة الشبهات التي تقال وتلقى أمام الدعوة الإسلامية والحجج الإسلامية. ونحن في هذا الواقع الذي نعيش فيه نشهد سيولاً من التهجم والافتراء على الدعوة الإسلامية وعلى الإسلام. وهذا هو الذي يطرح علينا في واقعنا المعاصر أن تكون لنا رؤية متميزة: كيف نبلغ الدعوة في واقع متغير كالذي نعيش فيه؟ كيف نقيم الحجة في مواجهة انساق فكرية وفلسفاتٍ كلُّها تتجمع الآن لتواجه الإسلام؟ وكيف نزيل هذه الشبهات التي تواجه الدعوة الإسلامية؟

فقه الأحكام وفقه الواقع

أنا أتصور أن هذا المدخل يطرح علينا قضية المعوقات التي تقف أمام الدعوة الإسلامية، لأن الفقه في العرف الإسلامي ليس فقط قراءة الكتب، وليس فقط الفهم لما في هذه الكتب، إنما الفقه الحقيقي هو فقه الأحكام وفقه الواقع، ثم عقد القِران بين فقه الحكم وبين فقه الواقع، لأنه إذا الإسلام لا بدّ له من وطن ولا بدّ له من إجابات عن علامات الاستفهام التي يطرحها هذا الواقع؛ إذن لا بدّ من فقه الواقع. وأحب أن أشير هنا إلى أنه أصابنا نوع من الفصام النكد منذ الاحتكاك بالحضارة الغربية، منذ قرنين من الزمان على الأقل، بعزل التعليم الديني عن التعليم المدني، يعني أصبح لدينا خبراء في الواقع لا يفقهون الدين، وفقهاء في الدين ليس لديهم خبرة بالواقع، وهذا هو الذي جعل هذا الفصام يسود في ثقافتنا وفي مجتمعاتنا، بعبارة أخرى أصبح لدينا خبراء لا قلوب لهم، وفقهاء لا عقول لهم في بعض الأحيان، وهذه هي المشكلة التي يجب أن تعالجها الدعوة الإسلامية، أن تجمع بين فقه الحكم وبين فقه الواقع، يعني نحن على سبيل المثال عندنا في مصر مدينة البعوث الإسلامية، وأنا عندما دخلت هذه القاعة تذكرت بعض محاضراتي في مدينة البعوث الإسلامية، وكيف أنني كنت أمام هيئة أمم إسلامية، كما أنني الآن أمام هيئة أمم إسلامية في هذه القاعة، لأن الكلام عن

وحدة الأمة الإسلامية ليس شعارات تقال وإنما هو واقع، هو أن يجتمع المسلمون فيتعلمون فتتوحد مناهجهم ثم يعودون إلى بلادهم ليقيموا حكم الله وليقيموا شريعة الله ولينشروا دعوة الإسلام في هذه البلاد.

كثيرون منكم من أفريقيا وتعلمون أنها عاشت مرحلة عصيبة وعانت المشاكل، وأنا هنا أود أن أشير إلى أن تلك المشاكل هي التي أدّت إلى ما سمّي بتطوير الأزهر في ستينيات القرن العشرين، فعندما دخلت ثورة يوليو إلى أفريقيا وجدت المسلمين في أفريقيا في بلاد هم فيها أغلبية، لكنهم خافوا على أبنائهم من مدارس التنصير والتبشير، فقنعوا بالكتاتيب والخلاوي، والأقليات غير المسلمة دخلت هذه المدارس فتعلّمت فن الإدارة والسياسة والحكم، فأصبحت الأقليات تحكم البلاد التي أغلبيتها مسلمة، فنشأت عند ثورة يوليو فكرة تخريج راعية له خبرة بالطب وبالهندسة وبمختلف العلوم، وأنا سعدت كثيراً عندما حدّثني الدكتور عميد كلية الدعوة الإسلامية عن التدريب المهني الموجود هنا في هذه الكلية، لأننا نريد إذا كان الإسلام ديناً ودنيا ليس لدينا كهانة في الإسلام، وحتى كلمة رجل دين ليست موجودة في الإسلام، لدينا عالم دين، نريد عالم الدين أن يكون عالماً بالدين والدنيا، لأن هذا الدين يمثل منهاجاً شاملاً للدين والدنيا، للدنيا والآخرة، للفرد والمجموع، للذات وللآخر، للمجتمعات الدولية للعلاقات الدولية للمنظمات الدولية للعلاقات بين القوميات والألسنة واللغات، هذا منهاج شامل وهو منهاج خالد وخاتم لرسالات السماء.

إذن أنا أقول هذه الكلية التي تدرسون فيها والأساتذة الكبار والعظام الذين يدرّسون فيها هي تمثل بؤرة من البؤر التي تقوم على ثغرة من ثغور الإسلام، رباط... نحن في رباط على ثغرة من ثغور الإسلام، وكان شيخنا الغزالي عليه رحمة الله يقول نحن متبطون على ثغور الإسلام إلى أن يأذن الله بانتصار الإسلام.

في فقه الواقع الذي نعيش فيه لا بد أن نكون صرحاء فنقول إن بعض تيارات الفكر في بلادنا الإسلامية تتميز بالجمود والتقليد، وهذا الجمود والتقليد خطره كبير، لماذا؟ لأن الجمود والتقليد يعني أن يعيش الإنسان في القرن الواحد والعشرين بعقلية عصور التراجع الحضاري التي مرّت بها أمتنا، فيصبح عاجزاً عن تقديم الحلول والعلاجات الناجعة لواقعنا المعاصر، وإذا لم نقدم نحن البديل الإسلامي والحل الإسلامي فسيكون الحل جاهزاً ووارداً ومستورداً ليملأ هذا الفراغ. وأنا أقول لكم ليس في الدنيا من الناحية العلمية فراغ، هذا الكوب ليس فيه ماء ولكنه مملوء بالهواء، لأنه لا يمكن أن يكون فارغاً، إذا لم يكن مملوءاً بسائل ماء فلا بد أن يكون مملوءاً بالهواء. وقديماً كان الصوفية يقولون القلب كالإناء إن لم يملأه ماء الحكمة والمعرفة ملأه هواء الجهل والعصيان. إذن الجمود والتقليد الذي لا يقدم حلولاً عصرية مناسبة لواقعنا المتغيّر دائماً وأبداً، هؤلاء دون أن يدروا ـ ومع حسن نواياهم ـ يفتحون الأبواب لفراغ يملأه الآخر الجاهز ببضاعته، يعني الذين لم يقننوا فقه الشريعة الإسلامية أسهموا في دخول القوانين العلمانية والوضعية إلى بلادنا. وفي هذا السياق أودُّ أن أفيدكم بأنني بينما كنت بالأمس جالساً مع بعض الإخوة من الأساتذة هنا حكوا لي وحتى بعضهم أعطاني بعض الكتب عن جهود ليبية لعلماء ليبيين في تقنين فقه المذهب المالكي، يعني تحويل

❖ الدعوة الإسلامية لها ثلاثة عناصر تمثل مقاصدها المكتملة والمجتمعة: تبليغ الدعوة، وإقامة الحجة، وإزالة الشبهة.

الفقه إلى مواد قانونية، لماذا؟ لأنه كان قديماً القاضي فقيه مجتهد موسوعي، كان يجلس ويحكم بناءً على فقهه واجتهاده، إنما القاضي الآن لا بدّ له من مواد قانونية يطبّقها.

القاضي أصبح مطبقاً للقانون وليس مبدعاً ومجتهداً في صياغة القانون. إذن هذه الجهود التي بذلت لتقنين فقه المذهب المالكي كانت تقدم حلاً إسلامياً ليقف أمام الوافد الغربي في القانون العلماني، ونحن في مصر شهدنا نفس الشيء، شهدنا أحد تلامذة رفاعة الطهطاوي وهو محمد قدري باشا قنّنَ فقه المذهب الحنفي كي يقف أمام قانون نابليون الذي جاءت به الغزوة الاستعمارية الغربية عندما جاء الاحتلال الانجليزي سنة 1882 مسيحي، إذن الجمود مسؤول ـ رغم حسن النوايا ـ عن إيجاد الفراغ الذي لن يظل فراغاً وإنما سيملأ بالوافد الأجنبي. أيضاً إذا كان عندنا تيار للجمود والتقليد مسؤول هذه المسؤولية؛ فعندنا أيضاً تيار منفلت، تيار متغرب، تيار يمثل امتداداً سرطانياً لا أقول لفكر الغرب وإنما لأمراض الغرب الفكرية. لا شك في أن هناك في الغرب أشياء عظيمة، والحضارة الغربية فيها جوانب عبقرية لا بد أن نتتلمذ عليها، لكن للأسف الشديد من يسمون بالحداثيين أو ما بعد الحداثيين هؤلاء يمثلون امتدادات سرطانية في الواقع العربي والإسلامي ممثلة في الأمراض الفكرية الغربية. أنتم الآن تقرأون عن من يسمى بالحداثيين، بينما الغرب تجاوز هذا، يعني هؤلاء سلفيون سلفهم انتهى في الغرب، وإنما الغرب الآن دخل فيما بعد الحداثة ويحطم المنظومات والأنساق الفكرية الحداثوية، وأصبح يدخل في اللاقدرية والعدمية والفوضوية، بناءً على هذه الافكار، أي أفكار ما بعد الحداثة أو ما فوق الحداثة كما يسمونها.

الوسطية الإسلامية

نحن نقول إن بين هذين التيارين اللذين يمثلان الغلو: غلو الإفراط وغلو التفريط، هنا تأتي الوسطية الإسلامية التي تنطلق من المنابع الجوهرية والنقية للإسلام، من الإسلام المعصوم، تلتزم بالإسلام المعصوم بالقرآن الكريم بالبلاغ القرآني وبصحيح السنّة أي البيان النبوي لهذا البلاغ القرآني، وتستهدي وتسترشد وتستفيد من مجمل تراث الأمة، فكر الأمة، دون أن تكون ملزمة بتقديس فكر علم من الأعلام أو مذهب من المذاهب. المعصوم هو الكتاب الوحي وصحيح السنّة، وما عدا ذلك هو تراث للأمة نحتضنه ونعتز به ونستفيد به وفيه من الغنى ومن الكنوز ما لا يفرط فيه إلا السفهاء الذين ورثوا كنوزاً لا يعرفون قيمتها، لكن دون تقديس لعصر أو مذهب أو شيخ... إلى آخره.

إذن هذا التيار الوسطي الذي يعود إلى المنابع الجوهرية لا ليهاجر إلى الماضي لأن الذين يحملون بصب الواقع الحالي والمستقبل في قوالب الماضي هؤلاء واهمون، هؤلاء ضد سنن الله في التغير وفي التطور وفي التقدم، وضد الدورات التي حددها رسول الله ﷺ باعتبارها الخط الذي يحكم سير التاريخ

وسير التقدم، لكننا نهتدي بالماضي دون أن نهاجر إلى الماضي، وإنما عيننا على الواقع، على فقه الواقع لإدراك علامات الاستفهام التي يطرحها هذا الواقع، لنجد لها الحلول الجديدة والمتجددة التي تنطلق من الأصول التراثية ومن الأصول والثوابت الإسلامية.

إذن أنا اقول نحن نعلق كل الآمال على المنهاج الوسطي المعتدل في الدعوة الإسلامية وفي مستقبل الدعوة الإسلامية، وأنا ألفت النظر إلى أن الآخرين الآن وبالذات في الغرب وفي الإعلام الغربي يلقون كل الأضواء على شذوذ شرائح محدودة العدد ومحدودة التأثير في الفكر الإسلامي وفي الواقع الإسلامي، ولا يلقون بالاً ولا ضوءاً على الجسم الأساسي للفكر الإسلامي، يعني أنا أضرب لكم بعض الأمثلة الواقعية، فمثلاً لو تتبعتم أغلب جهود الاستشراق ستجدونها متوجهة ومنصبة على الحركات الشاذة والمغالية والباطنية في التراث الإسلامي. فواحد مثل ماسينيون... ومثل الحلاج وما سوى الحلاّج، برنارد لويس... الإسماعيلية والباطنية وأمثالهم كثيرون، لا يدركون أن جسم الأمة - الكتلة الأساسية - التي تمثل أغلبية الأمة التي هي الوسطية الإسلامية، فهذه لا يلقون لها كثير بال. لماذا؟ لأنهم يريدون تركيز كل الأضواء على الشذوذ والاستثناء والأقليات من هذا القبيل، سعياً وراء فكر إظهار تراث المسلمين على أنه لا وحدة فيه ولا كيان يجمعه، وإنما هو عبارة عن شرذمات، يعني مثل ما يأتي برنارد لويس في الأربعينيات من القرن الماضي ويرسم مخططاً لتفتيت العالم الإسلامي أكثر مما هو مفتت، يريد أن يقترح أكثر من اثنين وثلاثين كياناً سياسياً جديداً، هذا غير ما صنع من كيانات على أسس عرقية وأسس دينية وأسس طائفية وأسس لغوية وثقافية، ويكتب منذ الأربعينيات أن هذا هو الضمان لأمن إسرائيل. وإذا قرأتم في مخططات الحركة الصهيونية ستجدون أن الذي يحدث الآن في العراق مكتوب منذ الأربعينيات، ومكتوب في محاضرة شارون في سنة 1981 مسيحي، ومكتوب في الاستراتيجية الصهيونية المنشورة في الثمانينات، ومنشور في ندوة عقدت عن الأقليات في إسرائيل في سنة اثنين وتسعين، كل هذا مخطط له منذ زمن، تقسيم العالم الإسلامي وتفتيته، لأنهم يريدون تحويله إلى فسيفساء كما يقولون وإلى برج ورقي كما يؤكدون ذلك بهذه الألفاظ التي يقولونها ويسوقونها. إذن الفكر الاستشراقي يركز على هذه الهوامش وعلى هذه الاستثناءات، وحتى في الوقت الحالي عندما تقرأون مثلاً بعض الأفكار الشاذة عند بعض الجماعات الإسلامية - مع أنها محدودة العدد ومحدودة التأثير - قد تكون مزعجة مثل الناقوس حجمه محدود لكن صوته مزعج. يقولون كيف؟ أي إسلام تريد؟ إسلام بن لادن أو إسلام الخميني؟ لكن لا أحد يتكلم عن الأفغاني ولا عن محمد عبده ولا عن رشيد رضا ولا عن مصطفى عبد الرازق ولا عن شلتوت ولا عن الشيخ الغزالي!! ولذلك أنا كثيراً ما كنت أتساءل حتى في بعض الفضائيات: من الذي جعل وزن الشيخ عمر عبد الرحمن في الإعلام العالمي أكبر من وزن الشيخ الغزالي؟؟ لأن هناك مخططاً لتسليط كل الضوء عن النتوءات الشاذة في الواقع الإسلامي وفي الفكر الإسلامي.

*** الوسطية الإسلامية تنطلق من المنابع الجوهرية والنقية للإسلام، من الإسلام المعصوم، تلتزم بالإسلام المعصوم بالقرآن الكريم بالبلاغ القرآني وبصحيح السنّة أي البيان النبوي لهذا البلاغ القرآني، وتستهدي وتسترشد وتستفيد من مجمل تراث الأمة، فكر الأمة، دون أن تكون ملزمة بتقديس فكر علم من الأعلام أو مذهب من المذاهب**

مدرسة الإحياء والتجديد

وتأسيساً على هذا فإن الدعوة الإسلامية لا بد أن تنطلق من مدرسة الإحياء والتجديد، المدرسة التي رجعت إلى المنابع والتي فقهت الواقع ونظرت إلى المستقبل، وأنا أقول لكم في الغرب كثير من الأذكياء والحكماء والعقلاء يحاربون الإسلام بوعي، ليس لأنهم يجهلون الإسلام والدعوة الإسلامية بل لأنهم يعرفون، يعني أنا قرأت كتاب ريتشارد نيكسون، ونيكسون ليس مجرد رئيس الولايات المتحدة وإنما هو مفكر استراتيجي، كتب كتاباً في الثمانينات هو (الفرصة السانحة) وهي الفرصة السانحة التي فعلها بوش بعد الحادي عشر من سبتمبر حيث أصبحت هناك فرصة سانحة للمخطط الأمريكي المكتوب منذ السبعينيات في القرن العشرين. ماذا قال نيكسون ضمن ما قال في هذا الكتاب؟ يقول العالم الإسلامي فيه ثلاثة تيارات: تيار قومي دكتاتوري رجعي، وتيار أصولي، لاحظوا هذه النقطة المهمة، فنحن كثيراً ما نقرأ في وسائل الإعلام نقلاً عن الإعلام الغربي، فكلمة (الأصولية) بالمعنى السلبي، الأصولية في الفكر النصراني الغربي معناها أهل الجمود والتقليد والرجعية والتخلف ومعاداة العقل ومعاداة العلم، والقراءة الحرفية للنص الديني، هذا هو معنى الأصولية في المسيحية الأصولية. أما عندنا فالأصولية ليست هكذا، الأصولية في تراثنا شرف نتعلق به، لأنه عندما نقول هذه الكلمة معناها عند الأصوليين، في المصطلح الأصولي الأصوليون هم علماء أصول الدين وعلماء أصول الفقه، وعلم أصول الدين وعلم أصول الفقه هو الإبداع العقلاني للأمة الإسلامية، يعني فلسفتنا وعقلانيتنا وتقدمنا واستنارتنا في علم أصول الفقه وفي علم أصول الدين.

التجديد الإسلامي والحداثة الغربية

وقبل أن نعرج على التيار الثالث الذي تحدث عنه نيكسون هناك تعريف أود أن نتأمله لأنه تعريف ذكي وواقعي وحقيقي ودقيق، يقول هم الذين يريدون بعث الحضارة الإسلامية وتطبيق الشريعة الإسلامية وجعل الإسلام ديناً ودولة، وهم وإن نظروا إلى الماضي فعينهم على المستقبل، فهم ليسوا محافظين وإنما هم ثوار. هذا تعريف نيكسون، وأنا بودي أن العلمانيين في بلادنا والمتغربين يقرؤون هذا الكلام، ويعرفون الوعي بحقيقة الأصولية في مصطلحنا الإسلامي.

التيار الثالث الذي تكلم عنه نيكسون، أولاً قال بالنسبة للأصولية، وكان هذا الكلام في ثمانينيات القرن الماضي قبل سقوط الاتحاد السوفييتي، حيث دعا إلى اتحاد أمريكا وأوروبا والاتحاد السوفييتي لمواجهة هذه الأصولية. أما التيار الثالث الذي دعا إلى دعمه فقال هو التيار العلماني ونموذجه تركيا الأتاتوركية التي تسعى لربط العالم الإسلامي بالمركز الغربي المتحضر.

*** الجهود التي بذلت لتقنين فقه المذهب المالكي كانت تقدم حلاً إسلامياً ليقف أمام الوافد الغربي في القانون العلماني**

إذن هذا هو التقسيم، ولذلك نحن الآن عندما نتكلم عن الآفاق المستقبلية للدعوة الإسلامية نتكلم عن الدعوة الوسطية، الدعوة التي تنطلق من أصول الإسلام ومن جوهر الإسلام ومنابعه وتفقه الواقع وترى هذا الواقع وتقدّم حلولاً للمشكلات التي تقف أمام الدعوة الإسلامية. إذا كنا تحدثنا عن أهل الجمود والتقليد وأهل التغريب والاستلاب الحضاري؛ فأنا أرى أن الدعوة الإسلامية تحتاج الآن إلى منهاج تجديدي كي تفقه الواقع الذي نعيش فيه، وكي تفقه العالم الذي نعيش فيه، وكي تفقه العقول التي يجب أن تتوجه إليها، وكي تستطيع أن ترد على الشبهات التي توجه إلى هذه الدعوة الإسلامية.

نحن ندعو إلى التجديد، وأنا أقول إن طوق نجاة الدعوة الإسلامية في التجديد، لكن لا بد أن نميز ونضبط معنى هذا التجديد. لقد زارني وفد من أندونيسيا يطلبون مني بعض كتبي لترجمتها لكي يردوا بها على التيار العلماني في أندونيسيا، وبعدها لاحظت ـ وأنا أتحدث إليهم وأتكلم عن التجديد ـ أنني كلما أوردتُ كلمة التجديد كنتُ أشعر بأنهم يستريبون، فاستفسرت منهم، وحينها، ومن خلال إجاباتهم ـ أدركت أن التغريب في أندونيسيا والعلمانية يقدم نفسه تحت عنوان التجديد، ولذلك عندما نتحدث عن التجديد لا بد أن نضبط موضوع التجديد، وأنا في بعض ما كتبت كتبت دراسة في كتيب صغير عن مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحداثة الغربية. وقد أشرت إلى أن بعض مثقفينا المتغربين زيّفوا علينا مصطلح الحداثة، وكثيرون منا يرددون ـ ببراءة ـ كلمة الحداثة كما وأنها هي التجديد، أو كما لو كانت هي التقدم، ولكن أنا في بعض ما نشرت، نشرت ثلاثة محاضرات للدكتور خاتمي رئيس جمهورية إيران، وقمت بكتابة مقدمة لها ونشرناها في سلسلة التنوير الإسلامي في القاهرة، عنوان المحاضرات الثلاثة (الدين والتراث والحرية والتنمية والحداثة) وخاتمي يعرف الحداثة تعريفاً دقيقاً كما هو تعريفها عند أهلها وليس عند المتغربين في بلادنا الذين يزيفون علينا مضمونها، الحداثة أصبحت ديناً وضعياً غربياً أحلوه محل الدين المسيحي، وأنا نشرت أيضاً دراسة لقسيس ألماني وهو عالم اجتماعي التقينا سوريا في حوار إسلامي مسيحي في مجمع بحوث الحضارة الإسلامية بالأردن، وقدّم بحثاً عن: ماذا صنعت العلمانية بالمسيحية؟ وكيف أن العلمانية هزمت المسيحية في أوروبا، ثم عجزت العلمانية عن الإجابة عن أسئلة الإنسان، فغدت أوروبا فراغاً لا هي مسيحية ولا العلمانية ملأت الفراغ، فدخلت كل العقائد والديانات بما في ذلك الإسلام إلى أوروبا. ويقول إن الحداثة هي الدين الوضعي الذي يعتمد فقط على العقل وعلى التجربة ويترك الغيب ويترك الدين، وأن هذا الدين الحداثوي أصبح عاجزاً عن تلبية احتياجات الإنسان.

> **❖ إذا قرأتم مخططات الحركة الصهيونية ستجدون أن الذي يحدث الآن في العراق مكتوب منذ الأربعينيات، ومكتوب في محاضرة شارون في سنة 1981 مسيحي، ومكتوب في الاستراتيجية الصهيونية المنشورة في الثمانينيات، ومنشور في ندوة عقدت عن الأقليات في إسرائيل في سنة اثنين وتسعين، كل هذا مخطط له منذ زمن، تقسيم العالم الإسلامي وتفتيته.**

أنا أقول: الحداثة هي الفكر والثقافة التي تقيم قطيعة معرفية كبرى مع الموروث، ومع الموروث الديني على وجه الخصوص. إذن الحداثة ليست التجديد، إنما التجديد هو الذي يستصحب الثوابت ويجدد في التفاصيل وفي الجزئيات وفي المتغيرات.

ميزة الإسلام أنه في الأمور العبادية (التعبدية) وفي الأمور الغيبية وفي الأمور المتعلقة بالفطرة والثوابت التي لا تتغير بتغير الزمان والمكان فصّل الأحكام، أما فيما يتعلق بالمعاملات وبالسياسات وبالواقع المتطور والمتغير دائماً وأبداً؛ فقد وقف الإسلام عند الكليات، عند فلسفة التشريع وليس تفاصيل التشريع، عند كليات التشريع وليس جزئيات التشريع، لماذا؟ لأنه في الشرائع السابقة على شريعة رسولنا ﷺ كانت الشرائع تأتي بالتفاصيل، وعندما يتطور الواقع وتصبح هناك فجوة بين الواقع الذي تطور وتغير وبين تفاصيل الشريعة يأتي رسول جديد بشريعة جديدة، وعندما أراد الله سبحانه وتعالى ـ وقد بلغت الإنسانية سن الرشد ـ خَتْمَ رسالات السماء إلى الأرض جاء

بشريعة لها ميزة خاصة، شريعة لا تأتي بتفاصيل التشريع وإلا تكرر الذي حدث قديماً أن تصبح هناك فجوة بين الواقع المتغير والمتطور أبداً وبين هذه الشريعة المفصلة، جاء بشريعة فيها كليات، ولذلك تجدون في الشريعة الإسلامية وفي الفقه الإسلامي قواعد الفقه أكثر من أحكام الفقه، تجدون كليات التشريع فلسفات التشريع أكثر من الجزئيات، حيث تُركت التفاصيل والجزئيات والتطور والتغير ومواكبة المستجدات والمتغيرات للفقه الإسلامي الذي هو علم الفروع.

التجديد سنّة من سنن الله

إذن عندنا شريعة ثابتة هي وضع إلهي ثابت، وعندنا فقه متطور ومتجدد ومتغيّر دائماً وأبداً كي يواكب المستجدات، ومن هنا التجديد سنّة من سنن الله كما قال رسول الله ﷺ: يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها أمر دينها. الشريعة مثل الشجرة ثابتة، وكلما استجد جديد يخرج فرع أو أوراق من الشجرة تظلل هذا الجديد، وهي تستمد الروح من مقاصد الشريعة من جذر الشجرة، من جذع الشجرة. إذن هذا هو الذي يجعل الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان، ودون التجديد لا يمكن أن تكون الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان، حتى الحديث النبوي إذا تأملتموه.. علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل. فأنبياء بني إسرائيل كانوا كلما تجاوز الواقع شريعة نبي يأتي نبي جديد بشريعة جديدة. والآن وقد ختمت الشريعة وختم الوحي فيبقى أن العلماء هم الذين يمارسون هذا التجديد، التجديد الذي كان يمارسه أنبياء بني إسرائيل هو التجديد الذي يمارسه علماء هذه الأمة في ظل الشريعة الواحدة التي فيها كليات التشريع.

إذن أقول التجديد سنّة من سنن الله في هذا الدين وليس مجرد خيار فكري، ولا حقاً من حقوق العقل المسلم، وإنما هو سنّة من سنن الله التي لا تبديل لها ولا تحويل. وعندما يتحدث الحديث النبوي على أن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة... إلخ، فأنتم تعرفون أن الأعداد في النصوص القرآنية والنبوية لا تراد لحرْفيتها لمعناها الحرفي، يعني ليست القضية مئة سنة، وليس بالضرورة أن يكون المجدد أو العالم شخصاً واحداً، بل قد يكون تياراً فكرياً، قد يكون دعوة، قد يكون مدرسة، قد يكون مؤسسة علمية... إلى آخره، لن المهم أن سنة التجديد قائمة ودائمة ومستمرة.

❖ الفقه في العرف الإسلامي ليس فقط قراءة الكتب، وليس فقط الفهم لما في هذه الكتب، إنما الفقه الحقيقي هو فقه الأحكام وفقه الواقع، ثم عقد القِران بين فقه الحكم وبين فقه الواقع.

من هنا ندرك أن التجديد ليس هو الحداثة، التجديد ليس هو إقامة القطيعة المعرفية ـ كما هو حال الحداثة ـ مع الموروث الديني على وجه الخصوص، وإنما التجديد هو استصحاب الثوابت. بل أنا أقول لكم إن بعض الناس يخاف من التجديد، يقول لك التجديد في الدين؟؟ وهو متصور أن التجديد تغيير، لا.. هذا استصحاب الثوابت والتجديد في المتغيرات، والرسول ﷺ في أحاديثه يشجعنا على الجرأة الفكرية.

قد يظن البعض أن هناك تفاصيل في الجزئيات فقط، لا... ليس هذا فقط، بل هناك تجديد حتى في الأصول، كيف؟

الرسول ﷺ يقول: جدّدوا إيمانكم، هل هناك أصل أعظم من الإيمان؟ هذا هو جوهر الدين، قالوا كيف نجدد إيماننا يا رسول الله؟ قال أكثروا من لا إله إلا الله. لماذا؟ لأن لا إله إلا الله ثورة تحرير ضد كل الطواغيت

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ...﴾ [سورة البقرة:الآية 256]

عملة ذات وجهين: تكفر بكل الطواغيت وتؤمن بالله، ولكن بعض الناس من النصارى وغيرهم يقولون: أنتم لماذا تسموننا كفرة؟ أنا لي كتاب اسمه (الإسلام الآخر) ناقشت فيه هذه القضية، قلت أولاً هم ماذا يسموننا؟ هل يسموننا مؤمنين؟ القضية ليست هكذا، كل واحد فينا كافر ومؤمن في نفس الوقت، كافر بشيء ومؤمن بنقيض هذا الشيء، يعني أنا مؤمن بأن عيسى عبد الله ورسوله وكافر بأن عيسى ابن الله، والمسيحي مؤمن بأن عيسى ابن الله وكافر بأن عيسى رسول الله وعبد الله، كل واحد فينا مؤمن وكافر في نفس الوقت. أنظر إلى الآية القرآنية:

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ [سورة البقرة: الآية 256]

يعني كافر ومؤمن في نفس الوقت، الكفر هو الجحود بالإسلام، هل هناك يهودي يقول أنا مؤمن بالاسلام؟

وإذا كان جاحداً بالإسلام ماذا تسميه؟ الكفر هو الجحود، يعني أقول ليس عيباً أن الإنسان منا يكون كافراً ومؤمناً في نفس الوقت، مثل النصراني كافر ومؤمن في نفس الوقت، واليهودي كافر ومؤمن في نفس الوقت، والماركسي مؤمن بالماركسية وكافر بالليبرالية والليبرالي مؤمن بالليبرالية وكافر بالماركسية. هذا شيء بديهي، ولذلك فإن الناس أحياناً يفتعلون قضايا ويتصورون أنهم يضعوننا في خانة ضيقة مثلما يقولون ويحرجوننا، بينما المنطق لا بد أن يرد على مثل هذه الأمور.

التجديد..

طوق نجاة الدعوة الإسلامية

إذن أنا أقول الرسول ﷺ عندما يجعل حتى الأصول فيها تجديد فإن هذا يشجعنا على أن الدعوة الإسلامية لا بد أن تنتهج منهاج التجديد، التجديد أحياناً يكون بإزالة البدع والخرافات عن الأصول. يعني أنت لو لديك سيف علاه الصدأ فلم يعد صالحاً للاستعمال فإن تجديد السيف تهذيب السيف تسقيف السيف ـ كما هو الحال في العربية ـ أن تزيل عنه الصدأ فيعود إلى مضائه وفاعليته من جديد، ولذلك حتى العقائد الإسلامية حتى الأصول الإسلامية إذا علاها الغبار، غبار البدع والخرافات والزوائد والنواقص، فإن لها أيضاً تجديد، ليس بمعنى أننا نغير ونأتي بدين غير دين الإسلام ولا بأصول غير أصول الإسلام وإنما نكشف عن جوهرها عن حقيقتها ليعود لها مضاؤها وفعلها وفعاليتها من جديد. إذن أنا أقول طوق نجاة الدعوة الإسلامية هو التجديد، هذا هو المنهاج الوسطي الإسلامي الحقيقي، وأنتم تعرفون أن الوسطية جعل إلهي، يعني هي ليست مجرد اختيار أنك تبقى وسطياً أو غير وسطي:

❖ الإرادة أهم سلاح، والهزيمة النفسية هي العدو الأول.

﴿جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ [سورة البقرة: الآية 143]

والوسط هو الخيار وهو العدل، وحديث رسول الله ﷺ يقول: الوسط العدل جعلناكم أمة وسطاً. هذا التجديد كما قلت هو طوق نجاة للدعوة الإسلامية وعلى أساسه يتحدد مستقبل العمل الدعوي والآفاق المستقبلية للدعوة الإسلامية.

ونحن نشهد في فكرنا وفي عالمنا الإسلامي الحديث كيف أن حضارتنا مرّت بعصور تراجع، وكيف أن التغريب جاء ليستفيد من هذا التراجع ومن هذا الجمود والتقليد، وأنتم تعلمون أن الشيخ حسن العطار

الذي تولى مشيخة الأزهر في أوائل عصر محمد علي في القرن التاسع عشر عندما احتك بعلماء الحملة الفرنسية، ووجد الفجوة الواسعة بين عملنا الدنيوي وبين العلم الوافد من الثورة الصناعية والنهضة الغربية، لأنكم تعلمون أن الأزهر أول ما نشأ كانت تدرس فيه جميع العلوم، حتى الطب والتشريح والهندسة والرياضيات والفلك والموسيقى كانت تدرس في الأزهر، لكن جاء حين من الدهر في التراجع الحضاري تخلفت هذه العلوم ولم يبقَ إلا العلوم الشرعية، وبقيت في شكل من والحواشي وحواشي الحواشي والتهميشات... إلخ، فالشيخ العطار قال كلمة عندما احتك بعلماء الحملة الفرنسية أنا اعتبرها هي الإيذان والأذان بعصر جديد ويفتح باب الاجتهاد والتجديد، قال: إن بلادنا لا بد أن تتغير ويتجدد فيها من العلوم والمعارف ما ليس فيها. وهذا الشيخ هو الذي عَلَّمَ رفاعة الطهطاوي ورشحه إلى باريس وأوصاه بأن يكتب عن تجربته في كتاب تخليص الإبريز، ثم بدأ بعد الطهطاوي يأتي الافغاني ومحمد عبده وهذه السلسلة الذهبية من المجددين.

أنا دائماً أنصح كل دارس للإسلام بأن يكون فكر هذه المدرسة خلفيته الفكرية، نحن لا نريد أن نكون صورة كربونية من هؤلاء، إنما نريد أن نكون امتداداً متطوراً لهذه المدرسة مدرسة التجديد.

❖ الحداثة ليست التجديد، إنما التجديد هو الذي يستصحب الثوابت ويجدد في التفصيل وفي الجزئيات وفي المتغيرات.

ليست زلة لسان

القضية الثانية بعد قضية التجديد هي قضية فقه الواقع، وعندما نكون نتحدث عن الدعوة الإسلامية ستجد أننا لا نتحدث عن واقعنا في داخل بلادنا الإسلامية فقط، إنما لا بد أن نتحدث عن التحدث الغربي الذي يواجه الدعوة الإسلامية، وأنتم الآن تقرؤون وتشاهدون في الفضائيات وبالسلاح كل هذه المواجهة مع الدعوة الإسلامية، ومنذ أيام لعلكم تابعتم وسمعتم بأن العراقيين كانوا قد قبضوا على سبعة أو ثمانية من الكوريين الذين ذهبوا ليبشّروا بالنصرانية في عاصمة الرشيد وفي عاصمة أبي حنيفة النعمان. إذن أليس هذا تحدياً أمام الدعوة الإسلامية؟ ويقولون إن هذه ليست حرباً صليبية وليست حرباً دينية. صحيفة النيوز ويك كتبت والنيويورك تايمز كتبت أنه يوجد ثمانمائة مبشّر ومنصر من اليمين الديني في أمريكا منهم بات روبرتسون الذي هو الأب الروحي لبوش كانوا موجودين مع القوات الأمريكية في الكويت يستعدون لدخول العراق قبل عام من غزو العراق، وأحدهم صرّح، وهذا الكلام منشور في الجرائد الأمريكية، قال: نحن نعلم أن أغلبية العراقيين 97٪ مسلمون، لكن على الناس أن تعرف أن المسيحية في العراق سابقة على الإسلام؟

عندما قال بوش إنها حرب صليبية جاء بعض المثقفين المخترقين وقالوا إن هذه زلة لسان. هنا أنا أقول لكم تعليم إذاعة الفاتيكان، رئيس إذاعة الفاتيكان (بسكوالي برجوميو) هذا المدير للإذاعة التي تذيع بتسع وثلاثين لغة من الفاتيكان، ماذا قال عن حملة بوش على العراق؟ يقول في الوقت الذي يدعو الفاتيكان إلى التعقل ويشجع العمل الدبلوماسي ويدافع عن الحق الدولي نرى في الجانب الآخر قوة عظمى تقودها إدارة خوّلت إلى نفسها مهمة إنقاذية واتخذت نهجاً ومواقف صليبية. نحن عندنا في مصر الأنبا يوحنا قلته نائب البطريرك الكاثوليكي في مصر وصف الحملة على العراق بأنها حملة صليبية، وأن بوش يعني هذا. هذا فضلاً عن أن كثيراً من

التصريحات خرجت أثناء الأزمة العراقية مثل بلير يقول إنها حرب المدنية والحضارة على البربرية، برلسكوني يقول إن الغرب سيواصل تعميم حضارته وفرض نفسه على الشعوب، جوزيف ليبرمان الذي كان مرشحاً للرئاسة الأمريكية يقول إنه لا حل مع الدول العربية والإسلامية إلا أن تفرض عليها أمريكا القيم والنظم والسياسات التي نراها ضرورية، فالشعارات التي أعلنتها أمريكا عند استقلالها لا تنتهي عند الحدود الأمريكية فقط بل تتعداها إلى الدول الأخرى. جون أشكروفت وزير العدل الأمريكي يقول إن المسيحية دين أرسل الرب فيه ابنه ليموت من أجل الناس أما الإسلام فهو دين يطلب الله فيه من الشخص إرسال ابنه ليموت من أجل هذا الإله. الجنرال بويكين نائب وزير الدفاع الأمريكي يقود الآن في العراق فرقة اغتيالات درّبتها الصهيونية، نُشر له بالصوت والصورة وهو بزيّه العسكري يطُبُّ الكنائس ويهاجم الإسلام ويقول بالحرف الواحد إن إلهنا أكبر من إلههم، إن إلهنا إله حقيقي وإن إله المسلمين صنم، وإنهم يكرهون الولايات المتحدة لأنها أمة مسيحية يهودية، وحربنا معهم هي حرب على الشيطان، وإن الإسلام دين شيطاني وشرير، ومحمد هو الشيطان نفسه.

ورفض بوش الاعتذار عن هذا الكلام، ورفض رامسفيلد الاعتذار عن هذا الكلام احتجاجاً بالحرية وأنه حر في أن يقول ما يقول. الأب الروحي لبوش يقول إن الدين الإسلامي دعا إلى العنف وإن أمريكا في حاجة إلى إنذار ضد خطر المسلمين الذين يكرهون أمريكا ويحاولون تدمير إسرائيل. برنارد لويس يقول إن النظام الأخلاقي الذي يستند إليه الإسلام مختلف عن ما هو في الحضارة اليهودية المسيحية، وآيات القرآن تصدِّق على ممارسة العنف ضد غير المسلمين. تاتشر تقول إنهم يرفضون القيم الغربية. يعني هم لا يريدون السياسات فقط وإنما يريدون القيم، وتتعارض مصالحهم مع مصالح الغرب ويجب أن يعاملهم الغرب كما عامل الشيوعية. توماس فريدمان الصحافي اليهودي الصهيوني الأمريكي يقول عند ضرب أفغانستان: إن الحرب الحقيقية في المنطقة الإسلامية هي في المدارس، لذلك يجب أن نفرغ من حملتنا العسكرية بسرعة لنعود مسلحين بالكتب لينموا جيل جديد يقبل سياساتنا كما يقبل شطائرنا، وإلى أن يحدث هذا لن نجد أصدقاء في هذه المنطقة. فوكوياما في عدد النيوز ويك السنوي الكانون (ديسمبر) 2001 النوار (فبراير) 2002 يقول نريد حرباً داخل الإسلام حتى يقبل الإسلام الحداثة الغربية والعلمانية الغربية والمبدأ المسيحي فصل الدين عن الدولة، فالإسلام هو الحضارة الرئيسية الوحيدة في العالم التي لديها بعض المشاكل الأساسية مع الحداثة، وهو يرفض لا السياسات الغربية فحسب وإنما المبدأ الأكثر أساسية للحداثة العلمانية نفسها، وإن الصراع الحالي ليس ببساطة معركة ضد الإرهاب، وليس سببه السياسة الأمريكية في فلسطين والعراق، وإنما هو الصراع ضد العقيدة الإسلامية، الأصولية التي تقف ضد الحداثة الغربية، إنه تحدي أيديولوجي أكثر حساسية في بعض جوانبه من الخطر الشيوعي.

❖ الدعوة الإسلامية تحتاج الآن إلى منهاج تجديدي كي تفقه الواقع الذي نعيش فيه، وكي تفقه العالم الذي نعيش فيه، وكي تفقه العقول التي يجب أن تتوجه إليها، وكي تستطيع أن ترد على الشبهات التي توجه إلى هذه الدعوة الإسلامية.

أنا لا أريد أن أسترسل كثيراً في هذه القراءات لهذه النصوص، وقد كتبت دراسة عن الهجمة الأمريكية على الإسلام وأتيت بكل هذه النصوص في

كتاب (في فقه المواجهة بين الغرب والإسلام) لكن أريد أن أقول إن هذا تحدي، فنحن أمام تحدي يعلن الآن حرباً دموية ضد الإسلام، وتقام فضائيات وتصدر كتب، وأريد أن أقول لكم إن المتغربين في بلادنا طابور خامس لهذا. وأنا معي قصاصات ورق كنت في زيارة لقطر منذ أيام فوجدت الدكتور علي حرب وهذا من أساتذة ما بعد الحداثة في الجامعة اللبنانية، كتب مقالاً عن نصر أبو زيد يقول فيه بالنص: إن نصر أبو زيد حاول تنقية الإسلام من الأوهام، وهذا أكبر وهم لأن مبنى الديني إنما هو على الوهم. على حرب هذا كتب في جريدة الحياة يصف مشروع محمد أركون بالقول: إن الحداثة عند محمد أركون هي تحرير العقل الإنساني من إمبريالية الذات الإلهية. وهنا أود أن ألفت نظركم إلى أن أدعياء الحداثة والتغريب في بلادنا هم امتداد سرطاني لهذه الحملة الموجهة على الإسلام، ولذلك هم ينكرون أن هناك حملة على الإسلام، لأن موقعهم موجود في هذه الحملة على الإسلام.

ماذا نصنع أمام هذه الحملة؟

طبعاً بعض الناس يصيبهم اليأس، وأنا أقول لكم إن أخطر التحديات التي تواجهها الدعوة الإسلامية هي الهزيمة النفسية، لأنك لو امتلكت كل ما على الأرض من طاقات مادية وأسلحة وهُزمت نفسياً ستتحول هذه الأسلحة إلى صفر، بينما إذا امتلكت الإرادة يصبح كل واحد فيكم أحمد ياسين، يصبح كل واحد فيكم بطلاً من أبطال الفلوجة والعراق، ماذا يملك أحمد ياسين؟ في سنة 1952 وهو طالب في الثانوي كان مشلولاً، وكان يثير السخرية دائماً عندما يسير في شوارع غزة لأن رجله دائماً تضرب في التراب تقوم مثل مدراة القمح، وحتى عندما أخذ الثانوية لم يستطع الذهاب إلى مصر حتى يتعلم في الجامعات، فليست لديه صحة تساعده، وليس لديه مال يمكّنه من الذهاب، فتقدم من أجل أن يعمل مدرساً للغة العربية والتربية الإسلامية، عندما امتحنوه كان متفوقاً، ولكن الذين امتحنوه كانوا قد كتبوا أمام اسمه (أعرج) وكانوا يريدون أن يحرموه من وظيفة مدرس، والذي أنقذه أن المدير الذي عُرضت عليه أوراق أحمد ياسين كان عنده ابن اعرج، فاستفزته هذه الكلمة وعيّنه مدرساً، والرجل كانت أسرته من أغنياء فلسطين، في البلاد التي ولد فيها، ولكنه هُجِّرَ وذهب هو وإخوته السبعة وأمّه وقاموا بعمل خص من القش في غزة وسكنوا فيه، وقد ترك العمل مدة سنة وعمل في مطعم من أجل أن يطعم العائلة، ولما تعين كان قد تعيّن بعشرة جنيهات مصرية شهرياً، وكان يعول بها أسرته، ولكن هذا الرجل كانت عينه على أبي الشهداء عز الدين القسام في فلسطين وأنتم تعرفون أن القسام استشهد في نوفمبر عام 1935، وأحمد ياسين ولد في 30 يوليو 1936، يعني الفرق ستة أشهر، الشيخ أحمد ياسين حول اسم القسام إلى صواريخ وإلى قذائف، وكان وهو الضعيف المستضعف تعذّبه إسرائيل، كانوا يعذبونه وقد فقد عينه من التعذيب، وأصبح لا همّ لديه إلا دوام التفكير، واللسان، وقدر من الإحساس في يده مكّنه من أن يمسك القلم بصعوبة، ومرّة حكموا عليه بثلاثة عشر عاماً، ومرّة حكموا عليه بالسجن مدى الحياة، وخمسة عشر عاماً فوق مدى الحياة، لكنه صنع هذا الذي يقض مضاجع القوى العظمى والآلات الحربية.

> ❖ **الدعوة الإسلامية لا بد أن تنطلق من مدرسة الإحياء والتجديد، المدرسة التي رجعت إلى المنابع والتي فقهت الواقع ونظرت إلى المستقبل**

لذلك أنا أقول إن الإرادة أهم سلاح، والهزيمة النفسية هي العدو الأول، هي التي تحول كل إمكانات

الأمة إلى صفر. هذه الأمة مليار ونصف المليار تعيش في وطن مساحته خمسة وثلاثون مليون كيلومتر مربع، بينما الصين تسعة ملايين كيلومتر مربع، تمتلك من الثروات ما يجعلها العالم الأول في كثير من الميادين الاقتصادية، فيها أطول أنهار الدنيا، فيها أقدم فلاح علّم الدنيا فن الزراعة، في بلد واحد مثل السودان أكثر من مائتي مليون فدان، بينما في مصر سبعة وسبعين مليون يعيشون على خمسة ملايين فدان، من الممكن أن يصبح السودان وحده سلة غذاء للعالم الإسلامي. يعني أنا أقول أن الأمة عندها إمكانات لكن نقص الإرادة والإدارة (كلمتان) إرادة وإدارة ترتب البيت وتعظم الأوراق والإمكانات.

نحن نتحدث عن الأمة، وأرى أننا يجب أن لا نلقي بالاً لكثير من الأمور التي تعرقل مسيرنا، نحن شباب هذه الأمة وعلماؤها ومفكروها ومثقفوها نحن نرابط على ثغور الأمة، ونحن سنسأل عما صنعنا، ولن نستطيع القول أن آبائنا وطغاتنا وكبراءنا وسادتنا أضلونا السبيل، لا... هذا لن ينفعنا، ولذلك أنا أقول تجديد مواجهة التحديات وفقه الواقع الذي نعيش فيه حتى ننطلق من فكر الإحياء وفكر التجديد، هذا هو سبيل الدعوة الإسلامية لتقتحم هذا العالم الذي نعيش فيه.

وآخر نقطة أود الحديث فيها هي كيف تخاطب الدعوة الإسلامية الآخر في العالم المعاصر والآخر حتى في بلادنا؟ الآن أنا أتحدث أمامكم ولو أقول لكم قال الله أو قلت قال الرسول ﷺ لاستمعتم إلي بكل جوارحكم، فنحن المسلمين عندما نتحدث مع بعض نحسن الأشياء بقال الله وقال الرسول، لكن لو أن الدعوة الإسلامية تخاطب أشخاصاً غير مؤمنين بقال الله أو قال الرسول، هنا تجد عملة صعبة في الفكر، مثلاً لو أنت تكون مسافراً إلى أمريكا أو أوروبا لا تأخذ العملة المتداولة في بلادك وتقوم بصرفها هناك، يجب عليك أن تأخذ العملة المتداولة في البلاد التي أنت مسافر إليها مثل الدولار أو اليورو، في الفكر توجد عملة صعبة هي المنطق في العقل، ولو أنتم راجعتم حوارات القرآن ستجدونه دائماً يستخدم المنطق ـ العقل. مثلاً عندما قالوا: هذه العظام الرميم هل من الممكن أن تعود إلى الحياة أو أن تعود لها الحياة؟ نجد أن القرآن الكريم يتحدث إليهم بالمنطق: أليس الخلق الأول أصعب من الإعادة؟ حيث نجد أن القرآن جادلهم وحدثهم بالمنطق، ولم يقل لهم القرآن الكريم إن ربنا سيفعل ذلك وكفى، أي بمعنى ليس مطلوباً منك أن تؤمن هكذا فقط. ونجد أن القرآن الكريم يقول بلسانهم:

﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾
[سورة صّ: الآية 5]

ونجد القرآن أيضاً يقول:

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾
[سورة الأنبياء: الآية 22]

بمعنى لو كان هناك إلهان أو آلهة متعددة لاختلفوا في من تكون له الكلمة العليا، إذن هناك آيات كثيرة في القرآن نجدها تمضي في هذا السياق.. المنطق ـ العقل.

عقليتنا نابعة من القرآن

ولذلك فإنني أقول إن مدرسة الإحياء والتجديد التي تحدثنا عنها لديها موقف دقيق من قضية العقل. وهنا أود أن أنبّه إلى أن تيار الجمود والتقليد يتحسّس مسدساته إذا ذكرت كلمة العقل، وهذا لون من الغباء، لماذا؟ لأنهم يخلطون بين العقلانية الإسلامية المؤمنة وبين العقلانية اللادينية الغربية. المرحلة اليونانية كان فيها عقل بلا نقل، في النهضة الأوروبية كان العقل ثورة على النقل وعلى اللاهوت وعلى الكنيسة، هذه سيرة، وقصتنا نحن مع العقل قصة أخرى نحن عندنا القرآن الكريم يتحدث عن العقل بصريح اللفظ في تسع وأربعين آية، ويتحدث عن اللب والنهي والتدبر والتفكر، وعن الحكمة والفقه والقلب

في أكثر من مائتي آية، يتحدث عن هذه المصطلحات التي تعني العقل، إذن عقلانيتنا نابعة من القرآن وليست ثورة على القرآن أو نقضاً للقرآن كما هو حال العقلانية في الحضارة الغربية.

ولذلك فإن علماء مدرسة الإحياء والتجديد أعلوا من مقام العقل دون تأليه للعقل، لأن العقل في النهاية مع عظمته مع ملكة من ملكات الإنسان، وكل ملكات الإنسان نسبية الإدراك، لذلك فإن الأفغاني ومحمد عبده على وجه الخصوص، وأنا معي نصوص كثيرة ولكن أود فقط الإشارة إلى بعض النصوص، مثلاً الأفغاني يقول إن الدين الإسلامي يكون متفرداً بين الأديان بتقريع المعتقدين بلا دليل، وتوبيخ المتبعين للظنون، وتبكيت الخابطين في عشواء العماية والقدح في سيرتهم... هذا الدين يطالب المتدينين أن يأخذوا بالبرهان في أصول دينهم، وكلما خاطب العقل، وكلما احتكم إلى العقل، تنطق نصوصه بأن السعادة من نتائج العقل والبصيرة، وأن الشقاء والضلالة من لواحق الغفلة وإهمال العقل وانطفاء نور البصيرة.

الذين دخلوا إلى جهنم لماذا دخلوها؟ وماذا قالوا؟

قالوا:

﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾

[سورة الملك : الآية 10]

يعني أن قلة العقل هي التي أدخلتم إلى الجحيم.

الإيمان يشرق من العقل (إن العقل مشرق الإيمان) الذي قال هذه العبارة كأنه شاعر، فكما نقول الشرق هو مشرق الشمس فالعقل هو مشرق الإيمان، يعني أن الإيمان يشرق من العقل، لأن ربنا سبحانه وتعالى عرفناه بالعقل، فنحن نعرف الذات الإلهية من تأمل المصنوع فندرك وجود الصانع، من تأمل الإبداع فنؤمن بوجود المبدع، ولذلك فإن عبارة (ربنا عرفوه بالعقل) هي جوهر الفلسفة الإسلامية، فالعقل مشرق الإيمان، فمن تحول عنه فقد دابر الإيمان.

وبعد ذلك يقول: إن فرقاً ما بين ما لا يصل العقل إلى كنهه فيعرفه بأثره وبين ما يحكم العقل باستحالته، وهذا الكلام تحدث كثيراً عنه الشيخ محمد عبده، من ذلك إشارته إلى أن الدين قد يأتي بما يعلوا على الفهم لكنه لا يأتي بما يناقض العقل. لأن هناك أحكاماً تعبدية لا ندرك حكمتها، وربنا سبحانه وتعالى أراد أن يجعل بعض أحكام العبادات تعبدية لكي نطيع الله حباً لله حتى دون أن نعرف الحكمة والعلّة في هذه الأمور، لأن الدين طاعة، والطاعة محبة.

❖ عندما نتكلم عن الآفاق المستقبلية للدعوة الإسلامية نتكلم عن الدعوة الوسطية، الدعوة التي تنطلق من أصول الإسلام ومن جوهر الإسلام ومنابعه وتفقه الواقع وترى هذا الواقع وتقدم حلولاً للمشكلات التي تقف أمام الدعوة الإسلامية

إذن قضية العقلانية كسلاح وكأداة وكفكر عقلاني، أعني العقلانية المؤمنة، وأنا حريص في كل ما كتبت عن قضية العقلانية أن أؤكد على أنها عقلانية إسلامية مؤمنة متميزة عن العقلانية اللادينية التي كانت بلا نقل ولا وحي، أو كانت ثورة على النقل وعلى اللاهوت والكنيسة كما هو شأن العقلانية الغربية. ولذلك فإن بعض الذين يسمون أنفسهم ـ وأقول يسمون أنفسهم ـ بالسلفيين، وهم ليسوا سلفيين حقيقيين لا يميزون بين العقل والهوى، ويتصورون أن العقلانية والمدرسة العقلية عبارة عن صورة أخرى للعقلانية الغربية اللادينية. ونحن نريد تحرير المصطلحات، وقد كتبت كتاباً عنوانه: (معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام) لأن المصطلح مثل الوعاء، أو مثل الكأس الذي يشرب منه عدد كبير من الناس، لكن هناك من يشرب به ماءً وهناك من يشرب به عصيراً وهناك من يشرب به خمراً... إلخ، إذا المحتوى مختلف، فعندما نقول العقلانية لا بد أن نعرف معنى العقلانية ومفهومها، هل هي عقلانية مؤمنة؟ أم هي عقلانية

لادينية؟ ومثل ما نقول: الدين وضع إلهي ووحي إلهي، بينما الدين في الوضعية الغربية إفراز للعقل البشري، لأنه لا يوجد لا وحي ولا غيب، كلنا بتكلم عن السياسة، ولكن أي سياسة؟ إنها السياسة الميكافيلية، سياسة القوة والغاية تبرر الوسيلة، أما السياسية عندنا فهي التدابير التي يكون الناس معها أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد. مثلاً عندما نتحدث عن الإقطاع، وعندما نعود إلى القواميس التي تغربت ودخلت فيها المفاهيم الغربية تجد أن معنى الإقطاع: إنه شخص ما يملك الأرض ومن على الأرض وما على الأرض، إذن وأنت تقرأ في السنّة النبوية وأقطع رسول الله ﷺ فلان أرض كذا كارثة لو فهمت هذه الكلمة في السنّة النبوية بمعنى الإقطاع في الغرب، الإقطاع في الإسلام في التراث الإسلامي تمليك الأرض الموات لإحيائها وللانتفاع بها، أما ملكية الأرض وكل الثروات والأموال مملوكة ملكية حقيقية لله سبحانه وتعالى والناس مستخلفون، إذن حتى المصطلحات دخلتها مفاهيم غربية، ومن أجل هذا أنا أقول مهمة من مهام الدعوة الإسلامية تحرير مضامين المصطلحات، وحتى ونحن نحاور الغربيين ونحاور غير المسلمين يبقى هذا حوار حقيقي، وإلا لو تكلمنا بنفس المصطلحات وكل واحد لديه مفهوم، يصبح هذا الحوار حوار طرشان لا يعود بالنتيجة، نتكلم بلغة واحدة وكل واحد منا لديه مفهوم مختلف ومغاير للآخرين.

إذن أقول تجديد طوق نجاة الدعوة الإسلامية فقه الواقع، مواجهة الحملات الشرسة الموجه ضد الإسلام، تحرير مضامين المصطلحات التي نواجهها ومواجهة تحدي الهزيمة النفسية.

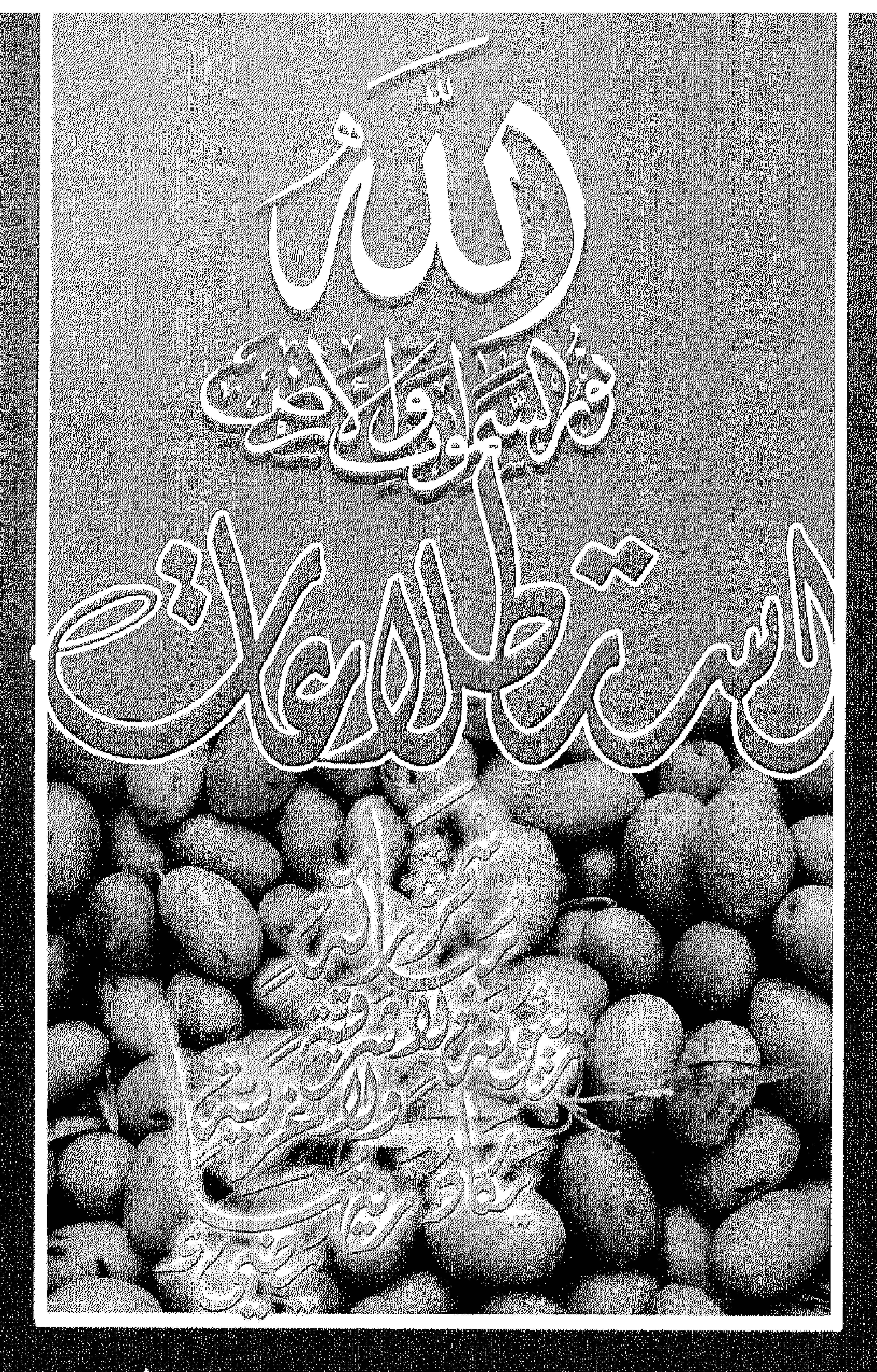
وأنا أقول لكم في النهاية كلمتين: في وقتنا هذا بعض الناس يزرعون اليأس في نفوسنا وينسون أننا مع حالة الاستضعاف التي نحن عليها إنما نضرب لأننا نستيقظ. كان الشيخ الغزالي يقول: نحن نضرب بشراسة لأننا نستيقظ، لو كنا أمواتاً ما ضربونا بهذه الشراسة، فالضرب في الميت حرام. ولذلك أنا أقول إن هذه أمة تستيقظ، تعود إلى دينها، تحاول أن ترسم معالم مشروع نهضوي منطلق من مرجعيتها الإسلامية، بينما الآخر، وأنتم تعلمون أن أوروبا باعتراف حكمائها أصبحت فراغاً دينياً، حيث إن الذين يؤمنون في أوروبا بوجود إله نسبتهم أربعة عشر في المئة، والذين يذهبون إلى الكنائس عشرة في المئة، ويذهبون إليها وكأنهم يذهبون إلى مباراة كرة قدم، لا توجد روحانية، والكنائس تحاول جذب الزبائن بالحفلات المجانية والراقصة.

إذن أنا أقول إسلامنا يحيا، وأنا قرأت في مجلة شؤون دولية التي تصدر في كامبردج في انجلترا في عدد يناير سنة واحد وتسعين دراسة ملف عن الإسلام، دراسة عن الإسلام والنصرانية، ودراسة عن الإسلام والمركزية قالوا فيها بالحرف الواحد:

لماذا اتخذ الغرب الإسلام عدواً فور سقوط الشيوعية؟ الجواب لأن الإسلام مستعص عن العلمنة ومقاوم للعلمنة، وهو الآن أقوى في قلوب أبنائه منه منذ مئة عام، ولذلك فهو التحدي الأول للثقافة الغربية، لأنه يرفض المبدأ المسيحي (دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله) وهم يعرفون أن امتلاك الإسلام لنموذج التجدد الذاتي المؤمن يجعله لا يقف ذليلاً أمام النموذج الغربي. وإن هذه الشهادات في غاية من الأهمية، وأنا أجمع مجموعة من الشهادات أكثر من ثلاثين شهادة لثلاثين من علماء الغرب الكبار، ينصفون الإسلام إنصافاً يثبت قلوبنا وأقدامنا نحن، أي كما أن هناك في الغرب من يهاجم الإسلام ويفتري عليه، هناك من ينصف الإسلام،وأنا أجمع هذه الشهادات لأنشرها إن شاء الله في كتاب (الإسلام في عيون غربية بين افتراء الجهلاء وإنصاف العلماء).

أقول لكم هذا لتدركوا عظمة الإسلام، وأن المستقبل كل المستقبل المشرق هو للدعوة الإسلامية، شرط أن نأخذ بالأسباب، وأن نعمل جادين لأننا سنلقى الله سبحانه وتعالى ليسألنا ماذا صنعتم في شكر النعمة العظمى التي أنعمت بها عليكم وهي نعمة الإسلام؟؟

أشكركم والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.



- شجرة مباركة.. يكاد زيتها يضيء
- الخط العربي.. الحرف الناطق

شجرة مباركة يكاد زيتها يضيء

إعداد: محمد حسن جحا
كاتب وصحفي / ليبيا

كما فضَّل المولى سبحانه وتعالى بعضَ البشر، كذلك فضَّل بعض الأماكن: ففضَّل الحرمين الشريفين وبيت المقدس، وفضَّل بعض الأيام على بعضٍ ففضَّل الجمعة، وفضَّل بعض الشجر على بعض ففضَّل الزيتون والنخيل والأعناب والرمَّان. قال تعالى:

﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [سورة الرعد: الآية 4]

وهذه الأشجار تزرع في تربة واحدة وتسقى بماءٍ واحد ثم تأتي مختلفة الأشكال والطعوم والألوان.

الزيتون في القرآن الكريم

حظي علم النبات بالذكر أكثر من مائة مرّة في القرآن الكريم، والزيتون تلكم الشجرة المباركة الطيبة قد تشرفت بالذكر في سبعة مواضع من كتاب الله الكريم، حيث ورد ذكرها ستَّ مرات، ومرةً واحدةً بوصفها.

ومن هذه الآيات قوله تعالى:

﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْأَكِلِينَ ﴾ [سورة المؤمنون: الآية 20]

وهذه هي شجرة الزيتون، الشجرة المباركة التي جاء ذكرها أيضا في سورة النور، حيث يصف الله سبحانه وتعالى جلالَ نوره ذلك الوصفَ المبهر الوضيء.

في الآية الخامسة والثلاثين من سورة النور جاء قوله تعالى: ﴿ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ وقد اختلف العلماء في معنى ﴿ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ فعن ابن عباس وقتادة: الشرقية التي لا تصيبها الشمس إذا أشرقت ولا تصيبها إذا غربت، لأن لها سترا، والغربية عكسها، أي أنها شجرة في مُنكشف من الأرض، لا يواريها عن الشمس شيء، وهو أجود لزيتها. وقال ابن زيد: إنها من شجر الشام، فإن شجر الشام لا شرقي ولا غربي، وهو أفضل الشجر، وهي الأرض المباركة. وفي تفسير الجلالين ﴿ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ بل بينهما، فلا يتمكن منها حرٌّ ولا بردٌ مضران. ولصفاء ذلك الزيت فإنه يكاد يضيء، وحول قوله تعالى يقول ابن كثير: النار ونور الزيت حين اجتمعا أضاءا، ولا يضيء واحد بغير صاحبه، كذلك نور القرآن ونور الإيمان حين اجتمعا فلا يكون واحد منهما إلا بصاحبه.

وقال تعالى:

﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْأَكِلِينَ ﴾ [سورة المؤمنون: الآية 20]

قال القرطبي: (وشجرة) يريد بها شجرة الزيتون، وأفردها بالذكر لعظيم منافعها في أرض الشام والحجاز وغيرها، وقلة تعهّدها بالسقي والحفر وغير ذلك من المراعاة في سائر الأشجار.
﴿ تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ ﴾ أي أنبتها الله في الأصل من هذا الجبل الذي بارك الله فيه، وطور سيناء من أرض الشام، وهو الجبل الذي كلمَّ الله عليه موسى عليه السلام، ﴿ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ ﴾ أي تنبت ومعها الدهن، والمراد تعداد نعم الزيت على الإنسان، وهي من أركان النعم التي لا غنى للصحة عنها، ﴿ وَصِبْغٍ لِّلْأَكِلِينَ ﴾ يراد به الزيت الذي يصبغ به الأكل، وأصل الصبغ ما يلون به الثوب وشبه الإدام به لأن الخبز يلون بالصبغ إذا غمس فيه.

وقال تعالى:

﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾ [سورة التين: الآيات 1 ـ 3]

قال الإمام الرازي: حصل فيه قولان، الأول أن المراد من التين والزيتون هذان الشيئان المشهوران، قال ابن عباس: هو تينكم وزيتونكم هذا، ثم ذكروا من خواص التين والزيتون أشياء..... وأما الزيتون

فشجرته هي الشجرة المباركة، فاكهةٌ من وجه وإدامٌ من وجه ودواءٌ من وجه... ثم قال المفسرون: التين والزيتون اسم لهذين المأكولين، وفيهما هذه المنافع الجليلة، فوجب إجراء اللفظ على الظاهر والجزم بأن الله تعالى أقسم بهما لما فيهما من هذه المصالح. القول الثاني أنه ليس المراد هاتين الثمرتين، ثم ذكروا وجوهاً منها أنهما جبلان من الأرض المقدسة، ومنها أن المراد من التين والزيتون مسجدان، ومنها بلدان فقال كعب: التين دمشق والزيتون بيت المقدس.

قال القرطبي: قال ابن عباس رضي الله عنهما: في الزيتونة منافع، يسرج الزيت، وهو إدام ودهان ووقود، وليس فيه شيء إلا وفيه منفعة، وهي أول شجرة نبتت في الدنيا، وأول شجرة نبتت بعد الطوفان، وتنبت في منازل الأنبياء والأرض المقدسة ودعا لها سبعون نبياً بالبركة.

موطن شجرة الزيتون

لكل شجرة موطن أصلي عرفها الناس منه ثم انتشرت زراعتها إلى الأقاليم الملائمة. وعن شجرة الزيتون تطالعنا الآيتان الكريمتان:

﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ﴾

[سورة المؤمنون: الآية 20]

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۞ وَطُورِ سِينِينَ﴾ [سورة التين: الآيات 1ـ2]

أكد المفسرون أن الآية الأولى تتحدث عن شجرة الزيتون، وذكرت بعدها كلمة (تخرج)، فكلمة (تخرج) في القرآن الكريم لها دلالتها على الموطن الأصلي للشجرة، ثم تردف الآية (من طور سيناء) أي من جبال في المنطقة العربية، وقيل عن الطور إنه الجبل الذي به الشجر، أو الجبل المخضر بالنبات، وسيناء هي منطقة معروفة، فشجرة الزيتون قد خرجت إلى الدنيا وعرفها الناس من الجبال قرب السواحل الشرقية للبحر الأبيض المتوسط، والمعروف أن شجرة الزيتون البرية تُغرَسُ وتنتج هناك، ومنها بدأت انتشارها على سواحل المتوسط وشواطئه، ثم إلى بقاع أخرى من العالم. وتبقى دول البحر الأبيض المتوسط هي أكثر الدول إنتاجا للزيتون وهي بالترتيب كما يلي: أسبانيا، إيطاليا، اليونان، البرتغال، تونس، وتركيا.

جدول يبين الآيات السبع التي ذكرت فيها شجرة الزيتون وزيتها

السورة	رقم الآية	نصّ الآية
الأنعام	99	﴿وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾
الأنعام	141	﴿وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا .﴾
النحل	11	﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ﴾
المؤمنون	20	﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾
النور	35	﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾
عبس	29	﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾
التين	1	﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا

غصن الزيتون شعار للسلام

جاء في كتاب البداية والنهاية للحافظ بن كثير: إن سيدنا نوحا عليه السلام قد بعث بحمامة لتستطلع أخبار الطوفان، فعادت بغصن زيتون، فأدخل ذلك الأمنّ على النفوس الخائفة من ركاب السفينة. ومنذ أقدم الأزمان كان الزيتون وما يزال شعارا من شعارات السلام وبشيرا من بشائر الأمان. وما زالت شعوب الأرض تتناقل هذا الرمز جيلا بعد جيل، حتى جعلته هيئة الأمم المتحدة شعارا لها.

تاريخ الزيتون

يرجع العلماء شجرة الزيتون إلى 7000 سنة قبل الميلاد، ويعتقدون أن موطنها الأصلي غرب آسيا، وأن الذين أحضروها إلى منطقة شرق حوض البحر الأبيض المتوسط هم الفينيقيون والرومان، وأنها غرست في جزيرة كريت منذ 3500 سنة قبل الميلاد.

وتعتبر زراعة أشجار الزيتون إحدى أقدم المؤشرات الحضارية في العالم. فقد سبقت ظهور الكتابة. ولعل السبب في الاعتماد على زراعة الزيتون يعود إلى فوائد زيته، وما يوفره من ظل شبه دائم لأن مخضرٌ طول العام، وما تمد به هذه الشجرةُ الإنسان من أوراق وحطب... إلخ، هذا فضلا عن الأسطورة التي ارتبطت بانتشاره من الأراضي الفينيقية في اليونان، ومنها إلى روما، ومن ثم إلى باقي دول العالم الغربي.

وعندما ننظر في تاريخ شجرة الزيتون نجد أنه قد اختلط بمزيج من الواقع والخرافة والخيال والأسطورة، لكن ما تهمنا الإشارة إليه هنا أن ذلك

والإدّهان بالزيت يقوي الشعر والأعضاء ويبطئ الشيب، شربه يدفع السموم ويطلق البطن ويسكن وجعه ويخرج الدود.

موفق الدين البغدادي

المزيج على تنوعه يفيدنا بأن منشأ الزيتون يعود إلى ماض سحيق من تاريخ البشرية، وإلى أزمان موغلة في القدم. وقد لاحظ الباحثون في هذا المجال أنه من الصعوبة بمكان تحديد مكان وزمان بداية زراعة الزيتون، لكن الأمر المسلم به هو اختلاط تاريخ الزيتون بتاريخ حوض البحر المتوسط، وأنه يشكل جزءا مهما من حضارة وثقافة شعوب هذه المنطقة.

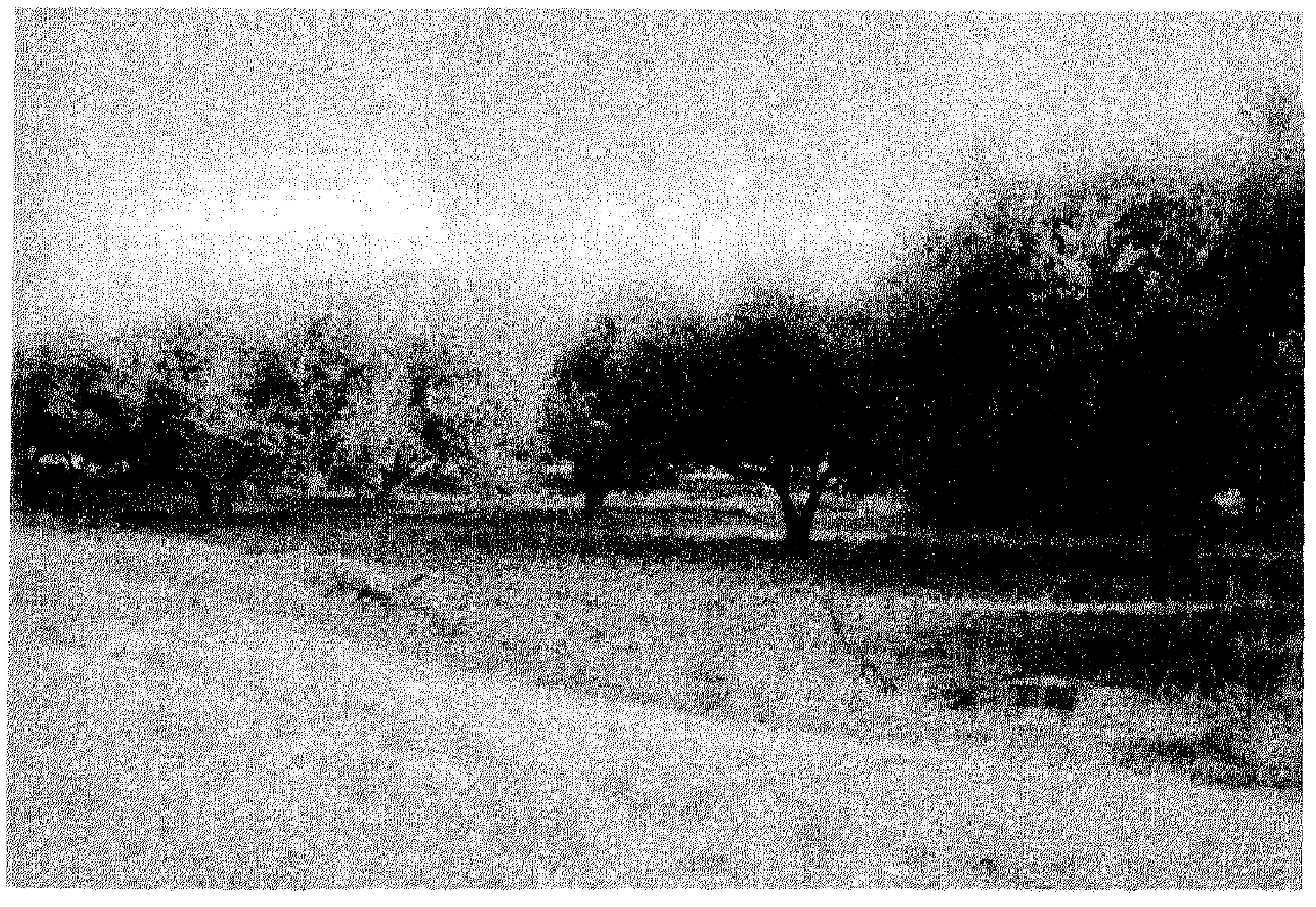
وقد قدست الشرائع السماوية والحضارات الإنسانية شجرة الزيتون، كما خلدها الشعراء والفنانون في إبداعاتهم وأعمالهم الفنية.

أشرنا إلى أن الشواطئ الشرقية للبحر المتوسط (سوريا، فلسطين، لبنان) تعتبر الموطن الأصلي لنشأة شجرة الزيتون، ومنها انتشرت إلى بقية دول العالم، وما وصلت إليه الدراسات التاريخية الحديثة وأكدت عليه أن شجرة الزيتون وجدت منذ العصر الحجري، أي قبل أكثر من (12) اثني عشر ألف عام، ووجد الباحثون أنه في الألف الثالث قبل الميلاد كانت في منطقة الشام (شرق البحر الأبيض المتوسط) مزارع زيتون مستثمرة. كما استكشفت أغصان وبذور زيتون في آثار منطقة الشام بالقرب من مدينة (إدلب) تعود لأكثر من 2500 عام قبل الميلاد، أضف إلى ذلك أنه تم العثُور على عبوات تحتوي على زيت الزيتون بين القبور المصرية، وذلك خلال العمليات الحديثة للكشف عن

الحفريات الأثرية لهذه القبور التي تعود لأكثر من 1500 عام قبل الميلاد، وفضلا عن هذا هناك دلائل أكيدة أيضا على وجود هذه الشجرة المباركة في تلك الفترة على الشواطئ والسواحل وفي الواحات الليبية، وعلى ضفاف بحر إيجة في تركيا واليونان. ويسجل التاريخ أن الفينيقيين نشروا هذه الزراعة ابتداء من القرن السادس عشر قبل الميلاد إلى الجزر اليونانية، واستمر انتشارها بعد ذلك حتى بلغت أهمية كبرى في عهد (صولون) في القرن الرابع عشر قبل ميلاد المسيح، واعتبارا من القرن الحادي عشر قبل الميلاد، أي في عام (1030) دخل الزيتون إلى مناطق من غرب أوروبا ولأول مرة بواسطة الفينيقيين سادة البحر آنذاك، وانتقلت زراعة الزيتون في القرن السادس عشر قبل الميلاد إلى سواحل متوسطية عديدة عبر الشواطئ الليبية والتونسية، وساهم الرومان في نشرها في حوض المتوسط. واعتبروها سلاحا في أيديهم وعاملَ استقرار للسكان، أما العرب المسلمون فقد كان لهم دور مهم في نشر وتطوير هذه الزراعة، حيث نقلوا أصنافا عديدة من الزيتون إلى ضفاف المتوسط الأوروبية وخاصة إلى الأندلس حتى إن كلمات الزيت والزيتون في اللغة الأسبانية مأخوذة من العربية في تلك الفترة من الزمان.. زمان الوصل بالأندلس.

انتقلت بعد ذلك زراعة الزيتون إلى أمريكا عن طريق المستكشفين الأسبان، وابتداء من عام 1560 مسيحي بدأت بالظهور في المكسيك والبيرو ومنها إلى كاليفورنيا وتشيلي والأرجنتين، وواصل الزيتون انتشاره في الأزمنة الحديثة حيث وصل إلى جنوب أفريقيا وأستراليا واليابان والصين.

تعيش أشجار الزيتون حياة طويلة، حيث يعتقد أن حياتها قد تمتد من 300 إلى 700 سنة أو حتى أكثر من ذلك، وحتى إذا ماتت الساق والأغصان فإن لشجرة



زيتونة زيتها في كلّ مشكاة

الزيتون المقدرة على أن تنبت من جديد وتبعث الحياة في شجرة جديدة. وتقدر أعداد أشجار الزيتون الموجودة اليوم فوق سطح الأرض بحوالي 800 مليون شجرة، تنتمي إلى أصناف مختلفة ومتنوعة من أشجار الزيتون المزروعة في أنحاء العالم.

تصنيف شجرة الزيتون

شجرة الزيتون تنتمي إلى فصيلة النباتات الزيتية التي تضم حوالي 22 جنسا تحتوي على ما يقارب 500 نوع وجنس. الزيتون وحده يضم ما بين 30 ـ 40 نوعا. وشجرة الزيتون المستزرعة، المغروسة، المستغرسة، المنشأة:

﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾

(سورة الواقعة: الآية 71)

هي شجرة صغيرة تختلف عن الشجرة البرية وتعتبر سلالة خاصة من البرية.

والاختلاف في أشجار الزيتون ليس في أنواع الجنس أو بين الشجرة البرية والمستزرعة فحسب، بل هناك تباين دقيق داخل نوع الزيتون نفسه.

وبعد هذه اللمحة الموجزة عن شجرة الزيتون وتاريخها، نحاول أن نقدم جوانب مما اكتشفه العلماء والباحثون في علوم الأغذية من فوائد عظيمة لزيت هذه الشجرة المباركة، وفائدته الأكيدة في الوقاية من الكثير من الأمراض، وعلاج أمراض أخرى. ولابد من الإشارة هنا إلى أننا نستقي هذه المعلومات من الكتب المتخصصة والإصدارات والأبحاث المنشورة.

عود على بدء

أشارت العديد من الآيات القرآنية إلى أهمية شجرة الزيتون وزيتها، وقد وصف الله سبحانه وتعالى هذه الشجرة بأنها مباركة، أي كثيرة العطاء والفائدة.

يا نفثة الروح يا سرّ المرادات

وورد في الأثر أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه ومن ثم جميعَ المسلمين بتناول زيت الزيتون حيث قال (كُلُوا الزَّيْتَ وَادَّهِنُوا بِهِ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ) وفي رواية أخرى (ائتدموا بالزيت وادَّهنوا به فإنَّه من شجرة مباركة) وكيف لا تكون الشجرة مباركة وقد أقسم الله بها أو بأرضها ـ على اختلاف بين المفسرين ـ في قوله تعالى:

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ﴾ [سورة التين: الآيات1ـ2]

وكيف لا تكون مباركة وقد شبه الله تعالى نوره بالنور الصادر عن زيتها في قوله تعالى:

﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ [سورة النور: الآية 35]

فالشجرة مباركة، والزيت مبارك، ولكن كثيرا من الناس عن ذلك غافلون.

نشير في هذا السياق إلى أنه لأول مرة في التاريخ



اجتمع ستة عشر من أشهر علماء الطب في العالم في العاصمة الإيطالية روما في الحادي والعشرين من شهر الطير (إبريل) عام 1997 مسيحي ، وقدموا أبحاثهم ودراساتهم في عدة جلسات علمية، ثم أصدروا توصياتهم وقراراتهم الموحدة حول موضوع زيت الزيتون وغذاء حوض البحر المتوسط. وأصدر هؤلاء العلماء توصياتهم في بيان شمل أكثر من ثلاثين صفحة، استعرضوا فيها أحدث الأبحاث العلمية في مجال زيت الزيتون وغذاء حوض البحر المتوسط. ونقتبس هنا بعضا مما جاء في تلك التوصيات والقرارات فضلا عن الأبحاث والكتب العلمية.

خواص زيت الزيتون

تختلف أنواع الزيت حسب لونه ومذاقه ورائحته، وهذا تابع للأرض التي ينبت بها شجره وطريقة جنْيه وعصر ثماره. وألوانه تتفاوت من الذهبي إلى الأخضر



القاتم، كما يختلف مذاقه من لاذع أحياناً أو فلفلي إلى طعم ثمري لطيف. ونحتاج للحصول على لتر من الزيت إلى عصر 5 كغ تقريبا من الزيتون. وليس هناك زيت نباتي آخر يمكن أكله فور عصره إلا زيت الزيتون، فلا بدَّ للزيوت الأخرى من معالجتها بوسائل خاصة قبل أكلها. ويصنف الزيت حسب درجة حموضته وهناك طرق لتكريره من أجل تخفيف حموضته ورائحته.

ومن بين ما يميز زيت الزيتون عن بقية الزيوت النباتية الأخرى أنه يحتوي على عدد من الأحماض الدهنية غير المشبعة (يسميها العلماء وحيدة الرابطة المزدوجة). ووجد العلماء أن زيت الزيتون يحتوي على 15ـ 20 ٪ زيت، 4 ٪ بروتين، 1 ٪ فسفور، وحديد، وكالسيوم، كما يحتوي على فيتامين أ، ب بكميات كبيرة.

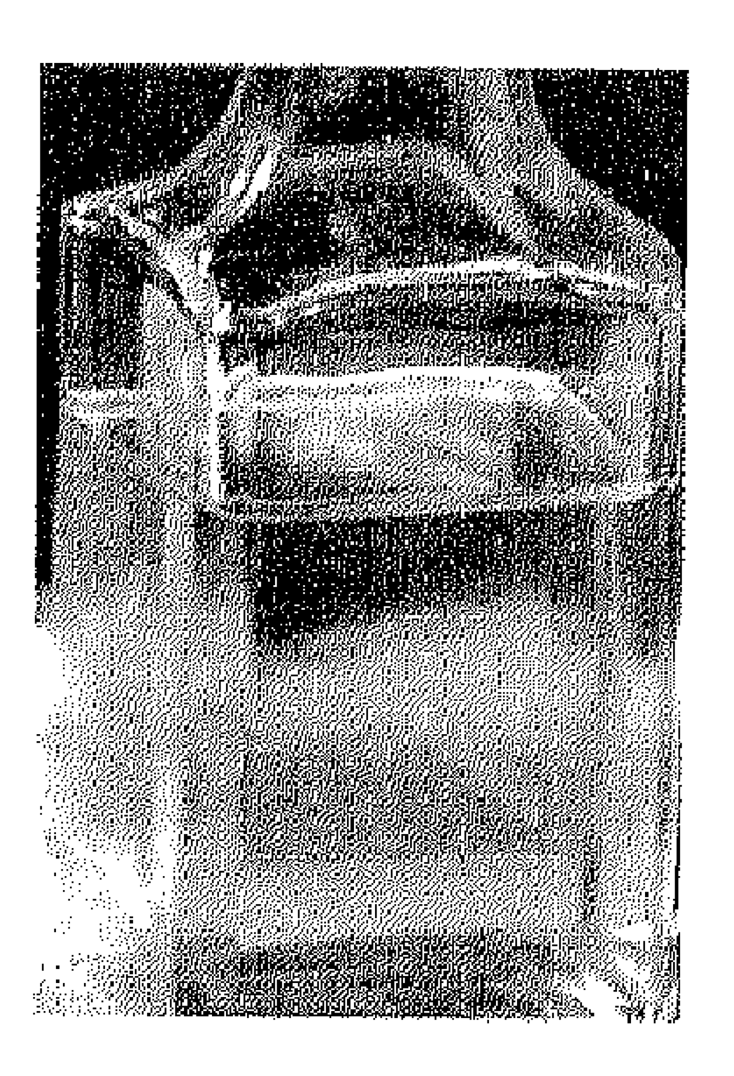
وتحليليا وجد العلماء أن الزيتون الجاف يحتوي على 95, 51٪ دهون، و07, 30٪ ماء، و45, 10٪ كاربوهيدرات، و24, 5٪ بروتين، و33, 2٪ معادن غنية بالبوتاسيوم . كما أن زيت الزيتون غني بالدهن الأحادي غير المشبع والذي له القدرة على التقليل من (LDL) الكوليسترول الضار دون أن يؤثر على (HDL) الكوليسترول المفيد في الدم.

وقد دهش الباحثون المحدثون حينما اكتشفوا أن سكان ضفاف البحر المتوسط وخاصة جزره وشواطئه الجنوبية هم أقل الناس إصابة بأمراض القلب والسرطان في العالم أجمع. ودهشوا أكثر حينما عرفوا أن أهالي جزيرة كريت ـ مثلا ـ يستهلكون زيت الزيتون أكثر من أي شعب آخر، فحوالي 33 ٪ من السعرات الحرارية التي يتناولونها تأتي من زيت الزيتون. فما علاقة زيت الزيتون بذلك؟ وهل للطب الحديث رأي في هذه العلاقة؟ وما تأثيراته على القلب والكلسترول؟ وعلى جسم الإنسان وأعضائه بشكل عام؟.

هذه محاولة لتقديم إجابات عن هذه التساؤلات..

خصائص صحية وغذائية فريدة

اكتشف العلم المعاصر فوائد هائلة ومذهلة لزيت الزيتون، سواء في وقاية الإنسان من بعض الأمراض أو مساعدته في الشفاء من أمراض أخرى، حيث تثبت نتائج البحوث العلمية وتكتشف صدق الحقيقة التي أشار إليها القرآن الكريم ألا وهي البركة التي أودعها الله سبحانه في هذا الشجرة المباركة وفي زيتها العجيب.



بالمناسبة.. ثمرة الزيتون حين بدء تشكلها لا تحتوي على أي كمية من الزيت، بل إنها تحتوي على مزيج من الحموض العضوية والسكاكر التي تتحول بقدرة الخالق تدريجياً إلى زيت وثمرة الزيتون في طريقها إلى النضج، وذلك ضمن عملية خاصة تدعى بتكون الدهن Lipogenesis أجل...! فما هي إلا مصانع كيميائية إلهية تحول الحموض العضوية والسكاكر إلى زيت يكون غذاء ودواءً للناس...

الزيوت في المصطلح العلمي

تعرف الزيوت والشحوم في المصطلح العلمي بأنها تقع ضمن مجموعة (الليبيدات) حيث تقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسية: المشبعة (Saturated) وغير المشبعة المتعددة (Polyunsaturated) وغير المشبعة الأحادية (monounsaturated). وتوجد المشبعة منها في اللحوم والبيض ومنتجات الحليب والمرتبطة طبياً باحتمالات الإصابة بأمراض القلب. أما غير المشبعة المتعددة والأحادية من الدهون فإنها تقي الجسم من الأمراض وتقلل من احتمالات الإصابة بها.

وفيما يتعلق بزيت الزيتون فان معظم خصائصه الصحية تعزى إلى أنه يحوي الكثيرَ من الدهون غير

قال الإمام القرطبي: قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: في الزيتون منافع، يسرج بالزيت، وهو إدام، ودهان، ودباغ، ووقود يوقد بحطبه وتفله، وليس فيه شيء إلا وفيه منفعة حتى الرماد يغسل به الحرير، وهي أول شجرة نبتت في الدنيا، وأوَّل شجرة نبتت بعد الطوفان، وتنبت في منازل الأنبياء والأرض المقدَّسة، ودعا لها سبعون نبيَّاً بالبركة منهم سيدنا إبراهيم عليه السلام وسيدنا محمد فإن النبيَّ قال: اللهم بارك في الزيت والزيتون. قاله مرتين. إن غلة الزيتون في كثرتها وطول دوامها تعدل أعظم الأشجار إن لم تفقها لعدة وجوه:

أولا: إن شجرة الزيتون تثمر بعد زمن يسير، فلا يكاد يمضي على غرسها سنتان حتى تبكر بالثمرة، ومتى ما بلغت ست سنوات أدَّت ما عليها لصاحبها من نفقات غرسها وتربيتها.

ثانيا: إن شجرة الزيتون تُعمِّر طويلا ولا يُهرمها كرُّ الغداة والعشي، فلا تزال تطعم وتثمر عشرات بل مئات من السنين كأنَّما حالفت الدهر على الصبا وأخذت منه ضماناً من الشيخوخة، ومن بين أشجار الزيتون ما يوفي عمره على ألفي عام.، ومنافعه كثيرة ينتفع بورقه وخشبه وزيته ورماده، وقد تحدَّث ابن سينا والأطباء قديماً وحديثاً عن كثرة منافعه في العلاج.

وأكثر ما يغرس الزيتون لاستخراج زيته، وزيتُه يُدَّهن به ويؤتدم به، وقد قال في زيت الزيتون: ادَّهنوا بالزيت وائتدموا به. وقد جاء قوله تعالى في صفة الزيت ﴿يكاد زيتُها يُضيء ولو لم تَمسسه نار نور على نور﴾.

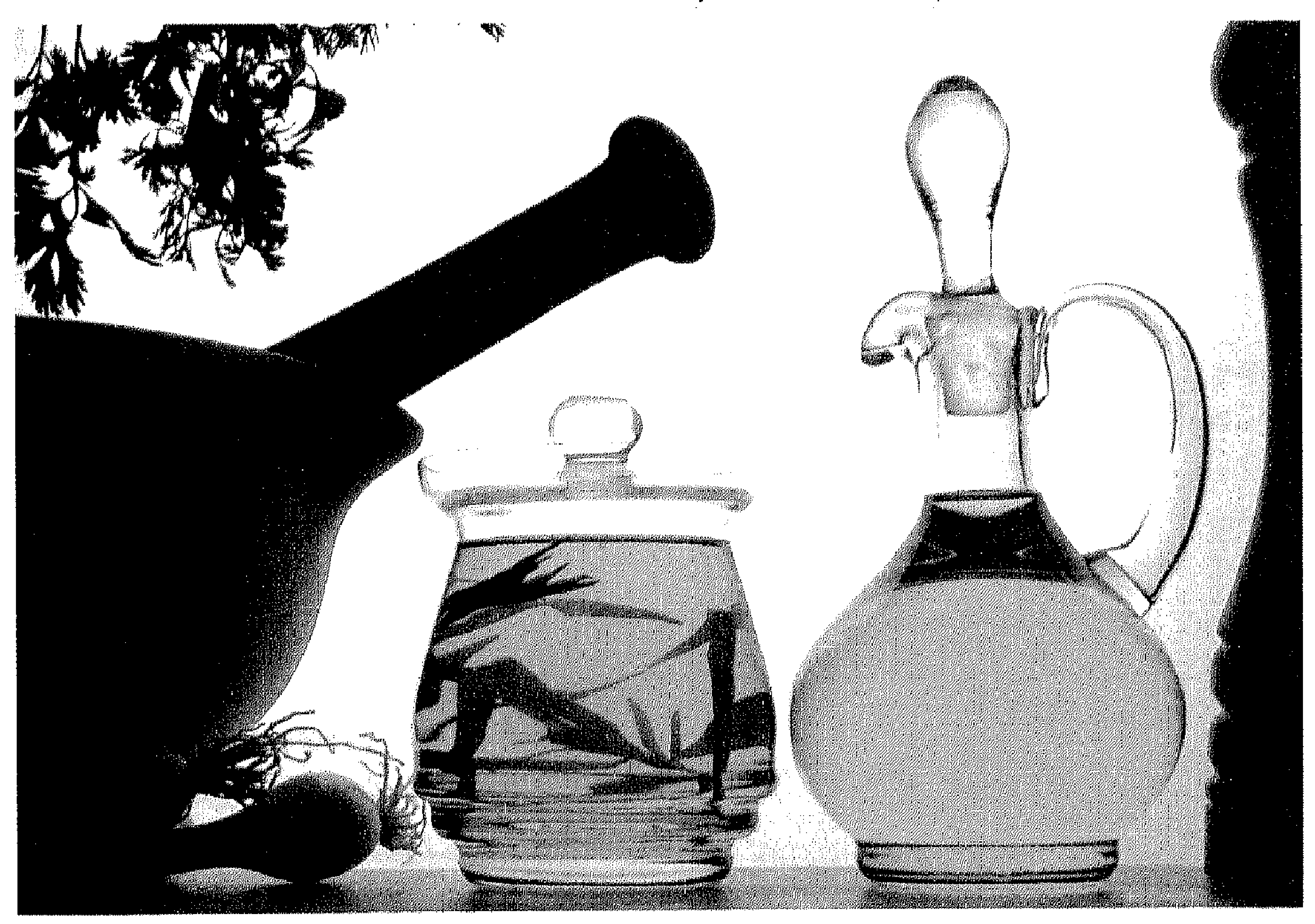
فكثرة الإشارات في هذا الكلام إلى الزيتون وضرب الأمثال به يرجع إلى ما خصَّ به المولى عزَّ وجلَّ هذه الشجرة وما خصَّها الله تعالى به من البركة والقدم في الوجود والثبات على مرِّ الزمان وكثرة الانتفاع بها، ومدح نور المصباح الذي يوقد بزيت الزيتون وشبَّه به قلب المؤمن. وقد قال أحدهم: الروح مصباح يُزهر في القلب فنوره الحياة وحرارته الحركة ودخانه الشهوة، فإذا كان زيته جيداً مثل زيت الزيتون كان نورُه ساطعاً وحرارته شديدة ولا دخان له، ومثله مثل المؤمن الصالح الذي لا يفتر في العبادة وفعل الخيرات لكثرة نشاطه ولا نصيب للشهوة في قلبه وكلُّ هذا بفضل اتباع طريق الإحسان.

المشبعة الأحادية التي تعرف بحامض الأوليك.

لا شك في أن زيت الزيتون هبة من الله تبارك وتعالى للإنسان، وقد عرف القدماء بعضا من فوائده، وبدأ الطب الحديث ـ منذ سنوات معدودات فقط ـ يدرك بعضًا آخر منها، وقد كان الأطباء لسنوات خلت يحذرون المصاب بارتفاع كولسترول الدم من تناوله، لكن الأبحاث الحديثة دلّت على عكس ذلك، حيث عرفنا من نتائج الأبحاث والتجارب في علوم الطب والأغذية أن زيت الزيتون يقي من مرض العصر (جلطة القلب) ويساعد أو يؤخر من الإصابة بتصلب الشرايين، وتلاشت الأسطورة التي كانت تقول إن زيت الزيتون يزيد من نسبة الكولسترول في الدم، ذلك الشبح الذي يقض مضاجع الكثيرين. وتبين للعلم الحديث أن زيت الزيتون عدو للكولسترول يحاربه أنى كان في جسم الإنسان.

وقد أكدت الأبحاث العلمية الحديثة أن تناول زيت الزيتون يسهم في الوقاية من مرض شرايين القلب التاجية وارتفاع كولسترول الدم وارتفاع ضغط الدم ومرض السكر والبدانة، كما أنه يقي من بعض أمراض السرطان. وحتى عام 1986مسيحي لم يأبه أحد من الباحثين الأمريكيين و الأوروبيين بزيت الزيتون، وما أن طلع على الناس الدكتور غرندي في دراسته التي نشرها عام 1985 مسيحي والتي أثبت فيها أن زيت الزيتون يخفض كولسترول الدم حتى توالت الدراسات والأبحاث والتجارب مركزة اهتمامها حول فوائد زيت الزيتون، وها نحن نكتشف يوما بعد يوم المزيدَ من أسرار هذا الزيت المبارك الذي أتى من شجرة مباركة، كما وصفها القرآن وعبر عن شدة نقاوة وبريق زيت الزيتون.

وبالمناسبة فإن الكثيرين من سكان العالم ـ وخاصة أمريكا وشمال أوربا ـ يغبطون سكان حوض البحر الأبيض المتوسط على غذائهم، فهم يعرفون أن مرض شرايين القلب التاجية أقل حدوثا لدى سكان ضفتي المتوسط مما هو عليه في شمال أوروبا والولايات المتحدة، ويعزوا الباحثون ذلك إلى كثرة



استهلاك زيت الزيتون عند سكان حوض البحر المتوسط، واعتمادهم عليه مصدرًا أساسيًا للدهون في طعامهم بدلا من السمن والزبدة وأشباهها.

جاء في كتاب عنوانه (Heart Owner Handbook) صدر عن معهد تكساس لأمراض القلب بأمريكا: إن المجتمعات التي تستخدم الدهون اللا مشبعة الوحيدة (وأشهرها زيت الزيتون) في غذائها كمصدر أساسي للدهون تتميز بقلة حدوث مرض شرايين القلب التاجية، فزيت الزيتون عند سكان دول البحر المتوسط يشكل المصدر الأساسي للدهون في غذائهم، وهم يتميزون بأنهم الأقل تعرضا لمرض شرايين القلب وسرطان الثدي في العالم أجمع، ليس هذا فحسب، بل إن الأمريكيين الذين يحذون حذو هؤلاء يقل عندهم حدوث مرض شرايين القلب.

الزيت والزيتون في الطب

في الطب القديم: عرف الزيتون منذ قرون عديدة بخواصه العلاجية، وقد أطال الأطباء الأوائل في سرد فوائد الزيتون الطبية ومما ذكروه: أنه يقوي المعدة ويفتح السدد، ويحسن الألوان... ووصفوه ضد أمراض الكبد، والناضج منه مفيد جدا. أما ورق الزيتون فإنه إذا مُضِغَ أذهب فسادَ اللثة والقلاع وأورام الحلق، وإذا دُقَّ وضُمِّدَ بمائه وعصارته نفع من القروح والأورام، وختَمَ الجروح، وعصارته إذا حُقِنَ بها شرجيا أذهبت قروحَ الأمعاء والمعدة. وقد استعمل الرومان زيت الزيتون في دهان أجسامهم ليتطهروا، واهتم المصريون القدماء بزراعته لما عرفوا عنه من فوائده الطبية العظيمة وتباركوا بعصرها.

الزيتون في الطب العربي: جاء في كتاب حديقة الأزهار والعقار لأبي القاسم بن محمد بن إبراهيم العسالي: أن زيت الزيتون جيد للمعدة، وهو أجود الزيت للأصحاء، وزيت الزيتون البري هو كدهن الورد في كثير من المعاني، ويحفظ الشعر من سرعة الشيب إذا



استعمل كل يوم، وزيت الزيتون المدرك التام النضج حار باعتدال ورطب كذلك، وجميع أنواع الزيتون مقوٍ للأبدان منشط للحركة، ورقه نافع للقلاع والداحس ولسيلان العرق. وعَكَرُ الزيت (ما يبقى بعد عصره) دواء للأورام الحارة والغدد، والزيت العتيق ينفع من ظلمة العين، وزيت الزيتون البري مجفف لسيلان الرطوبة من الأذن نافع للثة الدامية والأسنان المتحركة.

زيت الزيتون في علوم الأغذية والطب الحديث

ورد في كتاب عنوانه (8 أسابيع للوصول إلى الصحة المناسبة) {8 weeks to optimum health} لمؤلفه أندرياويل والصادر في أمريكا في العام 1997

في كتب التراث الإسلامي وصف مسهب لفوائد زيت الزيتون نقتطف منها:

والزيت إذا شرب بالماء الحار سكّن المغص والقولنج وأخرج الدود وأدرّ البول وفتّت الحصى وأصلح الكلى. ويقع في المراهم فيدمل ويصلح، والادّهان به كل يوم يمنع الشيب ويصلح الشعر ويمنع سقوطه.. والاكتحال به يقلع البياض ويُحدّ البصر... أما الزيتون فهو من الأشجار الجليلة القدر، العظيمة النفع، وإن مُضِغَ ورقه أذهب فساد اللثة والقلاع وأورام الحلق.

داود الأنطاكي / التذكرة

مسيحي أنه يجب استبدال كل أنواع الدهون التي يتناولها الإنسان وخاصة بعد سن الأربعين بزيت بكر طازج، زيت الزيتون، ومما يذكره المؤلف في هذا الكتاب أن زيت الزيتون يعالج أمراض الكبد، من حيث أنه يذيب الدهون ويساعد في تقوية الكبد، وعلاج الكبد الدهني، وبذلك يزيد من نشاطه. ويؤكد الكتاب أن الدواء المعروف في الأسواق باسم Essential fort يحتوي على نسبة عالية من زيت الزيتون، وهو الذي يوصف كدواء أساسي لمرضى الكبد، كما أنه يحسن من وظائف الكبد، خاصة أنه مضاد للسموم، ومن هنا فهو يزيد من قدرة الكبد على القيام بإزالة السمّية من الدم.

ويقول الدكتور (وليام كاستللي) مدير دراسة فارمنجهام الشهيرة في بريطانيا: إن هناك زيتا واحدا يتمتع بأطول سجل من السلامة عبر التاريخ هو زيت الزيتون، فلقد تناول زيت الزيتون أجيال وأجيال، وامتاز هؤلاء بصحة الأبدان وندرة جلطة القلب عندهم، وهذا السجل الحافل بمآثر زيت الزيتون يجعلنا نطمئن لاستعماله، ونقبل عليه بشغف كبير.

ويقول متخصص آخر هو الدكتور (أهرنس) من جامعة كوفلر بنيويورك: إننا ندرك تماما أن استعمال سكان حوض البحر المتوسط لزيت الزيتون كمصدر أساسي للدهون في الغذاء هو السبب وراء ندرة مرض شرايين القلب التاجية عندهم.

أما الدكتور تريفيسان من جامعة نيويورك فقد لخص فوائد زيت الزيتون في بحث نشره في مجلة (جاما) عام 1990 مسيحي فقال: لقد أكدت الدراسات الحديثة التأثيرات المفيدة لزيت الزيتون في أمراض شرايين القلب. ورغم أن البحث قد تركز أساسا على دهون الدم، إلا أن عددا من الدراسات العلمية قد أشارت إلى فوائد زيت الزيتون عند مرضى السكري والمصابين بارتفاع ضغط الدم.

زيت الزيتون
وعلاج أمراض القلب والسرطان

توصل بحث علمي أجرى في أسبانيا مؤخرا ونشرته إحدى المجلات المختصة بأمراض الجهاز الهضمي ؛ إلى أن استخدام زيت الزيتون في طهي الطعام قد يمنع سرطان الأمعاء.

ويقول الفريق الطبي الذي أجرى التجربة إن النتائج أظهرت أن لزيت الزيتون فوائد وقائية، الأمر الذي قد يفسر سبب كون الغذاء المتوسطي غذاء صحيا.

وقد أجري البحث على عدد من الفئران المختبرية التي أطعم بعضها غذاء غنيا بزيت الزيتون، والبعض الآخر بزيت السمك، والبعض الآخر بزيت زهرة العصفر.

ثم قسّم الباحثون كل مجموعة أعطى إحداها مواد تسبب السرطان، وبعد أربعة أشهر وجدوا أن الحيوانات التي أطعمت بزيت الزيتون كانت أقلها من حيث الإصابة بأورام سرطانية.

ويقول البروفيسور (ميجيل جاسول) رئيس الفريق: إن هذه الدراسة تقدم دليلا على أن غذاء يحتوي على خمسة بالمائة من زيت الزيتون يقي من الإصابة بالسرطان مقارنة بزيت زهرة العصفر.

ويفسر الفريق العلمي دور زيت الزيتون بأنه يعرقل تكون مادة يطلق عليها علميا اسم (آركيدونات) وهي المسؤولة. عند إتحادها مع مادة أخرى هي (بستجلاندين إي). عن تحريض الخلايا على الانقسام السرطاني.

ويعتقد الباحثون أن بدائل زيت الزيتون قد تؤدي العمل نفسه. لكن العلماء يؤكدون أن الأمر لا ينتهي عند هذا الحد، بل يحتاج إلى مزيد من التجارب لمعرفة الآلية الدقيقة لتأثير زيت الزيتون في منع تكون السرطان.

فوائد زيت الزيتون للمصابين بداء السكري

الداء السكري الكهلي يستفيد بالدرجة الأولى من الحمية وفي طليعتها الاعتماد على زيت الزيتون، فلقد أوصى الاتحاد الأمريكي لمرضى السكري المصابين بهذا الداء بتناول حمية فقيرة بالكولسترول وبالدهون المشبعة (الدهون الحيوانية). وأصدر الاتحادان البريطاني والكندي توصيات مماثلة، كما أقرت جداول حمية تعطى فيها الدهون بنسبة 30 ٪ على ألا تتجاوز نسبة الدهون المشبعة 10 ٪ وأن تكون نسبة الدهون اللامشبعة العديدة (كزيت الذرة) فيها 6 ـ 8 ٪ ، في حين يكون الباقي 82 ٪ على شكل حموض دهنية لا مشبعة وحيدة (زيت الزيتون). وقد أكد أن استعمال زيت الزيتون كمعوض عن بعض النشويات في غذاء المرضى السكريين يمكن أن يؤدي إلى تحسين السيطرة على مستوى السكر الدموي.

جميع أنواع زيت الزيتون مقوية للبدن منشطة للحركة.... والزيت البري المعتصر من الفج ينفع القروح الرطبة واليابسة والجرب، وورقه للحمرة والشرى. والزيت المغسول يوافق أوجاع العصب وعرق النسا، وزيت العتيق ينفع للمنقرسين إذا طلوا به. كما ينفع البريّ اللثة الدامية تمضمضاً به ويشد الأسنان المتحركة.

ابن سينا

زيت الزيتون وأمراض المرارة

يؤكد كتاب فن المداواة (للدكتورة عزة مريدن) فائدة زيت الزيتون كمفرز ومفرغ لصفراء الكبد، إذا أعطي منه 2 ـ 6 ملاعق يومياً موزعة قبل وجبات الطعام. وبتأثيره هذا يفيد المصابين بالرمال الصفراوية (المرارية) والصفراء اللزجة الكثيفة، ويخفف من آلامها. ونظراً لتفككه أو تفتته في الجسم وانطلاق الغليسرين منه فإنه يفيد في تسهيل إفراغ الرمال البولية.

وفي عام 1985 مسيحي كتب الدكتور كوتكاس (Kotkas) عن مشاهدات طريفة له من الطب الشعبي الكندي، وجدها فعالة في 95 ٪ من حالات معالجة حصى المرارة، تقوم على أن يصوم المريض على تناول السوائل والعصير (من 20 إلى 24 ساعة) ثم يبدأ بعدها بتناول ملعقتين كبيرتين من زيت الزيتون الطازج (البكر) يتبعها فوراً بملعقة كبيرة من عصير الليمون الطازج أيضا، وذلك كل 15 دقيقة حتى يتناول

ما مقداره (224 غ من زيت الزيتون) ثم ينام واضعاً زجاجة ماء دافئ على بطنه ويمتنع عن الطعام بعدها حتى صباح اليوم التالي. وقد أكدّ كوتكاس أنه كثيراً ما شاهد الحصيات المرارية تخرج متفتتة مع البراز خلال ساعات بعد ذلك.

زيت الزيتون يعالج التهابات المفاصل

أكد الباحثون بجامعة أكسفورد البريطانية أن زيت الزيتون يخفف من التهاب المفاصل، وذلك بناء على دراسة قاموا بها على مجموعة مكونة من 30 رجلا من متوسطي السن يتبعون نظاما غذائيا معينا غنيا بزيت الزيتون لمدة شهر، ثم مقارنتهم بمجموعة أخرى اتبعت نظاما غذائيا عاديا.

وبينت نتائج الاختبارات التي أجريت على نظم المناعة لدى الرجال أن المجموعة التي تناولت زيت الزيتون انخفض لديها تكوُّن جزء معين يسمى{1-ICAM} الذي يعتقد أنه يزيد من شدة الالتهاب في مرضى التهاب المفاصل، وذلك لأنه يجعل خلايا الدم البيضاء (لزجة) مما يجعلها ترشح المفاصل المصابة.

وبناء على ذلك قال الدكتور بارفيه يعقوب المشرف على الدراسة: إنه كلما قلت نسبة {1-ICAM} تقل آلام المفاصل، مضيفا أن الهدف ليس مجرد إضافة زيت الزيتون للوجبة الغذائية، ولكن استبدال بعض الدهون التي تحتويها الوجبة بالدهون الأحادية غير المشبعة الموجودة في زيت الزيتون.

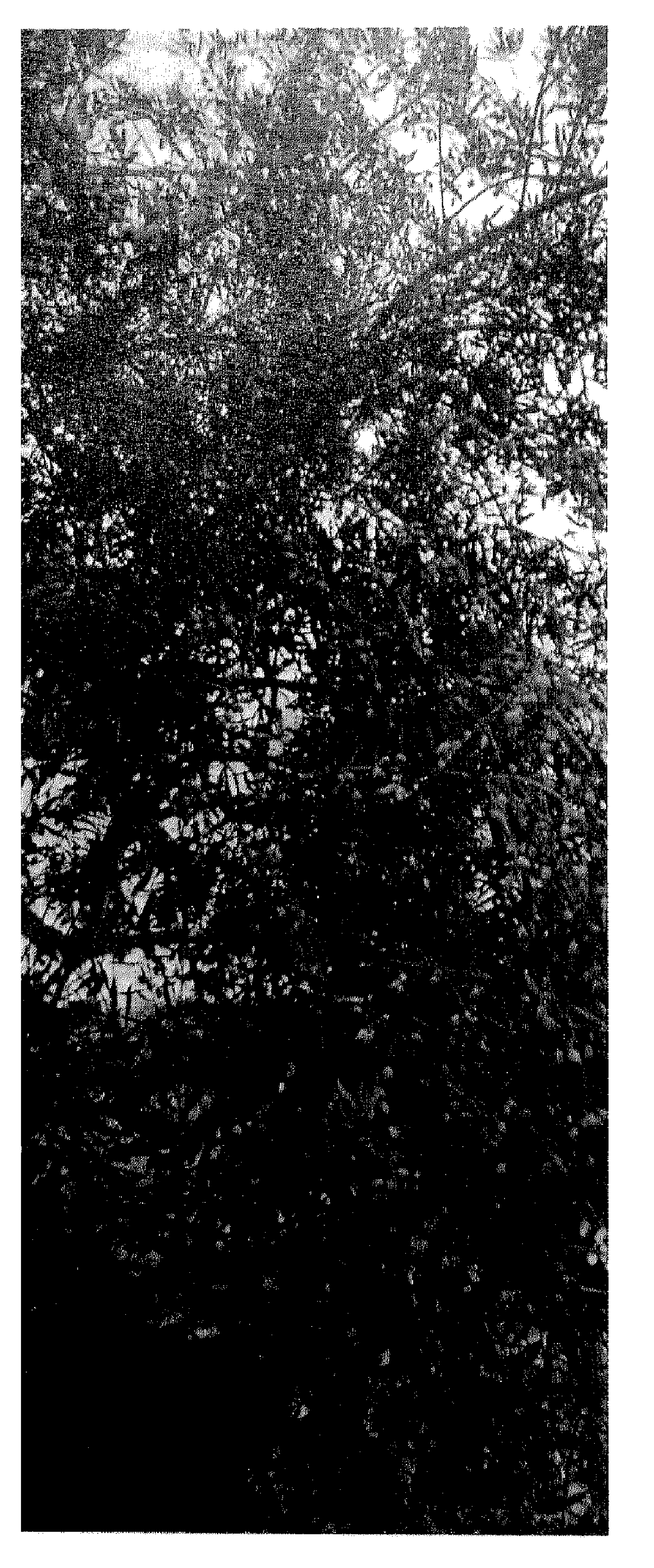
وببساطة يمكنك بقدر الإمكان استخدام زيت الزيتون بدلاً من الدهون الحيوانية أو الزيوت الأخرى، وإذا كانت نصف الدهون الموجودة في الوجبة الغذائية أحادية غير مشبعة فإن الوجبة تعتبر آمنة صحيا، ومفيدة للجسم إلى حد كبير.

زيت الزيتون والكولسترول

لعل من أبرز النتائج التي توصل إليها العلماء أن سكان جزر البحر المتوسط، خاصة جزيرة كريت، هم من أقل الناس إصابة بمرض شرايين القلب التاجية في العالم، ومن المعروف أن معظم الدهون التي يتناولونها في طعامهم مصدرها زيت الزيتون الذي ثبت أنه يقلل من معدل الكوليسترول الضار في الدم وبالتالي يقي من تصلب الشرايين ومرض شرايين القلب التاجية... ومن المعروف أن أكسدة الكولسترول الضار أمر مهم في إحداث تصلب الشرايين وتضييقها. وقد أكدت الدراسات العلمية الحديثة أن زيت الزيتون يلعب دورا هاما في منع تلك العملية... فضلا عن أن زيت الزيتون يلعب دورا مضادا للأكسدة أيضا حيث إنه يحتوي على فيتامين E المعروف بدوره المضاد للأكسدة، كما يحتوي على مركبات البولي فينول ومن ثم يمكن أن يقي من حدوث تصلب الشرايين.



ويُرجعُ العلماء الفوائد الصحية لزيت الزيتون إلى غناه بالأحماض الدهنية اللامشبعة الوحيدة، فضلا عن غناه بمضادات الأكسدة. وقد أشارت الدراسات العملية إلى أن زيت الزيتون يخفض مستوى الكولسترول الكلي و الكولسترول الضار دون أن يؤثر



سلبا على الكولسترول المفيد الضروري والمفيد للجسم.

ليس هذا فحسب بل إن دراسة حديثة نشرت في مجلة Atherosclerosis عام 1995 مسيحي أكدت على أهمية تناول زيت الزيتون البكر الممتاز، وهو زيت العصرة الأولى ، وقد وجد الباحثون أن زيت الزيتون البكر يحتوي على كمية جيدة من مركبات البولي فينول Polyphenolic Compounds التي تمنع التأكسد الذاتي للزيت وتحافظ على ثباته، كما وجد هؤلاء الباحثون أن هذه المركبات تمنع أكسدة الكولسترول الضار LDL في أنابيب الاختبار، وبالتالي يمكن لها أن تقي من حدوث تصلب الشرايين، وتلعب دورا هاما في وقاية الجسم من خطر المركبات السامة للخلايا مثل (البيوكسايدز) Lipid Peroxide وغيرها من المواد الضارة. وأكدت هذه المعطيات دراسة أخرى نشرت في شهر النوار (فبراير) 1996 مسيحي في مجلة (Atherosclerosis) .

ولعل السؤال الذي يواجهنا هنا هو: هل لزيت الزيتون تأثير على تجلط الدم؟ وبالتالي: هل هناك أيضاً تأثير آخر لزيت الزيتون يمارس عن طريقه فوائده في الوقاية من تصلب الشرايين؟

تجيبنا عن ذلك دراسة نشرت في شهر الكانون (ديسمبر) عام 1999 مسيحي في مجلة علمية متخصصة بالقول: لقد توصل الباحثون إلى أن الغذاء الغني بزيت الزيتون ربما يضعف التأثير السيء للدهون المتناولة في الطعام على تجلط الدم، وبالتالي فإن ذلك ربما يقلل من حدوث مرض شرايين القلب التاجية.

وفي بحث قام به الدكتور ألدو فرارا في جامعة نابولي الإيطالية ونشر في مجلة Archives of Internal Medicine بتاريخ 27 الربيع (مارس) 2000 مسيحي، تمت دراسة 23 مريضا مصابا بإرتفاع ضغط الدم، ويتناولون أدوية لارتفاع

ضغط الدم، تناول النصف الأول من المرضى غذاءا غنيا بزيت الزيتون البكر، أما المجموعة الأخرى فتناولت غذاءا غنيا بزيت دوار الشمس، وبعد ستة أشهر عُكس نمط الغذاء بين المجموعتين لستة أشهر أخرى، وأظهرت نتائج الدراسة انخفاض ضغط الدم بمقدار 7 نقاط عند الذين تناولوا زيت الزيتون، في حين لم يحدث أي انخفاض في المجموعة الأخرى. وقد استطاع المرضى الذين كانوا يتناولون الغذاء الغني بزيت الزيتون خفض جرعات أدوية ضغط الدم إلى النصف، وذلك تحت إشراف الأطباء بالطبع، كما أن ثمانية من المرضى المصابين بارتفاع خفيف في ضغط الدم لم يعودوا بحاجة إلى الدواء خلال تلك الدراسة، في حين لم يحدث أي تغير يذكر في جرعات الدواء عند المرضى الذين كان غذاؤهم غنيا بزيت دوار الشمس. ولا بد من التنبيه إلى ضرورة الالتزام بإرشادات الطبيب، فلا ينبغي أن يفهم من هذا أن باستطاعة المرضى المصابين بارتفاع ضغط الدم تناول زيت الزيتون وإيقاف أدويتهم فهذا أمر في غاية الأهمية، ولا بد من المراقبة الدورية من قبل الطبيب.

زيت الزيتون يقوي ذاكرتك

ثبت علميا أن زيت الزيتون يحتوي على المواد المضادة للأكسدة التي لها تأثير مهم على تأخير الشيخوخة، ونجد أن المواد المضادة للأكسدة هي (فيتامين سي و إي بيتاكاروتين ومركبات الفينول). وعلى هذا يمكن لقطرات من زيت الزيتون تتناولها يوميا، أن تقيك فقدان الذاكرة وتبقي على أداء دماغك لوظائفه بشكل فعال عند بلوغك سن الشيخوخة، وذلك استنادا إلى ما يقوله فريق علمي من جامعة (باري) الإيطالية والسر في ذلك - حسب ما يقوله الدكتور أنتونيو كابورسو الذي يترأس الفريق العلمي الذي قام بالأبحاث اللازمة قبل التوصل إلى هذا الاستنتاج - هو الحوامض الدهنية غير المشبعة



التي يمكن العثور عليها في زيت الزيتون.

ويعتقد هؤلاء العلماء أن هذه المواد تحافظ على سلامة بنية الدماغ. ويعبر الدكتور (كابورسو) عن ذلك بقوله: يبدو أن هناك حاجة متزايدة إلى الأحماض الدهنية غير المشبعة أثناء عملية الشيخوخة. وقد توصل الفريق الطبي إلى نتائجه هذه بعد أبحاث شملت 300 شخص تراوحت أعمارهم بين 65 و84 عاما، حيث تبين أن الذين تناولوا كميات أكبر

من هذه الأحماض ضمن مكونات وجباتهم الغذائية. تمتعوا بقدرة أفضل على التذكر وكانوا أكثر يقظة من غيرهم. ويوصي الباحثون بتناول كميات إضافية من زيت الزيتون باعتباره فعالا بشكل خاص في هذا المجال. ولا عجب، فشجرة الزيتون مباركة طبية.

زيت الزيتون والسرطان

من خلال الدراسات والإحصاءات الصادرة عن المراكز المتخصصة فإن السرطان يعتبر مسؤولا عن خمس الوفيات في البلدان الأوروبية، ولكن الغريب في الأمر أن هناك اختلافات واضحة في معدلات الوفيات من السرطان بين الدول الشمالية والغربية من أوروبا وبين دولها الجنوبية المطلة على حوض البحر الأبيض المتوسط، وهناك أدلة قوية تشير إلى أن هذا الاختلاف منشأه - إلى حد كبير- نوعية الغذاء المتناول. ويعزو الباحثون سبب انخفاض معدل الوفيات من السرطانات في حوض البحر الأبيض المتوسط إلى غذاء سكان هذه البلاد الذي يشتمل على زيت الزيتون كمصدر أساسي للدهون وعلى الخضروات والفواكه والبقول.

إذن ما هو دور زيت الزيتون في الوقاية من السرطان؟

أظهر العديد من الدراسات أن هناك تناسبا عكسيا بين زيت الزيتون وبين حدوث عدد من السرطانات ، وأكثر تلك الدراسات تؤكد العلاقة الوثيقة بين تناول زيت الزيتون وانخفاض معدل حدوث سرطان الثدي والمعدة، ليس هذا فحسب، بل إن عددا آخر من الدراسات العلمية يؤكد - كما يقول رئيس معهد أبحاث تصلب الشرايين في جامعة مونستر بألمانيا ، وهو من أبرز الباحثين في العالم في مجال تصلب الشرايين - أن تناول زيت الزيتون يمكن أن يقي من عدد آخر من السرطانات ومنها سرطان القولون وسرطان الرحم وسرطان المبيض، على الرغم من أن هذه الدراسات مازالت في بداياتها، فضلا عن أن عددها ما زال صغيرا.

ومهما يكن فإنه يمكن القول إن زيت الزيتون أسهل للهضم وله نكهة تساعد على زيادة الشهية لذا يفضل وضعه على السلاطات والمتبلات ليزيد من نكهتها وشهيتها ومذاقها، لأنه يحسن من مواصفات الطعام، وهو يساعد الأطفال أيضا على النمو، كما.أنه يؤخر الشيخوخة، أيضاً هو ملين ومسهل كما يقول الأطباء والاختصاصيون ، ويؤمن زيت الزيتون وقاية جيدة من تجلط الدم وتصلب الشرايين. كما سبقت الإشارة، وهو ينشط الكبد والقناة الصفراوية، ويخفض حموضة إفرازات المعدة ويحميها من الإصابة بالقرحة، ويفيد في أمراض اللثة والحساسية والجلد لنعومة أفضل . كما يستخدم زيت الزيتون لوقف تساقط الشعر، كما يفيد الرياضين في تليين العضلات..

وتبقى الإشارة إلى أن هناك استخدامات متنوعة لأوراق الزيتون وأغصانه وحطبه، إضافة إلى الفضلات التي تنتج عن عصر الزيتون، وذلك في مجالات الصناعة وإعداد أعلاف الحيوان.... إلخ، لا يتسع المجال هنا للحديث عنها.

والعالم ينظر إلى هذه الشجرة ليس فقط على أنها مقدسة بل إنها رمز للسلام الذي نحب ونأمل أن يعم العالم.

مصادر الموضوع:

1- كتاب: إعجاز النبات في القرآن الكريم / الدكتور نظمي أبو العطا أستاذ النبات في الجامعات المصرية.
2- كتاب: زيت الزيتون بين الطب والقرآن / د. حسان شمسي باشا / دار المنارة بجدة.
3- موقع BBC. ARABIC
4- موقع طبيب على الإنترنت .
5- فراس نور الحق: زيت الزيتون .
6- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة .
7- موقع هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

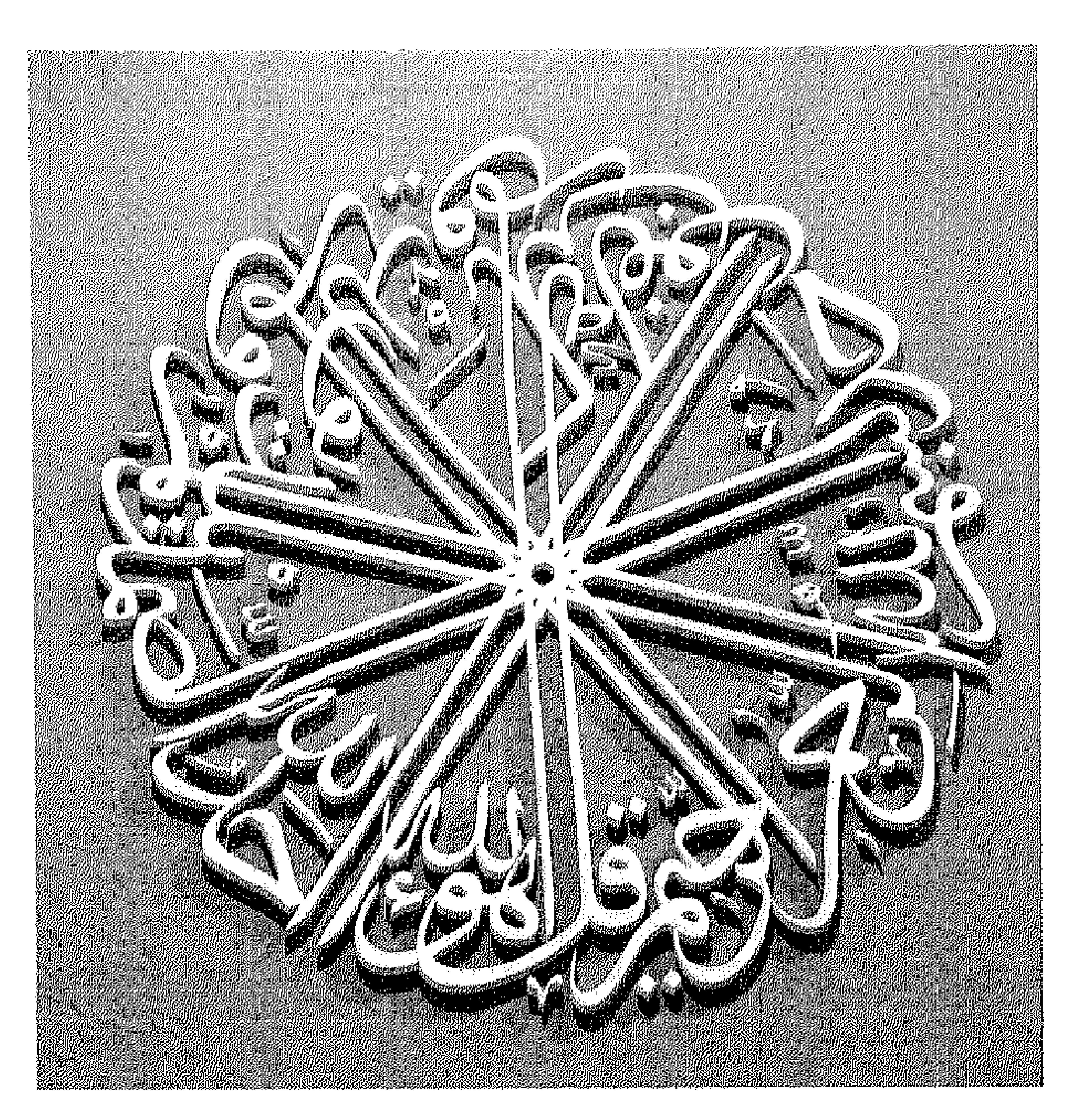
الخط العربي

الحرف الناطق.. الرسم بالكلمات

إعداد: الصديق بشير نصر*



* كاتب وباحث/ ليبيا

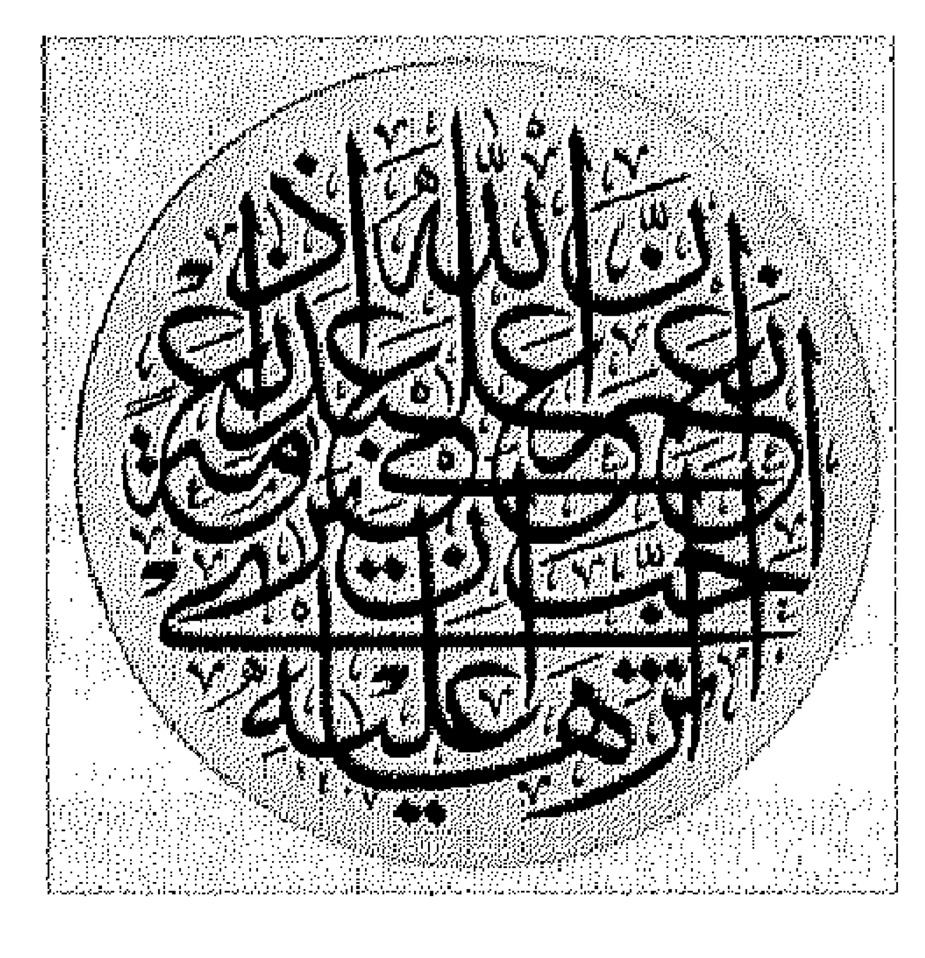


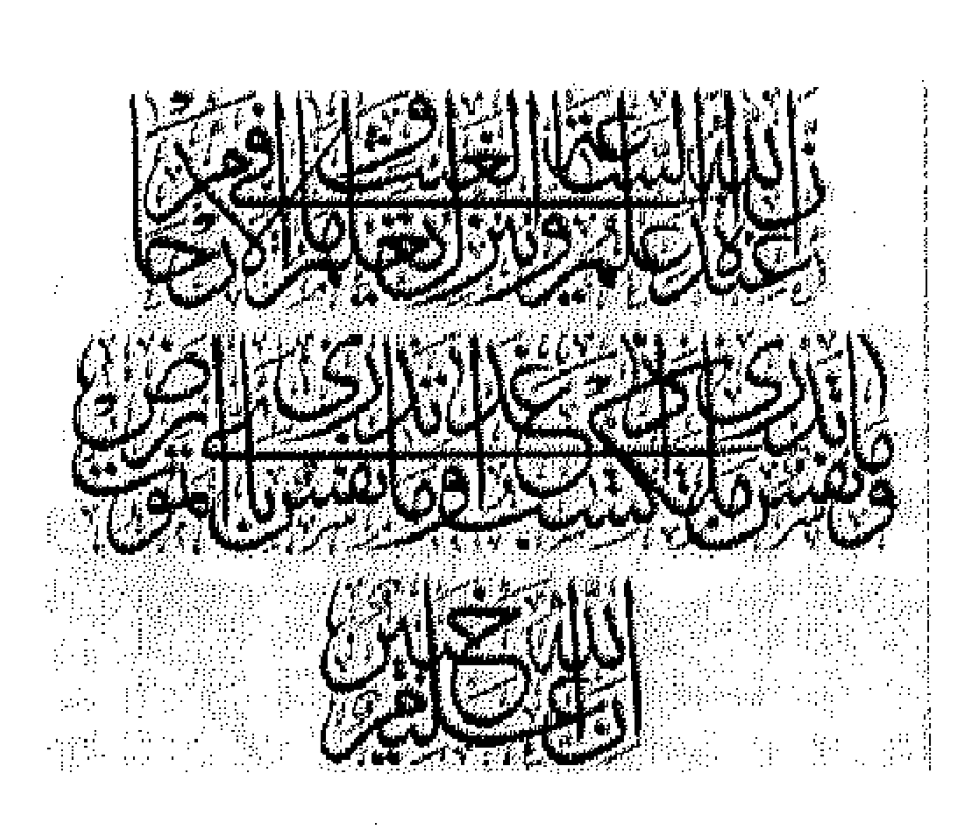
قد يختلف الناسُ في الحكم على كونِ الشيء جميلاً أو أجمل، أو كونه قبيحاً أو أقبح، ولكنهم لا يختلفون في كون الشيء جميلاً أو قبيحاً. وهذا من بدائة الحكم على الأشياء، إذ الجميل والأجمل من الجنس نفسه، وكذا القبيح والأقبح. ولذا فإنّ الاتفاق على كون الشيء جميلاً عند بعضهم قبيحاً عند غيرهم يدلّ على فسادٍ كبير في الذوق، وانحراف ظاهر عن المعايير الجمالية التي لا تُخطئها العيون ولا القلوب.

وللمسلمين بصيرة بالجمال تتجاوز كونها فلسفة. بل إنهم بزوا غيرهم من فلاسفة الجمال، ونجد ذلك جلياً واضحاً عند ابن عربي، والغزالي، وابن حزم، وابن رشد، وغيرهم. فهذا الغزالي يقول في إحياء علوم الدين (4:303):

«إن الجمال ينقسم إلى جمال الصورة الظاهرة المدركة بعين الرأس، وإلى جمال الصورة الباطنة المدركة بعين القلب ونور البصيرة. والأوّل يدركه الصبيان والبهائم، والثاني يدركه أرباب القلوب، ولا يشاركهم فيه مَن لا يعلم إلا ظاهراً من الحياة الدنيا».

فإذا اتضحت هذه الحقيقة أدركنا معنى اتفاق الناس قديماً وحديثاً على جمال الخطّ العربي. حتى أولئك الذين لا يحسنون العربية ولا يقرأونها يسلّمون بأن ثمة شحنات جمالية مثيرة تكتنف هذا الخطّ. إن الخط العربي، بأنواعه المختلفة، يحمل في تضاعيفه معاني جمالية وهو بحق لسان بلا لسان، أي أنه لغة بلا جارحة تفصح عنها. فبعض الناس نظر إليه بعين رأسه فأثاره، وبعضهم نظر إليه بعين قلبه فسحره. وهذا هو المقصد الذي أراده الغزالي بقوله.





الخطّ العربي ليس مجرّد رسم جميل، إنه ثقافة أمّة، تعبّر عن ميراث عظيم. ولعلّ من أسباب اهتمام العرب والمسلمين بهذا الخط نهي الشارع عن الرسم والتصوير والنحت، فانصرفت الهممُ إلى أوجهٍ من الإبداعِ أخرى كالزخرفة والخط.

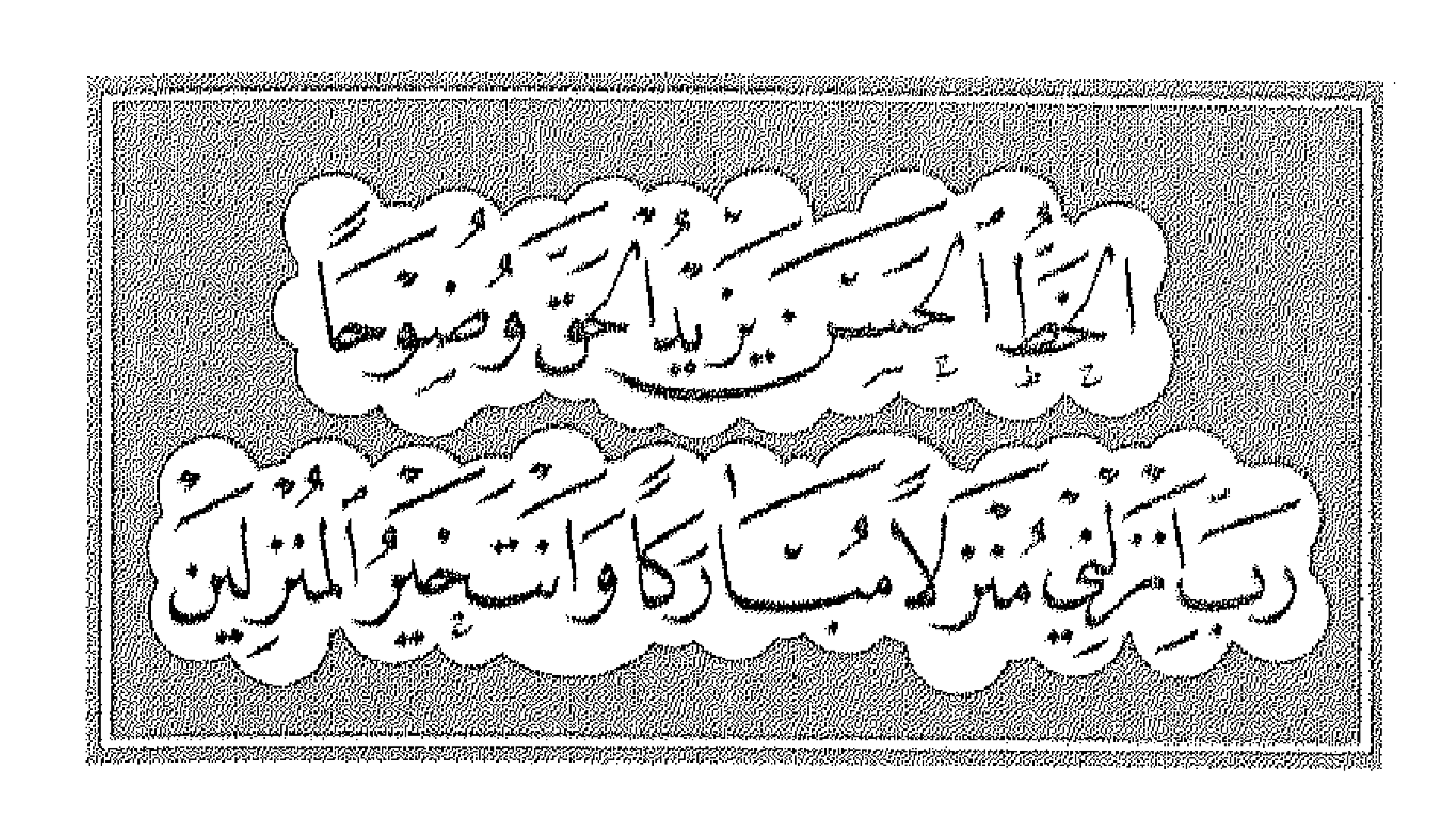
ولقد اجتهد نقّاد الفنّ في اكتشاف أسرار هذا الخط، وأسرار الجاذبية فيه، تلك التي تشدّ الناظر إليه من أوّل وهلة بصرف النظر عن ثقافة الناظر ودينه. فذهب بعضهم إلى أن سرّ جاذبية الخط العربي يكمن في هندسة التماثل التي تخضع لها الحروف العربية، بمعنى أنّ جميع الخطوط العربية تتحرك في انحناءات متماوجة تحدث شيئاً من

الانسجام، فلا تكاد تجد في أيّ نوع من الخط العربي زاوية حادّة، أيّ نتوءاً جارحاً. ويعتبر بعض الباحثين أنّ حرف الألف هو أساس الخط العربي، والحروف الأخرى إن هي إلا أشباه أقواس، والقوس بعضٌ من الدائرة، والدائرة إذا انحنت تحوّلت إلى خط مستقيم، وذلك هو الألف.

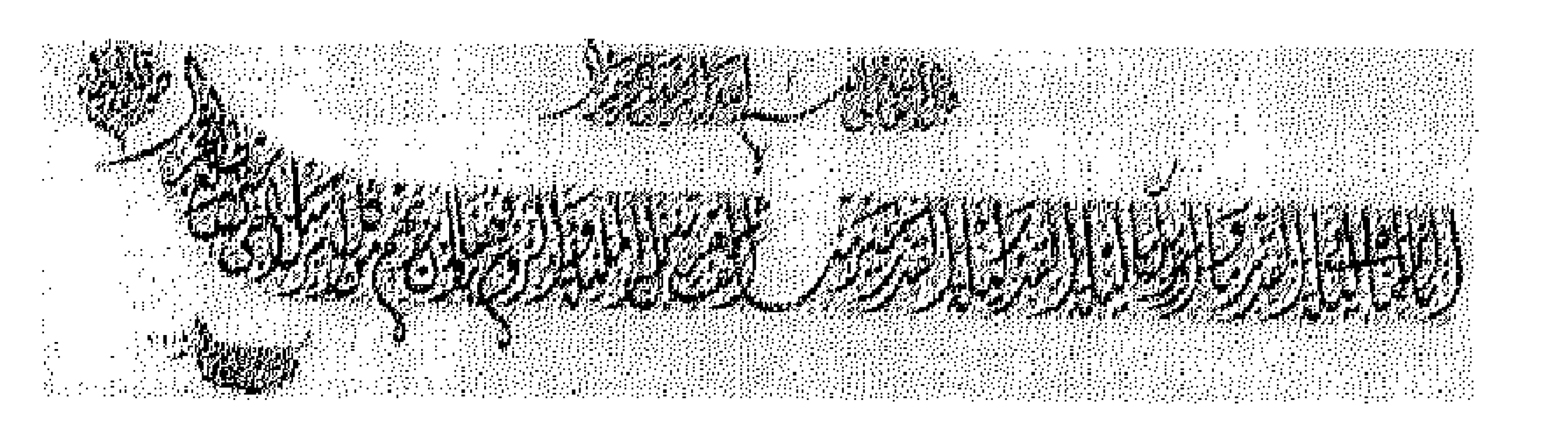
وقد سُئل أحد الخطاطين: متى يستحق الخطّ أن يوصف بالجودة، فقال: «إذا اعتدلت أقسامه، وطالت ألفه ولامه. واستقامت أسطاره، واستوى صعوده وانحداره، وتفتّحت عيونه، ولم تشتبه راؤه ونونُه. وأشرق قرطاسُه، ولم تختلف أجناسُه. وقُدّرت فصوله، واندمجت أصوله، وتناسب دقيقه وجليلُه».

ولقد ارتبط الخطّ العربي بالقرآن الكريم، حيث تنافس الخطاطون قديماً وحديثاً في كتابته، فأتوا ببدائعَ ونفائس، لا تزال تحتفظ بها دور الكتب في جميع أنحاء العالم.

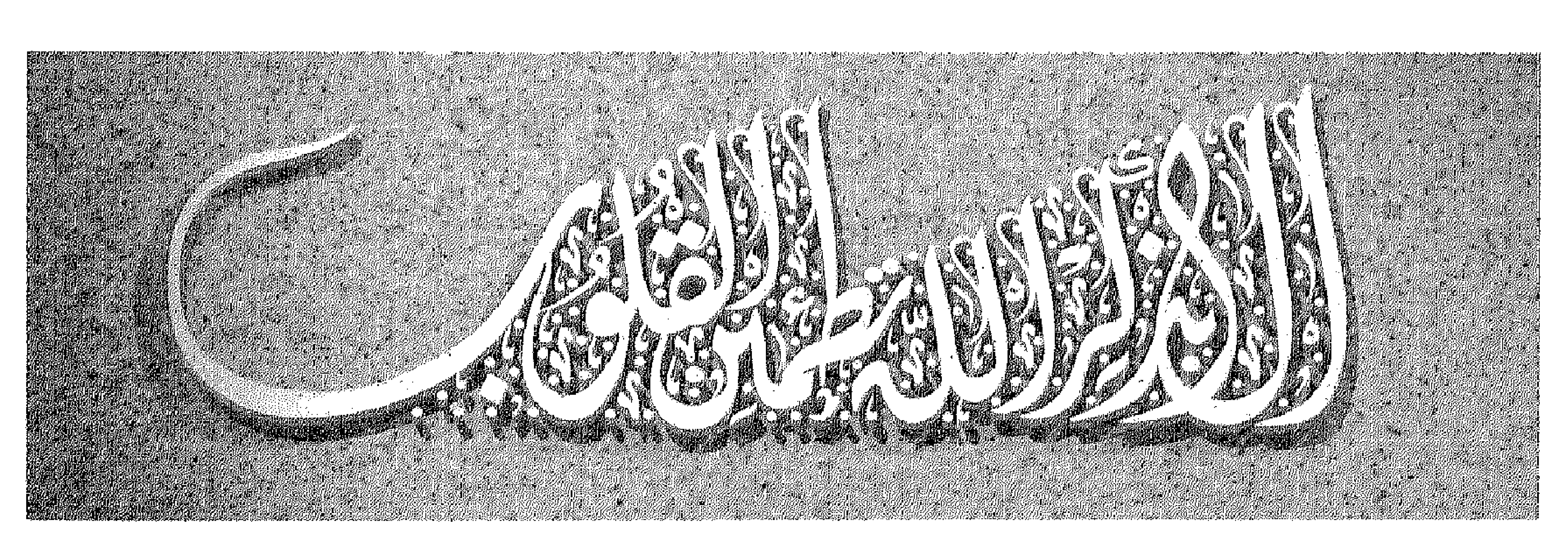
وارتبطت العناية بالخطوط بالدواوين في الدولة الإسلامية، أو ما يُعرف بديوان الإنشاء. فكما كان يوجد بالدواوين المنشؤون وهم الذين يحرّرون رسائل الدولة والوثائق الرسمية، كان هناك الخطّاطون الذين يتولّون كتابة ما يمليه أصحاب الإنشاء من الكتّاب المحترفين والأدباء المنتخبين للعمل بتلك الدواوين. وكما كان المنْشِئُ يختار اللغة المناسبة للخطاب، كان الخطاط ينتقي الخطّ المناسب للكتابة. وفي كتاب (صبح الأعشى في فن الإنشاء) للقلقشندي كلام

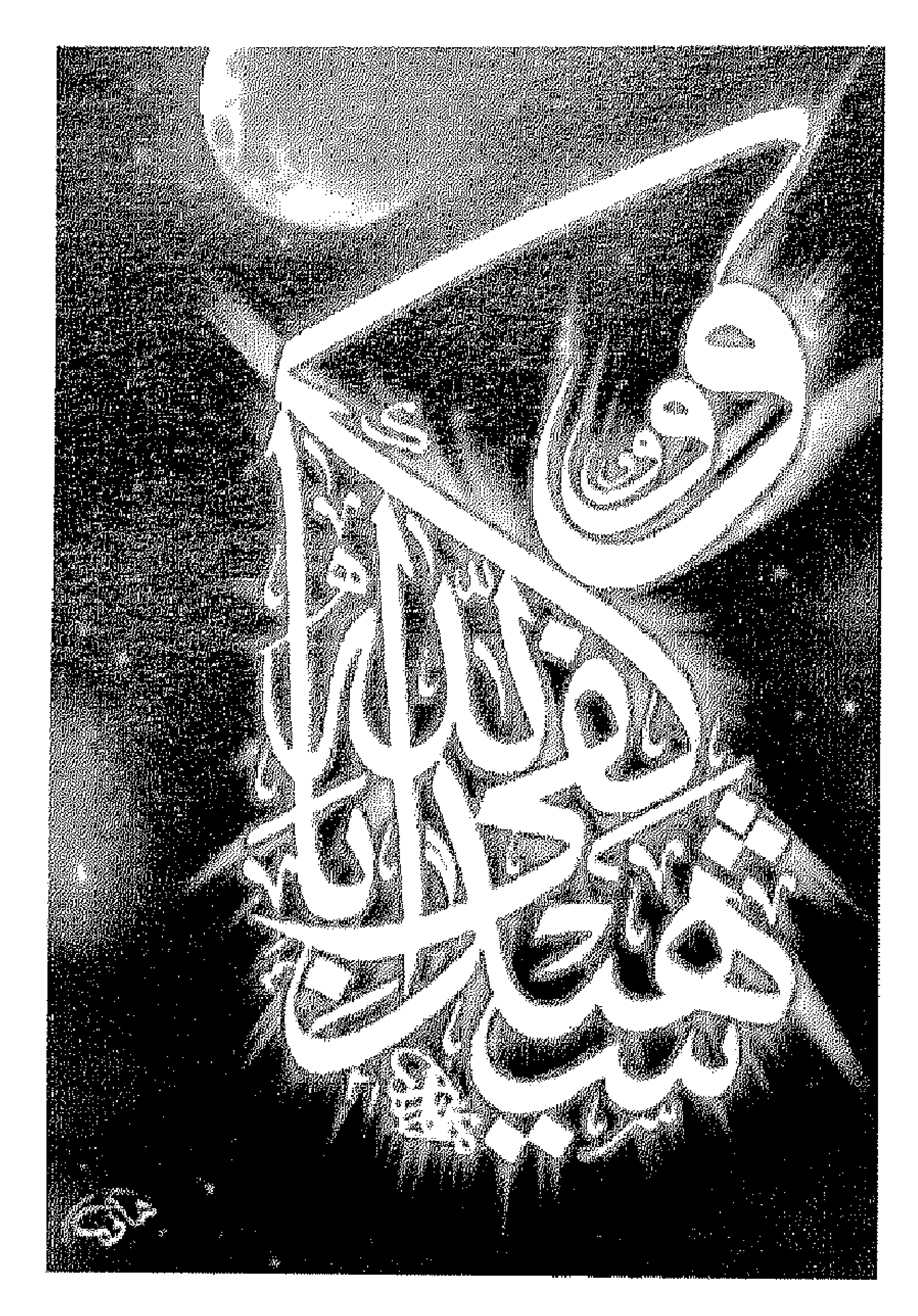


تعلّم قِوامَ الخطِّ يا ذا التّأدّبِ
فمـا الخـطُّ إلا زينـةُ المتـأدّبِ
فإن كنتَ ذا مال فخطّك زينةٌ
وإن كُنتَ مُحتاجاً فأفضلُ مَكسَبِ



مسهب مهم عن أنواع الخطوط وتطوّرها، فضلاً عن أنواع الأقلام، والدواة، وألوان المداد، وكيفية صناعتها. وكنت قد وقفتُ على كتابٍ بعنوان (مراسلات خيري الدين الزركلي مع علماء عصره) منذ وقتٍ ليس بالقصير، وفيه رسائل وردود بين هذا العلامة الكبير صاحب كتاب (الأعلام) مع بعض العلماء، وأغلب تلك المراسلات كانت مكتوبة بالخط الفارسي، أي أن الزركلي كان إذا كاتبه أحدٌ بالخط الفارسي ردّ عليه بالخطّ نفسه، وإذا كاتب هو أحداً بالخط الفارسي، ردّ عليه ذلك بالخط نفسه أيضاً.

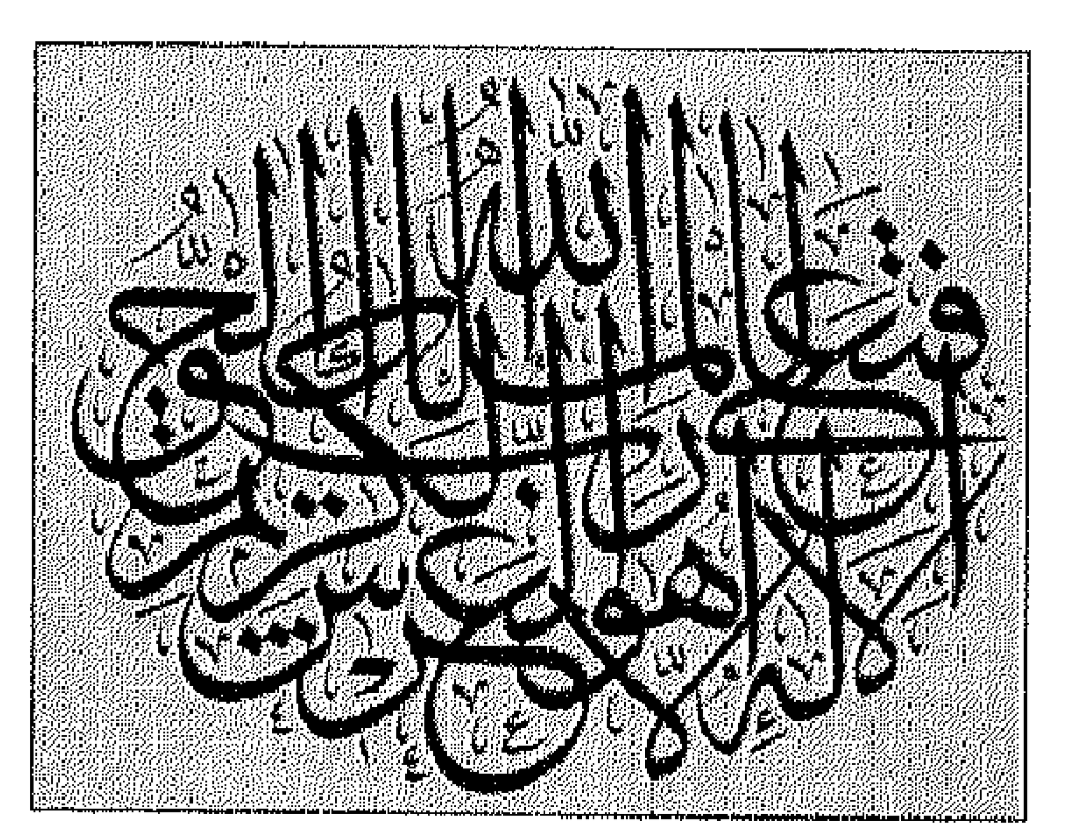




فأثار ذلك حفيظتي، ولم أقف على تعليل يثلج الصدر في ذلك حتى سألت عنه يوماً علامة طرابلس الغرب المرحوم الشيخ يوسف عز الدين طاباق، لمّا رأيته قد حرص على أن يكتب كشكوله الأدبي - وهو مختارات أدبية انتقاها الشيخ من أمهات كتب الأدب واللغة، ويقع في نحو خمسة أجزاء مخطوطة - بالخط الفارسي، فقال لي: الخط الفارسي هو خطّ الملوك. وإذا كاتبك أحدٌ بهذا الخط فقد رفع قدرك إلى مصافهم، وينبغي عليك أن تجتهد في الرد عليه بهذا الخط وإلا تكون قد حططت من قدره، ولو اقتضى الأمرُ منك أن تستأجرَ من يكتب لك بالخط الفارسي إذا لم تكن ممن يحسن الكتابة به. وهذا، لا ريب، من أجمل ما وقفت عليه من تعليل. وكل ذلك يُشعر بالبعد الجماليّ للخط العربي.

والنسب والأبعاد في الأحرف العربية، يحققان الانسجام الخارجي الذي يُحدث في العين ارتياحاً.

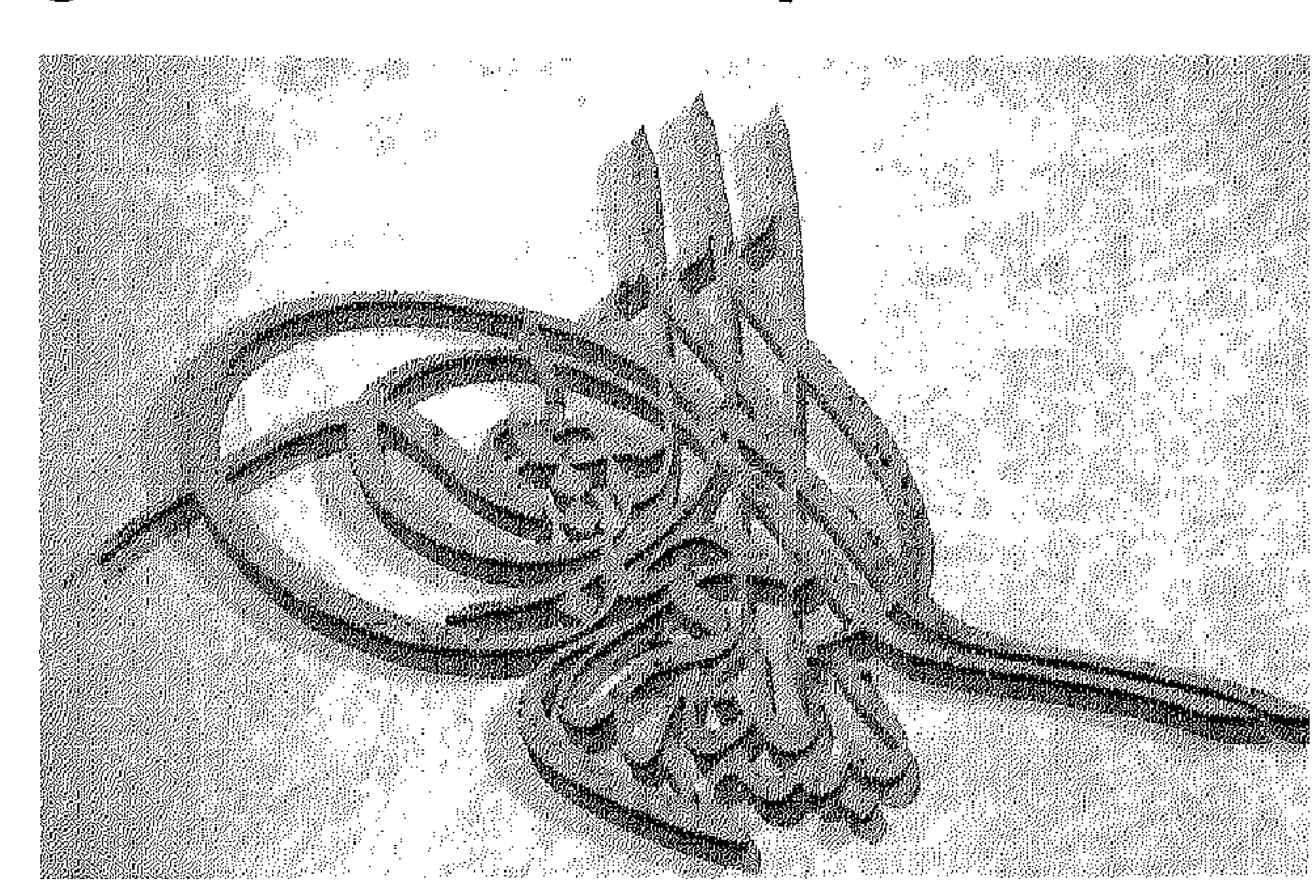
ومن المثير حقاً أن يهتم المسلمون غير العرب بتطوير الخط العربي بشكل ملحوظ، حتى إنّ أعظم الخطاطين في العصر الحديث أكثرهم من الأتراك والإيرانيين. وهذا يضفي سمة العالمية على الخط العربيّ. وقد انعقدت مسابقات دوليّة جرى معظمها في استانبول. ففي سنة 1987 جرت المسابقة الأولى إحياءً لذكرى الخطاط حامد الآمدي، وانعقدت الثانية سنة 1991 في ذكرى الخطاط ياقوت المستعصمي، وكانت الثالثة في سنة 1996 إحياءً لذكرى الخطاط ابن البواب، وكانت الرابعة في سنة 2001 إحياءً لذكرى الخطاط حمد الله الأماسي، ولعلّ آخر مسابقة كانت في سنة 2002 في ذكرى الخطاط المصري الكبير سيّد إبراهيم. إنّ تطوّر الخط العربي يحمل لنا تاريخاً مشرقاً لأعلامه منذ قرونٍ عديدة. فهناك ابن مقلة مكتشف الخطوط الستة: الثلث، والنسخ، والمحقّق، والريحان، والرقعة والتوقيع. ولعلّ لابن مقلة يعود الفضل في بدايات إحكام هندسة الخط العربيّ واكتشاف النقطة المربعة عن طريق الضغط على القلم بشكل مائل. وقد وُلِد ابنُ مقلة سنة 272هـ، وكان وزيراً، ويعود إليه الفضل في وضع قواعد الخط المعروفة. وله رسالتان في الخط، الأولى تحمل عنوان (ميزان الخط) والثانية (رسالة في علم الخط والقلم) وجاء بعد ابن مقلة خطاطٌ مبدعٌ هو ابنُ البوّاب، وقد كتب 64 مصحفاً، وتوفي سنة 413هـ، وقد هذّب ابن البواب طريقة ابن مقلة في الكتابة، كما أكمل قلم التوقيع، وأحكم قلم النسخ، وأبدع في الرقاع والريحان. وجاء بعد ذلك الخطاط ياقوت المستعصمي البغدادي، وكان مملوكاً للخليفة المستعصم بالله العباسي، وقد توفي في سنة 698هـ. ويعود لياقوت الفضل في اكتشاف



خط تاج السر السيد حسن



طريقة جديدة لصناعة الأقلام من القصب وبريها بشكل مائل، وهي طريقة في البري متّبعة حتى اليوم. وقد ظهر أثر ذلك على الخطوط الستة. وهناك خطوط أربعة أخرى غير تلك الستة، وهي: الغبار، والتمار، والتعليق، والنستعليق. وظهر خط الغبار في القرن التاسع الميلادي، وهو مشتقّ من الخط الرياسي (نسبة لذي الرياستين الوزارة والقلم الفضل بن سهل)، وله حروف مدوّرة صغيرة جداً استعارت بعض خصائصها من خطي الثلث والنسخ. والنستعليق كلمة مركبة من كلمتين هما النسخ والتعليق. وهو خط اخترعه الفرس واشتقوه من خط التعليق الذي تشكّل هناك على يد مير علي التبريزي المتوفى في سنة 919هـ، وقد أصبح هذا الخط منذ ذلك الوقت الخط الرسمي عند الفرس. وفي تركيا ابتكر الأتراك الخط الهمايوني المعروف بالخط الديواني على يد الخطاط الشهير إبراهيم منيف، كما وضع ممتاز مصطفى بك قواعد الرقعة سنة 1270هـ. ويقال إن الخط العربي دخل تركيا على يد الخطاط البارع



الشيخ حمد الأماسي المتوفي في سنة 926هـ. وخطوطه الموجودة تشهد له بالتبريز.

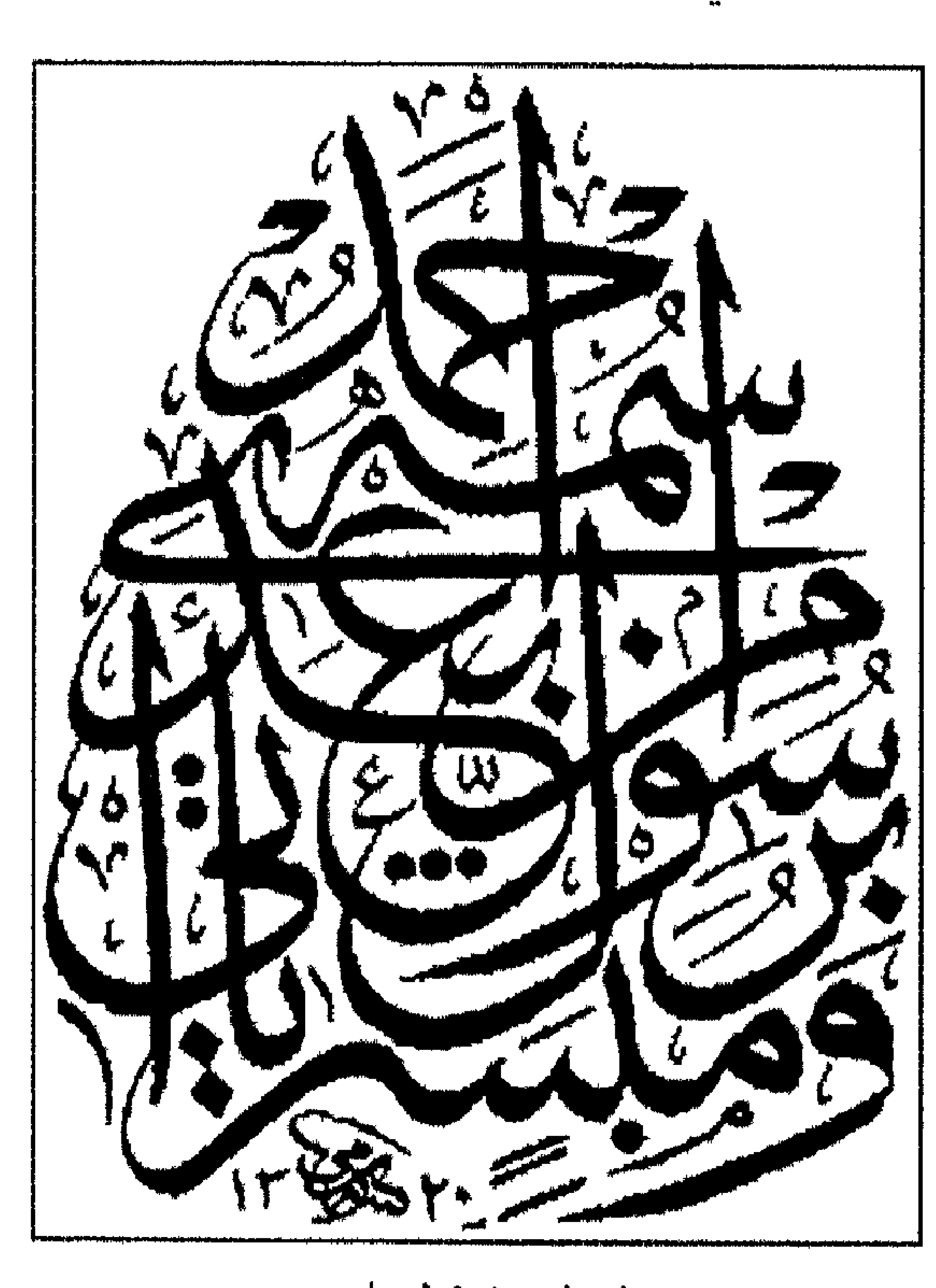
وقد اشتهر في الدولة العثمانية خط الطغراء، وهو خط محوّر من الخط الديوانيّ، وهو أشبه بالشارة أو الختم، وكان يطلق عليه في الولايات العثمانية (التوقيعة السلطانية). ويقال إنّ للطغراء قصّة طريفة، وهي أن تيمورلنك أرسل تهديداً للسلطان العثماني بايزيد، ولم يمهره بتوقيعه لأنه كان أميّاً، وبصمه بكفّ يده بعد أن غمسها في المداد. ومنذ ذلك الحين شاع توقيع الطغراء، وكان أول من استخدمه السلطان سليمان بن يازيد في أوائل القرن العاشر الميلادي. ومن الخطاطين الذين أبدعوا في هذا الخط، الخطاط التركي الشهير سامي، والخطاط

حافظ الآمدي، وشيخ الخطاطين في عصره محمد عبد العزيز الرفاعي، والخطاط المصري الشهير سيد ابراهيم.

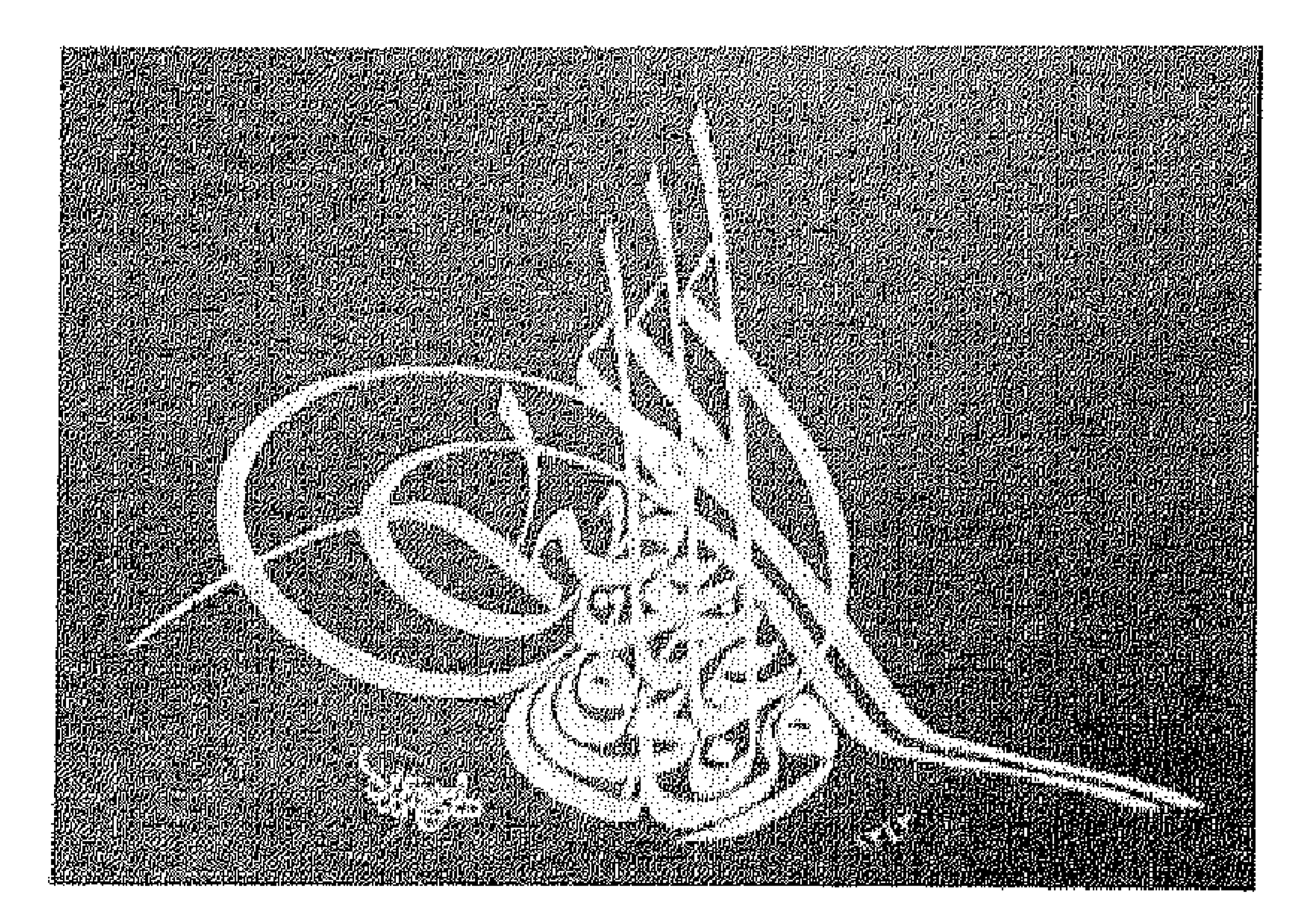
تطور الخط العربي في العقود الأخيرة

في العقود الأخيرة من القرن العشرين تطوّر الخط العربي بشكل ملحوظ، وإن كان ذلك لم يمسّ اصول وقواعد الخط نفسها. فقد أدخلت على الخط الزخارف والألوان المختلفة مع صنع خلفيات خاصة للخط.

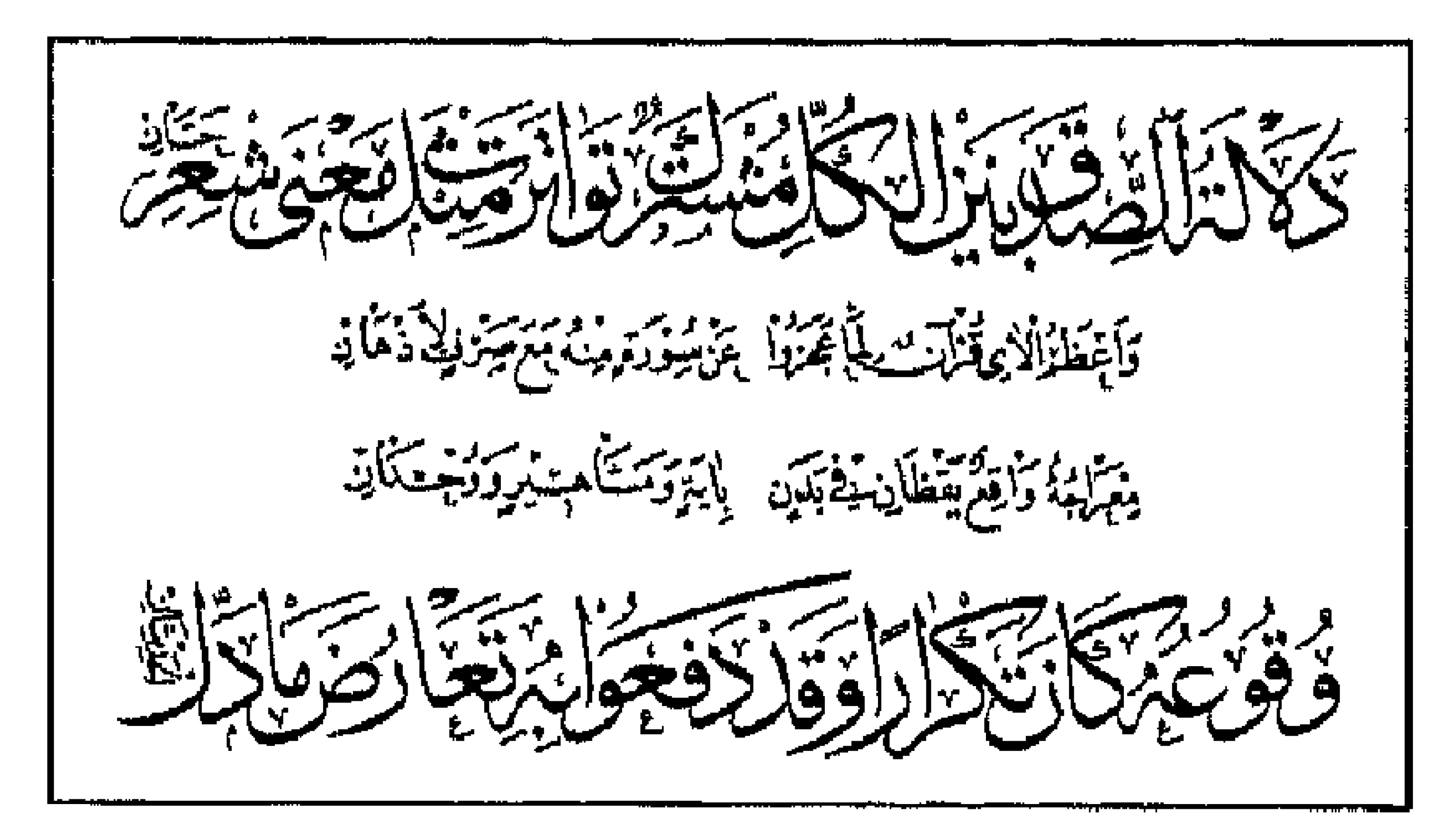
لقد أظهر هذا التحسين الخارجي جمالاً للخطّ كان مخفياً، فالكتابة كانت بالمداد الأسود فوق ورق أبيض، وفي بعض الأحايين يستخدم المداد الأبيض فوق الورق الأسود. وفي الوقت الحاضر تنوّع الورق الملوّن بألوان مختلفة، مظهراً ظلالاً متماوجة، فيكتب عليه بأكثر من مداد بحسب كثافة الظلّ في الورقة. كما ابتدعت في السنين الأخيرة أنماط جديدة من



نموذج من خط سامي



نموذج من خط الطغراء بقلم شيخ الخطاطين عبد العزيز الرفاعي



نموذج من خط الشيخ عبد العزيز الرفاعي

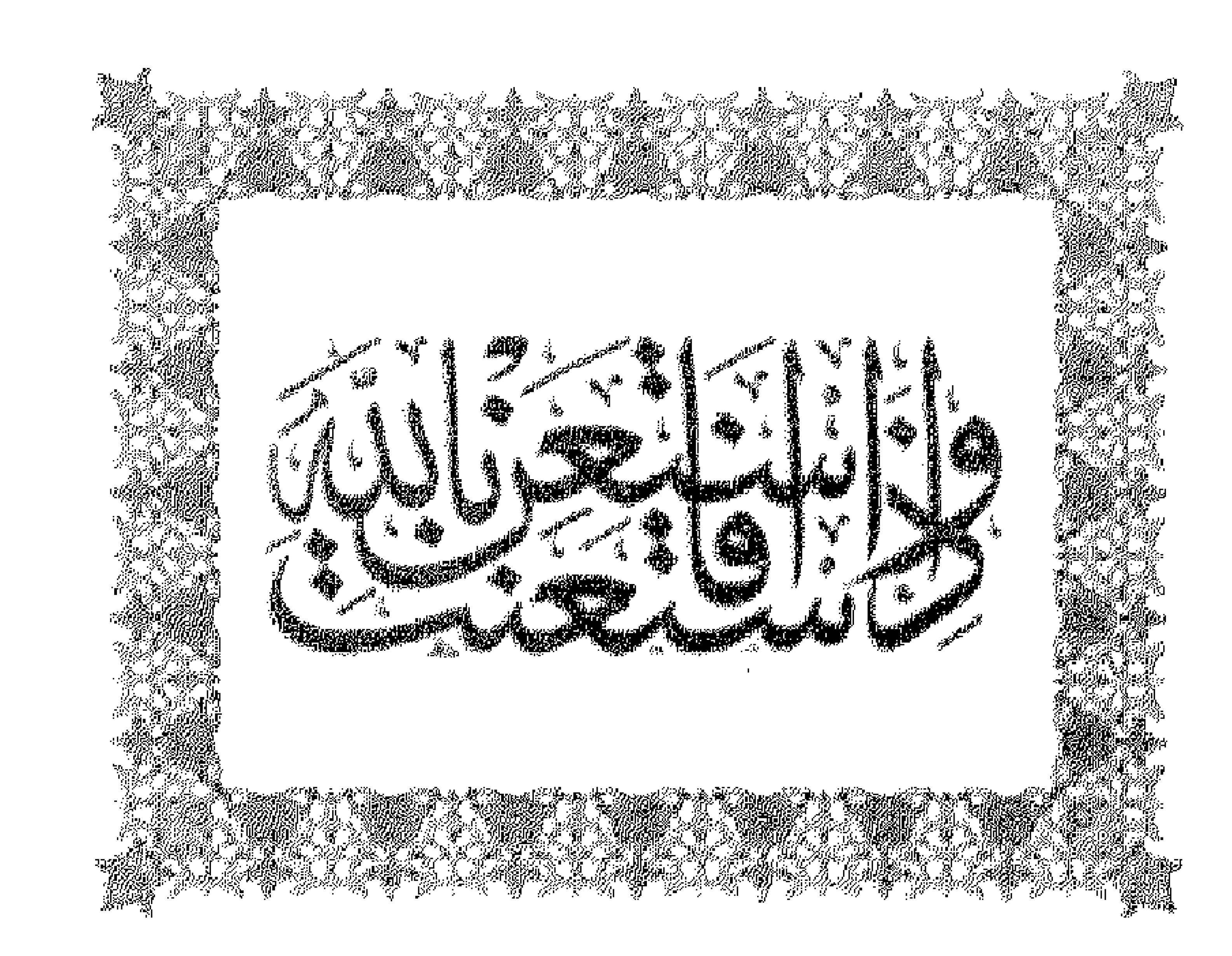


نموذج من خط حسن صبحي مراد

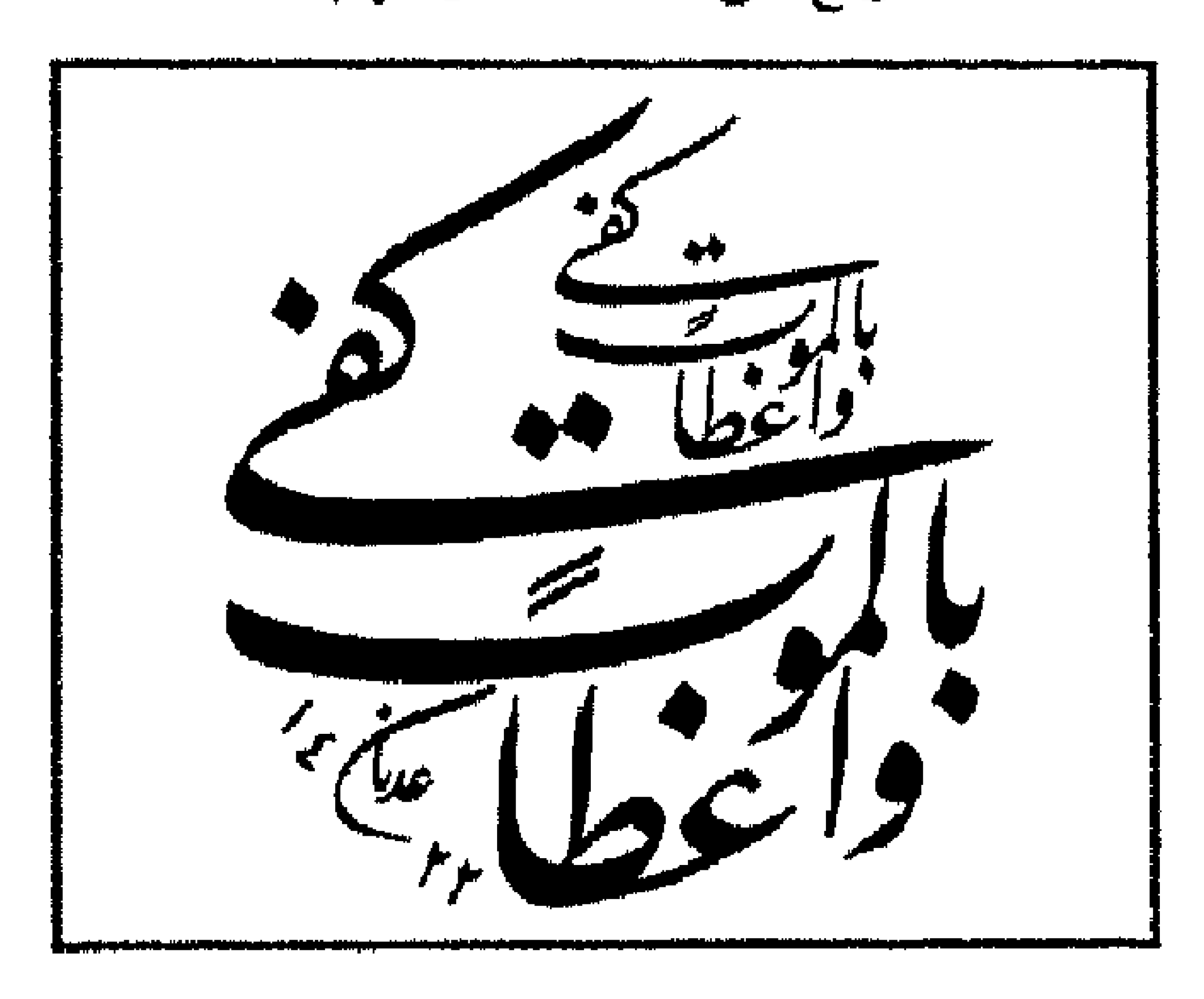
الخطوط الحرّة التي أخذت شكل الرسم الساحر والتي تنعت بالخطوط الحرّة، أي التي لا تخضع للقواعد المعتبرة في الخطوط العربية.

من أعلام الخط العربي في العصر الحديث

لمع في العصر الحديث نخبةٌ من الخطاطين المبدعين، توزّعوا على الأقطار العربية والإسلامية مخلّفين وراءهم آثاراً جمالية تشهد لعظمتهم وتفوقهم. وليس من العجيب أن يتصدّر أولئك جميعهم



نموذج من خط مختار البابا



نموذج من خط عدنان العباد

الخطاطون الأتراك الذين تتلمذ على أيديهم أشهر وأنبغ الخطاطين في العالم العربي والإسلامي. ولعلّ ذلك يرجع لاهتمام سلاطين الدولة العثمانية التي كانت تشجع على الخط وتجزل العطاء للمهرة فيه، حتى بلغ المرتب الذي يمنح للخطاط في دوائر السلطنة من أعلى المرتبات التي تمنح لموظفي الدولة. ومن أشهر الخطاطين الأتراك إسماعيل حقي الشهير بسامي، وكان رئيساً للخطاطين في زمنه، ولد سنة 1253هـ، وتوفي سنة 1330هـ.

ومحمد عبد العزيز الرفاعي المولود في استانبول سنة 1285هـ وتوفي سنة 1353هـ، وكان يُلقّب بأمير الخطاطين، وقد استقدمه الملك فؤاد إلى مصر سنة 1921م ليكتب له مصحفاً، فكتبه في ستة أشهر، وذهبه وزخرفه في ثمانية أشهر، فكان آيةً من آيات الإبداع. ولمّا أسس الملك فؤاد مدرسة تحسين الخطوط في سنة 1922 كان الشيخ عبد العزيز الرفاعي من أوائل معلّميها. وتخرّج على يديه رواد الخط في مصر مثل سيد ابراهيم.

ولمع في العراق عدد كبير من الخطاطين من أمثال: هاشم البغدادي ومهدي الجبوري، وصبري الهلالي، وخليل الزهاوي، وآخرين. وظهر في مصر خطاطون بارعون من أمثال: سيد ابراهيم، ومحمد حسني، ومحمد علي المكاوي.

ولمع في ليبيا خطاطون كبار مثل: الشيخ صبري الأمير، والشيخ أبو بكر ساسي، وهذا الأخير كتب مصحف الجماهيرية برواية قالون، وفي سوريا ظهر الخطاط الشهير بدوي الديراني، ومأمون صقال، وحسن صبحي مراد، وفي لبنان ظهر الخطاط الكبير مختار البابا. ولمع في بلاد الحجاز عدد من الخطاطين المبدعين منهم: عدنان العباد ومختار عالم وآخرين، وفي السودان تاج السر السيد حسن.

الخط العربي يرحل إلى بلاد الصين

كما تنقّل الخط العربي قديماً إلى تركيا، وغيرها من بلاد ما وراء النهر، استقر به المقام أيضاً في بلاد الصين التي كان يضرب بها المثل في البعد في الزمان الغابر.



الخطاط الصيني
يوسف تشن

وليس من العجيب أن ينال أحد خطاطيها وهو الأستاذ يوسف تشن جين هوي المولود في مقاطعة لياونينغ بالصين سنة 1938م الجائزة الأولى في مسابقة الخط العربي المنعقدة في باكستان سنة 1999. والأستاذ يوسف تشن تخرّج في معهد العلوم الإسلامية الصيني سنة 1960 وعمل محرراً في مجلة المسلم الصيني، ويعمل حالياً مديراً لمكتبة معهد العلوم الإسلامية الصيني.



* أبو الفضل الوليد (إلياس عبد الله طعمه)

الشاعر العبقري.. هل كان مسلماً؟

* (زارادشت) نيتشه وأسد الصحراء

* شهادات في الرسول ﷺ

أبو الفضل الوليد (إلياس عبد الله طعمة)

الشاعر العبقري، هل كان مسلماً

إلياس طعمه، المعروف بأبي الفضل الوليد، شاعرٌ متفرّد، يذكّرك بأبي الطيّب المتنبي والشريف الرضيّ. وهو شاعرٌ مرهف الحسّ، متوقّد الذهن، يجري على لسانه الشعرُ وكأنه وحيٌ يتنزّل على فؤاده، فينساب على لسانه رقراقاً، متسللاً إلى آذانِ سامعيه بغير استئذان، مستقراً في النفوسِ، مُحْدِثاً فيها أثراً سحريّاً، حتى كأنه ينفُثُ في العُقَد.

إلياس طعمة، هذا الشاعر الفذّ لم يلتفت إليه النقّاد لعلّةٍ نجهلها، مع أنهم اعتنوا بمن هم أدنى منه بكثير.

وُلِدَ هذا الشاعر اللبنانيّ الكبير في قرنة الحمراء بلبنان سنة 1889، وبالمعهد الفرنسي في عينطورة تلقى تعليمه الأوّل، ثم تحوّل إلى مدرسة الحكمة ببيروت حيث كان الاعتناء بالعربيّة وآدابها كبيراً وهو ما كانت روح إلياس طعمه تهفو إليه. لقد أحبّ أبو الفضل العربيّة حبّاً عظيماً حتى الافتتان، وقد بلغ هيامُه بها أن قدّمها على جميع لغات الأرضِ المحكيّة. وهو القائل: «اللغةُ العربيّةُ لا تُقَصّر في شيءٍ عندما نعرف أن نستكشفَ. إنها وَسِعَت، مِن قَبْلُ، مَا غَربَ عن اليونَان وغيرهم، وجاءت بكلامٍ مُعَربٍ مبيّن». وهو مع فرْط عِشْقِهِ للعربية لم يتجاهل اللغات الأخرى فأخذ منها بنصيبٍ وافر، فأتقن الفرنسيّة والإسبانية، وألمّ بالإنجليزية. عاش زمناً في بلاد الغربة حيث حطّ به الرحّال في امريكا الجنوبيّة في العقد الأوّل من القرن الماضي (1908) وهو بعد لم يتجاوز الثانية والعشرين من عمره، وأسس هناك سنة 1913 جريدة (الحمراء) الأسبوعية، وظلّت تصدر حتى سنة 1917. وفي سنة 1916 اتخذ اسم (الوليد)، وتكنّى بأبي الفضل وسجّل ذلك رسمياً في سجلات الحكومة البرازيلية، فأصبح يُنادى بهما رسمياً. وفي ذلك يقول الأستاذ جورج مصروعه: «ولم يُغيّر اسمه لأنه غير عربيّ، بل لأنه ابتُذِلَ، وأصبح الناسُ يعرفون به النبيّ اليهوديّ، متناسين أنّ عربياً كبيراً قد حمله، هو إلياس بن مضر بن نزار».

وفضلاً عن الشعر الذي عُرِفَ به، عكف أبو الفضل الوليد على التأليف، فترك وراءه آثاراً مختلفةً ما بين تصنيف وترجمة. فألّف (أسرار بغداد)، و(نكبة البرامكة)، و(أحمد وولادة)، وهي روايات تمثيلية، وعرّب نظماً قصيدة (البحيرة) للامرتين، و(الليالي) لألفرد دي موسّيه، وبعضاً من (الكوميديا الإلهية) لدانتي، و(آخر بني سراج) لشاتوبريان، و(أحلام العذارى)، و(الحبّ آخره قتل)، و(بعثناه خاطباً فتزوّج) وجميعها تمثيليات لألفرد دي موسّيه، كما نظم شعراً نشيد الإنشاد لسليمان الحكيم. ولما عاد إلى لبنان من المهجر كتب رواية (زوال الحب والملك) وطبعت في بيروت، وأتبعها بـ(أحاديث المجد والوجد)، وديوان (رياحين الأرواح). وفي نيسان سنة 1914 فاضت روحُ هذا الشاعر العملاق الذي كان يتفجّر وطنيةً، وإخلاصاً لقومه وأمته. وكان آخر ما قال من شعر قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة:

علـى عُـمـرانـهـا الـدنـيـا خَـرابُ
ومـع قُـمـريّـهـا يُـنـعـى الـغُـرابُ
فَـدَعْـهَـا غـيـرَ مـأسـوفٍ عـلـيـهـا
فـأوّلـهـا وآخـرهـا تُـرابُ

المثير في هذا الشاعر حقاً ذلك الشعر الذي يتفجّر إيماناً، وحبّاً وتعظيماً لنبيّ الإسلام محمد ﷺ حتى لكأنه من أخلص أتباع عقيدة الإسلام. فهل كان أبو الفضل الوليد مسلماً أخفى إسلامه؟ فها هو ذا يقول في إحدى ملاحمه، وهي تائية تقع في أكثر من مائتي بيت، يصوّر فيها رؤياه للنبي ﷺ:

طَربْتُ لرؤيا أشرقت فاضمَحلّتِ ... وَقلبي لها طُورٌ عليه تَجَلّتِ

فما زلت أهوى خلوةً وسكينةً ... لتمثيل رؤيا دونها كلّ رؤيَةِ

فأُغْمضُ أجفاني واشتاق أن أرى ... بروحي جمالاً لا أراه بمقلتي

فروحي مع الأرواحِ في دار أُنسها ... وجسمي مع الأجسام في دار وحشتي

غريبٌ أنا بين الذين أُحبّهم ... وأُبغضهم والموتُ آخرُ غربتي

تَشوّفتُ حتى زارني الطيفُ مُؤنساً ... وأشرَق نورُ الطّلعةِ النّبويّةِ

قَديمان شوقي والهوى غير أنني ... جَلَوتُ دُجى شكّي بصُبْحِ الحَقيقَةِ

فَقَلبي وَعَيني مَطْلعانِ لِنُورِها ... وما أطلعَ الأنوار غيرُ الدُّجُنةِ

وفي غَفوتي أو غفلتي جاءني الهُدى ... وكانت على غَيبوبَةِ النّوم يَقظتي

فَيَا لكِ رُؤيا نَوّرت كُلَّ ظُلمَةٍ ... ويَالكِ ريّا عَطّرت كُلَّ نَسمَةٍ

ألا ليتَ عمري كانَ كُلُّه ليلةً ... ويا ليتني في ليلةٍ أبديّةِ

أُعاهِدُ ربّي أن أُصلّي مُسلِماً ... على أحمدَ المُختارِ من خير أمةِ

هداني هواها ثمّ حبّب شرعَه ... إليَّ فَصحّت مثلَ حُبّي عَقيدَتي

فَمَن قَوْمُه قومي أدين بِدينه ... لأنّي أرى الإسلامَ روحَ العُروبَةِ

ويُكثر أبو الفضل من مدح الإسلامِ ونبيّه، فتسمعه في قصيدته (الصحابية) التي مطلعها:

أفي دارِ قومي يَسكُنُ الغُرباءُ ... وليس لهم بعد الثّواءِ جَلاءُ

ويقولُ :

وكيفَ أُوفّي خيرَ مَنْ وطِئَ الثّرى … منَ المدحِ حقّاً والثّناءُ عيَاءُ

إلاهيّةٌ أقوالُهُ وفِعَالُه … يُقصّرُ عن إدراكِها الحُكماءُ

دَعَا قومَه والنّاس طُرّاً إلى الهُدى … وللأرضِ منه في الظّلامِ ضِيَاءُ

شريعتُه فوق الشّرائِعِ كُلِّها … فما هي إلى حكمةٌ ودَهَاءُ

فلا فِقْهَ إلا ما ارتأى فُقَهَاؤها … وعنهم وعنها يأخذُ الفُقَهَاءُ

وكم من شُعوبٍ تستنيرُ بدينِه … وكم دولٍ منها عليه بِناءُ

وَأكْمَلُ دينٍ دينُه فهو للورى … علاجُ طبيبٍ صَحَّ منه إسَاءُ

على مُقتضى أحوالِهم وطِبَاعِهم … وحَاجَاتِهم قد جاء منه كفاءُ

ويقولُ في قصيدته (الجهادية) عند سقوط دمشق في ايدي الفرنسيين مستحثاً المسلمين على منازلة العدو:

الشّامُ يُقهَرُ والعِراقُ يُضَامُ … فاليَومَ لا عَرَبٌ ولا إسلامُ

أينَ العُروبَةُ والخِلافةُ منهما؟ … والمُسلمون بِلادُهم أقسام

شُقَّ الحِجَابُ فلا حِجَابَ لِقُدْسِهَا … وَأهانَها زُرْقُ العُيونِ طِغَامُ

يَا مُسلمينَ تَقطّعت أوصَالُكم … وَنِصَالُكم قد بَكّها المِرجَامُ

حتّامَ أنتم صَابرون على الأذى … وإلامَ أنتم غُفّلٌ وَنِيامُ

أموالُكم وَنُفوسُكم منهوبَةٌ … وديارُكم فيها الخُطوبُ جِسَامُ

والدينُ يَبكي والفضيلةُ تشتكي … والحجُّ لغْوٌ والصلاةُ سُوامُ

إلياس طعمه، شاعرٌ ضيّعته الغُربةُ، جوهرٌ مدفونٌ في جزائرَ مجهولةٍ نائية. فاستمع إليه يقول:

فُؤادي شِهابٌ والشّعورُ ضِياءُ … وكُلُّ فؤادٍ مَطلَعٌ وسماءُ

وشِعري له أقسى القلوبِ تَليّنت … فمن صَخرَةِ الوادي تفجّرَ ماءُ

سأسمعه في الخافقين كأنما … من الملأ الأعلى يرنّ نداءُ

فتنشده الأملاكُ والناسُ مُطرباً … وترديده في العالمينَ غِناءُ

تغنّيتُ في شِعري لأني نظمته … ومني ابتسامٌ في الهوى وبُكاءُ

فطوراً له يفترّ ثغرٌ وتارةً … تسيلُ عليه أدمُعٌ ودِماءُ

فما لِقديمِ الشعرِ والله رونقٌ … لديه فعنه قصّر القُدماءُ

ولكنه بين الأعاجِمِ ضائعٌ … فليس له وسْطَ الخُمولِ بَهاءُ

ومن جميلِ شعره قصيدته المسماة (الحكمة بنت الشقاء) التي يقول فيها:

سَلِ الشواطئَ ما أبقينَ من جسدي … وما عليهن من دمعي ومن كَمَدي

ضيّعن قدْري وأيام ومعرفتي … في غُربةٍ فَلّذت أحزانُها كَبِدي

يَخدعْنَ نفسي بآمالٍ مُزخرفةٍ … حتى أرى الحظَّ في أثوابِهِ الجُدُدِ

تلكَ الأمانيُّ أزهارٌ بلا ثمرٍ … قد عاجلتها الغُيومُ السُّودُ بالبَرَدِ

الدّهر لمّا طلبتُ المَجدَ عاكسَني … فقال عني عَدوّي غيرُ مُجتهدِ

لمثلِ هذا بكى الأحرارُ وانفلقت … قُلوبُهم تحتَ ضَرْبِ الهمِّ والنكدِ

يا شامتينَ بنفسٍ لم تنلْ أرَبا … حذارِ منها فهذي نَومةُ الأسَدِ

لي من مطامِعِها بَحرٌ يُهدّدُكم … بالريحِ والغيمِ والأمواجِ والزّبدِ

إني لأحمِلُها في الصّدرِ صاعِقةً … حتى إذا انفجرت طارت من الجسَدِ

بالأمس قد كان لي قلبٌ يذوب جَوىً … حتى يُلبّيه جفنٌ بالدّموع نَدِي

في اليأسِ قلبي وجفني اليوم قد يبسا … فلستُ أبكي ولا أحنو على أحدِ

ومن جميلِ شعره في الغزل:

بَكَرَت لِتسقي زهْرَ جنّتها التي … فَحَسِبْتُ ماءَ المُزنِ هلّ من اليدِ

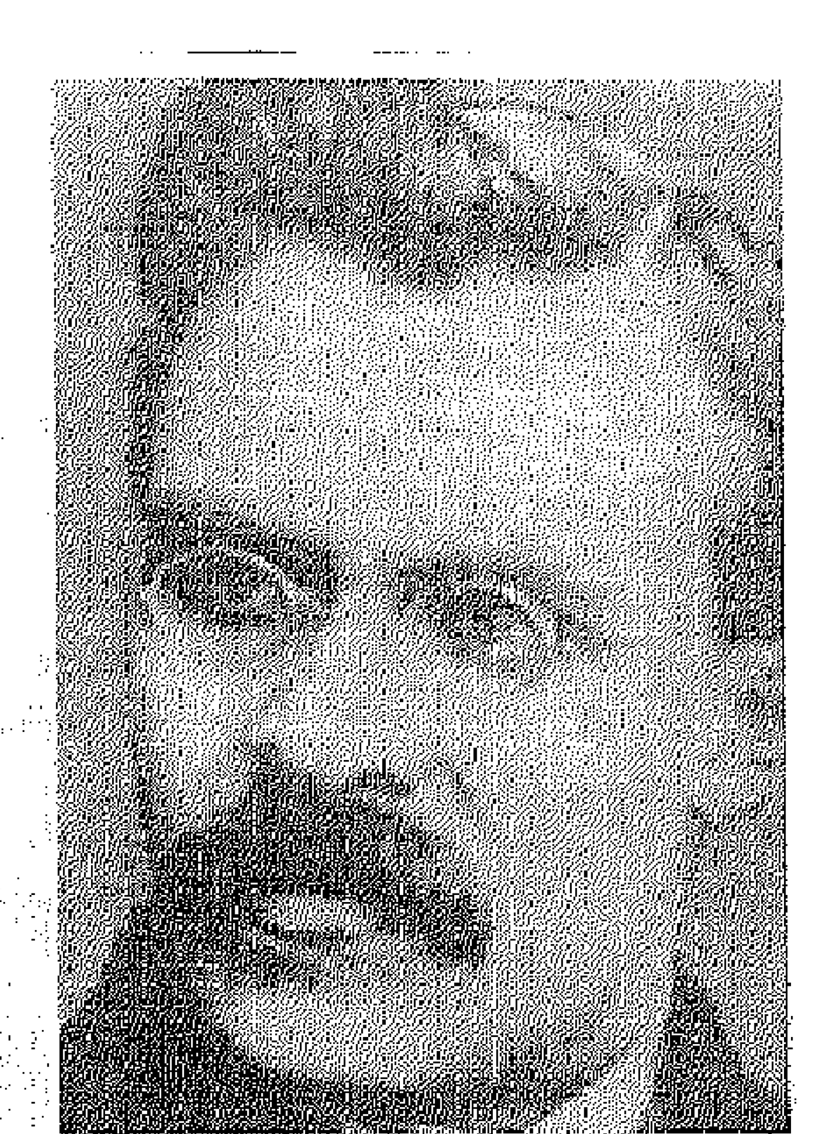
بِغُلالةٍ بيضاء صانت جِسمها … فَرأيتُ منها دُميةً في المعبدِ

ومَشت بِخِفّةِ ظبيةٍ فوق الحصى … فَغدا طَهوراً مثلَ أرضِ المسجدِ

وحَنَت لِتنشُقَ وردةً فَرأيتُها … أختاً تُقبِّلُ أختَها بِتَوَجُّدِ

(زارادشت) نيتشه وأسد الصحراء:
توكلت على الله

نيتشه فيلسوف القوة، المجنون الذي حيّر الناس، وشغلهم أمداً بهرطقته وإلحاده وإعلانه موت الإله. اتخذ من حكيم الفرس زارادشت رمزاً ينطق باسمه، ولساناً يفصح به عن فلسفته وهرطقته فألّفَ كتابه الشهير (هكذا تكلّم زارادشت).



وقد نفث نيتشه في كتابه حمماً مستعرة لم تبقِ على شيء، وصبّ جام غضبه على العادات والتقاليد، والضعف البشري منادياً بالإنسان المتفوّق. فهذا زارادشت نيتشه يقول:

«إنني آتٍ إليكم بنبأ الإنسان المتفوّق. فما الإنسان العادي إلا كائنٌ يجب أن نفوقه، فماذا أعددتم للتفوّق عليه؟

إنّ كلاً من الكائنات أوجد من نفسه شيئاً يفوقه، وأنتم تريدون أن تكونوا جزراً يصدّ الموجة الكبرى في مدّها. بل إنكم تؤثرون التقهقر إلى حالة الحيوان بدل اندفاعكم للتفوّق على الإنسان.

وهل القرد من الإنسان إلا سخريته وعاره؟.. لقد كنتم من جنس القرود فيما مضى، على أن الإنسان لم يفتأ حتى اليوم أعرق من القرود في قرديّته».

غير أنّ هذا العقلَ التائه، الضاربَ في بيداء الشك والحيرة والضلال تصدر عنه إشراقات ربانية حيّرت محبيه وكارهيه من الدارسين والنقّاد على حد سواء، فقد جاء في آخر كتابه هذا في نشيد (بين غادتين) شيءٌ من ذلك، حتى إن بعضَ دارسيه أوّلَ ذِكْرَ أسد الصحراء في هذا النشيد بمحمد عليه السلام. فاستمع إليه يقول:

«إنّ الصحراء تتسع وتمتد».

فويلٌ لمن يطمح في الاستيلاء على الصحراء.

يا للمهابة!!

يا للبداية تليق بمهابة صحراء أفريقيا.

تليق بأسد أو بنذيرٍ يهيب بالناس إلى مكارم الأخلاق.

إنها لروعةٌ لم تسلّط عليكم. يا صديقتيّ عندما أتيح لي أنا ابن أوروبا أن أجلس عند أقدامكما تحت ظلال النخيل. حيّ على الصلاة. ارتفع يا مظهر الجلال، ولتهب مرة أخرى لمسة الفضيلة. ويا ليت أسد الفضائل يزأر أيضاً أمام غادات الصحراء، فزئير الفضيلة يا بنات الصحراء، أقوى ما ينبّه أوروبا ويحفزها إلى النهوض.

ها أنذا ابن أوروبا، لا يسعني إلا الخشوع والانتباه لدَوِيّ هذه الآيات البيّنات وقد توكّلتُ على الله.

إنّ الصحراء تتسع وتمتد. فويلٌ لمن يطمح إلى الاستيلاء على الصحراء».

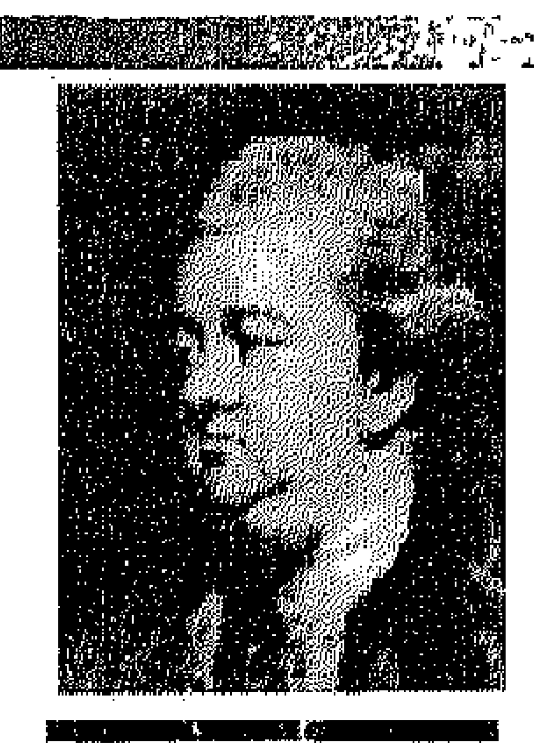


بساطة الرسول محمد ﷺ... وصدقه

«أردت أن أعرف صفات الرجل الذي يملك بدون نزاع قلوب ملايين البشر.. لقد أصبحت مقتنعاً كل الاقتناع أن السيف لم يكن الوسيلة التي من خلالها اكتسب الإسلام مكانته، بل كان ذلك من خلال بساطة الرسول مع دقته وصدقه في الوعود، وتفانيه وإخلاصه لأصدقائه وأتباعه، وشجاعته مع ثقته المطلقة في ربه وفي رسالته. هذه الصفات هي التي مهدت الطريق، وتخطت المصاعب وليس السيف. بعد انتهائي من قراءة الجزء الثاني من حياة الرسول وجدت نفسي آسفاً لعدم وجود المزيد للتعرف أكثر على حياته العظيمة»

مهاتما غاندي

(A statement published in "Young India",1924)



ما يثير دهشتنا هو استمرارية الدعوة الإسلامية وثباتها

«ليس انتشار الدعوة الإسلامية هو ما يثير دهشتنا، وانما استمراريتها وثباتها على مرّ العصور. وما زال الانطباع الرائع الذي حفره محمد في مكة والمدينة له نفس الروعة والقوّة في نفوس الهنود، والأفارقة، والأتراك حديثي العهد بالقرآن، رغم مرور اثني عشر قرناً من الزمان.

لقد استطاع المسلمون الصمود يداً واحدةً في مواجهة فتنة الإيمان بالله، رغم أنهم لم يعرفوه إلا من خلال العقل والمشاعر الإنسانية. وقولهم «أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله» هو شهادة الإسلام. ولم يتأثّر إحساسهم بألوهية الله بوجود أيّ من الأشياء المنظورة التي كانت تُتّخذ آلهةً من دون الله. ولم يتجاوز شرف النبيِّ وفضائلُه حدودَ الفضيلةِ المعروفةِ لدى البشر. كما أنّ منهجه في الحياة جعل مظاهر امتنان الصحابة له منحصرة في نطاق العقل والدين».

إدوارد جيبون

(Edward Gibbon and Simon Oakley, "History of Saracen Empire", London, 1870)



سيكون للإسلام شأن في أوروبا

«كنت دوماً أرى دين محمد في مكانة عالية بسبب حيويته الرائعة وهو الدّين الوحيد الذي يبدو لي أنه قادرٌ على استيعاب التغيرات التي تحدث في العالم في كلّ عصر. لقد درستُ سيرته، إنه رجلٌ رائعٌ. وهو في رأيي أبعدُ ما يكون عن عداوة المسيح، وينبغي أن يُسمى منقذَ البشرية.

وأظن أنّ رجلاً مثله لو حمل على عاتقه دكتاتورية العالم الحديث لنجح في حلّ مشكلاته، بطريقةٍ تجعل العالم ينعم بالسعادة والسلام اللذين يحتاجهما.

وإنني أتنبّأ بأن دين محمّد سيكون له شأن في أوروبا غداً، كما أنّ بواكير قبوله في أوروبا بدأت اليوم. وإذا كان ثمة دين له فرصة حكم انجلترا، بله أوروبا في غضون مائة سنة قادمة، فإنه سيكون الإسلام»

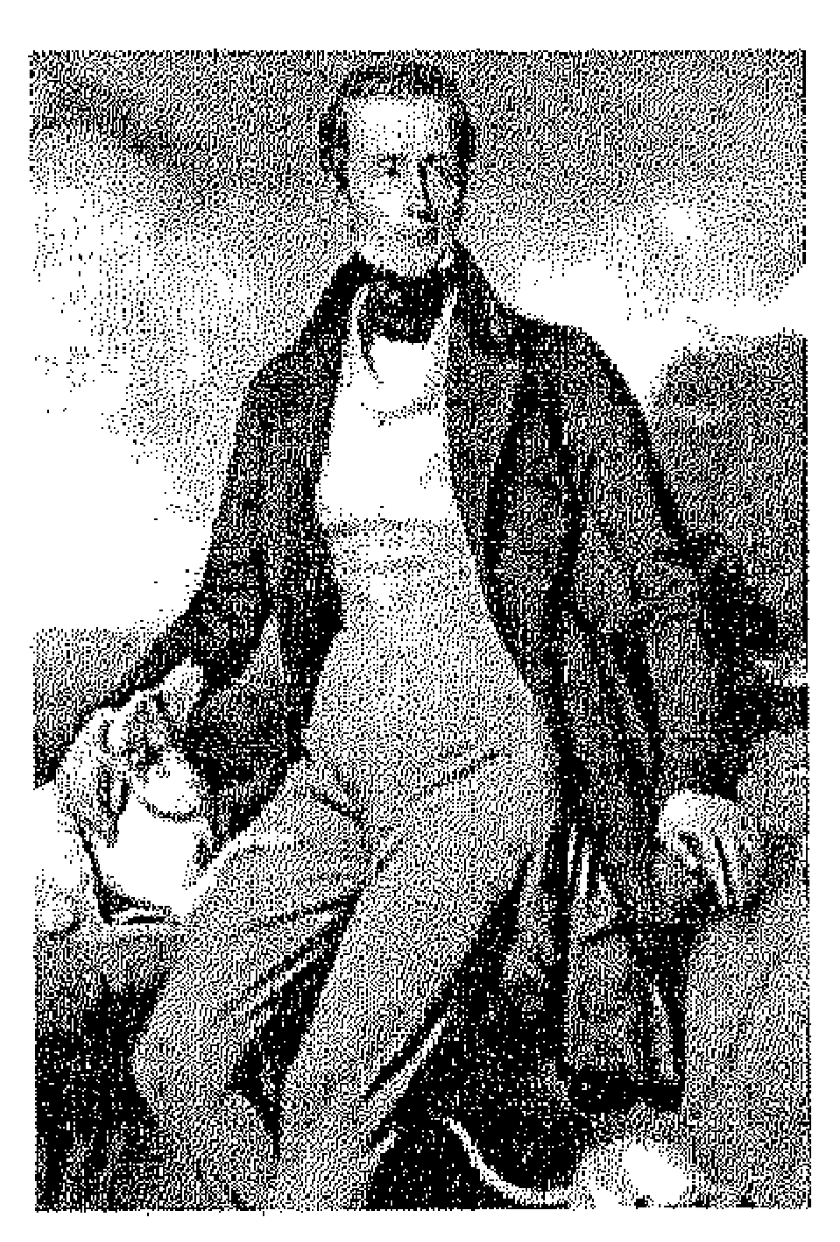
جورج برنارد شو

(George B. Shaw, The Genuine Islam, Vol.1, No.8, 1936)



من يجرؤ على المقارنة؟!

«إذا كانت الضوابط التي نقيس بها عبقرية الإنسان هي سمو الغاية والنتائج المذهلة لذلك رغم قلة الوسيلة، فمن ذا الذي يجرؤ على أن يقارن أياً من عظماء التاريخ الحديث بالنبي محمد في عبقريته؟ فهؤلاء المشاهير قد صنعوا الأسلحة وسنوا القوانين وأقاموا الإمبراطوريات. فلم يجنوا إلا أمجاداً بالية لم تلبث أن تحطمت بين ظهرانَيْهم.



لكن هذا الرجل محمداً لم يقد الجيوش ويسن التشريعات ويقم الإمبراطوريات ويحكم الشعوب ويروض الحكام فقط، وإنما قاد الملايين من الناس ممن كانوا يشكلون ثلث العالم حينئذ. ليس هذا فحسب، بل إنه قضى على الأنصاب والأزلام والأديان والأفكار والمعتقدات الباطلة.

لقد صبر النبي وتجلّد حتى نال النصر. كان طموح النبي موجهاً بالكلية إلى هدف واحد، فلم يطمح إلى تكوين إمبراطورية أو ما إلى ذلك. حتى صلاة النبي الدائمة ومناجاته لربّه ووفاته وانتصاره حتى بعد موته، كل ذلك لا يدل على الغش والخداع بل يدل على اليقين الصادق الذي أعطى النبي الطاقة والقوة لإرساء عقيدة ذات شقين: الإيمان بوحدانية الله، والإيمان بمخالفته تعالى للحوادث.

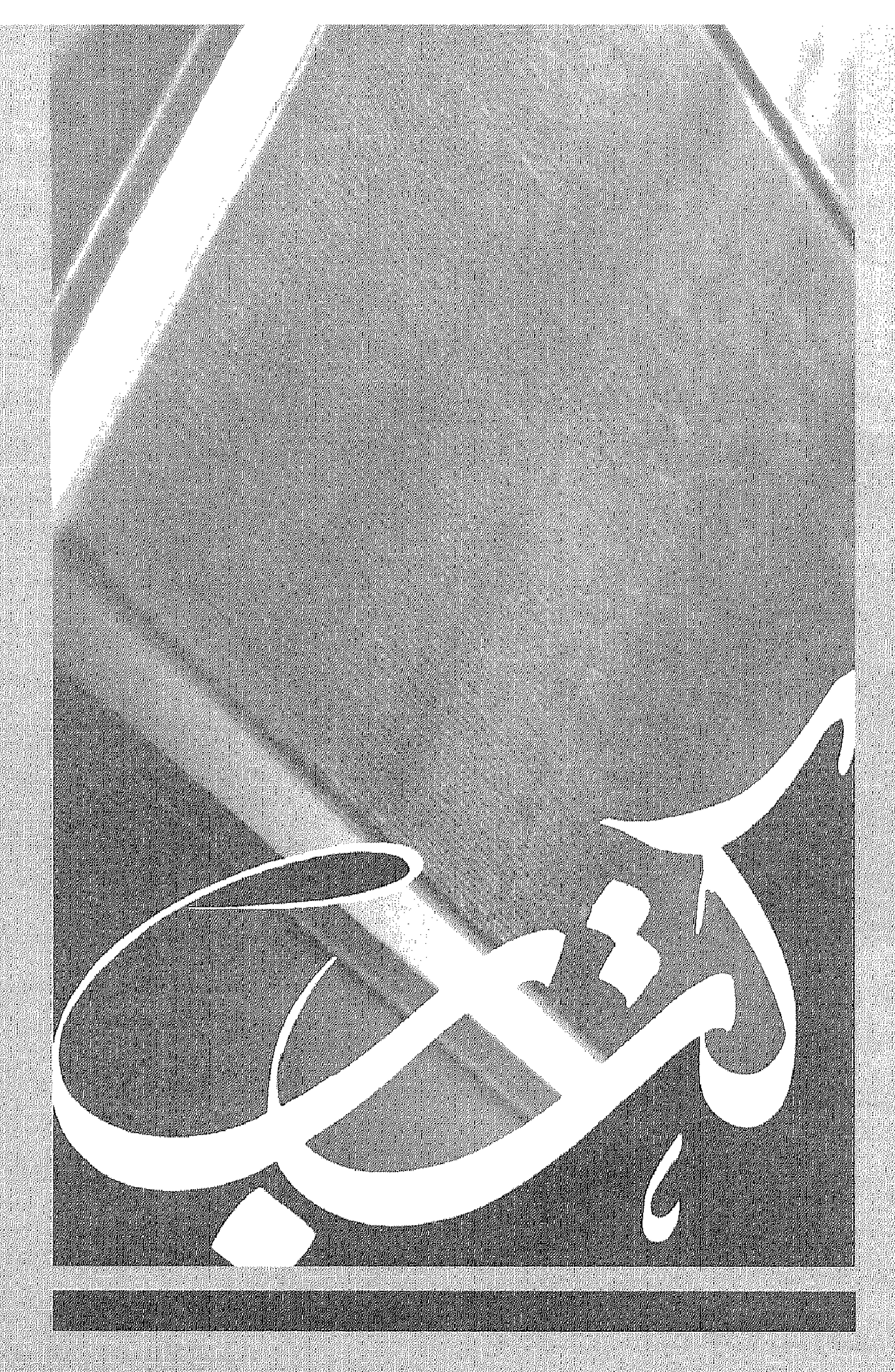
فالشق الأول يبين صفة الله (ألا وهي الوحدانية)، بينما الآخر يوضح ما لا يتصف به الله تعالى (وهو التجسيم ومماثلة للحوادث). لتحقيق الأول كان لا بد من القضاء على الآلهة المدعاة من دون الله بالسيف، أما الثاني فقد تطلّب ترسيخ العقيدة بالكلمة (بالحكمة والموعظة الحسنة).

هذا هو محمد الفيلسوف، الخطيب، النبي، المشرّع، المحارب، قاهر الأهواء، مؤسس المذاهب الفكرية التي تدعو إلى عبادة حقه، بلا أنصاب ولا أزلام. هو المؤسس لعشرين إمبراطورية في الأرض، وإمبراطورية روحانية واحدة. هذا هو محمد.

بالنظر لكل مقاييس العظمة البشرية، أود أن أتساءل: هل هناك من هو أعظم من النبي محمد؟»

ألفونس دي لامارتين

(Alphonse de La Martine, Histoire de la Turquie, Paris, 1854)



❖ بعد الجهاد..

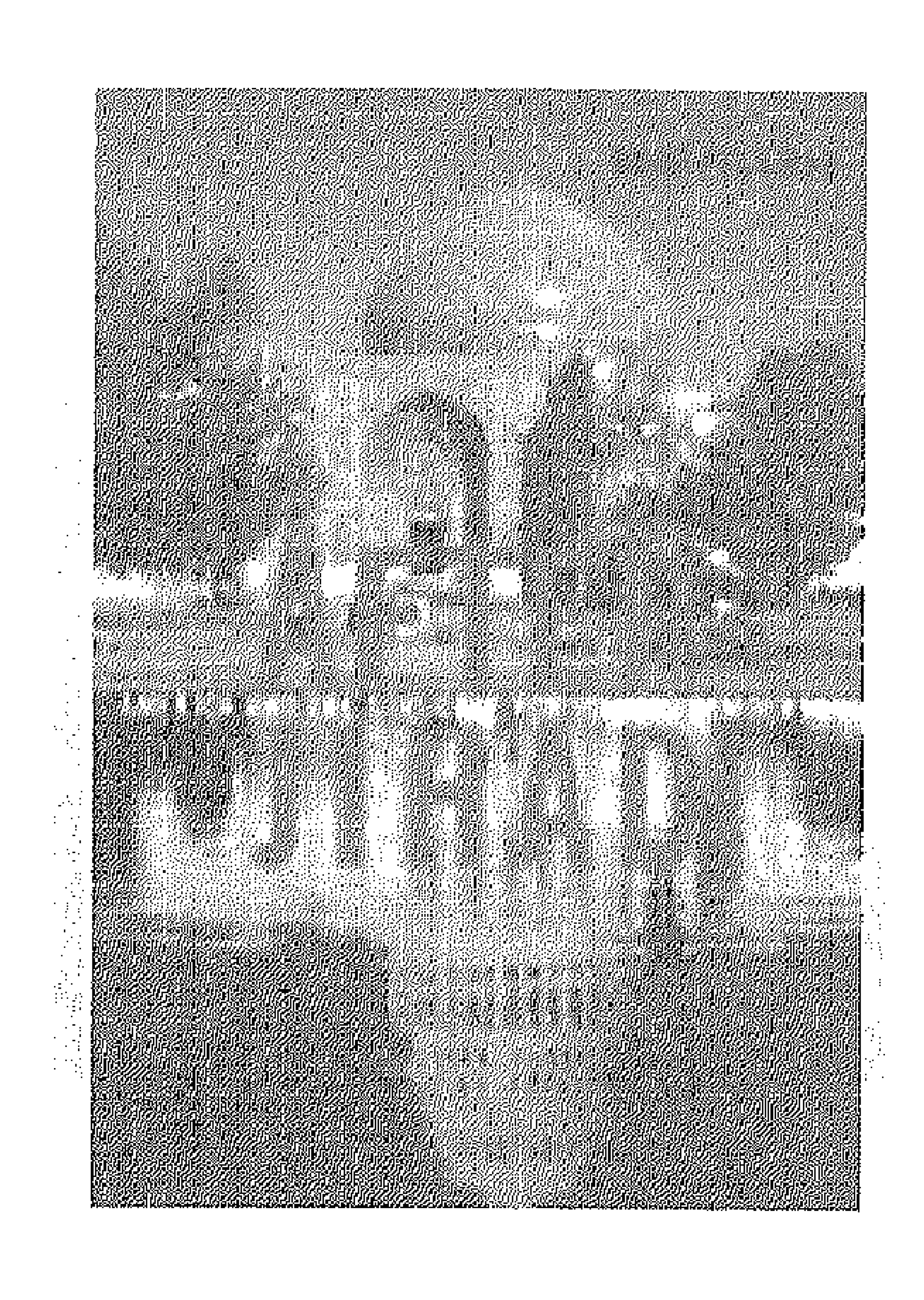
أمريكا والنضال من أجل ديموقراطية إسلامية

❖ المكتبة



بعد الجهاد

أمريكا والنضال من أجل ديموقراطية إسلامية



بعد الجهاد After Jihad كتاب من تأليف نوح فلدمان Noah Feldman، وهو يهودي أمريكي، يعمل أستاذاً للقانون بجامعة نيويورك، ويعمل مستشاراً للسلطة المؤقتة بالعراق من أجل وضع دستور جديد لها. وهو من منشورات Farra, Straus and Giroux سنة 2003. ويقع الكتاب في 260 صفحة.

يتكوّن الكتاب من تمهيد وثلاثة اقسام:

- التمهيد:

- ❖ الثورة التي لم تكن
- ❖ الإسلام والديموقراطية في مواجهة

- القسم الأول: (مفهوم الديموقراطية الإسلامية)

- ❖ ديموقراطية إسلامية لا ديموقراطية إسلاميين
- ❖ الإسلام والغرب: مسألة التضاد
- ❖ الإسلام والديموقراطية باعتبارهما فكرتين متحركتين
- ❖ مرونة الإسلام
- ❖ حكم الله وحكم الشعب
- ❖ المساواة الإسلامية
- ❖ الحرية الإسلامية
- ❖ شمولية الأفكار المتحركة

- القسم الثاني: (تنوع الديموقراطية الإسلامية)

- ❖ الديموقراطية والواقع الإسلامي
- ❖ ديموقراطية إيران الإسلامية في الميزان
- ❖ تركيا القصيّة
- ❖ الإسلام والديموقراطية في جنوب وجنوب شرق آسيا
- ❖ الحركة والإمكان
- ❖ باكستان: الدولة الإسلامية والنضال من أجل الاستقرار
- ❖ تفرّق العرب
- ❖ ملكيّات مع النفط
- ❖ ملوك بلا نفط
- ❖ المستبدون والإسلاميون
- ❖ أحجية مصر
- ❖ تغيير النظام وعواقبه

❖ الصورة الكبيرة: ديموقراطية الإسلام وتماس الأفكار المتحركة

- القسم الثالث: (ضرورة الديموقراطية الإسلامية)

❖ لماذا الديموقرطية؟ النقاش البراجماتي

❖ تحييد معاداة الأمركة

❖ القيام بالأشياء الصحيحة

❖ كيف نقوم بذلك؟

❖ أنصار الديموقراطية الإسلامية

❖ تصور الديموقراطية الإسلامية

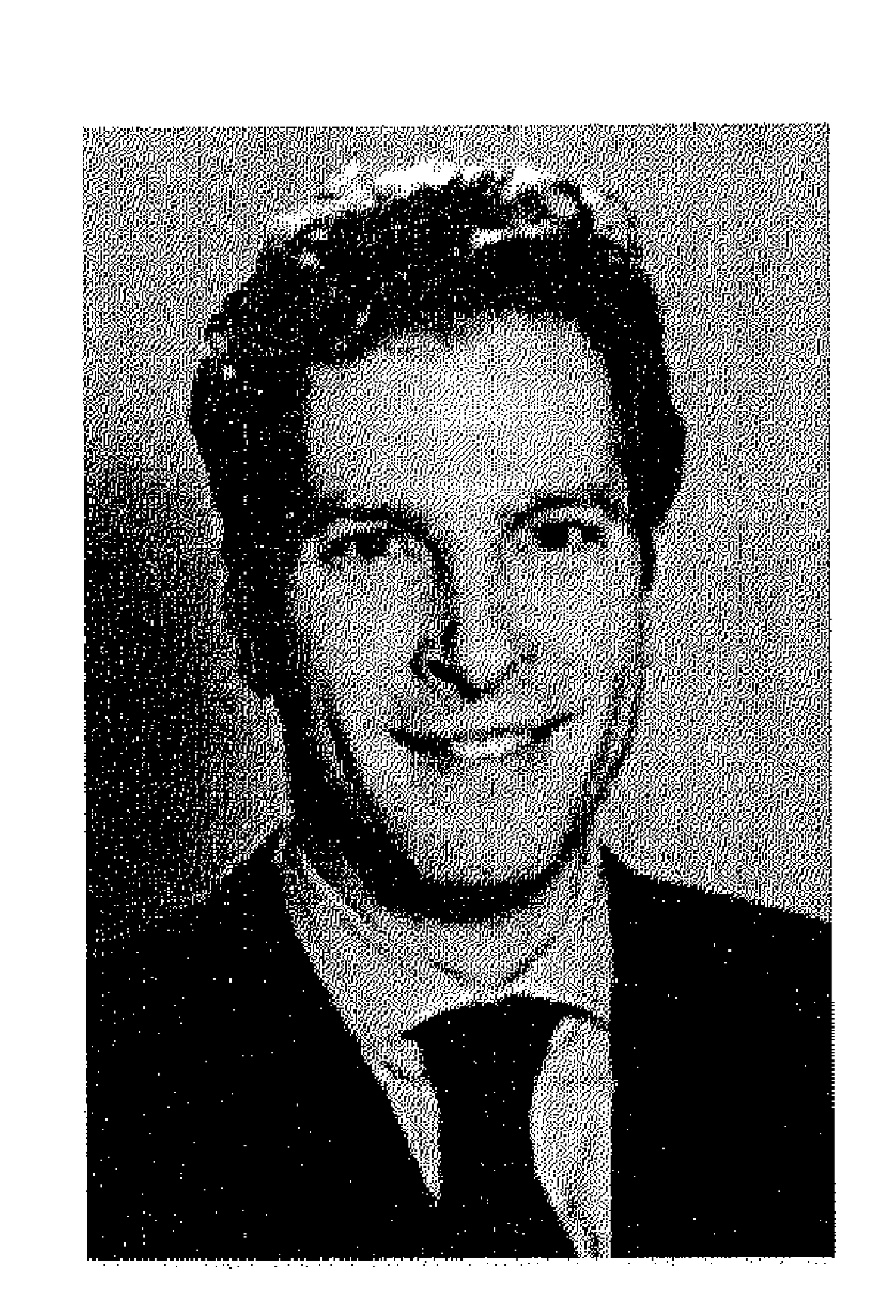
❖ ما بعد الجهاد

- ملاحظات

- شكر وتنويه

- كشاف

بانتهاء الحرب على العراق، ارتفعت أصواتٌ تتساءل عما إذا كانت الدولة الإسلامية يمكن أن تكون ديموقراطية. وإجابةً عن هذا السؤال وضع نوح فلدمان Noah Feldman كتابه (بعد الجهاد).



نوح فلدمان

لقد لفت فلدمان Feldman الأنظار إليه بكتابه هذا، ولذا وقع عليه اختيار إدارة الرئيس بوش ليشرف على كتابة الدستور الجديد للعراق بعد صدّام.

وفي كتابه هذا يرى فلدمان أنّ المسلمين في حاجة إلى الحريّة كما يحتاجها آخرون غيرهم (ص 11)، وأنّ الإسلام السياسيّ في طور الانتقال من دائرة العصيان المسلّح إلى دائرة السياسات الانتخابية (ص 49). وأنّ دعم الغرب للتيوقراطية يشوّه قيمهم الديموقراطية، ويجعل من المضطهدين أعداء للبشر (ص 11).

وبدرجة أقل اقتناعاً يرى فلدمان أنّ العالم الإسلامي إذا كان ديموقراطياً حقاً فإنه سيكون سهلاً تقبّل شرعيّة وجود إسرائيل (ص 14). أيّ أن خلق مناخ ديموقراطي في العالم العربي سيخدم مصلحة إسرائيل بالدرجة الأولى، لأنه حينئذٍ يسهل اختراق الجميع ديموقراطياً بينما يشقّ أو يستحق اختراق الفرد الواحد المستبدّ. لأنّ هذا الأخير يغطي استبداده بتبني معاداة قيام دولة إسرائيل أمام شعبه.

إنّ الفكرة الأساس (الأصلية) الأكثر إثارةً في كتابه هي مبدأ (الأفكار المتحرّكة أو المتنقلة) Mobile Ideas (ص 32 وما بعدها وص 75 وما بعدها)، وتلك جزء من الأفكار الكلية التي تتسم بصفات المرونة والبساطة فضلاً عن الشمولية. فالإسلام والديموقراطية أفكار تمتلك جميع الخصائص الثلاث المذكورة. فالشمولية التي يدّعى أنها في الإسلام وفي الديموقراطية، بمعنى أنهما قابلان للتطبيق على جميع البشر في كل زمان ومكان، مسألةٌ واضحة.

فالفكرتان كلتاهما بسيطتان، فالإسلام خضوعٌ لله وحده، والديموقراطية هي الحكم بالشعب. وقد فُسّرت الديموقراطية بطرق مختلفة منذ نشأتها في بلاد اليونان وحتى تأسيس الدولة الأمريكية، والشأن نفسه يتعلّق بالتفسيرات المختلفة للإسلام، حيث يظهر بأشكال متعدّدة من أندونيسيا إلى مراكش إلى انبعاث الأقليات المسلمة في بلاد الغرب.

والكاتب هنا يخلط خلطاً عجيباً، فيوهم قارئه أن الإسلام الذي يعتنقه الأندونيسي غير الإسلام الذي

يعتنقه المغربي أو المصري. وكأنه يريد ان يقول إنه ثمة عدة إسلامات في العالم.

ويرى فلدمان أن الإسلام والديموقراطية باعتبارهما فكرتين متحركيان (أي قابلتين للتغيّر) يمكن أن تتفاعلا معاً، وأن تحدثا نُظماً جديدة للحكومة التي يمكن للناس من خلالها أن ينهجوا منهجاً إسلامياً في حياتهم لا يعوقه المستبدون وسادة الحروب. وأن هذا سيحقق السلم مع المجتمعات الديموقراطية غير المسلمة. ولذا يرى فلدمان أن العلمانية ليست شرطاً للديموقراطية (ص12). وثمة وسائل متعددة يمكن بواسطتها أن تتفاعل الأفكار المتحركة،، وإحدى تلك الوسائل هي النزعة العالمية أو الكونية التي تمكّن الناس من الاختيار بين الإمكانات المتاحة التي تقدمها وحدة الأفكار المتحركة (ص 34–35). وثمة وسيلة أخرى هي (الجناسة) أو التحدّر من أجناس مختلفة، وهذا يساهم في خلق الأفكار المولّدة. وهذا صراعٌ آخرٌ، لكنه لا يشبه صراع الحضارات عند صموئيل هنتنجتون. إن فلدمان يؤمن برغبة المسلمين في العيش بمجتمع إسلاميّ وديموقراطي في الوقت نفسه.

ويشير فلدمان إلى أن مفهوم الديموقراطية اللبيرالية هي نفسها نسيجٌ يتكوّن من فكرتين متباينتين (ص 36). وهناك طرق متعددة للتأليف بين الإسلام والديموقراطية يمكن سلوكها. وتعليقاً على اختيار الخليفة وانتخابه من قِبَلِ جماعةٍ من الناس هم أهل الحلّ والعقد، يشير فلدمان إلى أن مفهوم (الحلّ) يقتضي نظريّاً أنّ الناس لهم حقّ عزل الخليفة إذا لم يحفظ حق البيعة (ص 53). والعناصر الخاصة للفقه الإسلاميّ يمكن أن تندمج ديموقراطياً في النظام العام للجمهورية الإسلامية وذلك بسنّ مدونة القواعد التي تتصل بالفقه الإسلامي قانوناً كما حدث في الدولة العثمانية عندما أصدرت المدونة الفقهية تحت اسم (مجلة الأحكام العدليّة) (ص 56) وثمة طريقة أخرى لتطبيق الجمهورية الإسلامية وهي أن تدع المؤسسة القضائية تقرّ ما إذا كانت القوانين إسلاميةً أم لا.

وبينما تضع هذه المؤسسة حق النقض a vote power في أيدي الموظفين غير المرشحين، كذلك تفعل النظم الأمريكية والإنجليزية التي يقرر فيها القضاة غير المنتخبين دستورية التشريع (ص 56) والاعتراض على وضع بعض القوانين فوق السيادة الشعبية يتجاهل حقيقة أن إعلان الاستقلال الأمريكي لا يذكر صراحة أن الناس سادة، ولكن جميع البشر خلقوا متكافئين، وأن خالقهم وهبهم حقوقاً غير قابلة لأن يتخلى عنها أصحابها. وكل حق غير قابل لأن يتخلى عنه صاحبه، لا يمكن أن يحذف حتى ولو صوّت الناس جميعاً لإلغائه. فالحقوق غير القابلة للتنازل تضع إذن حدّاً لسيادة الشعب حتى في الديموقراطية (ص 57).

حاول المؤلف أن يظهر موضوعية كبيرة في كتابه موجهاً اهتمامات العلمانيين لفهم صحيح للشريعة الإسلامية من خلال الرجوع إلى مصادرها مباشرةً، ونجد أثر تلك الموضوعية في كلامه عن شهادة النساء، والمشاركة في الميراث، وحقوق الطلاق (الخلع). ويشير فلدمان إلى أن مكانة المرأة في الشريعة اليهودية هي الأكثر سوءاً. والشأن نفسه مع القانون الأنجلو أمريكي العام حتى العصر الحديث (ص 65). ويتّبع فلدمان موضوعية مماثلة في مناقشته لمسألة غطاء الرأس (الحجاب) مقدّراً القيمة الرمزية للباس، ولذا يشير إلى التضليل الواقع عند الغرب في عدم المساواة فيما يتعلّق باللباس.

وفي مسألة الحريّة الإنسانية يلاحظ الكاتب أن المعيار المزدوج الذي يقيس به من ينتقدون الإسلام

يعرقل الاختيارات الفردية عندما تنظّم دولتهم كلّ شيءٍ من الزواج إلى قماش القبعة.

لمّا كان القرآن يمنع الإكراه في الدين، وفلدمان يرى أن معظم المسلمين يفهمون هذا لمنع الإكراه في مسائل الاعتقاد الشخصية، فإنه في نظره «من الصعب على المسلم أن يرتدّ عن دينه في دولة إسلامية تحرّم قوانينها الردّة. وهذه المشكلة تشكّل تحدّياً حقيقياً لما يراه الغربيون من حرية الدين والقول» (ص 70).

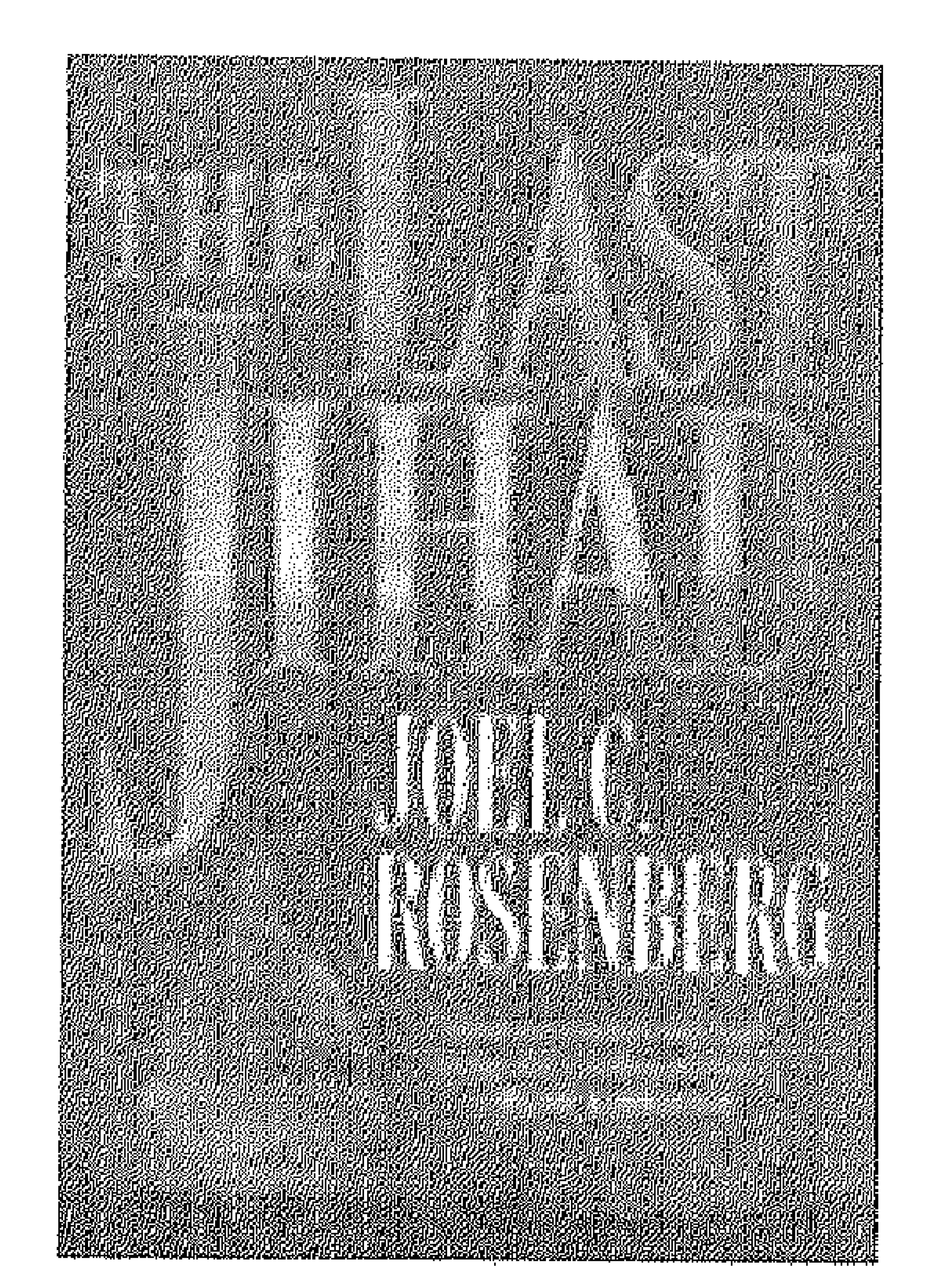
ويقرّ فلدمان بأن السياسة الأمريكية تقمع أيّ تكوين ديموقراطي في العالم الإسلامي فمثلاً، فيما يتعلّق بإحباط أوّل انتخابات حرّة في الجزائر عسكريّاً، يقول فلدمان: «قدّمت أمريكا موافقة ضمنية لقمع الديموقراطية في الجزائر عندما قدّمت دفاعاً ضد الأصوليين، وشجعت المستبدين في العالم الإسلامي بطريقة ماكرة لإنقاذهم، فسجن المستبدون النشطاء الديموقراطيين وأعدموهم (ص 19). وعن الدعم المالي السعودي لـ(الإسلام السياسي) يحلل فلدمان الاعتبارات الجيوسياسية التي لعبت فيه، بالطبع، أمريكا دوراً هاماً، ولا سيما التدخل في أفغانستان (ص 48). ويؤكد فلدمان على أهمية فهم صنّاع السياسة الأمريكية للقوّة الحقيقية للإسلام بمعزلٍ عن الدعاية التي تروج لفكرة أن الإسلام لا يقيم وزناً للقيم العامة أو الكلية. وفضلاً عن ذلك يلاحظ المؤلف أنه «عندما تنتقد الشعوبُ في العالم الإسلامي حكوماتها بأنها غير إسلامية، فإن ذلك في الغالب يعني نعتها بالفساد والقمع. إنّ إحدى قوى الإسلام الكبيرة في دنيا السياسة تكمن في وضوح رؤياه الأخلاقية التي تجعل الحكام يحاسبون حسب أصول الشرع» (ص 20). ويرى الكاتب أن ثمة ما يبرر خطاب الإسلاميين في معاداة السامية. وعندما يصرّ القوميون العرب على انتقاد الصهيونية ويفرقون بينها وبين اليهودية، فإن الإسلاميين يشيرون إلى الإسرائيليين بكونهم يهوداً. (ص 167).

وبالرغم من كراهيته الفطريّة لرؤية ديموقراطية إسلامية يرى فلدمان أنّ التنظيمات الإسلامية هي القوى الأولى الأكثر وضوحاً وتأسيساً، والتي تمتلك المقدرة على القيام بوظيفة قيادة المؤسسات الديموقراطية (ص 222). والسبب في ذلك في رأيه منع الحكومات المسلمة ظهور مجتمع مدني علماني من النوع الذي يعتقد كثيرون من منظّري الديموقراطية أنه ضروريّ، وأنّ الإسلام والإسلاميين قد ملأوا هذه الفجوة.. فقد أحضر الإسلاميون إلى عالم المجتمع المدني نفس المرونة والإبداع التي جاءوا بها من أجل إعادة الاعتبار للتراث الإسلامي، ولتحقيق ديموقراطية إسلامية في الآونة الأخيرة (ص 223).

ويستطرد قائلاً: «إن بناء مجتمع مدنيّ عبر تنظيمات شعبية يضع الإسلاميين في المكان الصحيح لقيام الديموقراطية» (ص 224). وفلدمان يحمّل الغرب مسؤولية عدم التآلف بين الإسلام والديموقراطية وأنّ ذلك يقع على كاهل الغرب. يقول: «الغرب، وأمريكا على وجه الخصوص، في حاجة إلى تغيير الدوافع التي خلقتها السياسة الخارجية في الوقت الراهن من أجل تسهيل، لا تشجيع، التقدم الديموقراطي في العالم الإسلامي» (ص 12). وبينما ينصح فلدمان أمريكا وأوروبا بتغيير سياساتهما، إلا أنه لا يقوم بالشيء نفسه مع إسرائيل إلا لماماً بالرغم من إدراكه أن إسرائيل وقفت حجرَ عثرة في طريق نمو الديموقراطية في الأردن (ص 84). وفي الوقت الذي يناقش فيه المؤلف التكاليف الدبلوماسية المترتبة على الدعم الأمريكي لإسرائيل، فإنه يعطي انطباعاً بأن أحسن الطرق للتخلص من معاداة الأمركة في العالم الإسلامي هو التخلي عن تأييد الاستبداد في العالم

الإسلامي بدلاً من الضغط على إسرائيل. يقول فلدمان: «إن فتح بوابات تدفق الخطاب السياسي في العالم العربي سيقلّل من مركزية الاهتمام بالمسألة الفلسطينية، حيث سيأخذ المواطنون العرب فرصة التعبير عن آرائهم في جميع القرارات الحكومية المتعلقة بالسياسة الداخلية والخارجية، وبذلك ستبدو إسرائيل شريكاً تجارياً أكثر من كونها جاراً في عقول كثير من العرب (ص 192). وهذا الذي ينصح به فلدمان هو ضرب من الاستراتيجية الجديدة في التعامل مع الآخر من خلال إشغاله بأمور كثيرة من عنت الحياة اليومية لصرفه عن قضاياه الرئيسية التي أنفق دهراً طويلاً في النضال من أجلها مقدماً أرواحاً وتضحيات جساماً. ولذا يرى فلدمان أنه «من المستحيل الحصول على اعتراف بشرعية إسرائيل ووجودها من عامّة العرب.. ما دام زعماء العرب مستبدين لا يتكلمون باسم شعوبهم ولا يعملون من أجلهم» (ص 14).

إن (بعد الجهاد) لنوح فلدمان يمثّل منعطفاً هاماً في التفكير السياسي الحديث. وبسبب هذا الطرح الموضوعي إلى حدٍّ كبير اهتمت الإدارة الأمريكية بمؤلف الكتاب وبما جاء فيه لاحساس صنّاع السياسة الأمريكية بالفشل والإخفاق في معالجة مشاكل السياسة الخارجية لا سيما ما يجري في الشرق الأوسط. ومن يقرأ شهادة نوح فلدمان أمام لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ بتاريخ 2003/9/24 بعد عودته من العراق يمكنه أن يتلمس بوضوح أهمية الأفكار والرؤى التي جاءت في الكتاب. يقول فلدمان في تلك الشهادة: «إنه من الأمور الحيوية والقومية أن تبرهن الولايات المتحدة على إمكانية نجاح الديموقراطية في العراق. وإذا أخفقت الديموقراطية هناك فإنّ تحريرنا للعراق سيتحوّل إلى احتلال امبريالي، ومن ثمّ ستتحوّل شكوك العالم العربي والإسلامي في دوافعنا إلى استنكار صريح لتدخلنا في المنطقة. كما أنه علينا واجبٌ أخلاقيّ لتمكين العراقيين من صنع حياة لأنفسهم أفضل من تلك التي عاشوها لمدة خمسة وثلاثين عاماً تحت القمع والاستبداد. إن الديموقراطية يجب أن تنجح في العراق، وفي كلّ مكان. وسواء أيّدنا الذهاب إلى الحرب في العراق أم لا فإنه يتوجّب علينا إضفاء اللمسات الأخيرة على ما قمنا به. إنّ التحالف يعمل على خطين متكافئين: الخط الأمني، والخط السياسي، ويواجه الخط الأمني تحديات كبيرة، بينما السير على الخط السياسي يحقق نتائج جديرة بالتقدير. إنّ العقبات التي تواجهنا في المسألة الأمنية قد تعوق تقدمنا في الجانب السياسي. ولذا فإنه من المهم جداً تحقيق الاستقرار والأمن في العراق ومستقبل الديموقراطية في ذلك البلد يتوقف على هذا الأمر».



والأمر الجدير بالانتباه بخصوص هذا الكتاب، أنه يختلف جذرياً عما قذفت به المطابع في أوروبا وأمريكا تحت مسمى (الجهاد).

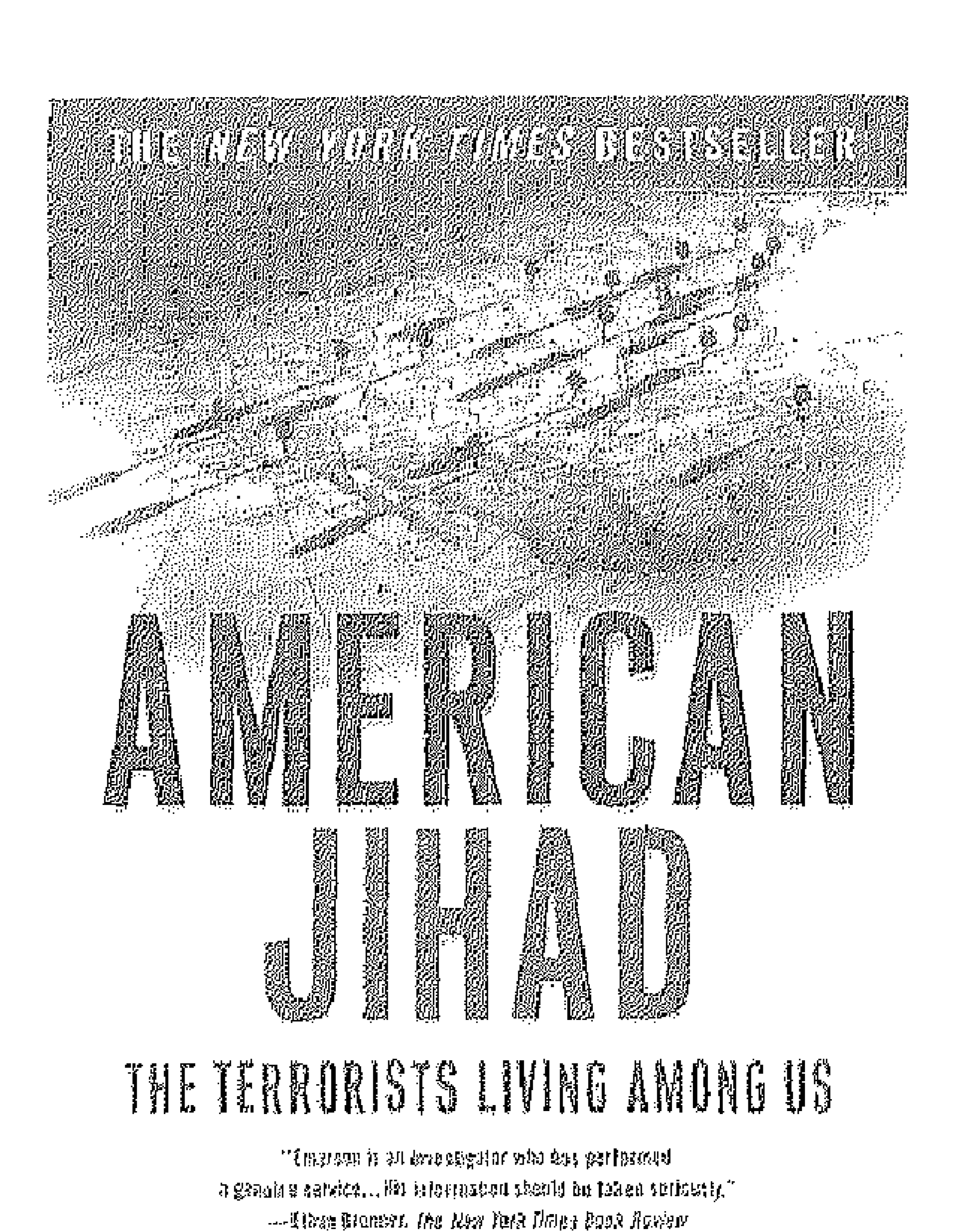
والمتتبع لما أنتجه العقل السياسي بعد أحداث 11 سبتمبر يدرك مبلغ سطحية نظرته للأحداث، والتي يتسم أكثرها بخطاب تحريضي، استفزازي. وقد وجد العقل السياسي الأوروبي والأمريكي في مصطلح (الجهاد) مادة خصبة للتناول، ولكن بأسلوبٍ يختلف عن الذي عالج به فلدمان موضوعه.

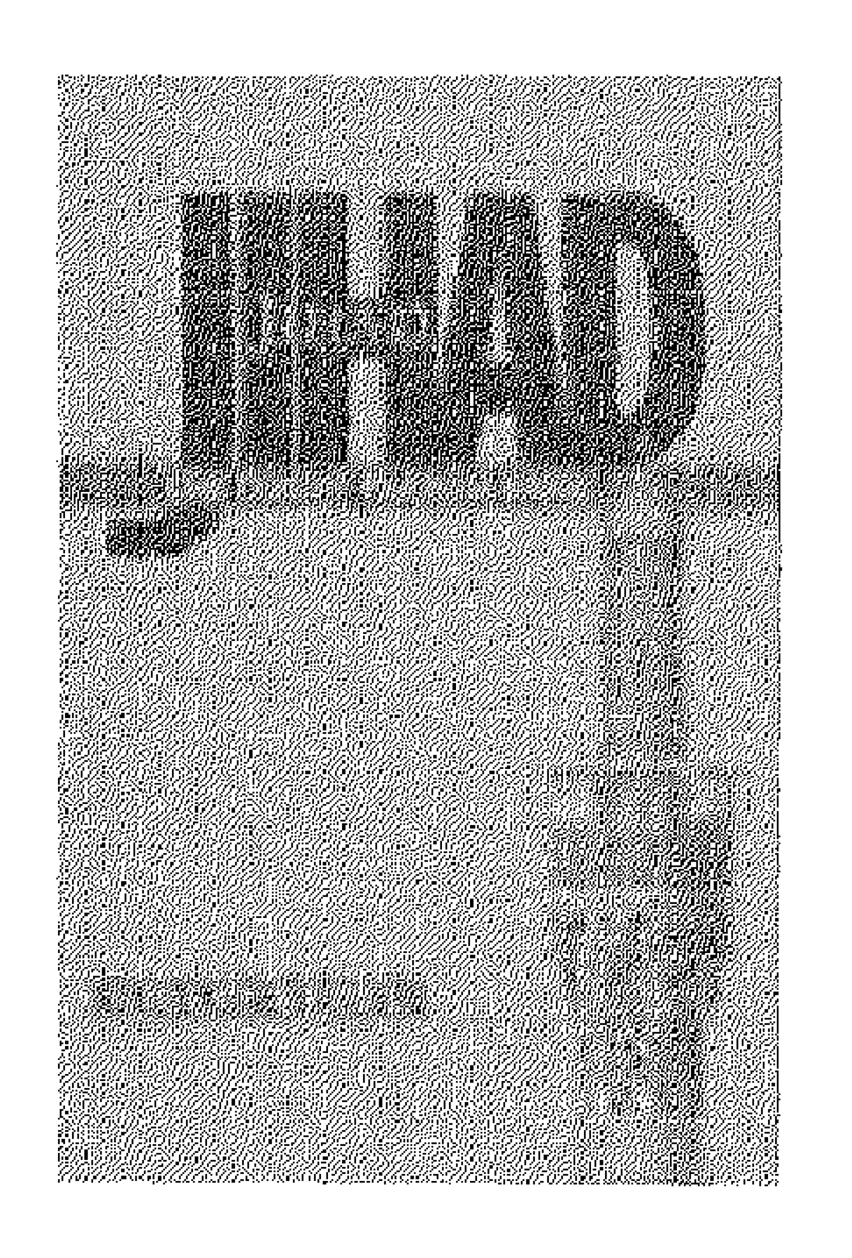
فمن الكتب التي طُرِحت في السوق بعد أحداث 11

سبتمبر كتاب (الجهاد الأخير) The Last Jihad من تأليف جول روزنبرج Joel Rosenberg، وهو رواية خيالية سخيفة تحكي أن جورج بوش حكم أمريكا لفترتين، ثم تولّى الحكم بعده أحد المحاربين القدامى في فيتنام يدعى جيمس ماكفرسون. كان الاقتصاد وقتها مزدهراً، وأسامة بن لادن قضى نحبه، وانتصرت الحرب على الإرهاب. وتحكي الرواية أن الرئيس الجديد ماكفرسون يتعرّض لمحاولة اغتيال، وأن اسرائيل تحبط عملية هجوم نووي عليها دبّره صدام حسين. كما تبيّن أن محاولة الاغتيال الفاشلة كان وراءها صدام نفسه، وكذلك عدة أعمال إرهابية أخرى. وفي تلك الأثناء تقدّم إسرائيل إنذاراً للرئيس ماكفرسون يقضي بأن أمريكا يجب أن تهاجم العراق نووياً في غضون ساعة أو أن إسرائيل سوف تتولى ذلك. هذا نمط من الإسفاف الذي يمارس كلّ أساليب الدعاية والتضليل. وهذه الرواية مع ما اتسمت به من إثارة لم تلقَ اهتماماً من النقّاد ولا من القرّاء. وثمة كتاب آخر يجري في الفلك نفسه يحمل عنواناً هو (الجهاد الأمريكي: الإرهابيون يعيشون في كنفنا)

American Jihad: The terrorists living among us

وهو من تأليف ستيفن إمرسون Steven Emerson يتحدث عن انتشار خلايا إرهابية للمتطرفين المسلمين الذين ينتمون للقاعدة، وحزب الله، وحركة حماس والجهاد الفلسطينيتين.



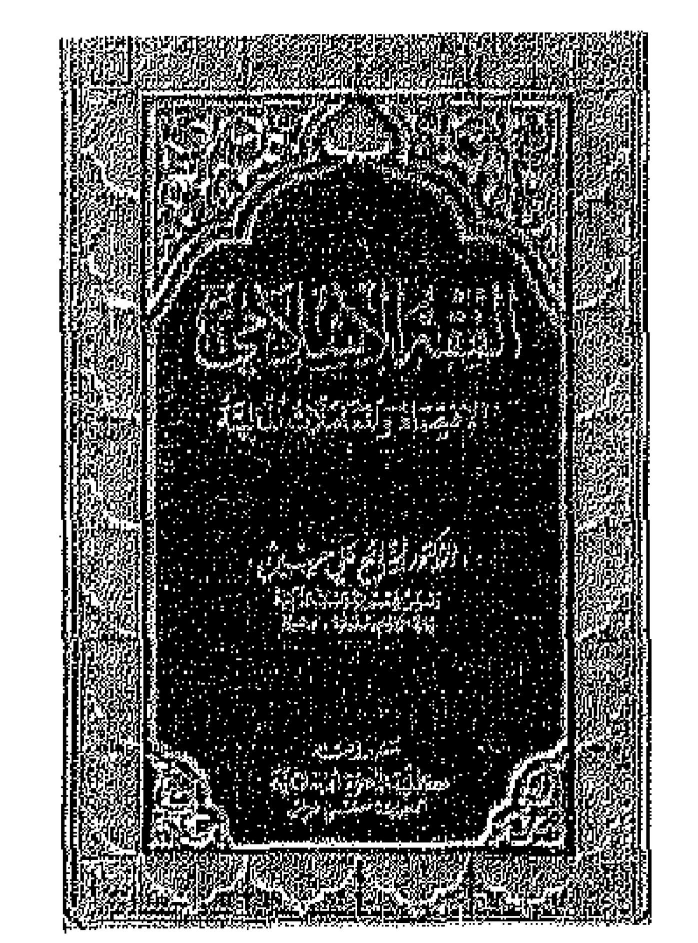


الجهاد: محاكمة الإسلام السياسي لمؤلفه جيلز كيبل

وهناك كتابٌ ثالثٌ من وضع الباحث الفرنسي، الخبير بدراسات الشرق الأوسط، جيلز كيبل يحمل عنواناً هو (الجهاد: محاكمة الإسلام السياسي) Jihad: The Trial of Political Islam by Gilles Kepel. وهذا الكتاب صدر بالفرنسية قبيل أحداث 11 سبتمبر، ثم تُرجم إلى الإنجليزية بعيد الأحداث بعد أن أدخل إليه مؤلفه بعض الإضافات لتتناسب مع هول الحدث. يخلص فيه مؤلفه إلى انحسار مدّ الحركات الإسلامية، فيقول: «لقد تشظّت الحركات الإسلامية في الشرق الأوسط اليوم، ولم يعد بمقدورها تحريك المنظومات الاجتماعية كما كانت تفعل ذلك في السبعينيات. ومع ذلك تظلّ خطراً، لأنها تعتقد أنّ الجهاد هو القوة الخارقة الأخرى».

وكتابه هذا جاء متأثراً بالمناخ السياسي السائد، ولم يبلغ المستوى الذي بلغه كتابه الأوّل الذي يحمل عنوان (التطرف الإسلامي في مصر: الفرعون والنبي) Muslim Extremism in Egypt: The Prophet and Pharaoh, وقد صدرت للكتاب ترجمة عربية بقلم أحمد خضر عن مؤسسة دار الكتاب الحديث.

أخيراً، إنّ كتابَ نوح فلدمان رؤية مغايرة أقرب إلى الموضوعية منه إلى الهوس السياسي، وهو لذلك جدير بالقراءة والتأمّل، والعرض والنقد، بالرغم مما فيه من مآخذ ترجع إلى تكوين المؤلّف الذهني وموروثه الثقافي.

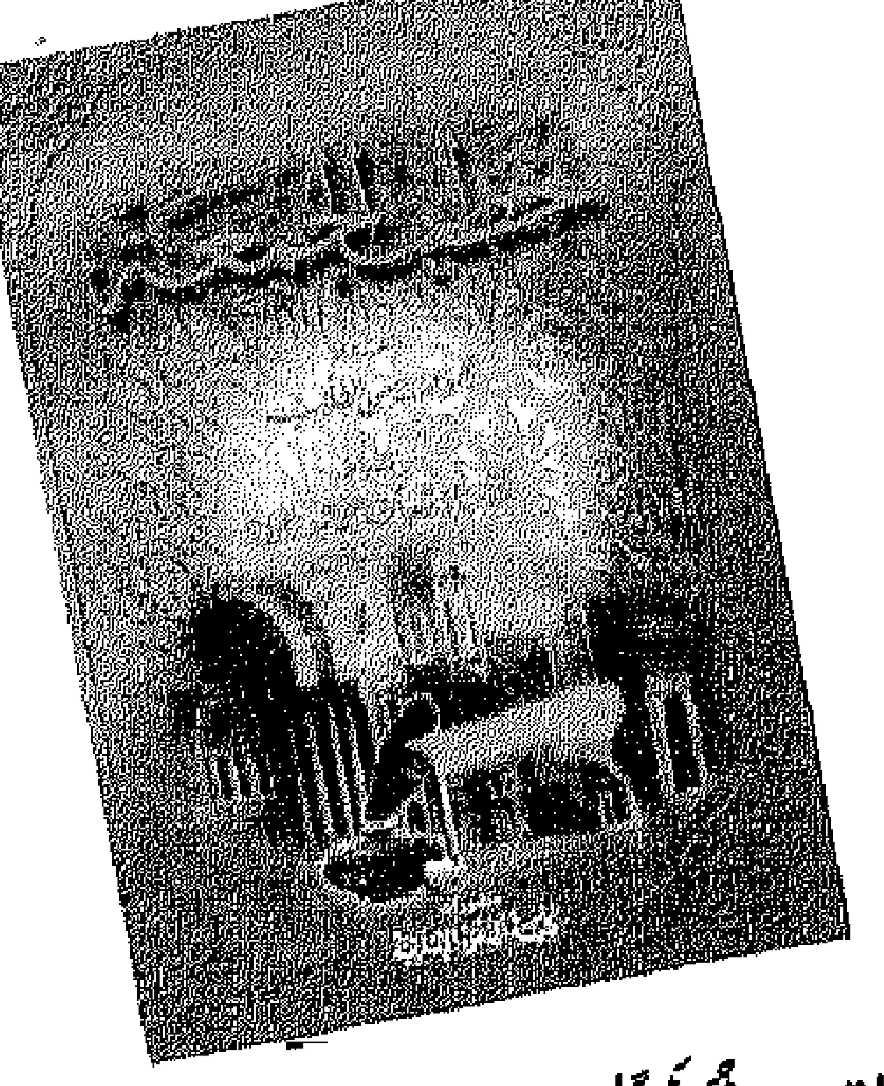


الفقه الإسلامي: الاقتصاد والمعاملات المالية

المؤلف: الدكتور السائح علي حسين

منشورات: كلية الدعوة الإسلامية

هذا الكتاب أشبه بتأريخ لحركة الفكر الإسلامي في مواجهة مستجدات الحياة المتغيرة، يتتبع فيه المؤلف جهود الباحثين ليتمكن القارئ من الإلمام بها مجمعة موجزة في غير إخلال، ويعطي لأصحاب الرأي الحق في الاجتهاد وإبداء الرأي في ما لا نصّ فيه، وهذا ما نفتقده في الكثير من كتب هذا الزمان. ويختار المؤلف من أبواب الفقه ما يؤكد خصائص الاقتصاد الإسلامي النابع من روح الشريعة وقيم الإسلام، ويعرض وجهات نظر المجتهدين بأدلتها، ويترك للقارئ أن يوازن بين الأدلة ليختار لنفسه ما يرتاح إليه قلبه.



خُطَبُ الجمعة

إعداد : مجموعة من الطلاب

إشراف : شعبان علي عبد الجواد

تقديم : د. عمارة بيت العافية

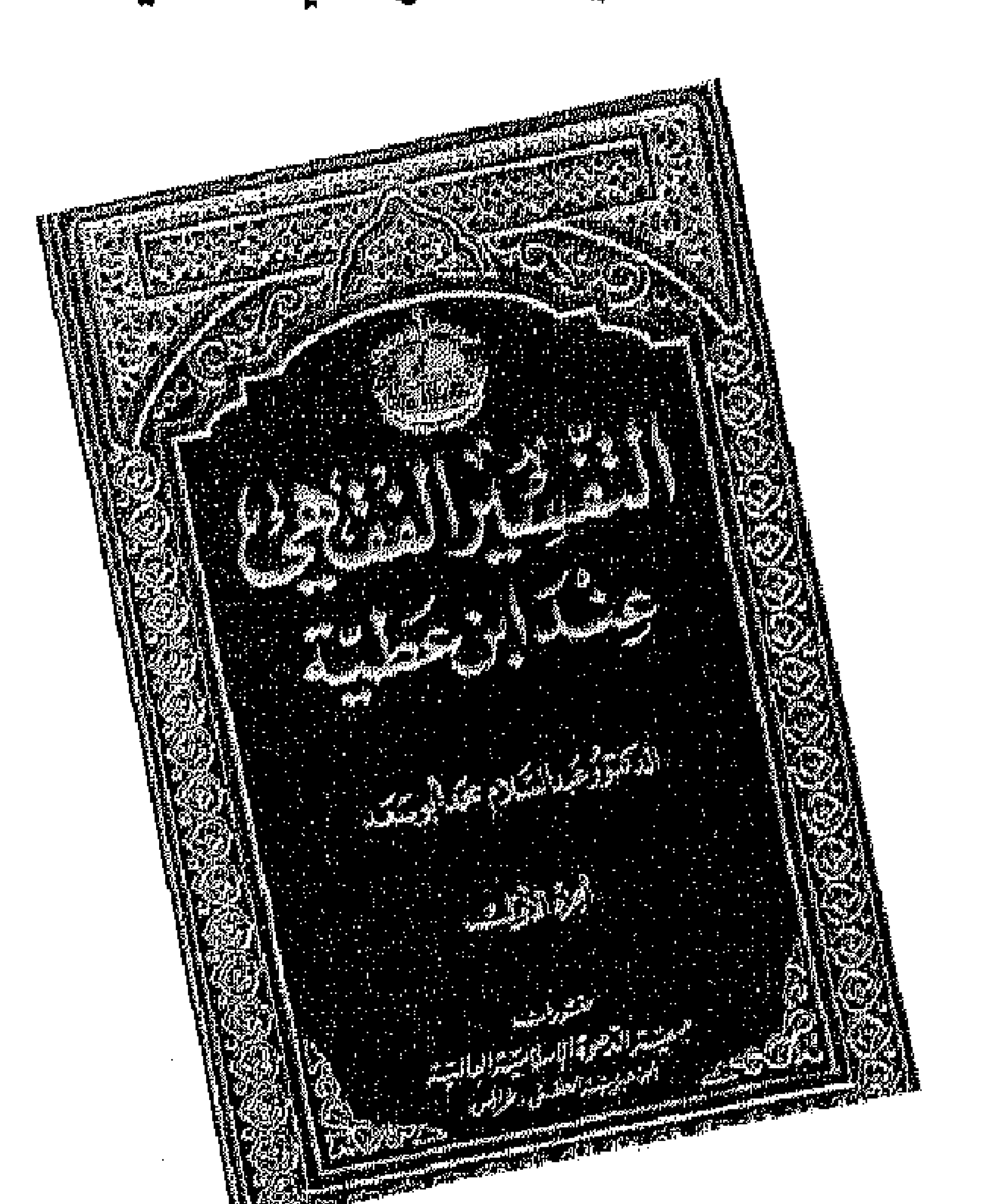
منشورات : كلية الدعوة الإسلامية

يدرس طلاب كلية الدعوة الإسلامية - بالسنة الثالثة - مادة الخطابة، انطلاقا من الفهم العميق لضرورة دراسة هذا الفن و اطلاعهم عليه للاستفادة منه في حياتهم الدعوية، ويعد الطالب ويلقي خُطَبًا على مسامع زملائه وفي مسجد الكلية أمام جموع المصلين في أيام الجمعة وفي غيرها من المناسبات الدينية. وهذا الكتاب يضم مجموعة خطب أعدّها الطلاب، تناولت مسائل متعددة، وحوّمت عبر الكلمة مستعرضة قضايا تهم الإنسان المسلم، واعظة زاجرة، مرشدة مهددة، استفاد منها الطلاب واكتسبوا خبرة في إعداد الخطب وإلقائها والتمكن من الفنون المصاحبة للإلقاء. وإذا كان هناك الكثيرون الذين يرون أن الخطب لا تكون إلا إذا كانت حية ؛ إلا أن كلية الدعوة الإسلامية آثرت جمع وطباعة خُطَبَ الطلاب تشجيعا لهم من جانب، ومن جانب آخر إفادة الخطباء الآخرين بما تحويه هذه الخطب من مادة جيدة تصلح لإلقائها وربما تطويرها.

التفسير الفقهي عند ابن عطية

تأليف : الدكتور عبد السلام محمد أبو سعد

منشورات : جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

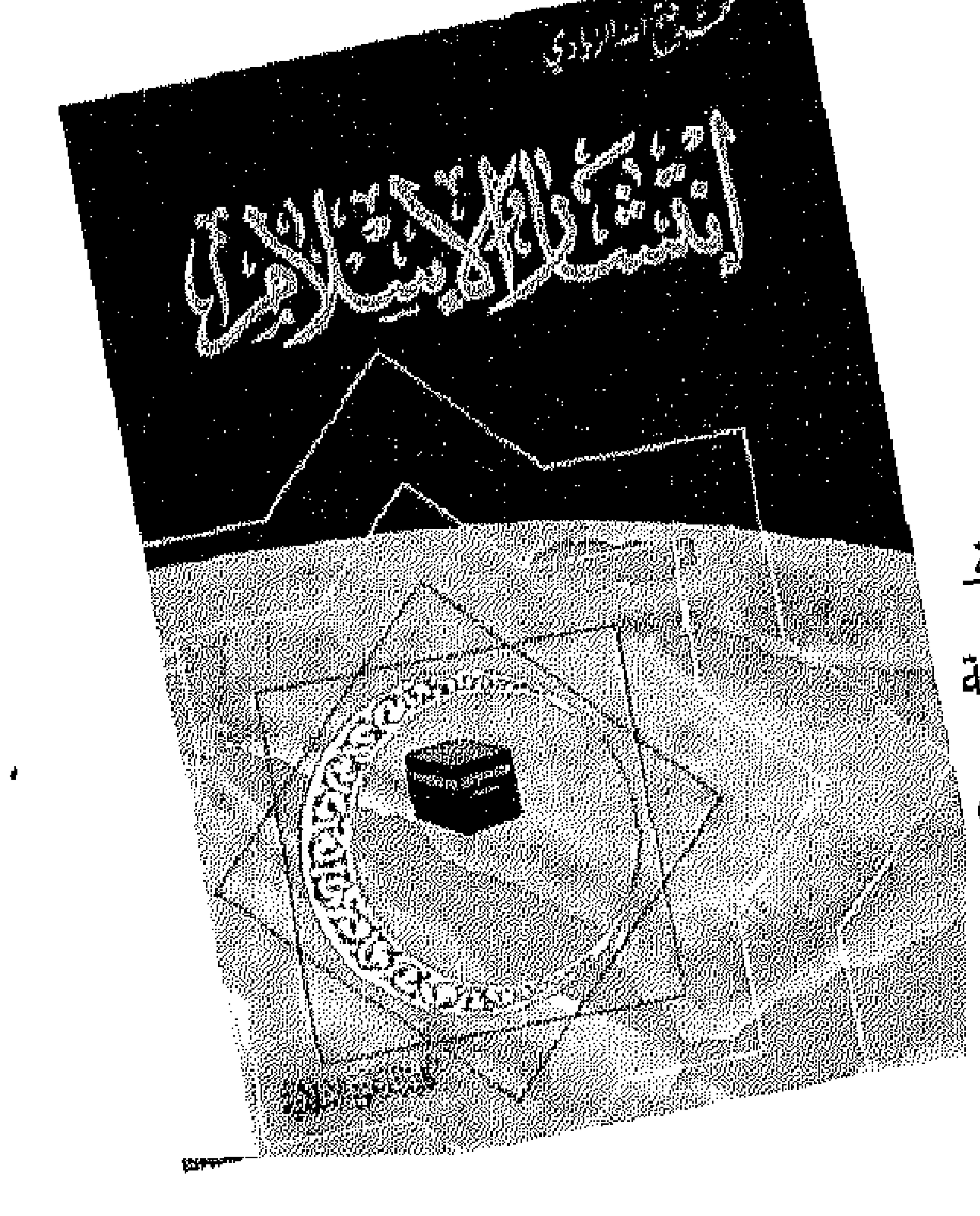


دراسة الجانب الفقهي من تفسير ابن عطية تعطينا صورة واضحة عن حالة التشريع في الأندلس خلال القرن السادس الهجري إبان دولة المرابطين. ويحاول المؤلف في هذا الكتاب أن يقدم أنموذجا من جهود العلماء في ميدان التشريع الإسلامي، لأن فقه الكتاب هو الأساس الأول الذي عليه أي تشريع، وابن عطية كان من كبار الفقهاء والقضاة الذين مارسوا جانب التشريع علما وعملا، ومن ثم فإن هذه الدراسة تتمم جانب النقص في ثقافة ابن عطية من خلال تفسيره، وتقدم أنموذجا للتشريع الإسلامي خلال القرن السادس الهجري.

إنتشار الإسلام

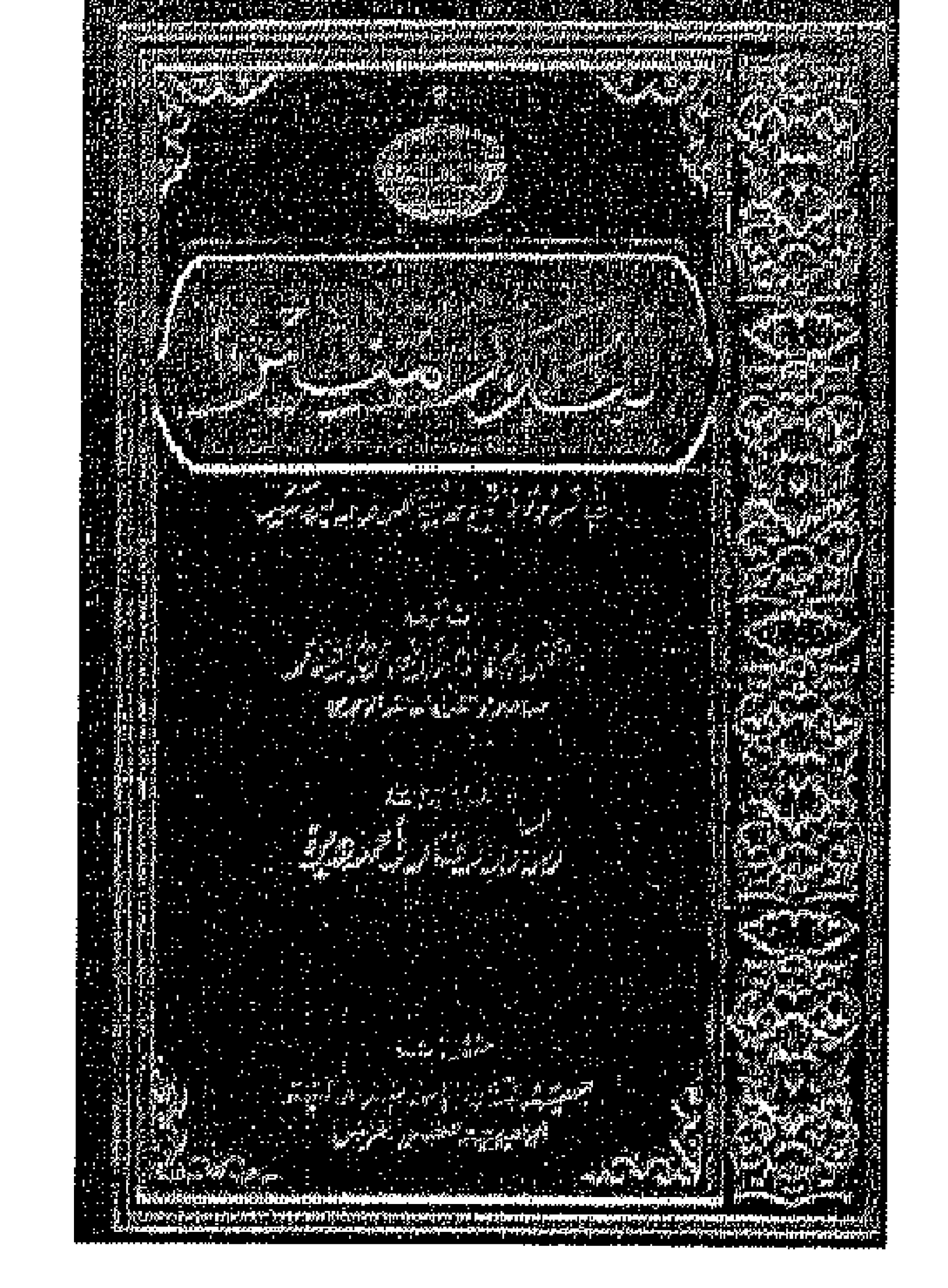
المؤلف : د. محمد فتح الله الزيادي

منشورات : كلية الدعوة الإسلامية



يعد الإستشراق من أخطر الظواهر المضادة للإسلام، فما عرف التاريخ الإنساني عبر مراحله المتباينة أن طوائف من أمم مختلفة تنوعت ثقافاتها ولغاتها وأعرافها التقت كلمتها واتحدت أهدافها حول العكوف على دراسة دين لا تؤمن به، لا تريد من ذلك معرفة الحق من الباطل، وإنما تريد العمل دون كلل من أجل تشويه الرسلام وحضارته الإنسانية الرائعة. وقد كانت الفتوحات الإسلامية من أهم القضايا التي شغلت الفكر الاستشراقي.

في هذا الكتاب محاولة جادة من المؤلف لمناقشة الفكر الإستشراقي في الفتوحات الإسلامية، فيعرض لآراء المتشرقين وفق تصنيف موضوعي لها، ويتناولها بالنقد العلمي الذي لا يعرف التحامل، ولا يبخس الناس شيئاً، ولا يضيره أنه لم يقرأ كل الآراء، فذلك أمر لا سبيل إليه، ويكفيه أنه جمع منها ما استطاع الوقوف عليه، وتمكن من أن يلقي ضوءاً كاشفاً حول موقف الاستشراق من إنتشار الإسلام.



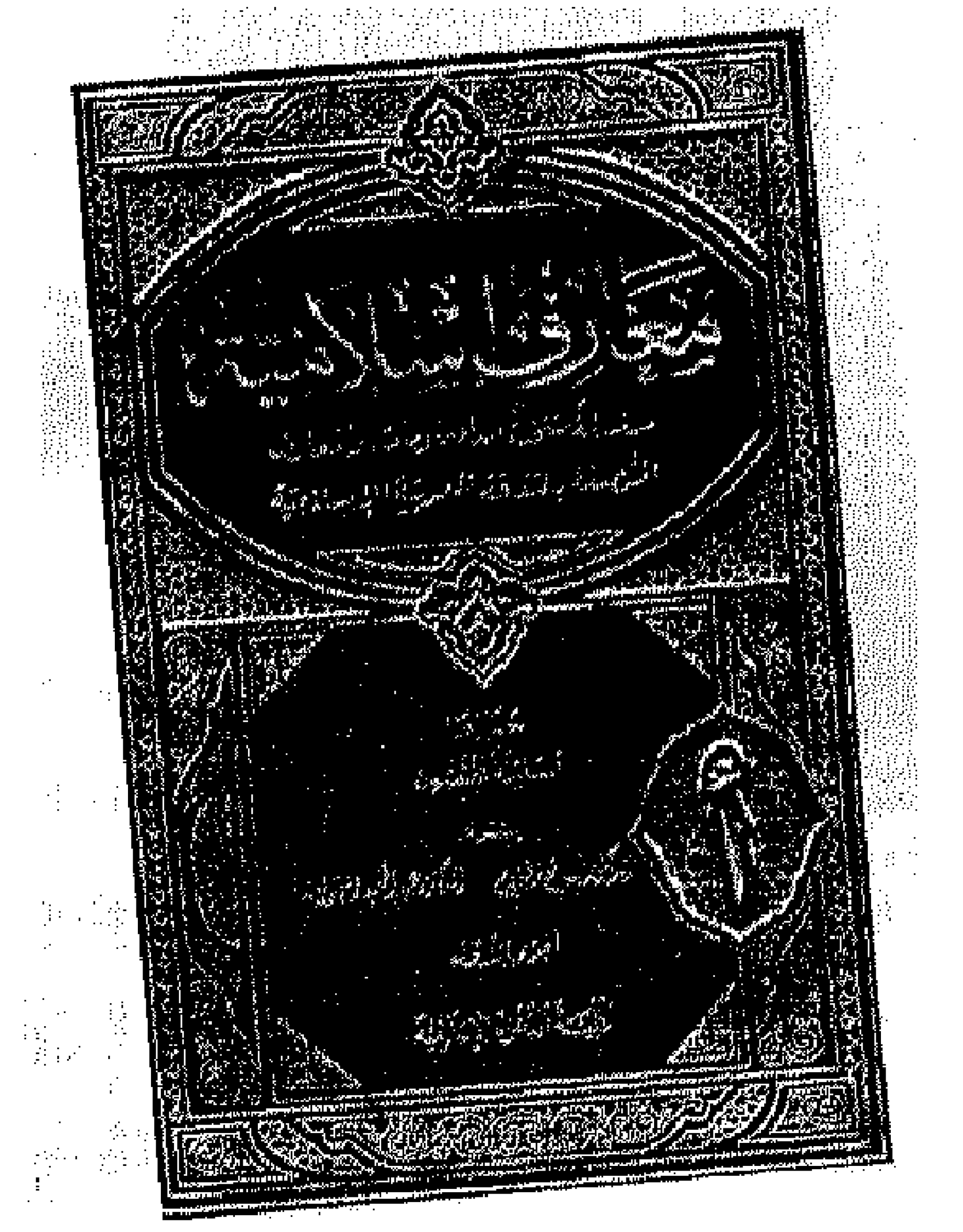
البدر المنير
في قراءة نافع وأبي عمرو وابن كثير

المؤلف: عمر بن قاسم الأنصاري النشار

تحقيق ودراسة: الدكتور المختار أحمد ديرة

منشورات: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

على الرغم من أن كتب القراءات القرآنية كثيرة إلا أنها - على كثرتها - ما يزال الكثير منها مخطوطا ينتظر من يخرجه إلى النور. ويعتبر هذا الكتاب امتدادا لجهود السابقين في هذا الميدان. ولعل الأهمية العلمية لهذه المخطوطة (البدر المنير) تكمن في أنها تحوي القراءات القرآنية، وإلى جانب الأهمية الدينية للقراءات القرآنية فإن لها قيمة لغوية خاصة، لأنها تحوي ثروة لغوية ضخمة لا يستغني عنها دارس اللغة العربية، وفضلا عن هذا فهي تسجل الكثير من الظواهر اللغوية التي امتازت بها القبائل العربية، والاختلاف في القراءة يعطي في بعض الأحيان أحكاما شرعية مختلفة دون أن تنزل بها آيات قرآنية أخرى.



معارف إسلامية

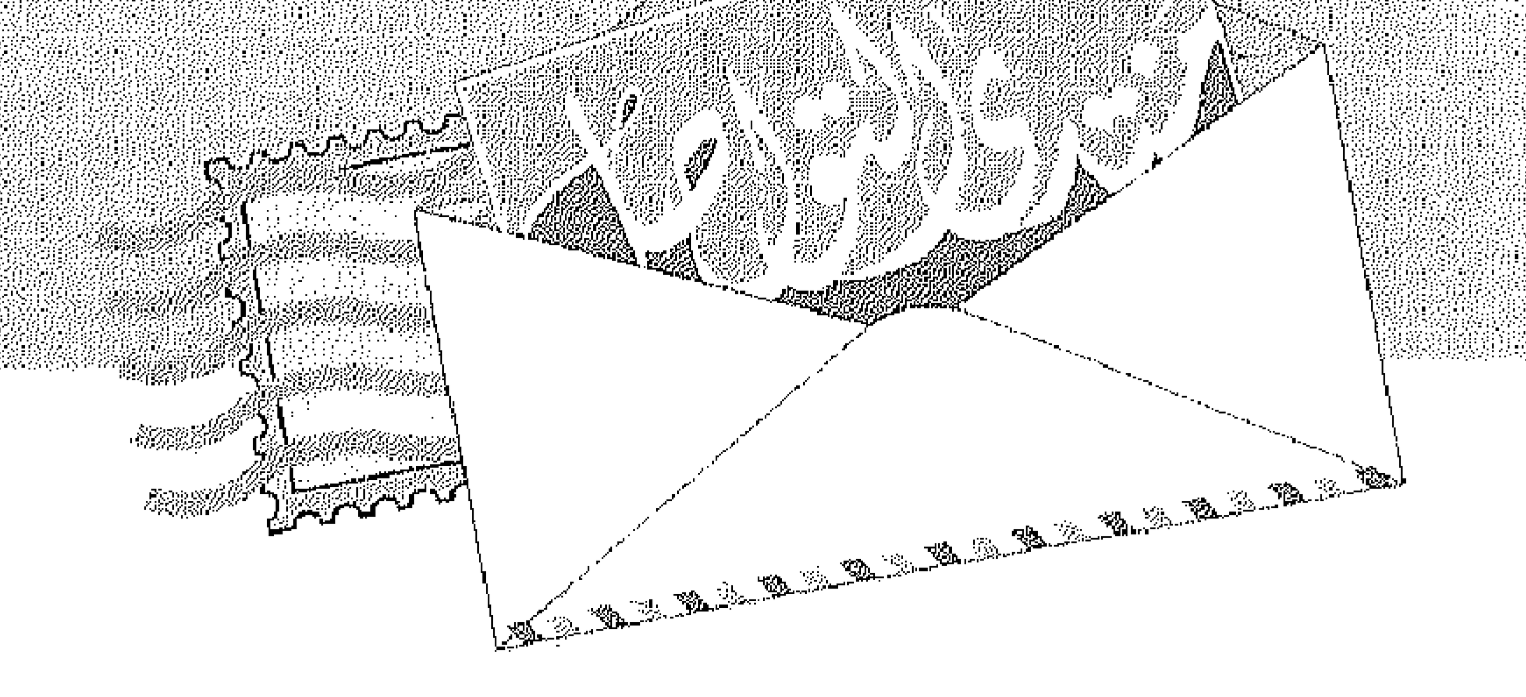
إعداد: أساتذة متخصصون

إشراف: الدكتور فاتح زقلام

الدكتور عبد الحميد الهرامة

منشورات: كلية الدعوة الإسلامية

هذه الموسوعة حررها أساتذة متخصصون، وهي تستمد حدودها من اسمها، فهي معارف إسلامية مكثفة، تُعْنَى بإعطاء نبذة مختصرة عن موضوع من الموضوعات الداخلة في نطاقها، ونطاقها يشمل المعارف الإسلامية الأصيلة، وتلك التي تساهم في فهمها، كاللغة العربية وآدابها، وبعض المعالم التاريخية والجغرافية المتصلة بها، فهي تمثل المعارف الإسلامية الأصيلة كالعبادات والمعاملات، فضلا عن بعض المعلومات عن الثقافة والعلوم، والبلدان التي يمثل المسلمون فيها أغلبية، والمدن التي لها تاريخ إسلامي مجيد، والأعلام الذين يشكلون تيارا فكريا أو صوفيا أو فنيا يرتبط بالإسلام برابط ما.



مسجد غرناطة بين (العربي) و(التواصل)

حدث أن عثرت على عدد من مجلة (التواصل)، كان العدد الأول، وكنت قبل ذلك قد اشتريت مجلتنا (العربي) في عددها رقم 547 لشهر يونيو2004 وقد دهشت لاشتراك مجلتكم (التواصل) مع مجلة العربي في موضوع غلاف واحد وهو افتتاح اول مسجد في غرناطة.

ولأنني لم أكن أعرف شيئاً عن (شهر الربيع) فقد سعيت بين أصدقائي لأعرف هذا الشهر وقد هداني أحدهم إلى أن أسأل السفارة الليبية حيث عرفت أن شهر الربيع يقابل شهر مارس...

لماذا أجهد نفسي لأعرف شهر الربيع ما يعني؟ ذلك لكي أعرف من صاحب الفكرة لكي يكون الغلاف له موضوع واحد...

أدركت فيما بعد أن الذي جعل (العربي) و(التواصل) تشتركان في تنفيذ فكرة واحدة ليس التقليد بكل تأكيد بل هو اشتراكهما في الاهتمام بحدث فرض نفسه يحتاج لكي يُنتبه إليه إلى مطبوعة على مستوى مجلة العربي ومجلتكم (التواصل).

أشكركم على هذا الاهتمام بحدث له مدلوله الحضاري ويعكس فعلاً ذلك النوع من التواصل بين التاريخ والواقع...

كما أشكر جمعية الدعوة الإسلامية العالمية التي تصدر مجلة (التواصل) والتي كان لها الفضل في إقامة أول مسجد في غرناطة منذ 511 سنة. وكنت أود لو ان استطلاع مجلة (العربي) قد أشار إليه ولو من قبيل إعادة الفضل لأصحابه.

أشكركم على هذا الجهد الذي أتمنى أن يستمر ليتحقق لنا معنى التواصل بين الثقافات وهو الأمر الذي نحتاجه اليوم.

أخوكم

ماجد احمد الحسبان/ الاردن

تحية طيبة.. وبعد

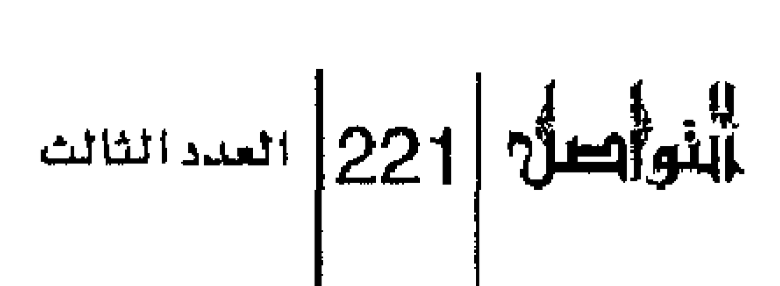
فقد أطلعت على العدد الأول لـ(التواصل)، ولا يسعني إلا أن أشكركم واقدِّر جهودكم الخيِّرة التي بذلتموها لإصدار هذا العمل الثقافي الذي سيشكّل إضافة مهمة، بل وسيملأ فراغاً واضحاً في الصحافة المتخصصة في هذا النوع من العلوم الإنسانية..

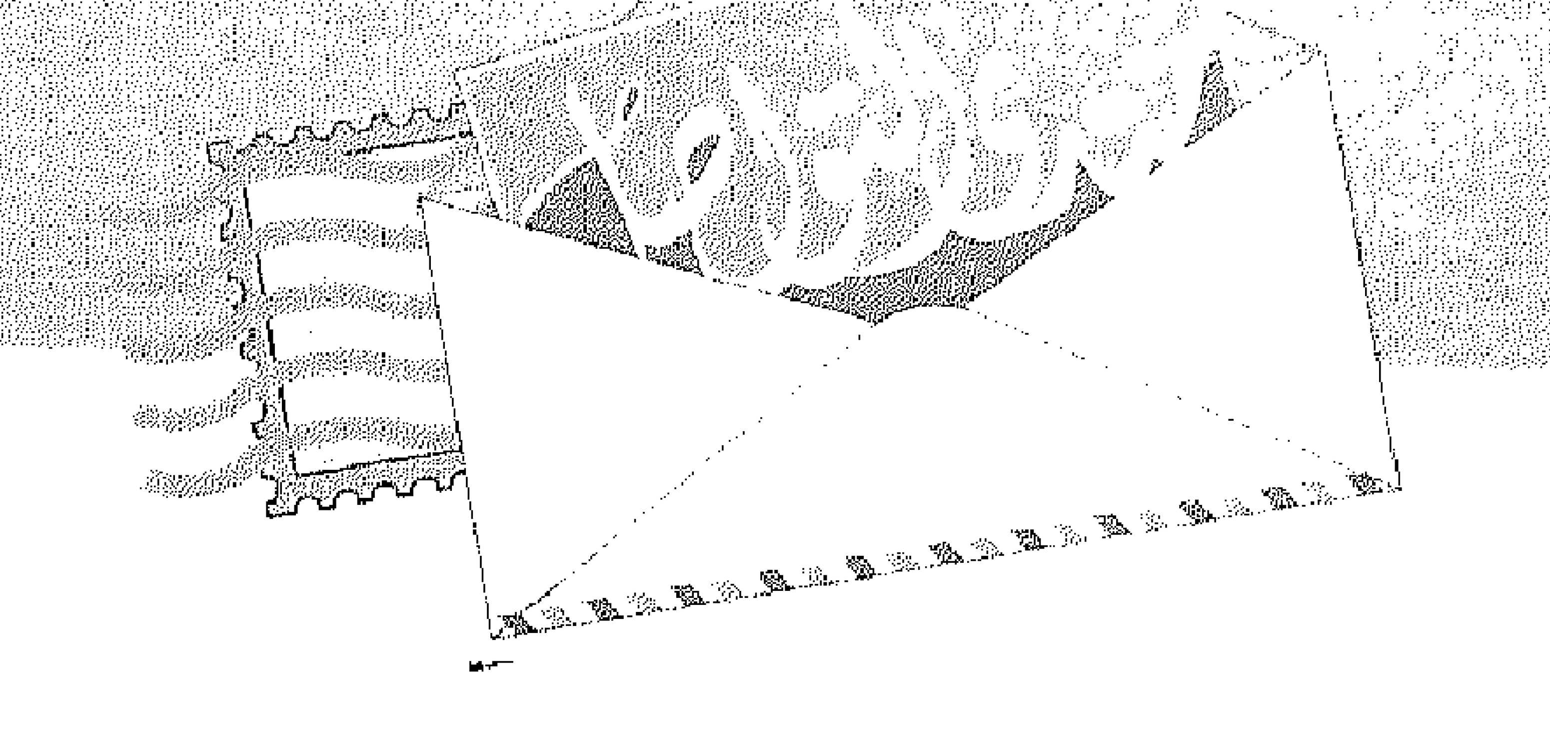
وكقارئ أرى أن العدد زاخر بالأبواب والتنوّع من الموضوعات التي تلبي حاجة القارئ والباحث وطلاب المعرفة على مختلف مستوياتهم، كما وأن حجم المجلة والشكل العام لها من حيث التبويب والإخراج غاية في الروعة والجمال.

أشد على أيديكم.. وفّقكم الله وسدَّد خطاكم مع أطيب تمنياتي بدوام النجاح.

علي حمزة

صحفي/ ليبيا





السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أقدم إليكم أحر التهاني بصدور العدد الأول من مجلة (التواصل)..

مثل هذه المجلات الثقافية ذات طابع علمي موضوعي، ولذا كان من التوفيق غياب الجانب السياسي أو حضوره على استحياء، مما يعطي للمجلة قبولاً على نطاق واسع بين قرّاء العربية، ويجنبها عثرات الوصل السياسي والطائفي والمذهبي، وما يمكن أن يوصف بالوحل الإقليمي على مستوى الفكر، وإذا كان لا بد من السياسة لإرضاء شريحة من القرّاء فلتكن في صورة العرض العلمي الذي يمد القارئ بمعلومات جديدة وتحليلات مقنعة وغير منتمية لغير المنطق الصحيح، مع ما تتمتع به من تشويق ناجم عن مفاجأة القارئ بما لا يعلم، وليس بأساليب الإثارة الرخيصة.

مثل هذه المجلة تحتاج إلى أقلام لها وزن علمي وثقافي، وذات عمق في تناول القضايا، وتحتاج الكتابة فيها إلى ما يعرف بمصرف المعلومات الذي يعين الكاتب على الربط العلمي بين الماضي والحاضر، لتبنى نظراته الاستشرافية على حقائق موضوعية، ولا شك في أن لغة الأرقام والنسب تقرب المعاني، وتدل على بذل الجهد في البحث عن المعلومة والأمانة في نقلها. وإذا لم تكن أرقام وحقائق فمنطق وبراهين عقلية، وإذا لم يكن هذا وذاك فوثائق وصور مختارة ودالة، ومعلومات محالة إلى مصادر ومراجع، أو تجارب شخصية مقنعة، وما عدا ذلك فإنشاء لا يليق بهذا المستوى من المجلات، وتهبط بالمجلة أيضاً المقالات التي تنزع إلى المباشرة الجوفاء، والموضوعات التي قُتلت بحثاً، والموضوعات الممعنة في الغموض.

أكرر التهنئة بهذا المولود الجديد، وأؤكد لكم بأن ما ينفق في مثل هذا العمل يعد من أنعش الاستثمارات الثقافية التي يعود الربح فيها على الوطن حاضراً ومستقبلاً.

د./ عبد الحميد الهرامة

الرباط/ المغرب

بعد التحية

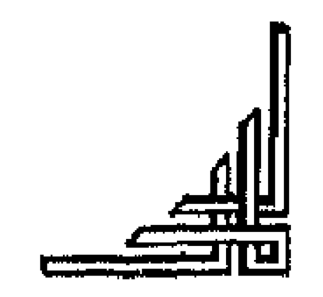
اطلعت على العدد الأول لمجلة التواصل، ولقد سررت بهذا المولود الثقافي الجديد الذي جاء يافعاً منذ البداية، ومليئاً بالمقالات الدسمة والتقارير الجيدة، ومتضمناً العديد من القضايا الفكرية التي تشغل بال العرب والمسلمين في هذا العالم المضطرب، وما كنت أحسب ن البداية ستكون بهذا المستوى المتميز، ولكن ذلك سوف يلقي عبئاً ثقيلاً على القائمين بهذا المشروع، وهو أن تكون الأعداد اللاحقة في نفس المستوى إن لم تكن أكثر وأشمل حتى تشق المجلة طريقها ضمن الدوريات المرموقة.

وما دام هذا المولود الثقافي يحمل عنوان التواصل فإنني أرى ضرورة أن نجعله أداة ووسيلة للاتصال والتواصل بين مختلف الكتّاب، تمكّنهم من نشر أفكارهم وآرائهم من خلاله، وخاصة الكتّاب الليبيين لكي يساهموا في هذا الصرح النابع من أرضهم.

لكم الشكر والدعاء بالتوفيق

د./ جمعة الزريقي

أستاذ جامعي/ ليبيا



حضرات الإخوة الأعزاء

تحية أخوية طيبة

أهنئكم على هذا المشروع الدعوي الثقافي الإعلامي الإسلامي، الذي يعتبر امتداداً لجهود جمعية الدعوة الإسلامية العالمية المتواصلة في سبيل خدمة الإسلام والمسلمين بكل الوسائل والسبل الثقافية والاجتماعية والإعلامية.

وإننا نرجو الله سبحانه وتعالى أن يجعل من مجلة التواصل (كاسمها) وسيلة فعالة للمساهمة في تحقيق التواصل والتعارف والترابط والحوار بين المثقفين المستنيرين (مسلمين ومسيحيين) في جميع أنحاء العالم، وعلى الأخص بين أبناء القارة الأفريقية.

ومن جهتنا فإننا سنكون ـ بإذن الله ـ من قرّاء (التواصل) ومن المشاركين في الكتابة بها.

وأود أن أتقدم باقتراح بسيط لعلّه يكون مفيداً في تحقيق الأهداف السامية التي دعت إلى إصدار (التواصل). ويتمثل هذا الاقتراح في أن يضاف إلى أهداف المجلة العناية بتاريخ الإسلام وشعوبه والعلاقات والروابط التاريخية بينها. والذي دعاني إلى تقديم هذا الاقتراح هو أهمية دراسة التاريخ بصفة عامة في بناء حاضر الأمم ومستقبلها..

ولا يخفى عليكم أن تاريخ الإسلام ـ وخاصة في أفريقيا ـ قد أجرى فيه الكتّاب والمفكّرون الغربيون تحريفات كثيرة، وتبعهم في ذلك بعض المثقفين بالثقافة الغربية من أبناء أفريقيا نفسها ما ينبغي إذن أن تساهم بمجلة (التواصل) في تصحيح هذه التحريفات.

وعلى نفس المنوال فإن العناية بتاريخ المسلمين وروابطهم التاريخية العريقة ستعين كثيراً على تجديد الوعي الإسلامي والمحافظة على الهوية الإسلامية والتضامن بين المسلمين.

وفّقكم الله والسلام عليكم

محمد أحمد شفيع

كاتب/ النيجر

السلام عليكم

في الحقيقة ودون أي مجاملة، ومن خلال اطلاعي على العدد الأول من مجلة (التواصل) أرى أنه بشكل عام إنجاز طيب ورائع يستحق التقدير والثناء. ومن حيث الشكل والموضوعات والكتّاب وجدت أن هناك شمولية وتنوعاً لمجلة ستكون واعدة بإذن الله في عالم الفكر والثقافة والحوار.

هذا الكلام ليس من باب المجاملة ولكنه انطباع حقيقي لمسته وأنا أطالع صفحات المجلة وما تضمنته من موضوعات تعالج قضايا مهمة وحيوية.

وأشكر لجنة التحرير على اختيارها وإبرازها مساحة أو قضية (المسيحية الصهيونية) وهي قضية مهمة ورئيسية تختزل كل القضايا الأخرى..

وأريد أن أتقدم إلى أسرة تحرير التواصل باقتراح أرجو أن يجد الاهتمام وأن تتوفر الظروف لتحقيقه وهو أن تتبنى مجلة (التواصل) الدعوة إلى عقد ندوة موسعة يشارك فيها كتّاب ومفكرون متميزون مسلمون ومسيحيون من مختلف أنحاء العالم لدراسة مخططات وأهداف المسيحية الصهيونية المشبوهة، وما تتضمنه منطلقاتها الفكرية.

أجدد لكم الشكر والتقدير وأثمن كل جهد بذل وسيبذل لإصدار هذه المطبوعة الرائعة..

مزيداً من التألق ولكم التوفيق والسداد.

أحمد البكوش

صحفي/ ليبيا

..ونتواصل

كم هو جميل إيقاع هذه الكلمة «التواصل» لما تحمله من دلالات اللقاء والمحبة ولما تشعر به من معاني القرب الذي بدوره يؤدي إلى نفي البغضاء وإقصاء الخلافات مهما تنوّعت، وهذه هي فكرة هذه المجلة كما أتصور، إنها دعوة إلى الانتقال من مرحلة إلى أخرى على كافة المستويات، العربي والإسلامي والدولي، لقد مرّ العالمان العربي والإسلامي بفترات تاريخية قاسية كان أشدها قسوة فترة الاحتلال الغربي لأجزاء كثيرة من العالمين العربي والإسلامي، ولئن رحل الغرب بعساكره عن أوطاننا فإنه قد خلف الكثير من الرواسب المهلكة كان من أهمها عدم الثقة في النفس وفي الآخر، ولذا مرّت البلدان العربية والإسلامية بفترات صراع سياسي واقتصادي وحتى عسكري فيما بينها شدها إلى الخلف وأعاقها عن ركب التقدم الذي سارت فيه الأمم الأخرى، وكثيراً ما اكتشفت هذه البلدان أن سبب هذا الصراع إنما كان بأسباب خارجية وأن انعدام الحوار واللقاء المباشر بينها قد فتح طريقاً لهذه الأسباب الخارجية، ومن هنا كانت دعوتنا للتواصل منطلقة من دراسة الواقع واستشراق المستقبل ولعل تواصل شريحة المثقفين والكتّاب والباحثين يأتي في مقدمة اهتمام هذه المجلة ولذلك «فلنتواصل».

أما على الصعيد الدولي فإن العلاقات الغربية الشرقية أو الإسلامية المسيحية قد تأثرت كثيراً بالنظرة الخاطئة وبالخبر الموظّف وبالفكرة المقصودة وكان ذلك سبباً في تشويه ثقافة أجيال بكاملها غُيِّبَتْ عن الحقيقة قروناً طويلة ولم تتمكن من التواصل للتعرف على الحقيقة وأثمر هذا عداءً مستحكماً وصراعاً مستمراً ليس له من مبرر ولا تقره الأديان ولا القيم الإنسانية، ولأننا في عصر العولمة عصر التقدّم المذهل في وسائل الاتصال، ولأنه بإمكان إنسان هذا العصر أن يقفز فوق الاحتكار الاعلامي وأن يحطم السيطرة على وسائل الاتصال فلنتواصل انطلاقاً من قيمنا الإنسانية المشتركة وتعاليمنا السماوية الخالدة ونحن على ثقة بأن التواصل لا يحقق إلا الخير، ولذا.. فلنتواصل.





من اصدارات

جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

